



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى الله عليه وسلم

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

ومضات السيط

عليه السلام

الجزء ٢-١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومضات السبب عليه السلام

كاتب:

نبيل قدوري الحسنى

نشرت فى الطباعة:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمى الناشر:

مركز القائمىه باصفهان للتحريرات الكمبيوترىه

الفهرس

٥	الفهرس
٢٣	ومضات السبط عليه السلام
٢٣	اشاره
٢٣	الجزء الأول
٢٣	اشاره
٢٧	مقدمه الشعبه الدراسات والبحوث
٢٩	مقدمه المؤلف
٣١	الخطبه الأولى: في التوحيد
٣١	اشاره
٣٣	نص الخطبه
٣٣	اشاره
٣٤	المعنى العام
٣٧	التحذير من الفكر المنحرف
٣٨	الشبه بين المارقين وبين الكافرين
٤٠	ما هو التشبيه؟
٤٣	التشبيه محال عقلاً
٤٤	التشبيه لا يصح ولا يجوز في القرآن الكريم
٤٧	التشبيه لا يجوز ولا يصح نقلا في السنه النبويه
٥٤	هل أن الله تعالى شىء؟
٥٨	السميع البصير اسمان من أسمائه تعالى
٥٩	الوصفان في القرآن الكريم
٥٩	السميع
٦١	البصير
٦٥	الوصفان في حديث أهل البيت عليهم السلام

- ٦٥ السميع
- ٦٨ سمعه لا كسمعنا
- ٦٩ البصير
- ٧٥ هل هما من صفات الذات؟
- ٧٥ في السمع
- ٧٦ البصر
- ٧٨ سؤال مهم
- ٧٨ اشاره
- ٧٨ ألف
- ٧٩ باء
- ٨٠ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار
- ٨٠ امتناع الرؤيه
- ٨١ الآيات الكريمة
- ٨٢ الأحاديث الشريفه
- ٨٨ الرؤيه القلبيه
- ٩١ ما هو سبب شبهه الرؤيه؟
- ٩٤ معنى الإدراك الإلهي
- ٩٥ وهو اللطيف الخبير
- ٩٥ اللطيف
- ٩٧ الخبير
- ٩٨ استخلص الوجدانيه والجبروت
- ١٠٣ معنى الجبروت
- ١٠٦ المشيئه والإراده
- ١٠٨ حقيقه الإراده الإلهيه
- ١١٠ أسئله مهمه فى الإراده
- ١١٦ قدره الله تعالى

- ١١٦ اشارة
- ١١٧ ألف: دليل الفطره
- ١١٨ باء: دليل النظام فى الخلقه
- ١١٩ جيم: قدره المخلوق دليل على قدره الخالق
- ١٢٤ أسئله فى القدره
- ١٣٢ (وهو الواحد الصمد)
- ١٣٢ معنى الواحد
- ١٣٣ معنى الصمد
- ١٣٤ التصور والتصديق
- ١٣٧ الوهميات
- ١٤٣ الخطبه الثانيه: وفيها يوصى بتقوى الله، وينذر من عقابه
- ١٤٣ اشارة
- ١٤٥ نص الخطبه
- ١٤٥ اشارة
- ١٤٦ المعنى العام
- ١٤٨ بحث أخلاقى
- ١٤٨ التقوى ميزان القرب الإلهى
- ١٥١ آثار التقوى فى الدنيا
- ١٥٤ آثار التقوى فى الآخره
- ١٥٥ التقوى ضروره لايد منها
- ١٥٧ رفع التوهم
- ١٥٧ اشارة
- ١٥٨ مسأله: منزله المتقين وصفاتهم
- ١٦٣ الطرق الموصله إلى التقوى
- ١٦٥ ما يمنع التقوى
- ١٦٦ أسئله مهمه

- ١٦٨ بحث أخلاقي
- ١٦٨ النصيحة علامه المحجب
- ١٦٩ النصيحة لمن؟
- ١٧١ فوائد
- ١٧١ اشاره
- ١٧٢ لا تنسى نفسك
- ١٧٣ أسئلته مهمه
- ١٧٤ وقفه وتأمل
- ١٧٧ بحث عقائدى
- ١٧٧ الحياه البرزخيه
- ١٧٨ أحوال البرزخ
- ١٨٣ أسئلته مهمه
- ١٩٣ تذكير
- ١٩٩ الخطبه الثالثه: فى مكارم الأخلاق
- ١٩٩ اشاره
- ٢٠١ نص الخطبه
- ٢٠١ اشاره
- ٢٠٢ المعنى العام
- ٢٠٤ بحث أخلاقي
- ٢٠٤ صنع المعروف
- ٢٠٨ لمن يبذل المعروف؟
- ٢١٠ إشكال وتوجيه
- ٢١٣ آثار فعل المعروف
- ٢١٤ الآثار فى الآخره
- ٢١٤ فوائد
- ٢١٨ صفات أهل الفضل

٢٢١	الخطبه الرابعه: فى مكارم الأخلاق
٢٢١	اشاره
٢٢٣	نص الخطبه
٢٢٣	اشاره
٢٢٣	بحث أخلاقى
٢٢٣	مكارم الأخلاق شيمه المؤمنين
٢٢٤	الخلق وعاء الدين
٢٢٤	مكارم الأخلاق فى نظر أهل البيت عليهم السلام
٢٢٨	نصائح
٢٣٠	أستله مهمه
٢٣٢	ثمرات حسن الخلق
٢٣٢	اشاره
٢٣٣	سوء الخلق فى نظر أهل البيت عليهم السلام
٢٣٤	آثار سوء الخلق
٢٣٤	اشاره
٢٣٤	الحلم
٢٣٧	بحث عقائدى
٢٣٧	غضب وحلم الله تعالى
٢٤٢	الحلم فى نظر أهل البيت عليهم السلام
٢٤٢	اشاره
٢٤٣	آثار الحلم
٢٤٤	أستله مهمه
٢٤٤	الوفاء
٢٤٨	سؤال مهم
٢٤٨	وقفه
٢٤٨	اشاره

٢٥٠	نصيحه معصوميه
٢٥٠	الاستكبار
٢٥٠	اشاره
٢٥٢	فوائد
٢٥٥	السفه
٢٥٦	أستله مهمه
٢٥٧	بحث عقائدى
٢٥٧	الغلو
٢٥٨	الإمام الحسين عليه السلام يحذر من الغلو
٢٥٩	الشيعة براء من الغلو
٢٦٠	سؤال مهم
٢٦٢	بحث أخلاقى
٢٦٢	الفسق
٢٦٢	اشاره
٢٦٤	الفسق والفاسق فى نظر أهل البيت عليهم السلام
٢٦٥	آثار الفسق
٢٦٨	الخطبه الخامسه: وفيها يذم الدنيا ويحذر منها
٢٦٨	اشاره
٢٧٠	نص الخطبه
٢٧٠	اشاره
٢٧٠	المعنى العام
٢٧١	بحث أخلاقى
٢٧١	ذم الدنيا
٢٧٣	أستله مهمه
٢٧٣	اشاره
٢٨٤	نصيحه معصوميه

٢٨٨	صور حواريه ومواعظ
٢٨٩	الصوره الثانيه
٢٩١	الصوره الثالثه
٢٩٢	الصوره الرابعه
٢٩٣	الصوره الخامسه
٢٩٣	بحث عقائدى
٢٩٣	الرضا بقضاء الله تعالى
٢٩٤	أستله مهمه
٢٩٤	اشاره
٣٠٠	نصيحه يجب أن تسمعها
٣٠٠	التزود بالأعمال الصالحه
٣٠١	العمل مفتاح السعاده
٣٠٢	آثار وثمرات العمل الصالح فى الدنيا
٣٠٢	اشاره
٣٠٣	آثار العمل الصالح فى الآخره
٣٠٥	نصائح
٣٠٧	أستله مهمه
٣١٤	نصائح ضروريه
٣١٥	الخطبه السادسه: وفيها يُذكر بفضائل أهل البيت عليهم السلام ويأمر باتباعهم
٣١٥	اشاره
٣١٧	نص الخطبه
٣١٧	اشاره
٣٢٠	فضل أهل البيت عليهم السلام
٣٢١	فضلهم فى القرآن الكريم
٣٢٨	فضلهم عليهم السلام فى السنه النبويه
٣٣١	بحث عقائدى

- العدل الثاني - ٣٣١
- ١ صحيح الترمذى - ٣٣٩
- ٢ القاموس المحيط - ٣٣٩
- ٣ مسند أحمد - ٣٤٠
- ٤ الطبقات الكبرى لابن سعد - ٣٤٠
- ٥ المعجم الكبير للطبرانى - ٣٤٠
- ٦ جامع الأصول - ٣٤١
- ٧ مسند عبد بن حميد - ٣٤٢
- ٨ الدر المنثور - ٣٤٣
- ٩ الجامع الصغير - ٣٤٣
- ١٠ مصنف ابن أبى شيبه - ٣٤٣
- ١١ المستدرک على الصحيحين - ٣٤٤
- ١٢ كتاب السنه - ٣٤٤
- ١٣ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - ٣٤٥
- الجامع الصغير بشرح المناوى - ٣٤٥
- فيض القدير - ٣٤٧
- رواه حديث الثقلين (الصحابه) - ٣٥٠
- رواه حديث الثقلين (التابعين) - ٣٥٢
- طاعه الشيطان - ٣٥٤
- اشاره - ٣٥٤
- آثار طاعه الشيطان - ٣٥٩
- أسئلته مهمه - ٣٦٢
- وقفه تأمل - ٣٦٨
- الخطبه السابعه - ٣٧١
- اشاره - ٣٧١
- نص الخطبه - ٣٧٣

- ٣٧٣ اشارة
- ٣٧٥ المعنى العام
- ٣٧٧ صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم
- ٣٧٧ الآيات الكريمة
- ٣٧٩ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصف نفسه
- ٣٨١ أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣٨١ اشارة
- ٣٨٢ بعض كمالاته
- ٣٨٣ معاويه
- ٣٨٤ أولاً: العامل التربوي
- ٣٨٤ اشارة
- ٣٨٤ هند
- ٣٨٥ أم جميل
- ٣٨٥ الحكم بن أبي العاص
- ٣٨٥ أبو جهل
- ٣٨٥ عتبه والوليد
- ٣٨٥ ثانياً: العامل الاقتصادي
- ٣٨٦ ثالثاً: العامل الأخلاقي
- ٣٨٦ اشارة
- ٣٨٧ القول القاصم
- ٣٨٨ تدليس معاويه
- ٣٨٩ عمرو بن العاص
- ٣٩٢ عاقبه الظالمين
- ٣٩٢ اشارة
- ٣٩٤ آثار الظلم في الدنيا
- ٣٩٤ آثار الظلم في الآخرة

٣٩٩	المحتويات
٤١٥	الجزء الثاني
٤١٥	اشاره
٤١٩	الخطبه الثامنه: خطبها في مكه لما عزم على الخروج إلى العراق
٤١٩	اشاره
٤٢١	نص الخطبه
٤٢١	اشاره
٤٢١	المعنى العام
٤٢٢	بحث عقائدى أخلاقى
٤٢٢	حتميه الموت ووصفه
٤٢٨	بحث عقائدى
٤٢٨	الإمام عليه السلام مختير فى قتله
٤٣٠	بحث عقائدى
٤٣٠	علم الإمام عليه السلام
٤٣٦	سؤال مهم
٤٤٠	صفات الأنصار
٤٤٠	اشاره
٤٤٣	١ العباس عليه السلام
٤٤٣	٢ سعيد بن عبد الله الحنفى رضى الله عنه
٤٤٣	٣ زهير بن القين رضى الله عنه
٤٤٤	٤ برير رضى الله عنه
٤٤٥	الخطبه التاسعه: خطبها عند مسيره إلى كربلاء وفيها يذم الدنيا ويحذر منها
٤٤٥	اشاره
٤٤٧	نص الخطبه
٤٤٧	اشاره
٤٤٧	المعنى العام

- ٤٤٧ اشارة
- ٤٤٨ سبب خروج الإمام عليه السلام
- ٤٥٣ وصف أهل الدنيا
- ٤٥٥ سعادته فى الموت
- ٤٥٦ الروايات التى تفسر الموت
- ٤٥٨ الروايات التى تصف موت المؤمن
- ٤٥٩ المتظاهرون بالدين
- ٤٦٣ الخطبه العاشره
- ٤٦٣ اشارة
- ٤٦٥ نص الخطبه
- ٤٦٥ اشارة
- ٤٦٦ المعنى العام
- ٤٦٧ الجهاد فى سبيل الله تعالى
- ٤٦٧ اشارة
- ٤٧٠ الأول: جهاد النفس
- ٤٧٣ الثانى: جهاد وقتال الكفار المشركين
- ٤٧٣ الثالث: جهاد وقتال أهل الكتاب
- ٤٧٤ الرابع: الجهاد دفاعاً عن الإسلام والمسلمين
- ٤٧٤ الخامس: جهاد وقتال أهل البغى
- ٤٧٥ الفئات الباغيه التى يجب جهادها
- ٤٧٥ الفئه الأولى
- ٤٧٥ الفئه الثانیه
- ٤٧٥ الفئه الثالثه
- ٤٧٥ صفات أتباع الشيطان
- ٤٧٩ لماذا يعزف الإمام عليه السلام نفسه؟
- ٤٨١ نقض العهد

- ٤٨٥ الخطبه الحاديه عشره: وفيها يصف فضائل أهل البيت، ويذكر حقهم، ويذم بني أميه
- ٤٨٥ اشاره
- ٤٨٧ نص الخطبه
- ٤٨٧ اشاره
- ٤٨٧ المعنى العام
- ٤٨٨ ولايه أهل البيت عليهم السلام
- ٤٨٨ اشاره
- ٤٩٠ صفات الحاكم النموذجي
- ٤٩١ الدين والحكومه
- ٤٩٣ المعصوم هو الحاكم النموذجي
- ٤٩٤ صفات الحاكم الإسلامى
- ٤٩٤ اشاره
- ٤٩٤ ١ الورع والتقوى
- ٤٩٥ ٢ الكفاءه فى القيادة والولايه
- ٤٩٦ ٣ سعه أفقه السياسى
- ٤٩٦ ٤ أن يكون عادلا
- ٤٩٨ وجوب الخروج للإصلاح
- ٥٠٢ دفع شبهه
- ٥٠٢ اشاره
- ٥٠٦ ١ آيه التطهير
- ٥٠٦ ٢ آيه الموده
- ٥٠٩ الخطبه الثانيه عشره: وفيها يذم الدنيا ويحذر منها
- ٥٠٩ اشاره
- ٥١١ نص الخطبه
- ٥١١ اشاره
- ٥١١ المعنى العام

- ٥١١ اشاره
- ٥١٢ تغير الدنيا وتقلبها
- ٥١٥ الغضب المذموم والممدوح
- ٥١٧ غضب الله تعالى ونقمته
- ٥١٧ غضب الله تعالى
- ٥١٩ انتقام الله تعالى
- ٥٢١ الانقلاب بعد الإيمان
- ٥٢٥ استحواذ الشيطان
- ٥٢٨ أسئلته مهمه
- ٥٣٧ الخطبه الثالثه عشره: وفيها يذم بنى أميّه، ثم ينتبه على حقه
- ٥٣٧ اشاره
- ٥٣٩ نص الخطبه
- ٥٣٩ اشاره
- ٥٣٩ المعنى العام
- ٥٣٩ الشجره الملعونه
- ٥٤٦ هل القصد من الآخره فى الآيه هو القبر؟
- ٥٤٧ دور الثبات والاستقامه
- ٥٤٨ الشجره الطيبه والخبيثه فى الروايات الإسلاميه
- ٥٤٨ إمامه المعصوم وطاعته نجاه
- ٥٥٣ الخطبه الرابعه عشره: وفيها يُذكر الناس بما كتبوا إليه
- ٥٥٣ اشاره
- ٥٥٥ نص الخطبه
- ٥٥٥ اشاره
- ٥٥٥ المعنى العام
- ٥٥٦ إلقاء الحجّه
- ٥٥٧ هل يجوز للإمام الرجوع؟

- الخطبه الخامسه عشره: وفيها يُقَرَع أهل الكوفه ٥٦١
- اشاره ٥٦١
- نص الخطبه ٥٦٣
- اشاره ٥٦٣
- المعنى العام ٥٦٤
- اشاره ٥٦٤
- الغدر ٥٦٧
- آثار الغدر ٥٦٨
- نصائح لابد منها ٥٧٠
- نسب الدعوى (عبيد الله بن زياد) ٥٧٢
- صوره عن أبيه زياد ٥٧٣
- اشاره ٥٧٣
- نهج البلاغه خطب الإمام على عليه السلام ج ٣ ص ١٩ إلى ٢٠ ٥٧٣
- مصباح البلاغه (مستدرک نهج البلاغه) الميرجهانى ج ٤ ص ١١١ إلى ١١٢ ٥٧٤
- الغارات إبراهيم بن محمد الثقفى ج ٢ ص ٩٢٥ إلى ٩٣٣ ٥٧٥
- الأمالى الشيخ الطوسى ص ٦٢٠ إلى ٦٢١ ٥٨٥
- مناقب آل أبى طالب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٧٤ ٥٨٦
- كتاب المحبر محمد بن حبيب البغدادى ص ٤٧٩ ٥٨٦
- السرائر ابن إدريس الحللى ج ٣ ص ٤٣٥ ٥٨٧
- الإيضاح الفضل بن شاذان الأزدي ص ٥٤٩ إلى ٥٥٢ ٥٨٨
- شرح نهج البلاغه ابن أبى الحديد ج ١٦ ص ١٨٩ إلى ١٩٣ ٥٩١
- الغارات إبراهيم بن محمد الثقفى ج ٢ ص ٨٠٩ إلى ٨١٠ ٥٩٧
- مستدركات علم رجال الحديث الشيخ على النمازى الشاهرودى ج ٣ ص ٤٤٧ إلى ٤٤٨ ٥٩٩
- الكنى والألقاب الشيخ عباس القمى ج ١ ص ٣٠٤ ٥٩٩
- الكنى والألقاب الشيخ عباس القمى ج ١ ص ٤١٩ ٦٠٠
- إلزام النواصب مفلح بن راشد ص ١٧٠ إلى ١٧١ ٦٠٠

- ٦٠٠ عبید الله
- ٦٠٠ التقیه الشیخ الأنصاری ص ٦٩
- ٦٠٢ العقد المنیر السید موسی الحسینی المازندرانی ص ٦٦
- ٦٠٢ واقع التقیه عند المذاهب والفرق الإسلامیه من غیر الشیعہ الإمامیه ثامر هاشم حبیب العمیدی ص ١٢٧
- ٦٠٢ سبل السلام محمد بن إسماعیل الكلانی ج ٤ ص ١٩٠
- ٦٠٣ نیل الأوطار الشوکانی ج ٨ ص ٤٧
- ٦٠٣ مستدرکات علم رجال الحدیث الشیخ علی النمازی الشاهرودی ج ٨ ص ٥٨١
- ٦٠٣ تاریخ ابن معین، الدوری یحیی بن معین ج ٢ ص ٣٦٩
- ٦٠٣ سیر أعلام النبلاء الذهبی ج ٣ ص ٥٤٣ إلى ٥٤٩
- ٦٠٤ شیخ المضیره أبو هریره محمود أبو ربه ص ١٧٩
- ٦٠٥ المعارف ابن قتیبہ ص ٣٤٧ إلى ٣٤٨
- ٦٠٥ معجم البلدان الحمودی ج ١ ص ٥٣٠
- ٦٠٦ بلاغات النساء ابن طیفور ص ١٤٠
- ٦٠٦ تاریخ الکوفه السید البراقی ص ٧٣ إلى ٧٤
- ٦٠٦ مستدرکات أعیان الشیعہ حسن الأمين ج ١ ص ٢٨٦
- ٦٠٧ أعیان الشیعہ السید محسن الأمين ج ١ ص ٥٨٥
- ٦٠٧ الکنی والألقاب الشیخ عباس القمی ج ١ ص ٣٠١ إلى ٣٠٣
- ٦٠٧ الغارات إبراهيم بن محمد الثقفی ج ٢ ص ٥٥٨ إلى ٥٦١
- ٦٠٨ العزه للمؤمنین
- ٦٠٨ اشاره
- ٦٠٩ نصائح لمن أراد العز
- ٦١٥ الإمام وعلم الغیب
- ٦١٥ اشاره
- ٦٢١ سؤال مهم
- ٦٢٣ علم الغیب وفوائده
- ٦٢٤ فوائد الإیمان بالغیب

- ٦٣١ - فوائده
- ٦٣٢ - فوائده
- ٦٣٦ - الخطبه السادسة عشره
- ٦٣٦ - اشاره
- ٦٣٨ - نص الخطبه
- ٦٣٨ - اشاره
- ٦٣٨ - المعنى العام
- ٦٣٩ - شكر المنعم
- ٦٣٩ - اشاره
- ٦٤٠ - أسئلته حول الشكر
- ٦٥١ - نصيحه
- ٦٥١ - شهادته لا تُرد
- ٦٥٤ - أصحاب الإمام الحسين عليه السلام
- ٦٥٤ - اشاره
- ٦٥٧ - معنى الصحابه
- ٦٥٨ - نظريه عداله جميع الصحابه
- ٦٥٨ - اشاره
- ٦٦١ - ١ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السلام
- ٦٦٣ - ٢ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمه عليها السلام
- ٦٦٥ - ٣ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحسن عليه السلام
- ٦٧٠ - ٤ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحسين عليه السلام
- ٦٧٠ - ٥ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعضهم
- ٦٧٥ - ٦ إساءه بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام إليه
- ٦٧٧ - ٧ إساءه بعض أصحاب الإمام الحسن عليه السلام إليه
- ٦٧٩ - أفضليه أصحاب الحسين عليه السلام
- ٦٧٩ - المعصوم يشهد

٦٨٠	مواقف الأصحاب
٦٨٤	الخطبه السابعه عشره: ومن خطبه له عليه السلام
٦٨٤	اشاره
٦٨٦	نص الخطبه
٦٨٦	اشاره
٦٩٠	المعنى العام
٦٩٣	فى الإنصاف سعاده
٦٩٧	نصائح فى الإنصاف
٦٩٨	بحث عقائدى
٦٩٨	هل يكذب الإمام سهواً أو نسياناً؟
٧٠٣	الكذب وآثاره
٧٠٤	آثار الكذب
٧٠٦	نصائح
٧٠٦	النصيحه الأولى
٧٠٧	النصيحه الثانيه
٧٠٨	النصيحه الثالثه
٧٠٩	النصيحه الرابعه
٧١١	النصيحه الخامسه
٧١١	النصيحه السادسه
٧١٢	إباء الإمام الحسين عليه السلام
٧١٢	اشاره
٧١٢	العزّه
٧١٤	الشجاعه
٧١٥	الغيره والحميه
٧١٧	الكلمات الأخرى
٧٢٠	فهرس المصادر

٧٣٤ فهرس الآيات

٨٠٦ المحتويات

٨٢٨ تعريف مركز

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

لسنه ١٥٩٢٠١١

الفتلاوى، على، ١٩٦٠ - م.

ومضات السبب (ع): البعد العقائدى والأخلاقى فى خطب الإمام الحسين عليه السلام / تأليف على الفتلاوى؛ تقديم نبيل الحسنى - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسه، ١٤٣٢ق. = ٢٠١١م.

٢ ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسه؛ ٥٣)

المصادر.

١. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. - الخطب - دراسه وتعريف. ٢. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. - نظريه فى العقائد. ٣. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. نظريه فى الأخلاق الإسلاميه. ٤. واقعه كربلاء، ٦١ق. - أسباب ونتائج. ٥. أهل البيت (ع) - فضائل. ٦. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. الخطب - اللغه. ٧. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. أصحاب. ألف. الحسنى، نبيل، ١٩٦٥ - م، مقدم. ب. العنوان. ج. العنوان: البعد العقائدى والأخلاقى فى خطب الإمام الحسين عليه السلام

٨٠ ف٢ / ٧ / ٤١ BP

تمت الفهرسه فى مكتبه العتبة الحسينية المقدسه قبل النشر

ص: ١

الجزء الأول

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

ومضات السبط

البعد العقائدى والأخلاقى

فى خطب الإمام الحسين عليه السلام

تأليف الشيخ على الفتلاوى

الجزء الأول

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسه

وحده الدراسات التخصصيه فى الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

ص: ٤

الطبعه الأولى

١٤٣٣هـ ٢٠١٢م

جميع الحقوق محفوظه

للعته الحسينيه المقدسه

العراق: كربلاء المقدسه العته الحسينيه المقدسه

قسم الشؤون الفكرية والثقافية هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمه الشعبه الدراسات والبحوث

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها وتمام منن والاهاء، جم عن الاحصاء عددها ونأى عن الجزاء أمدتها وتفاوت عن الإدراك أبتها.

والصلاه والسلام على خير الأنام وكاشف الظلام وعلى آله الهداه إلى الإسلام وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

لم يزل الإمام الحسين عليه السلام منهلاً عذباً لأصحاب الفكر والتأمل ومورداً خصباً لأهل البحث والتدقيق والدراسه، تحل في فناء روضته العلماء وتغدوا إلى درسه الأجلاء، فهم بين مستمع ومفكر ومتعلم قد تراحمت ركبهم في محضره وتناسقت الأنفاس بمجلسه حتى كأن الطير على رؤوسهم.

من هنا:

نلمس ان عطاء المعين النبوى لا ينفد والفكر الحسينى لا يتوقف حتى كان الناظر إلى هذا العطاء يخال نفسه واقفاً أمام نواه الحياه ومشوداً إلى سخاء الشمس ونورها، فما طعم العيش والمرء معصوب العينين عن كلام ابن بنت سيد النبيين وأبو الأئمه الميامين.

من هنا أيضاً:

انبرى سماحه حجه الإسلام الشيخ على الفتلاوى دام توفيقه إلى الارتحال إلى معين أبي الأئمه ومرفئ العلم، ومنبع الدمعه لترسو به الوسيله إلى بحر من بحور النبوه ليغرف من لثالي بحر الخلق النبوى وجواهر بحر التوحيد العلوى فيضعها فى كتابه الموسوم «ومضات السبط عليه السلام» كى يزدان بها المؤمن ويخترنها المتأمل ويتزودها المتقى.

فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى

وسيجد القارئ أن الكتاب مشبع بالأحاديث الشريفه والآيات الكريمه، والنكت العلميه الظريفه، ففضيله الشيخ يميل إلى بهذا اللون من الكتابه الذى يعتمد سلاسله العبارة وغزاره المعلومه ومخاطبه كل الفئات حتى كأنك تخال نفسك فى واحه من رياحين علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إذ لا يخفى على اللبيب ما للبعد الأخلاقى والعقائدى من الرياده فى المكتبه الإسلاميه وما له من الحظوه عند علماء الإماميه حتى ملئوا المكتبات بهذا النتاج الفكرى.

نسأل الله القبول والخلف على باذل هذا الجهد فإنه خير زاد ليوم المعاد.

السيد نبيل الحسنى

مسؤول شعبه الدراسات والبحوث الإسلاميه

فى العتبه الحسينيه المقدسه

مقدمه المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى رزقنا موالاه محمد وآل محمد والذى دلنا على هداهم فأنعم علينا بنعمه ولايتهم، وأنار عقولنا بنور كلامهم، وطمأن نفوسنا بإتباع نهجهم، والصلاه والسلام على السراج المنير والبشير النذير وعلى آله الأخيار والأئمه الأبرار لاسيما سفينه النجاه ومصباح الهدى سيد الشهداء ورمز الفداء الإمام الحسين عليه السلام.

أما بعد:

لقد أطلعنا على كتب كثيره تعنى بشخص الإمام السبط عليه السلام وصفاته وثورته وجهاده ومواقفه وكلامه ورسائله وخطبه وكتبه ونصائحه، إلا- أننا لم نعثر بعد تفتيش وفحص دقيقين على شروح تتناسب وكثره ما تفوه به سيد شباب أهل الجنه عليه السلام إلا أن هناك بعض المؤلفات التى تعد على أصابع اليد الواحده قد سلطت الضوء على بعض أقواله بشكل موجز ونافع، فرأينا من الواجب علينا أن نضيف تأليفا على ما سبق من المؤلفات، كما ندعوا أن يتصدى غيرنا لإضافه تأليفات أخرى ليتناسب ذلك مع ما صدر من كلام لإمامنا الحسين عليه السلام، سيما أن المكتبه الإسلاميه بحاجه إلى إصدارات تشرح خطب ومواعظ الإمام السبط عليه السلام وتسلط الأضواء على الأبعاد الفقهيه والعقائديه والأخلاقية فضلا عن الأبعاد الأخرى فى كلامه الشريف.

ومن هذا المنطلق أخذنا على عاتقنا بيان البعدين العقائدي والأخلاقي في خطبه فقط دون سائر أقواله، وبيان المعنى اللغوي في هذه الخطب ليتسنى لمن يريد الاستفادة منها منبريا أو ثقافيا.

ولكى تسهل الإحاطة بنصوص الخطبه ومعانيها، وتيسير الاطلاع على البعدين العقائدي والأخلاقي فيها ارتأينا أن نذكر نص الخطبه أولا ثم نبدأ شرح الخطبه ببيان المعنى اللغوي لكل فقره تحتاج إلى بيان ثم نتعرض إلى بيان البعد العقائدي في الخطبه ويتلو ذلك بيان البعد الأخلاقي فيها.

الشيخ على الفتلاوى

ص: ٩

الخطبه الأولى: فى التوحيد

اشاره

«أيها الناس، اتقوا هؤلاء المارقه الذين يشبهون الله بأنفسهم، يظاهون (١) قول الذين كفروا من أهل الكتاب، يَلِ هو الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا تُدرِكُه الأبصارُ وهو يُدرِكُ الأبصارَ، وهو اللطيف وهو الخبير.

استخلص الوحائث والجبروت، وأمضى المشيئة والإرادة والقدره والعلم بما هو كائن، لا منازع له في شيء من أمره، ولا كفاء له يعادله، ولا ضده له ينازعه، ولا سمي له يشابهه، ولا مثل له يشاكله، لا تتداوله الأمور، ولا تجرى عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث، ولا يقدر الواصفون كنه عظمته، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته، لأنه ليس له في الأشياء عدل، ولا تُدرِكُه العلماء بالبابها، ولا أهل التفكير بتفكيرهم إلا بالتحقيق (٢) إيقاناً بالغيب، لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين، وهو الواحد الصمد، ما تصوّر في الأوهام فهو خلافه، ليس برَبِّ من طرَحَ تحت البلاغ، ومعبود من وجد في هواء أو غير هواء، هو في الأشياء كائن لا كينونه محظور (٣) بها عليه، ومن الأشياء بائن لا بينونه

١- ضاهاه: شابهه، وفعل مثل فعله.

٢- اللب: العقل. والتحقيق: التصديق.

٣- المحظور: الممنوع.

غَائِبٍ عَنْهَا، لَيْسَ بِقَادِرٍ مَن قَارَنَهُ ضِدُّهُ أَوْ سَاوَاهُ نِتَادٌ، لَيْسَ عَنِ الدَّهْرِ قَدَمُهُ وَلَا بِالنَّاحِيَةِ أُمَّهُ (١)، اِحْتَجَبَ عَنِ العُقُولِ كَمَا اِحْتَجَبَ عَنِ الأَبْصَارِ، وَعَمَّنَ فِي السَّمَاءِ اِحْتِجَابُهُ كَمَنْ فِي الأَرْضِ، قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ وَبُعْدُهُ أَهَانَتُهُ، لَا تُحَلُّهُ (فِي) وَلَا تُوقَّتُهُ (إِذْ) وَلَا تُؤَامِرُهُ (إِنْ)، عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ (٢)، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقُلٍ، يُوجَدُ المَفْقُودَ وَيُفْقِدُ المَوْجُودَ، وَلَا تَجْتَمِعُ لِغَيْرِهِ الصِّفَتَانِ فِي وَقْتٍ، يُصَيِّبُ الفِكْرَ مِنْهُ الإِيمَانَ بِهِ مَوْجُوداً وَوُجُودَ الإِيمَانِ لَا- وَجُودٌ صِفَةٍ، بِهِ تُوصَفُ الصِّفَاتُ لَا- بِهَا يُوصَفُ، وَبِهِ تُعْرَفُ المَعَارِفُ لَا بِهَا يُعْرَفُ، فَذَلِكَ اللهُ لَا سَمِيَ لَهُ، سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ».

المعنى العام

(أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ المَارِقَةَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللهَ بِأَنْفُسِهِمْ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ).

وجه الإمام الحسين عليه السلام خطابه إلى عامه الناس سواء كانوا موالين أو غير موالين، أرشدهم فيه إلى التحرز والتحذر من فئه خرجت من الدين كما خرج السهم من الرمية (أى مرقت) خرجت بسرعته كما يمرق السهم من القوس، وما كان هذا التحذير إلا لانحرافهم عن التوحيد حيث إنهم يشبهون ويمثلون الله تعالى بخلقه، فقولهم هذا يشابه قول الكافرين من أهل الكتاب.

(بَلْ هُوَ اللهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ، لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ، وَهُوَ اللطِيفُ وَهُوَ الخَبِيرُ).

ويرد الإمام عليه السلام قوله بقوله إن الله تعالى الذى احتارت فيه عقول العقلاء لا يمكن أن يشابه شيئاً من خلقه، فهو محيط بالأسماع والمسموعات والأبصار

١- النَّد: المثل والنظير. وأممه: قصده.

٢- تَوَقَّلَ فِي الجِبَلِ: صعد فيه.

والمبصرات، وممتنع على إدراك وإحاطه أبصار خلقه، وهو (اللطف) الرفيق بعباده (الخبير) والعالم والعارف بكل صغيره وكبيره من خلقه.

(استخلص الوجودية والجبروت، وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة العلم بما هو كائن).

اختص الله سبحانه بأنه قاهر منفرد بقهاريته، وأنفذ الحكم والقدرة والعلم بالأشياء.

(لا مُنَازَعَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَلَا كُفَّاءَ لَهُ يُعَادِلُهُ، وَلَا ضِدَّ لَهُ يُنَازِعُهُ، وَلَا سَمَّى لَهُ يُشَابِهُهُ، وَلَا مِثْلَ لَهُ يُشَاكِلُهُ).

لا- معطل ولا مفسد ولا مخاصم لما أراد هو سبحانه في خلقه، ولا نظير له ولا مساوى يعادله، ولا مخالف له يخالفه أو يخاصمه ويمنعه، ولا يوجد من اسمه اسم الله تعالى لعدم انطباق الاسم على المسمى في المخلوق، ولا نظير له يماثله ويشابهه.

(لا تتداوله الأمور، ولا تجرى عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث، ولا يقدر الواصفون كنهه عظمته، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته، لأنه ليس له في الأشياء عديل، ولا تُدرِّكه العلماء بالبابها، ولا أهل التفكير بتفكيرهم إلا بالتحقيق إيقاناً بالغيب، لأنه لا يُوصفُ بشيءٍ من صفات المخلوقين، وهو الواحد الصمد، ما تُصوّر في الأوهام فهو خلافه).

لا- تحوّل الأحوال من حال إلى حال، ولا- تقع أو تتوالى عليه الأحوال والتغيرات، ولا- تهبط أو تهطل عليه الأمطار، ولا يحيط الواصفون بقدر عظمته ولا يقع أو يمر في القلوب منتهى قهاريته وقدرته، لأن ليس له في الخلق مثيل أو نظير، ولا تعرفه أو تعقله العلماء بعقولها وبصائرها، ولا يحيط به الذين يفكرون أي الذين يحلون العقل في المعلوم ليصلوا إلى المجهول وهم أهل النظر والتأمل إلا أنهم يعرفونه من خلال

التصديق بالغيب والإيقان به، لأنه لا ينعى بنعوت المخلوقين، وهو الفرد الذى يقصد فى الحاجات دون سواه، وما تشبه من صورته وما وقع فى الذهن من خاطر فهو خلافه وليس من الحقيقة بشىء.

(لَيْسَ بِرَبِّ مَنْ طَرِحَ تَحْتَ الْبَلَاغِ، وَمَعْبُودٍ مَنْ وَجَدَ فِي هَوَاءٍ أَوْ غَيْرِ هَوَاءٍ).

ليس بمدبر ومربى للخلائق من ألقى أو وضع تحت الشجر، وليس له حق العبادة من وجد فى ريح أو غيره.

(هُوَ فِي الْأَشْيَاءِ كَائِنٌ لَا كَيْفُونَهُ مَحْظُورٌ بِهَا عَلَيْهِ، وَمِنَ الْأَشْيَاءِ بَائِنٌ لَا بَيْنُونَهُ غَائِبٌ عَنْهَا، لَيْسَ بِقَادِرٍ مَن قَارَنَهُ ضِدُّهُ أَوْ سَاوَاهُ نِدًّا).

أى أنه سبحانه موجود وحاضر فى الأشياء دون أن يكون حادثا يحدث كما فى الخلائق لامتناع ذلك عليه ولجريانه فى الممكنات فقط، وهو مبتعد ومنفصل عن الأشياء لا ابتعاد غائب عنها كما فى الممكنات، وليس بقادر من كان له قرين يخالفه أو نظير يساويه.

(لَيْسَ عَنِ الدَّهْرِ قَدَمُهُ وَلَا- بِالنَّاحِيَةِ أُمَّهُ، احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَعَمَّنْ فِي السَّمَاءِ احْتِجَابُهُ كَمَنْ فِي الْأَرْضِ، قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ وَبُعْدُهُ أَهَانَتُهُ، لَا تُحَلُّهُ (فِي) وَلَا تُوقَّتُهُ (إِذ) وَلَا تُؤَامِرُهُ (إِنْ)).

استتر عن العيون النواظر، واستتر عن أهل السماء كما عن أهل الأرض، دنوه من العبد يظهر فى إكرامه له ونأبه وبعده يظهر فى احتقاره أو استضعافه، واستخدم الإمام عليه السلام أدوات لغويه، (فى) تشير إلى رفض حلوله فى الأشياء أى غير متحد مع شىء أو داخل فيه، (وإذ) تشير إلى رفض جريان الزمن عليه، (وإن) إشاره إلى امتناع كونه مأمورا.

(عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقُلٍ، يُوجَدُ الْمَفْقُودَ وَيُفْقِدُ الْمَوْجُودَ، وَلَا تَجْتَمِعُ لِغَيْرِهِ الصِّفَتَانِ فِي وَقْتٍ).

ارتفاعه من غير صعود، وإقدامه وإتيانه من غير حركة وانتقال، يخلق ما لم يكن، ويفنى ما كان، وهاتان الصفتان لا يأتي بها أحد في آن واحد إلا الله تعالى.

(يُصِيبُ الْفِكْرَ مِنْهُ الْإِيمَانُ بِهِ مَوْجُودًا وَمَوْجُودًا الْإِيمَانُ لَا وَجُودَ صِفِهِ).

لا يحصل الفكر منه إلا الإيمان به موجودا حاضرا شاهدا وهذا الإيمان الموجود في الفكر حقيقه لا شك فيها.

(بِهِ تُوَصَّفُ الصِّفَاتُ لَا- بِهَا يُوصَفُ، وَبِهِ تُعْرَفُ الْمَعَارِفُ لَا بِهَا يُعْرَفُ، فَذَلِكَ اللَّهُ لَا سَمِيَّ لَهُ، سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

بالله تعالى تنعت النعوت وليست هي التي تثبت له نعتا، وبه تعالى تعرف العلوم والمعارف وليست هي التي تعرفه وتشبهه، فهذا الموجود المحير للعقول الذي تكلمت عنه هو الله تعالى الذي ينفرد بهذا الاسم والذي ينطبق في اسمه الاسم على المسمى، تنزه عن كل نقص ليس له نظير يشابهه، وهو المحيط بالمسموعات والمبصرات.

التحذير من الفكر المنحرف

(أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ الْمَارِقَةَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِأَنْفُسِهِمْ، يُضَاهِئُونَ^(١) قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ).

حذر الإمام المعصوم عليه السلام الأئمة من الانجرار وراء الأفكار الضالة البعيده عن سبيل الله تعالى وأرشد إلى التحرز من ترويجها وبثها وتبنيها بل حث الأئمة على رفض أصحاب هذه الأفكار ومقتهم وعدم مخالطتهم والاقتراب منهم لخطوره ما ينطقون به من ترهات إذ إنهم يجعلون الله تعالى كأحدتهم من خلال تشبيهه تعالى بأنفسهم ومن خلال فهمهم الخاطيء والقاصر لآيات القرآن الكريم والجمود على ظواهر

١- ضاهاه: شابهه، وفعل مثل فعله.

هذه الآيات وتعطيل دور العقل فى الوصول إلى الحقائق، فنراهم يقولون بالرؤيه البصريه ويقولون بوجود يد الله تعالى أو رجل أو صوره ويجعلون له أبعاداً من طول وعرض وحجم وكتله فى الوقت الذى يرفض القرآن الكريم هذا الفهم الخاطئ كما فى قوله تعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) (١).

وقوله تعالى:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (٢).

الشبه بين المارقين وبين الكافرين

بعد أن أوردنا جهل وكفر أهل الكتاب الذين شبهوا الله تعالى بأنفسهم، صار لزوما علينا أن نبين وجه الشبه بين قول المارقه الذين ذمهم الإمام عليه السلام وبين قول الكافرين من أهل الكتاب الذين كفروا لتشبيهم الله تعالى بخلقه، ولكى يتضح هذا الأمر نورد هذا التشابه فى أقوال الفريقين:

ورد فى التوراه فى سفار الملوك الأول: الإصحاح الثانى والعشرون /١٩:

(قد رأيت الربّ جالساً على كرسية وكلّ جنود السماء وقوفٌ لديه عن يمينه وعن يساره، فقال الربّ من يغوى أخآب فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد...) (٣).

وورد فى إنجيل يوحنا: الإصحاح العاشر /٣٨:

(إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فأمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الأب فى وأنا فيه...).

١- سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

٢- سورة الشورى، الآية: ١١.

٣- الفوائد البهيه: ص ١٣٤.

وورد فى صحيح البخارى:

حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ وَأَكْثَرَ مَا كَانَ يُوقِّعُهُ أَبُو سَيْفِيَانَ: (يُقَالُ لِحَبْنَمٍ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فَيَضَعُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ قَطِ قَطِ) (١).

وورد أيضا فى صحيح البخارى:

حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يُلْقَى فِي النَّارِ).

وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، وَعَنْ مُعْتَمِرٍ سَجِعْتُ أَبِي عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ قَدْ قَدْ بَعَزَتْكَ وَكَرَمَكَ، وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ) (٢).

وورد أيضا:

حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(اِخْتَصِمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا فَصَالَتِ الْجَنَّةُ يَا رَبِّ مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ يَغْنَى أَوْثَرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مِنْ أَشَاءٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا

١- صحيح البخارى: ج ١٦، ص ١٥٣، ح ٤٨٤٩.

٢- صحيح البخارى: ج ٢٤، ص ٢١٦، ح ٧٣٨٤.

مِلُّهَا قَالَ فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ فَيَلْقَوْنَ فِيهَا فِتْقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلَاثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَمْتَلِئُ وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ (١).

فبعد هذا التشابه بين أقوال الذين كفروا من أهل الكتاب وبين أقوال الشبه المارقين تبين ضروره الحيطه والحذر التي أمر بها الإمام عليه السلام الناس من الوقوع تحت تأثير هؤلاء المارقه.

ما هو التشبيه؟

التشبيه فى اللغة: التمثيل، تشابه الشئان أشبه كل منها الآخر (٢).

التشبيه فى الاصطلاح: هو تشبيه ذات الله تعالى بشىء من مخلوقاته.

نشأت فكره التشبيه عند ظهور أحاديث التشبيه التي بدأت فى عهد عمر بن الخطاب واشتد انتشارها فى عهد الدوله الأمويه لأغراض سياسيه إذ إنها لم تكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى عهد أبى بكر بدليل الروايات الآتية:

(ورد فى تنبيه الخاطر: روى عن ابن عباس أنه حضر مجلس عمر بن الخطاب يوما وعنده كعب الأبحار إذ قال عمر: يا كعب! أحافظ أنت للتوراه؟

قال كعب: إنى لأحفظ منها كثيرا، فقال رجل من جنبه: يا أمير المؤمنين! سله أين.

كان الله جل جلاله قبل أن يخلق عرشه؟ ومم خلق الماء الذى جعل عليه عرشه؟ فقال عمر: يا كعب! هل عندك من هذا علم؟

١- صحيح البخارى: ج ٢٤، ص ٣٠١، ح ٧٤٤٩.

٢- المعجم الوسيط: ص ٤٧١.

فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين! نجد في الأصل الحكيم أن الله تبارك وتعالى كان قديما قبل خلق العرش، وكان على صخره بيت المقدس في الهواء، فلما أراد أن يخلق عرشه تفل تفلته كانت منها البحار الغامرة واللجج الدائره، فهناك خلق عرشه من بعض الصخره التي كانت تحته، وآخر ما بقى منها لمسجد قدسه.

قال ابن عباس: وكان على بن أبي طالب عليه السلام حاضرا.. فعظم ربه وقام على قديمه، ونفض ثيابه، فأقسم عليه عمر عاد إلى مجلسه، ففعل.

قال عمر: غص عليها يا غواص، ما يقول أبو حسن فما علمتك إلا مفجرا للغم؟ فالتفت على عليه السلام إلى كعب فقال:

«غلط أصحابك وحرفوا كتب الله، وقبحوا الفريه عليه، يا كعب! ويحك! إن الصخره التي زعمت لا- تحوى جلاله، ولا- تسع عظمته، والهواء الذى ذكرت لا يجوز أقطاره، ولو كانت الصخره والهواء قديمين معه لكانت لهما قدمته، وعز الله وجل أن يقال له مكان يومى إليه، والله ليس كما يقول الملحدون، ولا كما يظن الجاهلون، ولكن كان ولا مكان بحيث لا تبلغه الأذهان.

وقولى: (كان) لتعريف كونه، وهو مما علم من البيان، يقول الله عز وجل:

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (١).

فقولى له كان مما علمنى البيان لأنطق بحجه عظمه المنان، ولم يزل ربنا مقتدرا على ما يشاء، محيطا بكل الأشياء، ثم كون ما أراد بلا فكره حادثه له أصاب، ولا بشبهه دخلت عليه فيما أراد، وإنه عز وجل خلق نورا ابتدعه من غير شىء، ثم خلق منه ظلمه وكان قديرا أن يخلق الظلمه لا من شىء، كما خلق النور من غير شىء، ثم خلق من الظلمه نورا وخلق من النور ياقوته غلظها

كغلاظ سبع سماوات وسبع أرضين، ثم زجر الياقوته فما عت لهيئته فصارت مارا مرتعدا، ولا يزال مرتعدا إلى يوم القيامة، ثم خلق عرشه من نوره، وجعله على الماء، وللعرش عشرة آلاف لسان يسبح الله كل لسان منها بعشره آلاف، ليس فيها لغة تشبه الأخرى، وكان العرش على الماء من دونه حجب الضباب، وذلك قوله:

(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (١).

يا كعب! ويحك! إن من كانت البحار تفلته على قولك كان أعظم من أن تحويه صخره بيت المقدس، أو يحويه الهواء الذى أشرت إليه أنه حل فيه..»

فضحك عمر بن الخطاب، وقال: هذا هو الامر، وهكذا يكون العلم لا- كعلمك يا كعب، لا- عشت إلى زمان لا أرى فيه أبا حسن (٢).

ففى هذه الروايه يظهر أن عمر بن الخطاب هو من سمح لأفكار اليهود أن تدخل إلى الأئمه الإسلاميه من خلال روايه كعب الأحبار عما فى التوراه، كما أن اعتراض أم المؤمنين عائشه على من يقول برؤيه الله تعالى فيه دلالة على أن الثقافه السائده لم تكن تؤمن برؤيه الله تعالى بل أن ثقافه الرؤيه لم تكن سائده أو منتشره فى عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو فى خلافه أبى بكر وإلا لسمحت بها أم المؤمنين عائشه ولتبت فكرتها ودافعت عنها، ولكن ما يظهر من الروايه الآتية لا يشير إلى ذلك.

جاء فى صحيح البخارى (حدّثنا عبدان، عن أبى حمزه، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن أبى موسى الأشعري قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

١- سورة هود، الآية: ٧.

٢- بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج ٣٦، ص ٢٢٢، ح ٦.

«ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد، ثم يعافيههم ويرزقهم»(١).

أن التشبيه والتجسيم انتشر في الشام بل عملت الشام بقوه على نشره، ومما يدل على ذلك هذه الروايه التي يذكرها الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد.

عن أسد بن سعيد النخعي، قال: (أخبرني عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قال محمد بن علي الباقر عليهما السلام:

«يا جابر ما أعظم فزيه أهل الشام على الله عز وجل، يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخره بيت المقدس (٢) ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجره (٣) فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذة مصلى يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيهه، تعالى عن صفه الواصفين، وجل عن أوهام المتوهمين، واحتجب عن أعين الناظرين لا يزول مع الزائنين، ولا يأفل مع الآفلين، ليس كمثل شيء وهو السميع العليم»(٤).

التشبيه محال عقلاً

يتفق العقل مع الشرع على رفض التشبيه وإبطال التجسيم لما فيهما من جراه على خالق الخلق ومدبر الأكوان ورب الأرباب، ولما فيهما من تحديد اللامحدود وافقار للغنى المطلق، وجعل واجب الوجود ممكناً ضعيفاً تعتريه الحوادث والمتغيرات وتحيط به الأماكن والأبعاد، وحيث إننا نريد أن نزل على قول العقل في تشبيه المخلوق بالخالق وتشبيه الممكن بالواجب وتحويل الإله الغنى المطلق إلى فقير محتاج.

١- صحيح البخارى: ج ٦، ص ٢٦٨٧، باب قول الله تعالى: (إن الله هو الرزاق ذو القوه المتين)، ح ٦٩٤٣.

٢- المقدم والتالى كلاهما مزعومهم الباطل.

٣- هو إبراهيم النبى على نبينا وآله وعليه السلام وضع قدمه على حجره فى مكه حين تفقد عن ابنه اسماعيل لتغسلها زوجته فبقى فيها نقش منها، وهى الآن فى المحل المعروف بمقام إبراهيم عليه السلام قرب الكعبه، وقصته طويله تطلب من مظانها.

٤- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ١٧٤ ١٧٥، ح ١٣.

فنعول: اتفق أهل الاختصاص على أن العقل يدرك أن المعقول إمّا أن يصح اتصافه بالوجود الخارجى أو لا، والذى يصح اتصافه بالوجود إمّا واجب أو لا- فالذى لا- يصح اتصافه بالوجود الخارجى هو ممتنع الوجود، والذى يصح اتصافه بالوجود الخارجى يكون على قسمين: واجب الوجود وممكن الوجود، وواجب الوجود ما كان وجوده واجبا بذاته لذاته أى لا يحتاج فى وجوده إلى غيره بل أن وجوده من ذاته بذاته وهذا هو الله تعالى لا غير، وأمّا ممكن الوجود من كان وجوده بغيره، أى يحتاج فى وجوده إلى غيره فيكون حينئذ وجوده متساوى النسبه إلى الوجود والعدم فيحتاج إلى موجود يوجده إمّا أن يكون الموجد للممكن نفسه فيلزم الدور وإمّا يكون غيره فننتقل إلى ذلك الغير فيتسلسل الأمر وحيث إن التسلسل باطل ثبت أن الموجد للممكن لا بد أن يكون واجب الوجود، فيظهر مما تقدم أن واجب الوجود غنى مطلق وما سواه فقير محتاج مطلق، فلذا صار أن يتصف كل منهما بصفات تليق به، فإذا قلنا إن واجب الوجود يشبه ممكن الوجود فى بعض الصفات التى يتصف بها الممكن الفقير المحتاج المحدود الحادث الفانى يلزم من قولنا انقلاب واجب الوجود الغنى مطلقا إلى الممكن وهو لا يزال واجب الوجود وهذا محال لاجتماع النقيضين، أى ما فرضناه غنيا لا يحتاج إلى غيره مطلقا انقلب فقيراً محتاجا مع وجوب وجوده وهذا محال.

التشبيه لا يصح ولا يجوز فى القرآن الكريم

حسنا القرآن الكريم على التدبر فى آياته الكريمه لنفهم ما يمكن فهمه ونرد ما يصعب فهمه إلى أهله الذين خوطبوا به، ففى كل آيه ظاهر أنيق وباطن عميق، ولكل آيه تفسير وتأويل ولكن لا يعلم تأويله إلا الله تعالى وعباده الراسخون فى العلم إلا أن هذا لا يمنع أن نفهم ما يظهر من آياته التى تشير إلى عدم صحه وجواز التشبيه كما فى الآيات الآتية:

١ قوله تعالى:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (١).

يظهر هنا أن اليهود والنصارى نسبت إليه تعالى الأبوة فجعلت عزيز وعيسى ولدًا له تعالى، هذا قول يلزم منه مفسد كثيره تدل على جرأه قائله وجهله بمقام ربه، ففي هذا القول الباطل يشيرون إلى أن الله تعالى يشبه خلقه في حاجته للولد، ويشبهه في التناسل والتوالد تعالى عن ذلك علواً كبيراً فهو تعالى كما وصف نفسه:

(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)

وهو تعالى منزه عن كل صفات المخلوقين من حيث الحاجة والمحدودية والتجسيم والمكان والزمان وكل نقص، فلا يصح ولا يجوز ولا يمكن أن نجعل له ولدًا أو امرأه ولا يمكن أن يكون له شبهة وهذا ما أكدته قوله تعالى:

(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٢).

فكيف بعزير وعيسى أن يكونا ولدين لله تعالى وهو الإله الغنى المطلق اللامحدود؟ وكيف يكون الولد الفقير المحتاج المحدود الممكن المركب العاجز الحادث شبيهاً لله تعالى الكامل المطلق؟ فهذا محال لانتفاء الشبه بين الولد المدعى وبين الله تعالى الأب كما يدعون، فإذا انتفى الشبه انتفت البنوة والأبوة معاً، بل لا شبيه له في الوجود إذ إنه تعالى الخالق وما سواه مخلوق حادث فقير محتاج.

١- سورة التوبة: ٣٠.

٢- سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

٢ قوله تعالى:

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (١).

تؤكد هذه الآية الكريمه أن الله تعالى الذى خلق الخلق وبرأ النسمه وفطر السموات والأرض ودبر الكون واستوى على العرش، لا يمكن أن يكون رجلاً فقيراً محتاجاً مولوداً من رحم امراه، كما لا يمكن أن يكون هذا المولود الحادث الذى هو مسبوق بوجود أمه، والمحتاج إلى رعايتها إلا غنياً أزلياً قديماً له كل صفات الكمال، بل يلزم من هذا القول الباطل الانقلاب الحال.

٣ قوله تعالى:

(وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ) (٢).

تستنكر هاتان الآيتان الكريمتان أن يكون لله تعالى نسب كما لغيره من المخلوقات، وتؤكد أن على من يقول هذا القول فهو ممن يثبت الشبه بين الله تعالى الذى ليس كمثل شىء وبين خلقه الذى ينسب إلى غيره، فالجن ينتسب إلى الجن للتشابه بينهم، والإنسان ينسب إلى نوعه للتشابه بين أفراد النوع الواحد، وهكذا المخلوقات الأخرى تنتسب إلى جنسها ونوعها لاشتراكها فى صفات واحده، وهذا مما لا ينطبق على الله تعالى إذ لا شبه بينه وبين أحد من مخلوقاته كما تقدم أعلاه.

٤ وهناك آيات أخرى تنفى التشبيه بين الله المثل وبين خلقه، فأيه تنفى رؤيته

١- سورة المائدة، الآية: ٧٢.

٢- سورة الصافات، الآيتان: ١٥٨ و ١٥٩.

بالبصر كما فى قوله تعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (١).

وقوله تعالى:

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (٢).

وأخرى تنفى الحاجه التى هى من صفات المخلوق كما فى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (٣).

وثالثه تنفى فناءه إذ كل مخلوق فان كما فى قوله تعالى:

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (٤).

بعد هذه الآيات الكريمة وغيرها كيف يتسنى لأحد أن يشبه الله تعالى الغنى بخلقه الفقير؟

التشبيه لا يجوز ولا يصح نقلا فى السنه النبويه

بلغنا ما نقر بصحته من الروايات التى وردت عن أهل بيت العصمه عليهم السلام ما يؤكد حكم العقل الذى يقول باستحاله التشبيه بين الخالق والمخلوق وبين

١- سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

٢- سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

٣- سورة فاطر، الآية: ١٥.

٤- سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦ و ٢٧.

الواجب والممكن، وحيث إن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار هم عيبه علم الله تعالى ومنابع المعرفة الحقة وخزائن الحكمة ومصادر التشريع صار لزاماً علينا أن نقف على رواياتهم وخطبهم وأقوالهم في هذا الموضوع لتتضح لنا كيفية وصف الحق سبحانه.

١ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يصف ربه تعالى وصفاً يليق به سبحانه، يؤكد فيه على نفى التشبيه.

عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض خطبه:

الحمد لله الذي كان في أوليته وحدائياً، وفي أزليته متعظماً بالإلهية، متكبراً بكبريائه وجبروته ابتداءً ما ابتدئ، وأنشأ ما خلق على غير مثالٍ كان سبق بشيءٍ مما خلق» (١).

ويشير الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن المشبهه يجهلون مقام ربهم سبحانه كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما عرف الله من شبيهه بخلقه، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده...» (٢).

٢ أمير المؤمنين عليه السلام وسيد البلغاء بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصدح بخطبته التي يوحد الله تعالى بها وينزهه عن صفات المخلوقين ويؤكد على أن الله تعالى لا يشبه خلقه ولا أحد من الخلق يشبهه، بل يصرح بجهل من شبه الله تعالى بخلقه، ويشير أيضاً إلى عدم توحيد من يقول بالتشبيه، ولكي تترك القارئ الكريم يطلع على

١- كتاب التوحيد للصدوق: ص ٤٥، ح ٤.

٢- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٤٨، ح ١٠.

نهج أمير المؤمنين عليه السلام وفكره ويقف على معرفته بربه تعالى نورد إليه هذه الخطبة البليغة المليئة بالعلم والحكمة والتوحيد الحقيقي.

عن فرج بن فروه، عن مسعده بن صدقه، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«بيننا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل فقال:

يا أمير المؤمنين صف لنا ربك تبارك وتعالى لتزداد له حباً وبه معرفه، فغضب أمير المؤمنين عليه السلام ونادى الصلاة جامعه فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، ثم قام متغير اللون فقال:

الحمد لله الذي لا يفزه المنع، ولا يكديه الإعطاء إذ كل معطي منتقص سواه، الملىء بفوائد النعم وعوائد المزيد، وبجوده ضامن عياله الخلق؛ فأنهج سبيل الطلب للراغبين إليه، فليس بما سئل أجود منه بما لم يسأل، وما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال، ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه أصداف البحار من فلند اللجين وسبائك العقيان ونضائد المرجان لبعض عبيده، لما أثر ذلك في وجوده ولا- أنفد سعه ما عنده، وكان عنده من ذخائر الإفصال مالا ينفذه مطالب السؤال ولا يخطر لكثرة على بال، لأنه الجواد الذي لا- تنقصه المواهب، ولا- ينحله إلحاح الملحين (وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) الذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسي كرامته، وطول ولهم إليه، وتعظيم جلال عزه، وقربهم من غيب ملكوته أن يعلموا من أمره إلا- ما أعلمهم، وهم من ملكوت القدس بحيث هم من معرفته على ما فطروهم عليه أن قالوا: (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)»(١).

٣ وحيث إن الأئمة المعصومين عليهم السلام هم نور واحد وقول واحد ومنهج واحد نظمئن أن وصفهم لربهم سبحانه لا يختلفون فيه فقول كل واحد منهم هو قول جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأخيه المرتضى عليه السلام وخير دليل على ذلك ما قاله الإمام الرضا عليه السلام الذي هو ثامن الأئمة المعصومين عليهم السلام.

حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثنا محمّد بن عمرو الكاتب، عن محمّد بن زياد القلزمي، عن محمد بن أبي زياد الجدي صاحب الصلاة بخيّد، قال: (حدّثني محمّد بن يحيى بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يتكلّم بهذا الكلام عند المأمون في التوحيد، قال ابن أبي زياد: ورواه لي أيضا أحمد بن عبد الله العلوي مولى لهم وخالّ لبعضهم عن القاسم بن أيّوب العلوي أنّ المأمون لما أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام على هذا الأمر جمع بنى هاشم فقال: إني أريد أن استعمل الرضا على هذا الأمر من بعدى، فحسده بنو هاشم، وقالوا: أتولّي رجلاً جاهلاً ليس له بصر بتدبير الخلافة؟! فابعث إليه رجلاً يأتنا فنرى من جهله ما يستدلّ به عليه، فبعث إليه فأتاه، فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه، فصعد عليه السلام المنبر، فقعده مليّاً لا يتكلّم مطرقة، ثم انتفض انتفاضة واستوى قائماً، وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه وأهل بيته، ثم قال:

«أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفه الله توحيد، ونظام توحيد الله نفى الصفات عنه لشهاده العقول أنّ كلّ صفه وموصوف مخلوق وشهاده كلّ مخلوق أنّ له خالقاً ليس بصفه ولا- موصوف، وشهاده كلّ صفه وموصوف بالاقتران، وشهاده الاقتران بالحدث، وشهاده الحدث بالامتناع عن الأنزل الممتنع من الحدث، فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إياه وحدّ من اكنهه ولا حقيقته أصاب

من مثله، ولا- به صدق من نَهاه ولا صمد صمده من أشار إليه ولا إياه عنى من شبَّهه، ولا له تذلل من بَعَّضه، ولا إياه أراد من توهمه، كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول، بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطره تثبت حجته خلق الله حجاب بينه وبينهم ومباينته إياهم مفارقتهم، وابتدأه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز كل مبتدئ عن ابتداء غيره، وأدوه إياهم دليل على أن لا- أداه فيه لشهادة الأدوات بفاقه المتأدين وأسماءه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقه، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغُبوره تحديد لما سواه فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعداه من اشتمله وقد أخطأه من اكتنَّه، ومن قال: كيف فقد شبَّهه، ومن قال: لم فقد علَّه، ومن قال: متى فقد وقَّته، ومن قال: فيم فقد ضمَّنه، ومن قال: إلى م فقد نهاه، ومن قال: حتى م فقد غيَّاه ومن غيَّاه فقد غاياها، ومن غاياها، فقد جزَّأه، ومن جزَّأه فقد وصفه، ومن وصفه فقد ألحد فيه، لا يتغير الله بانغيار المخلوق، كما لا يتحدَّد بتحديد المحدود، أحد لا بتأويل عدد ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤيه، باطن لا بمزاييله، مبائن لا بمسافه، قريب لا بمداناه، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدر لا بحول فكره مدبر لا بحرکه، مرید لا بهمامه، شاء لا بهمه، مدرک لا بمجسّمه سمیع لا بآله، بصیر لا بأداه.

لا تصحبه الأوقات، ولا تضمَّنه الأماكن، ولا تأخذه السَّينات ولا تحدّه الصفات، ولا تقيده الأدوات سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا- مشعر له وبتجهيره الجواهر عرف أن لا- جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا- ضد له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا- قرين له، ضادّ النور بالظلمه، والجلالیه بالئهم، والجسو بالبلل والصرد بالحرور، مؤلف بين متعادياتها،

مفروق بين متدانياتها، دالّه بتفريقها على مفروقها، وبتأليفها على مؤلفها، ذلك قوله عز وجل:

(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (١).

ففرق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا- قبل له ولا بعد، شاهده بغائرها أن لا غريزه لمغزها، دالّه بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها مخبره بتوقيتها أن لا- وقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا- حجاب بينه وبينها غيرها له معنى الربوبيه إذ لا مربوب وحقيقه الإلهيه إذ لا مألوه ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع ليس منذ خلق استحق معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئيه كيف ولا تغيته مذ، ولا تدنيه قد، ولا تحجبه لعل، ولا توقته متى، ولا تشمله حين، ولا تقارنه مع، إنما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآله إلى نظائرها وفي الأشياء يوجد فعالها منعتها منذ القدمه، وحماتها قد الأنزليه، وجنبتها لولا التكملة افترت فدلّت على مفروقها، وتباينت فأعربت عن مباينها لما تجلّى صانعها للعقول وبها احتجب عن الرؤيه، وإليها تحاكم الأوهام، وفيها أثبت غيره ومنها أنيط الدليل وبها عرفها الإقرار، وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكمل الإيمان به، ولا ديانته إلا بعد المعرفه، ولا معرفه إلا بالإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفى مع إثبات الصفات للتشبيه فكلّ ما فى الخلق لا يوجد فى خالقه، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، لا تجرى عليه الحركه والسكون، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه ما هو ابتدأه إذا لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولما كان للبارئ معنى غير المبروء، ولو حدّ له وراء إذا حدّ له أمام ولو التمس له التمام إذا لزمه النقصان،

كيف يستحقُّ الأزل من لا يمتنع من الحدث، وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء، إذاً لقامت فيه آية المصنوع، ولتحوّل دليلاً بعد ما كان مدلولاً عليه، ليس في محال القول حججه ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه له تعظيم، ولا في إباته عن الخلق ضيم، إلا بامتناع الأزلي أن يثنى وما لا بدأ له أن يبدأ، لا إله إلا الله العليّ العظيم، كذب العادلون بالله، وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خساراً مبيناً، وصلى الله على محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين» (١).

ولكى تؤكد على عدم جواز تشبيه الله تعالى بخلقه نورد حديثين عن الأئمة المعصومين عليهم السلام يبينان حال من يشبه الله تعالى بخلقه وهل أن الله له شيئاً من الإيمان؟

١ يشير الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام إلى أن المشبهه لا إيمان لهم بقوله:

«مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ أَنْكَرَ قُدْرَتَهُ فَهُوَ كَافِرٌ» (٢).

٢ ويؤكد ولده الإمام الرضا عليه السلام ذلك بقوله:

«مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ وَصَفَهُ بِالْمَكَانِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا نَهَى عَنْهُ فَهُوَ كَاذِبٌ».

ثم تلا هذه الآية:

(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (٣) (٤).

فهذا المقدار نكتفي من بيان عدم صحه القول بالتشبيه وعدم جواز ذلك.

١- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٣٥، ٤٢، ح ٢.

٢- كتاب التوحيد للصدوق: ص ٧٤، ح ٣١.

٣- سورة النحل، الآية: ١٠٥.

٤- التوحيد للصدوق: ص ٦٧، ح ٢٥.

هل أن الله تعالى شيء؟

تمتع الكلمات من الانتقاش على سطورها وجله كونها ترجمان المباحث العقائديه لاسيما فى البحوث التى تتكلم عن بارئها، فكيف لى أن أبدأ الجواب على هذا السؤال؟ هل أن الله تعالى شيء؟ لمعرفتى أن الفطره تقرر بوجود خالق الخلق، والقلب ملئ باليقين والتصديق، والجوارح مدعنه معترفه بقدرته وإحاطته، فلذا أقول بلسان صريح أن الله تعالى موجود، وأنه تعالى شيء لما جاء فى كتب اللغه من أن الشيء هو الموجود(١).

فلذا يصح أن نطلق كلمه (شياء) على الله تعالى مع الاحتفاظ بقيود الآيات والروايات الشريفه التى صرحت بأنه تعالى (ليس كمثله شيء) ولكى يتاح لى أن أجيب على هذا السؤال بطريقه علميه لابد أن أسلسل الجواب وفق النقاط التاليه:

١- لا شك فى وجود الله تعالى بالدليل العقلى كبرهان الإمكان وبرهان العله والمعلول وبرهان المحدوديه وبرهان الأثر والمؤثر التى ذكرها أهل الاختصاص فى محلها.

٢- لا شك فى وجود الله تعالى بالدليل النقلى كما فى قوله تعالى:

(أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (٢).

وقوله تعالى:

(مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٣).

١- المعجم الوسيط: ص ٥٠٢.

٢- سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

٣- سورة الروم، الآية: ٣١.

وقال عز وجل:

(وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (١).

وهناك أكثر من آية تصرح بأن الله تعالى موجود لخلقه الخلق وتديره الأمر.

كما أن الكثير من الروايات التي تشير إلى وجوده تعالى كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في حوار مع السائلين والمستفهمين ومع المشككين والملحدّين، وقد أشار مولانا الإمام الصادق عليه السلام إلى دليل الفطره الذي يظهر عند الشدائد، (قال له رجل: يا بن رسول الله دُلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيروني.

فقال الإمام عليه السلام:

«يا عبد الله هل ركبت سفينه قط؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل كُسرْتُ بك حيث لا سفينه تنجيك ولا سباحه تغنيك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل تعلق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلّصك من ورطتك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى وعلى الإغاثة حيث لا مغيث» (٢).

١- سورة العنكبوت، الآية: ٦١.

٢- الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية، محمد جميل حمّود: ج ١، ص ٨٨. بحار الأنوار: ج ٣، ص ٤١

٣ ثبت عند أهل الحكمة وكثير من المتكلمين أن الشيئيه تساوق الوجود والعدم لا شيئيه له أى أن كل ما له الوجود له الشيئيه، وكل ما له الشيئيه له الوجود(١).

٤ ثبت فى لسان النقل أن الله تعالى شىء ولكن ليس كمثل شىء كما فى قوله تعالى:

(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (٢).

وما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام صريح فى جواز إطلاق (شىء) على الله تعالى ولكن دون أن ننفى وجوده أو ننفى صفاته، ودون أن نشبهه بصفات خلقه كما فى قول الإمام الجواد عليه السلام: (عن الحسين بن سعيد قال: سئل أبو جعفر الثانى عليه السلام: يجوز أن يقال لله: إنه شىء؟ قال عليه السلام:

«نعم يُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدِيثِ: حَدُّ التَّعْطِيلِ وَحَدُّ التَّشْبِيهِ» (٣).

وروايات أخرى تبين أنه تعالى شىء لا كالأشياء فى ذاته وصفاته بل هو تعالى فوق الإدراك والأوهام وهذا ما صرح به الإمام الباقر عليه السلام: (عن محمد بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبى نجران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن التوحيد فقلت: أتوهم شيئاً؟ فقال عليه السلام:

«نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شىء فهو خلافه، لا يشبهه شىء ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يُعقلُ وخلاف ما يتصور فى الأوهام! إنما يتوهم شىء غير معقول ولا محدود» (٤).

١- بدايه الحكمة: ص ١٦٥.

٢- سورة الشورى، الآية: ١١.

٣- أصول الكافى للكلينى: ج ١، ص ١٠٤، باب إطلاق القول بأنه شىء، ح ٢.

٤- أصول الكافى للشيخ الكلينى: ج ١، ص ١٠٤، باب إطلاق القول بأنه شىء، ح ١.

وما نوره من الروايات الشريفه الآتيه صريح فى إطلاق الشئيه عليه تعالى مع الاحتفاظ بشروطها كما فيما يلى:

١ عن أحمد بن محمد بن خالد البرقى، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زراره بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إنَّ اللهَ خلُو من خلقه وخلقه خلُو منه وكل ما وقع عليه اسم شىء ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق كل شىء تبارك الذى ليس كمثلته شىء وهو السميع البصير»^(١).

٢ عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن على بن عطيه، عن خيثمه، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إنَّ اللهَ خلُو من خلقه وخلقه خلُو منه وكل ما وقع عليه اسم شىء ما خلا الله تعالى فهو مخلوق والله خالق كل شىء»^(٢).

٣ عن العباس بن عمرو الفقىمى، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزناديق حين سأله: ما هو؟

قال:

«هو شىء بخلاف الأشياء ارجع بقولى إلى إثبات معنى وأنه شىء بحقيقه الشئيه غير أنه لا جسم ولا صوره ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الأزمان»^(٣).

١- أصول الكافى: ج ١، ص ١٠٥، باب إطلاق القول بأنه شىء، ح ٤.

٢- أصول الكافى للكلىنى: ج ١، ص ١٠٥، ح ٥.

٣- أصول الكافى للشيخ الكلىنى: ج ١، ص ١٠٥، باب إطلاق القول بأنه شىء، ح ٦.

السميع البصير اسمان من أسمائه تعالى

إن صفتي السمع والبصر مما يتصف بهما الله تعالى دون أن يمس هذا الاتصاف عظمه الحق سبحانه، ومن غير أن يشترك معه السامعون والمبصرون لجلاله عن آلتى السمع والبصر، فهو سميع بغير آله وبصير بغير جارحه، ولذا أشتق اسما السميع والبصير من هذا الاتصاف، ولكى نقف على حقيقه هاتين الصفتين لابد أن نطلع على ما قيل فى تفسيرهما وانطباقهما على الله تعالى.

١ إنَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَا وَصْفَيْنِ يَغَايِرَانِ وَصِفَ الْعِلْمِ، بَلْ هُمَا مِنْ شُعَبِ عِلْمِهِ بِالْمَسْمُوعَاتِ وَالْمَبْصُرَاتِ، فَلَأَجْلِ عِلْمِهِ بِهِمَا صَارَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ تَعَالَى أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.

٢ إنَّهُمَا وَصْفَانِ حَسِّيَّانِ، وَإِدْرَاكَانِ نَظِيرِ الْمَوْجُودِ فِي الْإِنْسَانِ.

٣ إنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ يَغَايِرَانِ مُطْلَقَ الْعِلْمِ مَفْهُومًا، وَلَكِنَّهُمَا عَلِمَانِ مَخْصُوصَانِ وَرَاءَ عِلْمِهِ الْمَطْلُوقِ مِنْ دُونَ تَكَثُّرِ فِي الذَّاتِ وَمِنْ دُونَ أَنْ يَسْتَلْزِمَ ذَلِكَ التَّوْصِيفَ تَجَسُّمًا، وَمَا هَذَا إِلَّا حُضُورَ الْهَوِيَّاتِ الْمَسْمُوعَةِ وَالْمَبْصُرَةِ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ، فَشُهُودَ الْمَسْمُوعَاتِ سَمْعٍ، وَشُهُودَ الْمَبْصُرَاتِ بَصَرٍ، وَهُوَ غَيْرُ عِلْمِهِ الْمَطْلُوقِ بِالأَشْيَاءِ الْعَامَةِ، غَيْرِ الْمَسْمُوعَةِ وَالْمَبْصُرَةِ (١).

وليبيان صحه هذه الأقوال الثلاثة التى وردت عن أهل العلم نقول:

ألف: إن السمع والبصر فى الله تعالى لا يمكن أن يكونا حسيين لتنزهه عن صفات الممكنات، ولجلاله عن الحاجه والتركيب، فلذا لا صحه للقول الثانى لاستحاله انطباقه على الله تعالى.

باء: بما أنه تعالى يحيط بكل شىء علما فهو تعالى عالم بالمسموعات والمبصرات ولذا يصح إطلاق اسمى السميع والبصير عليه تعالى.

الوصفان في القرآن الكريم

السميع

تتجلى العظمة الإلهية من خلال الخلق لمن ينظر إليها من نافذه الممكنات، ويشهدها بقلبه حينما يتأمل صفات الحق سبحانه، وخير من وصف البارئ عز وجل هو كتابه الكريم بآيات مليئه بالحكمه والعلم، وبكلمات تحوى بطونا سبعة لا يعلمها إلا أهلها، ولكي نقف على هذه الصفه (السمع) التي إذا اتصف بها فاعلها سمى بالسميع لا بد أن نطلع على ما جاء في ذكر هذا الاسم وهذه الصفه في الآيات الكريمه من القرآن الكريم:

١ كونه تعالى واجب الوجود وخالق الخلق ومدبر الأمور يقتضى ذلك أن يكون محيطا بكل شىء، لا تخفى عليه الأصوات ولا تفوته الخفايا والأسرار، فهو لكل صوت سميع وبكل سر عليم فلذا قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (١).

٢ كونه تعالى رؤوفاً بالعباد لطيفاً بالخلق رحيماً بالمؤمنين يقتضى ذلك أن يجيبهم إذا سألوا ويحميهم إذا لجأوا ويغيثهم إذا استغاثوا فلذا نجده سبحانه يصف نفسه تعالى بأنه سميع لدعاء عباده كما فى قوله تعالى:

(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (٢).

رغم أن دعاء زكريا كان خفيا كما حكى لنا ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى:

(إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) (٣).

١- سورة البقره، الآية: ١٨١.

٢- سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

٣- سورة مريم، الآية: ٣.

فهو يسمع الدعاء ويسمع النداء ويعلم الاستغاثه سواء كان ذلك في الجهر أو الإخفاء.

٣- لا شك في أن يكون خالق الخلق والمحيط بكل شيء قريباً من عباده لا قرب مكان ولا قرب زمان لأنه تنزه عن مجانسه مخلوقاته وإنما هو مقتضى إحاطته لذا يصف نفسه بقوله تعالى:

(إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) (١).

مداره لعقولنا التي آنست بالأبعاد الماديه الدنيويه وإلا فهو تعالى أسمى في قربه من أن ندرکه فلذا يخاطبنا بقوله:

(أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَأَنسَمِعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) (٢).

٤ وصف الله سبحانه نفسه بأنه يسمع دون أن تؤثر فيه الأصوات ودون أن تؤثر على سمعه الأماكن فهو يسمع من في السموات كما يسمع من في الأرض وفي آن واحد وبمستوى واحد كما في قوله تعالى:

(قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٣).

وقوله تعالى:

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٤).

٥ لو تتبعنا كل آيه ورد فيها اسم السميع لطل بناء المقام فلذا اکتفينا بذكر بعضها علما أن اسم السميع أو كلمه سميع وردت في كثير من الآيات.

١- سورة سبأ، الآيه: ٥٠.

٢- سورة الزخرف، الآيه: ٨٠.

٣- سورة الأنبياء: ٤.

٤- سورة الشعراء، الآيه: ٢٢٠.

البصير

علمنا بأنه تعالى يرى ويسمع يجعلنا فى حياء دائم لاسيما عندما تقع من بعضنا الآثام ويقترب بعضنا الذنوب، فنعيش فى دائره التقصير مستغفرين تائبين، كيف لا يكون ذلك ونحن نقرأ هذه الآيات الكريمة؟

١ آيه تشير أنه تعالى مطلع على ظواهرنا وبواطننا بغير جارحه أو آله للبصر كما فى قوله تعالى:

(فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (١).

٢ آيه تصرح بأن ما نقترب من سيئات ونرتكب من ذنوب فى أعمالنا وأقوالنا ونياتنا تحت مراقبته كما فى قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (٢).

٣ عندما نتأمل ونتدبر قوله تعالى:

(إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) (٣).

نعتقد بأن بصره ليس كبصرنا وإبصاره ليس كإبصارنا، فبصره لا بد أن يكون منزهاً عن الحدود والأماكن والأزمان، ولا بد أن يكون بصره واسعاً سعه تليق به تعالى وليس ذلك إلا علمه بالمبصرات وإحاطته بها.

٤ حيث إننا نعلم أن كلمه (البصير بصير) وردت فى أكثر من آيه فى القرآن الكريم وكلها تشير إلى اتصافه تعالى بالبصر وتسميته بالبصير نكتفى بما تقدم ونتدبر فى

١- سورة غافر، الآيه: ٤٤.

٢- سورة البقره، الآيه: ١١٠.

٣- سورة الملك، الآيه: ١٩.

الآيات التي ذكرت هذه الصفه لنعرف شيئا من عظمه ربنا سبحانه وتعالى.

وقوله عليه السلام:

«احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وعمن في السماء احتجابه كمن في الأرض».

تقدمت الأبحاث التي أثبتت عدم الرؤية البصريه بل أثبتنا عدم إحاطه العقل به سبحانه لمحدوديه العقل وعجزه عن أن يحيط بالله تعالى، وأدرجنا الروايات التي تشير إلى عجز الأوهام والأفهام عن الإحاطه به تعالى، ولكي نذكر القارئ الكريم نقول باختصار:

الله تعالى هو واجب الوجود ومن صفات واجب الوجود وكمال له أنه منزه عن الحدود والأوصاف الناقصه، ومنزه عن كل صفات الممكن، ولذا فهو تعالى فوق العقول المحدوده وخارج إدراكها، كما أنه تعالى منزه عن الجسم والجسمانيه فيكون أيضا خارجا عن الرؤية البصريه، وهو تعالى خالق الخلق ومحيط بكل شيء فلا شيء يحيط به، فاحتجب عن خلقه لا بحجاب أو ساتر، وإنما احتجب بذاته وصفاته ووجوب وجوده.

ولكي نؤكد قولنا ونربط بين قول الإمام الحسين عليه السلام وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام نورد هذه الخطبه عن أمير المؤمنين عليه السلام التي تبين بوضوح ما أراده الإمام الحسين عليه السلام، فلقد جاء في خطبه أمير المؤمنين عليه السلام:

«الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده، وباشتباههم على أن لا- شبه له، الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه، مستشهد بحدوث الأشياء على أزلته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، واحد لا بعدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد، تتلقاه الأذهان لا بمشاعره، وتشهد له

المرائي لا- بمحاضره، لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها، ليس بذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيما، ولا بذى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيما، بل كبر شأننا، وعظم سلطاننا»(١).

وهناك روايات تذكر عله احتجاب الله عزّ وجلّ عن خلقه.

عن محمد بن بندار، عن محمد بن علي، عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام قال: (قال بعض الزنادقه لأبي الحسن عليه السلام:

لِمَ احتجب الله؟ فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إن الحجاب عن الخلق لكثره ذنوبهم فأما هو فلا تخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار».

قال: فلم لا تدركه حاسه البصر؟ قال عليه السلام:

«للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسه الأبصار، ثم هو أجل من أن تدركه الأبصار أو يحيط به وهم أو يضبطه عقل».

قال: فحده لى، قال عليه السلام:

«إنه لا يجد».

قال: لِمَ؟ قال عليه السلام:

«لأن كل محدود متناه إلى حد فإذا احتتم التحديد احتتم الزيادة، وإذا احتتم الزيادة احتتم النقصان، فهو غير محدود ولا مترايد ولا متجز ولا متوهم»(٢).

وجاء عن القاسم بن محمد، عن حمدان بن الحسين، عن الحسين بن الوليد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي حمزه الثمالي قال: (قلت لعلى بن الحسين عليهما السلام:

١- منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغه للعلامه حبيب الله الهاشمى: ج ١١، ص ٥، الخطبه ١٨٤.

٢- بحار الأنوار للعلامه المجلسى رحمه الله: ج ٣، ص ١٦، ح ١.

لأى عله حجب الله عز وجل الخلق عن نفسه؟ قال عليه السلام :

«لأن الله تبارك وتعالى بناهم بنيه على الجهل فلو أنهم كانوا ينظرون إلى الله عز وجل لما كانوا بالذين يهابونه ولا يعظمونه، نظير ذلك أحدكم إذا نظر إلى بيت الله الحرام أول مره عظمه فإذا أتت عليه أيام وهو يراه لا يكاد أن ينظر إليه إذا مر به ولا يعظمه ذلك التعظيم»(١).

وقوله عليه السلام:

«قربه كرامته وبعده إهانتة».

أشار الإمام عليه السلام إلى القرب الإلهي وبين أنه قرب معنوي لا قرب مادي فلذا يقول إن قرب الله تعالى من العبد يظهر من خلال إكرامه لهذا العبد وأن بعد الله تعالى عن العبد يظهر من خلال سخطه وعدم رضاه وإهانتة لهذا العبد، فيظهر من قول الإمام عليه السلام أن الله تعالى لا يحويه مكان ولا يحيط به موضع فلذا لا يكون له قرب وبعد مادي، وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال»(٢).

وقوله عليه السلام:

(عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقُلٍ، يُوجَدُ الْمَفْقُودَ وَيُفْقِدُ الْمَوْجُودَ، وَلَا تَجْتَمِعُ لِغَيْرِهِ الصِّفَتَانِ فِي وَقْتٍ).

أشار الإمام عليه السلام إلى أربعة أبحاث نوجزها في النقاط التالية:

١ إن الله تعالى عال علواً معنوياً، وما كان علوه ناشئاً عن صعود سلم أو ارتقاء منبر، أو طيران طائر بل هو علو خارج عن صفات المادة والجسميه.

١- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٣، ص ١٦، ح ٢.س

٢- نهج البلاغه بشرح محمد عبده: ص ١٣٠، الخطبه ٩١.

٢ ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:

(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (١).

وقوله تعالى:

(إِذْ أَخْرَجْنِي مِنَ السُّجُنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَيْدِ مَنْ بَعِيدٌ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (٢).

فأراد الإمام الحسين عليه السلام أن يبين أن مجيء الله تعالى له معنى غير مادي ليس معتمداً على الحركة والانتقال.

٣ بين الإمام عليه السلام أن الله تعالى هو الذي أوجد الأشياء وهو الذي يفنيها.

٤ إن الله تعالى قادر على أن يجمع بين الصفتين المتضادتين في آن واحد، كالأحياء والإماتة، وكالرازق وغير الرازق، وقادر على الجمع بين صفة الحلم والكرم مثلاً في آن واحد دون أن تتأخر إحداها عن الأخرى.

الوصفان في حديث أهل البيت عليهم السلام

السميع

وصف أهل البيت عليهم السلام يتقدمهم جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ربّهم بصفه السمع وأطلقوا عليه اسم السميع كما أطلق هو تعالى على نفسه، إلا أنهم يبنوا في أحاديث متفرقة كيفية هذا السمع فتارة يسمع الأصوات المرتفعة كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا سامع الأصوات، يا عالم الخفيات، يا دافع البليات» (٣).

١- سورة الفجر، الآية: ٢٢.

٢- سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

٣- موسوعه العقائد الإسلامية: ج ٤، ص ٢٦٥، ح ٤٧٠٦.

وأخرى يسمع الأصوات الضعيفه التي يصدرها الضعفاء من العباد عندما يأنون من آلامهم كما ورد ذلك فى دعاء النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا من يعلم مراد المریدین، یا من يعلم ضمیر الصامتين، یا من يسمع أنین الواهين، یا من يرى بكاء الخائفين»^(١).

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يبين سعه سمعه وكيفيته، فهو تعالى يسمع الأصوات الصغيره والكبيره على حد سواء والقريبه والبعيده كذلك كما جاء ذلك فى قوله عليه السلام:

«كل سمیع غيره يصم عن لطيف الأصوات، ويصمه كبيرها، ويذهب عنه ما بعد منها»^(٢).

ويشير الإمام زين العابدين عليه السلام إلى سعه سمعه أيضا بقوله:

«اللهم أنت الملك الذى لا يملك، والواحد الذى لا شريك لك، يا سامع السر والنجوى»^(٣).

وفى موضوع آخر يدعو فيقول:

«يا موضع كل شكوى، ويا سامع كل نجوى، وشاهد كل ملا، وعالم كل خفيه»^(٤).

وأما الإمام الصادق عليه السلام فيوضح لنا عله تسميته تعالى بالسميع من خلال بيان سعته وقوته بقوله:

«إنما سمى سميعا؛ لأنه ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو

١- موسوعه العقائد الإسلاميه، محمد الريشهري: ج ٤، ص ٢٦٦، ح ٤٧٠٧.

٢- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج ٤، ص ٢٦٦، ح ٤٧٠٩.

٣- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج ٤، ص ٢٦٦، ح ٤٧١٠.

٤- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج ٤، ص ٢٦٦، ح ٤٧١١.

سادسهم، ولا- أدنى من ذلك ولا- أكثر إلا- هو معهم أينما كانوا، يسمع النجوى، وديب النمل على الصفا، وخفقان الطير فى الهواء، لا تخفى عليه خافيه ولا شىء مما أدركته الأسماع والأبصار، وما لا تدركه الأسماع والأبصار، ما جل من ذلك وما دق، وما صغر وما كبر، ولم نقل سميعا بصيرا كالسمع المعقول من الخلق»(١).

ويؤكد الإمام الكاظم عليه السلام أن الله تعالى سميع دون أن يشك بصحة سمعه ودقته فيقول:

«اللهم.... أنت..... سميع لا يشك»(٢).

ويؤكد أيضا أنه تعالى يسمع الأصوات القويه دون أن تؤثر عليه كما تؤثر على سمع المخلوق فيهم منها، ويسمع الخفيه التى لا يستطيع أن يسمعها غير صاحبها، ويوضح أن سمعه واسع شامل لجميع اللغات المختلفه التى تصدرها المخلوقات بل هو رقيب على كل ما يصدر من خلقه ويرى الإمام الرضا عليه السلام أن الله سبحانه يسمع كل صوت يصدر من خلقه دون أن يشبهه بأحد منها كما فى قوله:

« اللهم إنى أسألك، يا سامع كل صوت، ويا بارئ النفوس بعد الموت، ويا من لا تغشاه الظلمات، ولا تتشابه عليه الأصوات، ولا تغلظه الحاجات»(٣).

وينفى الإمام الرضا عليه السلام أن يكون سمع الله تعالى بآله سمع مثقوبه كما هو فى خلقه فيقول:

«سمى ربنا سميعا لا بخرت فيه يسمع به الصوت ولا يبصر به، كما أن خرتنا الذى به نسمع لا نقوى به على البصر، ولكنه أخبر أنه لا يخفى عليه شىء من

١- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج ٤، ص ٢٦٦ ٢٦٧، ح ٤٧١٣.

٢- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج ٤، ص ٢٦٧، ح ٤٧١٦.

٣- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج ٤، ص ٢٦٧ ٢٦٨، ح ٤٧١٨.

الأصوات، ليس على حد ما سمينا نحن، فقد جمعنا الاسم بالسمع واختلف المعنى»^(١).

ويبين الإمام الرضا عليه السلام سعه سمعه ودقته فى موضع آخر (لما سأله رجل: أخبرنى عن قولكم: إنه لطيف وسميع... قلنا:

«إنه سميع لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى من الذره إلى أكبر منها فى برها وبحرها، ولا يشتهه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك: إنه سميع لا بأذن»^(٢).

سمعه لا كسمعنا

ورد على لسان أهل البيت عليهم السلام أن سمع الله تعالى منزه عن صفات سمع المخلوق كما جاء ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام فى أكثر من حديث كقوله:

«السميع لا بأداه، سميع لا بأله، السميع لا بتفريق آله، سميع للأصوات المختلفه، بلا جوارح مؤتلفه».

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«ولم نقل سميعا بصيرا كالسمع المعقول من الخلق».

وفى قول آخر يقول:

«هو سميع بصير، سميع بغير جارحه، بصير بغير آله، بل يسمع بنفسه ويصير بنفسه».

وورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«قلنا: سميع لا مثل سمع السامعين».

وجاء عن ولده الإمام الجواد عليه السلام قوله:

«ولم نصفه بالسمع المعقول فى الرأس».

١- موسوعه العقائد الإسلاميه للريشهري: ج ٤، ص ٢٦٨، ح ٤٧١٩.

٢- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج ٤، ص ٢٦٨، ح ٤٧٢٠.

البصير

وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ربهم بصفه البصر المنزهه عن الشبه، وأطلقوا عليه اسم البصير تبعاً لما ورد في القرآن الكريم إلا أنهم بينوا أموراً تتعلق بهذه الصفه وهذا الاسم وهى كالاتى:

إن الله تعالى يرى الأشياء ويبصرها دون أن يحول بينه وبينها حاجب سواء كان سميكاً أو شفافاً، كبيراً أو صغيراً وهذا ما ورد على لسان سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«يا من لا يحجبه شيء عن شيء».

إن البصير من المخلوقات لا يستطيع أن يرى الألوان الخفيه، والأجسام الدقيقه الصغيره إلا أن الله سبحانه بصير بذلك مطلع عليه وهذا ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«كل بصير غيره يعمى عن خفى الألوان، ولطيف الأجسام».

إنما سمي الله تعالى البصير، لأنه يرى ويبصر ما تدركه الأبصار وما لا تدركه من مخلوقات صغيره أو كبيره، حقيره أو عظيمه وهذا ما أجاب به الإمام الصادق عليه السلام لما سأله الزنديق (أفرايت قوله: سميع بصير عالم؟ قال:

«إنما سمي تبارك وتعالى بهذه الأسماء لأنه لا يخفى عليه شيء مما لا تدركه الأبصار من شخص صغير أو كبير، أو دقيق أو جليل»).

إنه تعالى بصير لا يشك ولا يشتبه ولا تلتبس عليه اللوابس كما فى دعاء الإمام الكاظم عليه السلام:

«سبحانك اللهم وبحمدك... أنت.... بصير لا يرتاب».

إن الله تعالى يوصف بالبصير دون أن يشبهه بغيره من الخلق فلذلك ورد عن

الإمام الصادق عليه السلام:

«ولا نصفه بصيرا بلحظ عين كالمخلوق».

وأكد ذلك الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«إنه بصير لا كبصر خلقه».

وفى قوله عليه السلام:

«وهكذا البصر لا بخرت منه أبصر، كما أن نبصر بخرت منا لا ننتفع به فى غيره».

وهذا الوصف صرح به أيضا الإمام الجواد عليه السلام بقوله:

«ولم نصفه ببصر لحظه العين».

وقوله عليه السلام:

(عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقُلٍ).

تقدم فى الأبحاث السابقة أن الله تعالى لا يتصف بصفه من صفات الممكنات ولا تحده الحدود الزمانية والمكانية ولا يتكيف بكيف ولا يسرى عليه ما يسرى على خلقه، ومما ينزهه عنه سبحانه هو العلوّ المكانى، فله تعالى علوٌ حقيقى عن كل ما سواه لأنه واجب الوجود وخالق الخلق وبارئ المكان والزمان ومحيط بكل شىء ولا يحيط به شىء إلا أنه تعالى رغم علوه وارتفاعه عن خلقه فهو أقرب إليهم من جبل الوريد بل يحول بين المرء وقلبه وما هذا القرب إلا لإحاطته وقيوميته، ولو تأملنا فى الآيات الكريمة كقوله تعالى:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (١).

وقوله تعالى:

(وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) (١).

وقوله تعالى:

(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (٢).

لا تضح لنا عدم صحه نعته بصفه من صفات الممكنات وعدم جواز وصفه بصفه الأجسام، وعلى هذا لا بد من تفسير علوه سبحانه بامتناع اتصافه بصفات خلقه وارتفاعه عن كل صفات المخلوقات واستغنائه عن العلو والسفل التي هي من ملازمات المكان، فعلوه هو نزاهته عن كل نقص، وعلوه هو ربوبيته لما سواه، وعلوه هو غناه عن كل شيء، وعلوه هو إحاطته بكل شيء، وعلوه هو قيوميته على خلقه وغير ذلك من صفات الكمال اللائق به تعالى.

وأما تفسير مجيئه تعالى يتضح مما تقدم أنه مجيء أمره تعالى لجلاله عن المجيء والحركة والانتقال، وهذا ما أكدته الروايه الشريفه عن الإمام الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى:

(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)

قال:

«إنَّ الله عزَّ وجل لا يوصف بالمجيء والذهاب، تعالى عن الانتقال وإنما يعنى به وجاء أمر ربك والملك صفا صفا» (٣).

وهناك معنى آخر للمجيء ذكره العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان هو (أن

١- سورة فاطر، الآية: ١٥.

٢- سورة الرعد، الآية: ١٦.

٣- التوحيد للصدوق: ص ١٦٢، ح ١.

المجىء يعنى حصول القرب وارتفاع المانع والحاجز بين الشئين(١).

وقوله عليه السلام:

(يُوجَدُ الْمَفْقُودَ وَيُفْقِدُ الْمَوْجُودَ).

أوجد الله الشىء: أنشأه من غير سبق مثال، وفلاتنا أغناه، يقال: الحمد لله الذى أوجدنى بعد فقر.

الواجد: من أسماء الله تعالى، وهو الغنى الذى لا يفتقر(٢).

فقد الشىء فقداً، الكتاب و المال ونحوه: خسره وعدمه(٣).

لا شك أن الله تعالى على كل شىء قدير، ووسعت قدرته كل ما ينطبق عليه مفهوم الشىء، فهو تعالى قادر على غير المحال إذ إن المحال باطل محض لعدم انطباق مفهوم الشئيه عليه، وحيث إن الله تعالى هو خالق كل شىء فهو تعالى قد أبدع خلقه وأنشأه من غير أن يقيس ذلك على مثال سابق لغناه عن ذلك، فلقد ورد فى الروايات ما يشير إلى ذلك كقول الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يكوّن الشىء لا من شىء إلا الله، ولا ينقل الشىء من جوهريته إلى جوهر آخر إلا الله...»(٤).

وأما بالنسبة لفناء الأشياء فلقد صرح تعالى بقوله:

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) (٥).

١- تفسير الميزان للسيد الطباطبائى: ج ٢، ص ١٠٤.

٢- المعجم الوسيط: ص ١٠١٣.

٣- المعجم الوسيط: ص ٦٩٦.

٤- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج ٤، ص ١٤٨، ح ٢.

٥- سورة الرحمن، الآية: ٢٦.

وفى هذا إشاره إلى القانون الإلهى الذى يحكم بانقطاع أمد هذه النشأه الدينويه وولاده نشأه أخرى بعد التأمل فى النشأه الأولى التى هى الدنيا ومادياتها والنشأه الأخرى التى هى الآخره ومعنوياتها تظهر نتيجه واضحه أن الله تعالى هو الذى أوجد ما كان فى العدم وعدم ما هو فى الوجود، وهذا ما صرح به الإمام الصادق عليه السلام:

«ولا ينقل الشىء من الوجود إلى العدم إلا الله»(١).

وقوله عليه السلام:

(ولا تجتمع لغيره الصفتان فى وقتٍ).

ثبت فى محله أن الله تعالى نوعين من الصفات هما الصفات الثبوتيه والتى تسمى بصفات الكمال والصفات السلبيه والتى تسمى بصفات الجلال، والصفات الثبوتيه تنقسم إلى قسمين هما: الصفات الذاتيه وهى التى تنتزع من الذات فقط، والصفات الفعليه وهى التى تنتزع من مقام الفعل كالخالفيه والرازقيه.

وثبت أيضا أن صفات الذات هى عين الذات كالحياه والعلم والقدره، أى أن قدرته هى حياته وحياته هى قدرته فهو حى من حيث هو قادر وقادر من حيث هو حى، فبهذا اللحاظ نستطيع أن نقول أن أكثر من صفة اجتمعت له تعالى وفى وقت واحد.

وهناك معنى آخر كاجتماع الصفتين له تعالى فى وقت كاتصافه بأنه يخلق ولا يخلق أو يرزق ولا يرزق أو يرحم ولا يرحم، إذ أن هذه الصفات هى من صفات الفعل وليس من صفات الذات.

ولكى يتضح البحث نورد باقه من الروايات الشريفه التى تشير إلى هذا المعنى:

١ عن هشام بن الحكم فى حديث الزّنديق الذى سأل أبا عبد الله عليه السلام فكان من سؤاله أن قال له: (فله رضاٌ وسخطٌ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام:

١- بحار الأنوار للمجلسي: ج ٤، ص ١٤٨، ح ٢.

«نعم ولكن ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، وذلك أن الرضا حال تدخل عليه فتقله من حال إلى حال؛ لأن المخلوق أجوف معتمل مركب، للأشياء فيه مدخل، وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه لأنه واحد واحد الذات واحد المعنى، فرضاه ثوابه، وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال، لأن ذلك من صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين» (١).

هذه الرواية تشير إلى اجتماع الرضا للمؤمنين والسخط على الكافرين في وقت واحد.

٢ عن حريز، عن محمد بن مسلم، (عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في صفة القديم:

«إنه واحد صمد أحدى المعنى ليس بمعانٍ كثيره مختلفه».

قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذى يبصر ويبصر بغير الذى يسمع، قال: فقال عليه السلام:

«كذبوا وألحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك، إنه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع».

قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه، قال: فقال عليه السلام:

«تعالى الله إنما يعقل ما كان بصفه المخلوق وليس الله كذلك» (٢).

وهناك معنى آخر هو أنه تعالى يوجد المفقود ويفقد الموجود في وقت لا يشغله الإيجاد عن الافقاد ولا الافقاد عن الإيجاد، ولا يشغله أمر عن أمر ولا سمع عن سمع ولا صوت عن صوت.

١- أصول الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ٦٤، ح ٦.

٢- أصول الكافي للكليني: ج ١، ص ٦٣، ح ١.

هل هما من صفات الذات؟

بيننا أن هاتين الصفتين قد اتصف بهما الله سبحانه وتعالى، وأنهما بمعنى علمه بالمسموعات والمبصرات، وأن ذكرهما قد ورد في القرآن الكريم وعلى لسان أهل بيت العصمة عليهم السلام.

وكذلك بيننا سعه هاتين الصفتين ودقتهما وأنهما في الله تعالى ليس كما في خلقه، وأن إطلاق اسمي السميع البصير عليه تعالى لا يشابه إطلاقه على غيره.

بعد هذا البيان لنا أن نسأل عن هاتين الصفتين هل هما من صفات الذات أم من الصفات الفعلية؟

الجواب عن ذلك سيعرف من خلال وقوفنا على الأحاديث التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام إذ إنها تبين لنا نوع هاتين الصفتين وهي كما يلي:

في السمع

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«سميعة إذ لا مسموع».

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع».

وقال عليه السلام:

«والسمع ذاته ولا مسموع».

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«إنه يسمع بما يبصر ويرى بما يسمع».

البصر

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«بصير إذ لا منظور إليه من خلقه».

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«لم يزل الله عزّ وجل ربنا... والبصر ذاته ولا مبصر... فلما أحدث الأشياء وقع البصر على المبصر».

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«إنه يسمع بما يبصر ويرى بما يسمع»^(١).

من خلال التمعن في هذه الأحاديث الشريفه نجد قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«سميعا إذ لا مسموع».

يثبت أن الله تعالى متصف بالسمع والبصر قبل أن يخلق المسموعات والمبصرات وهذا يدل على أن هاتين الصفتين من صفات الذات.

ولو نظرنا أقوال الإمامين الباقر والرضا عليهما السلام:

«يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع».

يتضح لنا أن هاتين الصفتين لا يمكن أن تكونا هكذا إلا إذا كانتا عين الذات فيلزم أنهما من صفات الذات، وتصريح الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«والسمع ذاته ولا مسموع».

لا يحتاج إلى توضيح وبيان كما أن قول الإمام الصادق عليه السلام:

«والبصر ذاته ولا مبصر فلما أحدث الأشياء وقع البصر على المبصر».

يصرح بأن البصر صفه ذات يتصف الله تعالى بها منذ الأزل.

وهاتان الصفتان لا يخرجنا عن علمه فلذلك قال الإمام الصادق عليه السلام:

«وقع البصر على المبصر».

أى وقع العلم الذاتى على المعلوم.

سؤال مهم

إشارة

السؤال: هل يصح أن نطلق عليه أنه شام أو ذائق أو لامس لعلمه بالمذوقات والمشمومات والملموسات؟

الجواب:

ألف

لا- نصف ربنا إلا- بما وصف به نفسه ونقف عند ذلك دون أن نخوض فى غيره استحساناً أو اجتهاداً وقياساً وهذا ما أشار إليه الإمام الرضا عليه السلام فى حديث طويل فيقول:

«سبحانه ما عرفوك ولا وحدوك ومن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاوتهم أنفسهم أن شبّهوك بغيرك إلهى لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك، ولا أشبّهك بخلقك، أنت أهل لكل خير فلا تجعلنى من القوم الظالمين»(١).

وجاء عن محمد بن سليمان، عن على بن إبراهيم الجعفرى، عن عبد الله بن سنان، (عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال:

«إنّ الله عظيم، رفيع، لا- يقدر العباد على صفته، ولا- يبلغون كنه عظمته، لا- تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، ولا يوصف بكيف

ولا- أين ولا- حيث فكيف أصفه بكيف وهو الذى كيف الكيف حتّى صار كيفاً، فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف، أم كيف أصفه بأين وهو الذى أين الأين حتّى صار أيناً، فعرفت الأين بما أين لنا من الأين، أم كيف أصفه بحيث وهو الذى حيث حيث حتّى صار حيثاً، فعرفت حيث بما حيث لنا من حيث، فالله تبارك وتعالى داخل فى كلّ مكان، وخارج من كلّ شىء، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، لا إله إلا هو العلى العظيم، وهو اللطيف الخبير»(١).

باء

هناك قول لأهل العلم لا يصح إطلاق الشام أو الذائق عليه تعالى للزوم صفات المادة فيقول: (يجب أن يكون سمياً بصيراً، لأنه حتى لا آفه به، وفائده السميع البصير أنه على صفة يجب فيها أن يسمع المسموعات، ويبصر المبصرات، وذلك يرجع إلى كونه حياً لا آفه به، ولا يوصف بأنه سميع بصير، والمعلوم خلاف ذلك).

وأما سامع مبصر فمعناها أنه مدرك للمسموعات والمبصرات، وذلك يقتضى وجود المسموعات والمبصرات فلذلك لا يوصف بهما فى الأزل، فأما شام وذائق فليس المراد بهما كونه مدركاً بل الاستفادة بالشام أنه قرب الجسم المشموم إلى حاسه شم، والذائق أنه قرب الجسم المذوق إلى حاسه ذوقه، ولذلك (يقولون شممته فلم أجد له رائحه، وذقته فلم أجد له طعماً ولا) يقولون: أدركته فلم أدركه لأنه مناقضه وجرى مجرى قوله أصغيت له فلم أسمعها فهما بأن يكونا سبب الإدراك على وجه دون أن يكونا نفس الإدراك»(٢).

١- التوحيد للصدوق: ص ١١١ ١١٢، ح ١٤.

٢- الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للشيخ محمد بن الحسن الطوسى: ص ٥٧ ٥٨.

لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار

امتناع الرؤية

استشهد القرآن الناطق الإمام المعصوم عليه السلام بآيه من القرآن الكريم فى خطبته الشريفه ليقول بلسان فصيح وقول صريح أن الحق سبحانه أجل وأكبر وأعظم من أن تناله الأبصار أو تدركه الأفهام، امتنع عليها بوجوب وجوده وعجزت عن إدراكه بإمكان وجودها، وتعالى بكماله اللامتناهى عن نقصها المحض، وارتفع بغناه المطلق عن فقرها اللامحدود، فلذا صارت محالاً رؤيته، سمت فوق العقول ذاته، فلا يعرفه إلا بصفته ولا يرى إلا بالبصيره، فهو تعالى أكبر من أن يقال شىء عن رؤيته ولذا نقسم القوم إلى ثلاث فرق:

١ قالت العدليه بعدم رؤيته تعالى بالبصر سواء كانت الرؤيه فى الدنيا أو فى الآخره.

٢ جَوَزَ المجسمه رؤيته تعالى بالبصر فى الدارين.

٣ قال بعض الأشاعره برؤيته تعالى يوم القيامه وإنه سينكشف إليهم كانكشاف القمر ليله البدر، وحيث إن قول المجسمه يستلزم شروطاً للرؤيه، فلا بد أن نذكرها كما يلى:

١ يستلزم تحقق الرؤيه أن يكون المرئى فى جهه معينه.

٢ يستلزم تحقق الرؤيه أن يكون المرئى مقابلاً للرئى أو ما فى حكم المقابل كما فى المرآه.

٣ يستلزم تحقق الرؤيه أن تنعكس صورته المرئى على العين.

٤ أو أن تكون الرؤيه بواسطه خروج شعاع مخروطى الشكل فيقع على المرئى.

وبناء على ما تقدم من الأقوال جميعاً يلزم أن يكون المرئى جسماً محدوداً ذا أبعاد مختلفه كالطول والعرض والعمق، كما يلزم منها أن يكون واجب الوجود ممكناً له كل صفات الممكنات، فينتفى الكمال المطلق له تعالى ويتصف بالنقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وبعد أن حكم العقل السليم بعدم صحه القول برؤيته تعالى بالبصر لا بد أن نؤيد حكم العقل بما جاء فى الكتاب الكريم، وبما صرح به لسان العصمه من أحاديث محمد وآل محمد صلوات الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

الآيات الكريمة

قال الله تبارك وتعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (١).

وقوله تعالى:

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (٢).

وقال سبحانه وتعالى:

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (٣).

١- سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

٢- سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

وقوله تعالى:

(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (١).

وبهذه الباقه العطره من الآيات الكريمه التي تفند مدعى الرؤيه البصريه نكتفى بالرد على من يقول بجواز رؤيته تعالى بالبصر.

الأحاديث الشريفه

ما نطق به لسان أهل الذكر، وما صرحت به كلماتهم عليهم السلام يرشدنا إلى صحه ما حكم به العقل من رفض التجسيم لله تعالى ورفض الرؤيه البصريه التي تستلزم التجسيم، ولكي تنشرح الصدور بأحاديثهم النورانيه نذكرها كالاتى:

١ ورد عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً فى مسجده إذ دخل عليه رجل من اليهود فقال: يا محمّد ما تدعو؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله».

قال: يا محمّد أخبرنى عن هذا الربّ الذى تدعو إلى وحدانيته وتزعم أنّك رسوله كيف هو، قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا يهودى إنّ ربّى لا يوصف بالكيف لأنّ الكيف مخلوق وهو مكيفه».

قال: فأين هو؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ ربّى لا يوصف بالأين لأنّ الأين مخلوق وهو أينه».

قال: فهل رأيتَه يا محمّد؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«إنّه لا يرى بالأبصار ولا يدرك بالأوهام».

قال: فبأى شيء نعلم أنّه موجود؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«بآياته وأعلامه».

قال: فهل يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

«يا يهودى إنّ ربّى ليس بحالٍ ولا محلّ».

قال: فكيف خروج الأمر منه؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«ياحداث الخطاب فى المحالّ».

قال: يا محمّد أليس الخلق كلّ له؟! قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«بلى».

قال: فبأى شيء اصطفى منهم قوماً لرسالته؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«بسبقتهم إلى الإقرار بربوبيّته».

قال: فلم زعمت أنّك أفضلهم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«لأنّى أسبقهم إلى الإقرار بربّى عزّ وجلّ».

قال: فأخبرنى عن ربّك هل يفعل الظلم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«لا».

قال: ولم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«لعلمه بقبحه واستغناؤه عنه».

قال: فهل أنزل عليك فى ذلك قرآناً يتلى؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«نعم: إنه يقول عز وجل:

(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (١).

ويقول تبارك وتعالى :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) (٢).

ويقول سبحانه وتعالى :

(وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ) (٣).

ويقول عزّ وجلّ :

(وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) (٤).

قال اليهودى: يا محمّد فإن زعمت أن ربّك لا يظلم فكيف أغرق قوم نوح عليه السلام وفيهم الأطفال؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

«يا يهودى إنّ الله عزّ وجلّ أعقم أرحام نساء قوم نوح أربعين عاماً فأغرقهم حين أغرقهم ولا- طفل فيهم، وما كان الله ليهلك الذرّيه بذنوب آبائهم، تعالى عن الظلم والجور علوّاً كبيراً».

قال اليهودى: فإن كان ربّك لا يظلم فكيف يخلّد في النار أبد الأبدى من لم يعصه إلاّ أياً معدوده؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«يخلّده على نيتته، فمن علم الله نيتته أنّه لو بقى فى الدنيا إلى انقضائها كان يعصى الله عزّ وجلّ يخلّده فى نارهِ على نيتته، ونيتته فى ذلك شرّ من عمله، وكذلك يخلّد من يخلّد فى الجنّة بأنّه ينوى أنّه لو بقى فى الدنيا أيامها لأطاع الله أبداً، ونيتته خير من

١- سورة فصلت، الآية: ٤٦.

٢- سورة يونس، الآية: ٤٤.

٣- سورة آل عمران، الآية: ١٠٨.

٤- سورة غافر، الآية: ٣١.

عمله، فبالتيات يخلد أهل الجنّه فى النار وأهل النار فى النار، والله عزّ وجلّ يقول:

(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا) (١).

قال اليهودى: يا محمّد إنى أجد فى التوراه أنه لم يكن لله عزّ وجلّ نبىّ إلاّ كان له وصىّ من أمته فمن وصيِّك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا يهودى وصيّى علىّ بن أبى طالب عليه السلام واسمه فى التوراه أليا وفى الإنجيل حيدار، وهو أفضل أمتى وأعلمهم برّبى، وهو منى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنه لا نبىّ بعدى، وأنه لسيد الأوصياء كما أنى سيد الأنبياء».

فقال اليهودى: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله وأنّ علىّ بن أبى طالب وصيِّك حقًا، والله إنى لأجد فى التوراه كلّ ما ذكرت فى جواب مسائلى، وإنى لأجد فيها صفتك وصفه وصيِّك، وأنه المظلوم ومحتوم له بالشهادة، وأنه أبو سبطيك وولديك شبراً وشبيراً سيدي شباب أهل الجنه (٢).

٢ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (جاء حَبْرٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّيك حين عبدته؟ فقال عليه السلام:

«ويلك ما كنت أعبد ربّاً لم أره».

قال: وكيف رأيتة؟ قال عليه السلام:

«ويلك لا تدركه العيون فى مشاهدته الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان» (٣).

٣ ومن الروايات التى تبين أن القول بالرؤية البصريه يجر إلى التشبيه المحال

١- سورة الإسراء، الآية: ٨٤.

٢- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٣٨٦ ٣٨٧ فى الهامش.

٣- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ١٠٦، ح ٦.

والباطل قول الإمام أبي الحسن الثالث عليه السلام: (عن أحمد بن إسحاق، قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤيه وما فيه الناس فكتب عليه السلام:

«لا- تجوز الرؤيه ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء وعدم الضياء بين الرائي والمرئي لم تصح الرؤيه وكان في ذلك الاشتباه لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤيه وجب الاشتباه وكان في ذلك التشبيه، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات».

٤ وهذه الروايه تكذب من افتري على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه رأى ربه بالبصر فيقول: (عن ابن فضال، عن أبي جميله، عن محمد بن عليّ الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ:

(يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) (١).

قال:

«تبارك الجبار».

ثم أشار إلى ساقه فكشف عنها الإزار، قال:

«ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون».

قال:

«أفحِم القوم ودخلتهم الهَيِّيه، وشخصت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، خاشعه أبصارهم ترهقهم ذلّه وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» (٢).

وهناك الكثير من الروايات التي تركناها لتجنب الوقوع في الإطاله.

١- سورة القلم، الآية: ٤٢.

٢- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ١٤٩ ١٥٠.

الرؤية القلبية

لا- تخلو الرؤية من أحد المعنيين، المعنى الحقيقي أو المعنى المجازى لها، فإن كان مرادنا من الرؤية المعنى الحقيقي لها فهي بمعنى الإدراك الحسي أى الرؤية البصريه، وإن كان مرادنا المعنى المجازى لها فهي بمعنى الإدراك العلمى التام أى الرؤية بالبصيره أو ما يسمى بالرؤية القلبية، وقد تقدم بطلان الرؤية بالمعنى الأول عقلاً ونقلاً، فتنحصر الرؤية بالمعنى الثانى ولهذا نقول:

إن عظمه الحق سبحانه تتجلى فى ذاته وصفاته وأفعاله، وحيث إن الذات الإلهيه لا- يحاط بها لإحاطتها بكل شىء فلذا عجز المخلوق مهما ارتفعت رتبته وعلت مكانته وسمى فوق غيره من أن ينال الذات الإلهيه أو يعرف كنهها وهذا ما أكده الإمام أبو جعفر عليه السلام بقوله: (عن محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن على بن رثاب، عن أبى بصير، قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي اللَّهِ لَا يَزِيدُ صَاحِبَهُ إِلَّا تَحْيِرًا».

وفى روايه أخرى عن حريز، قال عليه السلام:

«تَكَلَّمُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ»(١).

والنظر فى ذات الله تعالى يودى إلى وقوع الناظر فى التيه والضلال والاضطراب كما فى هذا الحديث:

(عن محمد بن حمران، عن أبى عبيده الحذاء قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«يَا زِيَادُ، إِيَّاكَ وَالْخُصُومَاتِ فَإِنَّهَا تُورِثُ الشَّكَّ وَتُجَبِّطُ الْعَمَلَ وَتُزِدِي صَاحِبَهَا وَعَسَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالشَّيْءِ فَلَا يُعْفَرُ لَهُ، إِنَّهُ كَانَ فِيمَا مَضَى قَوْمٌ تَرَكُوا عِلْمَ مَا

١- أصول الكافى للشيخ الكلينى: ج ١، ص ١١٤، باب التهى عن الكلام فى الكيفيه، ح ١.

وَكُلُّوا بِهِ وَطَلَّبُوا عِلْمَ مَا كُفُّوا حَتَّى اتَّهَى كَلَامُهُمْ إِلَى اللَّهِ فَتَحَيَّرُوا حَتَّى أَنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُدْعَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيَجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ وَيُدْعَى مِنْ خَلْفِهِ فَيَجِيبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ».

وفى روايه أخرى:

«حَتَّى تَاهُوا فِي الْأَرْضِ» (١).

بل إن المفكر في ذات الله تعالى الذي يبغى الإحاطه بها جاهل محض وعاجز ضعيف وسيقوده تفكيره في ذلك إلى عاقبه سيئه كما في قول الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«مَنْ نَظَرَ فِي اللَّهِ كَيْفَ هُوَ، هَلَكَ» (٢).

فلذا أبا الإمام أبو جعفر عليه السلام إلا أن يرشدنا وينصحننا رعايه منه لنا ورحمه منه بنا بقوله:

«إِيَّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى عَظَمَتِهِ فَانظُرُوا إِلَى عَظِيمِ خَلْقِهِ» (٣).

وبعد هذه الجوله في أحاديث أهل العصمه والطهاره عليهم السلام صار لابد لنا أن نتأمل فيها يامعان ونستلهمها بقوه ونسترشد بها بدقه لكي نصل إلى اطمئنان القلب وسكون النفس وخضوع الجوارح ونسلم بأن رؤيه الله تعالى لا تتم من خلال الحواس، ولا تتحقق رؤيه الذات الإلهيه إلا من خلال النظر في عظمتها وصفاتها، فبناء على ما تقدم لا تكون الرؤيه إلا بالبصيره، ولا تتحقق إلا الرؤيه القلبيه وهذا ما تؤكداه الأحاديث والروايات الشريفه التي سنقف على مضامينها الآتيه:

- ١- أصول الكافي للكليني: ج ١، ص ١١٥، باب النهي عن الكلام في الكيفيه، ح ٤.
- ٢- أصول الكافي للكليني: ج ١، ص ١١٥، باب النهي عن الكلام في الكيفيه، ح ٥.
- ٣- أصول الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١١٦، باب النهي عن الكلام في الكيفيه، ح ٧.

١ فى هذا الحديث الشريف يؤكد الإمام عليه السلام على عدم إمكان تحقق الرؤيه البصريه لجلال الله تعالى عن صفات الأجسام، كما يؤكد على حصول الرؤيه القلبيه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَى رَسُوْلَهُ بِقَلْبِهِ مِنْ نُورٍ عَظَمَتْهُ مَا أَحَبَّ» (١).

٢ وحديث الإمام أبى جعفر عليه السلام يشير إلى أن الرؤيه القلبيه تتحقق لكل مؤمن عالم عارف بربه من خلال نظره فى آيات الله تعالى الأنفسيه والآفاقيه، فيقول: (عن على بن معبد، عن عبد الله بن سنان، عن أبيه قال: حضرت أباً جعفر عليه السلام فدخل عليه رجلٌ من الخوارج فقال له: يا أباً جعفر، أى شىء تعبد؟ قال عليه السلام:

«الله تعالى».

قال: رأيتُه؟ قال عليه السلام:

«بَلْ لَمْ تَرَهُ الْعَيُونَ بِمَشَاهِدِهِ الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، لَا يَعْرِفُ بِالْقِيَاسِ وَلَا يَدْرِكُ بِالْحَوَاسِ، وَلَا يَشْبَهُ بِالنَّاسِ، مَوْصُوفٌ بِالْآيَاتِ، مَعْرُوفٌ بِالْعَلَامَاتِ، لَا يَجُورُ فِي حِكْمِهِ، ذَلِكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ».

قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته (٢).

٣ بين الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام أن رؤيه الذات الإلهيه لا يمكن تتحققها بالبصر ولا بالبصيره معاً لمحدوديه الرائي وقصوره عن إدراك الذات اللامتناهيه، فلذا قال: (عن أحمد بن محمد، عن أبى هاشم الجعفرى، قال سألت أباً الحسن الرضا عليه السلام: عن الله يوصف؟ قال عليه السلام:

«أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟».

١- أصول الكافي للكليني: ج ١، ص ١١٤، باب فى إبطال الرؤيه، ح ١.

٢- أصول الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١١٩، باب فى إبطال الرؤيه، ح ٥.

قُلْتُ: بلى، قال عليه السلام:

«أما تقرأ قوله تعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)

قلت: بلى، قال عليه السلام:

«فتعرفون الأبصار؟».

قُلْتُ: بلى، قال عليه السلام:

«ما هي؟».

قلت: أبصار العيون، فقال عليه السلام:

«إنَّ أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام»^(١).

وهناك الكثير من الروايات التي تؤكد هذا المعنى لجمنا عنها قلمنا لكي لا نقع في الإطاله.

ما هو سبب شبهه الرؤيه؟

إن الذين قالوا بجواز رؤيته تعالى بالبصر وقعوا في شبهه التجسيم بسبب فهمهم الخاطئ للآيات الكريمة، وبسبب ابتعادهم عن نهج العتره الطاهره والثقل الأصغر، فقادهم هذا الابتعاد إلى التعامل مع الآيات الكريمة بسطحيه وبساطه فى الفهم، ودفعم إلى الجمود على ظواهر الآيات الكريمة وهذا بدوره أدى إلى صدور أفكار مخالفه للعقل وأقوال تتقاطع مع النصوص الصريحه فى تنزيه الحق سبحانه كقوله تعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) ^(٢).

١- أصول الكافي: ج ١، ص ١٢٠، باب فى قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)، ح ١٠.

٢- سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

وقوله تعالى:

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (١).

وقال سبحانه وتعالى:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (٢).

وقد ترك هذا الفهم السطحي والخاطيء تركه فكريه ثقيله على عقول بعض طوائف المسلمين وهذا ما نلمسه من الحديث الآتي:

عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى قال: سألتني أبو قره المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قره: إنا روينا أن الله قسم الرؤيه والكلام بين نبين، فقسم الكلام لموسى ولمحمد الرؤيه، فقال أبو الحسن عليه السلام:

«فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)، و(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)، و(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).

أليس محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟».

قال: بلى. قال عليه السلام:

«كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعا فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: (لا تدركه الأبصار)، و(لا يحيطون به علما)، و(ليس كمثل شئ)، ثم يقول: أنا رأيت به عيني وأحطت به علما وهو على صورته البشر، أما

١- سورة طه، الآية: ١١٠.

٢- سورة الشورى، الآية: ١١.

تستحون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر».

قال أبو قره: فإنه يقول:

(وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَلَهُ أُخْرَى) (١).

فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إن بعد هذه الآيه ما يدل على ما رأى حيث قال:

(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)

يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأته عيناه، ثم أخير بما رأى فقال:

(لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (٢).

فآيات الله غير الله وقد قال الله:

(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا).

فإذا رآته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة».

فقال أبو قره: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إذا كانت الروايات مخالفه للقرآن كذبتها، وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً ولا تدركه الأبصار وليس كمثلها شيء» (٣).

فمن هذا الحديث الذي سقناه إليكم تظهر بعض الإرشادات التي أفاض بها الإمام عليه السلام على السائل لكي يضع قدمه على الصراط المستقيم، ويرتفع اللبس عن عقله وتثار ظلمه أفكاره بنور الإمام عليه السلام وهي كما يلي:

١- سورة النجم، الآيه: ١٣.

٢- سورة النجم، الآيه: ١٨.

٣- أصول الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١١٧، ١١٨، باب في إبطال الرؤيه، ح ٢.

١ فى حاله وجود تقاطع مع كلام الله تعالى يقدم كلام الله تعالى على غيره من الكلام وإن كان منسوباً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ يؤكد الإمام عليه السلام للسائل أن حديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يناقض القرآن الكريم كون مصدرهما واحداً وهو نفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

٣ ثم يفسر الإمام عليه السلام الآيات تفسيراً يدفع شبهه الرؤيه البصريه عن نهم السائل الذى أوسر عقله بفهم خاطئ للآيه.

معنى الإدراك الإلهى

ورد قوله تعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) (١).

كعباره على لسان الإمام الحسن عليه السلام يصف بها ربه سبحانه، ولكى نقف على معنى هذه العبارة لابد أن نعرف معنى الإدراك.

الإدراك فى اللغة: أدرك الشىء: بلغ علمه أقصى الشىء (٢).

الإدراك فى الاصطلاح: هو علمه تعالى بالمدركات والإحاطه بها.

إذا طلع الإنسان على أمر ما فى الواقع الخارجى يدركه بأحد حواسه الخمس، أمّا من خلال البصر أو السمع أو الذائقه أو اللمس أو الشم فيستطيع أن يصفه بحسب علمه الحسى لذلك الشىء المحسوس، لكن الإدراك بالنسبه لله تعالى لا يمكن أن يكون كذلك لتتزهه تعالى عن الحواس، فيكون إدراكه تعالى للأشياء المدركه هو علمه بها دون اشتباه أو التباس أو خطأ، وكيف لا يدرك المحسوسات وغيرها وهو الذى أحاط بكل شىء علماً؟

١- سورة الأنعام، الآيه: ١٠٣.

٢- المعجم الوسيط: ص ٢٨١.

وهو اللطيف الخبير

اللطيف

للطيف معنيان هما:

اللطيف: (من أسماء الله الحسنى البر بعباده الرفيق بهم والعالم بخفايا الأمور ودقائقها.

اللطيف: الصغير، الرقيق، ألطف فلانا بكذا: أتحنفه وبزّه.

استلطف الشيء: قربه منه وألصقه بجنبه.

اللطف: الرفق، الهدية، يقال: أهدى إليه لطفًا، وما أكثر تحفه وألطفه.

اللطيف: من قبل الله تعالى: التوفيق العصمه(١).

فلو تأملنا هذه المعاني لكلمه (اللطيف، اللطف) لانطبقت بعضها على صفته تعالى، فهو الرفيق بعباده الحنان الذى يرأف بعبده أكثر من رأفه الوالدين بالصغير، وهو الذى يغدق على عبده بعطاياه ومنحه ونعمه، ويتقرب إلى صالحهم ويوفقه ويحول بينه وبين الآثام والخطايا رحمه وحباً وتفضلاً.

فالله تعالى لطيف بالمعنى الذى يليق بشأنه سبحانه، كما أنه تعالى منزّه عن معنى الصغير أو الرقيق التى هى من معانى صفات الممكنات المحدوده العاجزه.

وهناك معنى آخر يتضح من خلاله اسم اللطيف: وهو أن الله تعالى خلق خلقاً فى غاية الصغر والدقه واللطافه وقد أحاط به علما فلذا سمي باللطيف وهذا ما تؤكد الروايات الشريفه:

ورد عنه عليه السلام:

«إن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه ما العباد مقرّفون فى ليلهم ونهارهم، لطف به خيرا وأحاط به علما».

ورد عنه عليه السلام:

«لا إله إلا الله اللطيف بمن شرد عنه من مسرفى عباده ليرجع عن عتوه وعناده».

عن الإمام الحسن عليه السلام:

«ربنا اللطيف بلطف ربوبيته».

عن الإمام الصادق عليه السلام:

«سميناه، لطيفا للخلق اللطيف ولعله بالشىء اللطيف ما خلق من البعوض والذره، وما هو أصغر منها لا- يكاد تدركه الأبصار والعقول، لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته، لا- يعرف من ذلك لصغر الذكر من الأنثى، ولا الحديث المولود من القديم الوالد، فلما رأينا لطف ذلك فى صغره وموضع العقل فيه والشهوه للفساد، والهرب من الموت، والحدب على نسله من ولده، ومعرفه بعضها بعضا، وما كان منها فى لجج البحار، وأعنان السماء، والمفاوز والقفار، وما هو معنا فى منزلنا، ويفهم بعضهم بعضا من منطقتهم، وما يفهم من أولادها ونقلها الطعام إليها والماء، علمنا أن خالقها لطيف، وإنه لطيف بخلق اللطيف».

عن الإمام الرضا عليه السلام:

«وأما اللطيف فليس على قلبه وقضاهه (دقه) وصغره، ولكن ذلك على النفاذ فى الأشياء، والامتناع من أن يدرك، كقولك للرجل لطف عنى هذا الأمر ولطف فلان فى مذهبه، وقوله يخبرك أنه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلطفًا لا يدركه الوهم، فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدركه بحد أو يحد بوصف، واللطافه منا الصغر والقله، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى».

وهناك الكثير من الروايات التى تؤكد نفس المعنى لكلمه اللطيف الذى ورد فى الروايات المبينه أعلاه.

الخبير

جاء المعنى اللغوي لاسم الخبير بمعنى: اسم من أسماء الله عز وجل، وهو العالم بما كان وما يكون، وذو الخبره الذى يخبر الشئ بعلمه وفى التنزيل العزيز (فاسأل به خبيراً) (١).

فالله تعالى هو واجب الوجود الذى اتصف بصفات كماله مطلقه كالعلم والإحاطه بكل شئ، وهو الذى لا يعزب عنه شئ ولا يفوته مهما دق وصغر واختفى، وهو الذى يعلم السر وأخفى، مما يدل على إحاطه علمه بحقيقه الأشياء وبظواهرها وباطنها وهذا ما أكده الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«وأما الخبير فالذى لا يعزب عنه شئ ولا يفوته، ليس للتجربه ولا للاعتبار بالأشياء، وأما فى بعض المصادر: فتفيدة التجربه والاعتبار علما لولاها ما علم؛ لأن من كان كذلك كان جاهلا، والله تعالى لم يزل خبيراً بما يخلق، والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى» (٢).

وعنه أيضا عليه السلام:

«لم يكن قوام الخلق وصلاتهم إلا بالإقرار منهم بعلم خبير، يعلم السر وأخفى، أمر بالصلاح، ناه عن الفساد» (٣).

وتشير الأحاديث التى سبق ذكرها إلى خبرته التى هى بمعنى الإحاطه التامه بما خلق لا عن تجربه أو اعتبار كما يحصل ذلك فى البشر، كما أن خبرته لم تكن عن تعلم لرفع جهل أو تدريب لصقل موهبه.

١- المعجم الوسيط: ص ٢١٥.

٢- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج ٤، ص ٢٠١، ح ٤٥٥٤.

٣- المصدر السابق: ح ٤٥٥٥.

استخلص الوجدانيه والجبروت

عند الوقوف على هذه العبارات الحسينيه التي نطق بها لسان العصمه، وصرح بها عقل الإمامه تلمس المعاني الملكوتيه التي تسمو بسامعها إلى سحاب الحكمة وشمس الحقيقه الإلهيه التي تحار العقول في معرفه كنهها وتعجز الأبواب عن الإحاطه بها، وأنى لغير عنوان العصمه وسليل النبوه ومعدن العلم أن يقف على عمق هذه المفردات؟ إلا أن ذلك لا يمنع عن بيان ما وصلت إليه الأفهام وأدر كته العقول فأقول:

تقدم بيان المعنى اللغوى لمفرده الوجدانيه فى شرح المعنى العام، فلذا نعطف الكلام على بيان المعنى الاصطلاحي للمفرده فتأتى الوجدانيه بعده معانى كلها تنطبق على الذات المقدسه، فتاره بمعنى لا نظير له ولا شبيهه، وأخرى بمعنى الذات البسيطة التي لا تركيب فيها ولا أجزاء لها، وثالثه بمعنى المعبود الذى لا معبود سواه، ويترسخ معنى الوجدانيه فى عقولنا.

عندما نتأمل هذا الكون الفسيح وهذه الموجودات الممكنه التي تنصور كأنها مجموعه واحده لما فيها من ارتباط وتناسب وهذا بدوره يدل على أن صانعها ومدبرها واحد لا أحد سواه، وعند التفكير والنظر فى معنى الإله لا يظهر لنا إلا معنى واحداً وهو أن الإله هو الموجود الغنى مطلقاً، وهذا المعنى ينفى بدوره تعدد الإله، ولكى ندرك المعنى لا بد من توضيح البرهانين فنقول: (وجدت فى هذا الكون موجودات مرتبطه بعضها ببعض أى لا تستطيع الاستغناء عن بعضها البعض فلو ضربنا مثلاً نقول: لكى يتغذى الإنسان لا بد من وجود نبات مثمر وهذا النبات يحتاج إلى أرض وماء وهواء وعوامل أخرى لكى يعطى ثماره وإلا لو فقد عامل من هذه العوامل لما وجد النبات ولما تغذى الإنسان ولما تحققت غايه الخلقه التي هى العباده لله الواحد الأحد (وما خلقت الجن والإنسان إلا ليعبدون) فيظهر مما تقدم لا بد من وجود ترابط بين الموجودات بل هو من سماتها دل هذا بدوره على أن صانعها ومدبرها واحد لا أحد

سواه تعالى، وإلا للزم التعارض والتدافع والفساد كما فى قوله تعالى:

(قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَغُوا إِلَىٰ ذَى الْعَرْشِ سَبِيلًا) (١).

وقوله تعالى:

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (٢).

وأما لبيان البرهان الثانى نقول: لو فرضنا تعدد الآلهه للزم من فرضنا وجود جهات اختلاف بينهم، أى يتصف أحدهم بصفه غير موجوده عند غيرهم فيلزم من ذلك الحاجه ويلزم من الحاجه الفقر وهذا خلاف صفات الإله الذى هو غنى مطلق، ومن جهه أخرى لو قلنا بتعدد الآلهه للزم وجود الفواصل بينهم وهذا يؤدى بدوره إلى تعدد القدماء إذ إن الإله يتصف بالقدم فيلزم أن يكون الفاصل بينه وبين الإله الآخر قديماً أيضاً فيتعدد القدماء ويتسلسل الفواصل وحيث إن التسلسل باطل كما هو ثابت فى محله إذن يلزم من ذلك عدم التعدد ومن عدم التعدد يلزم القول بالوحدانيه.

ويؤيد ما تقدم من بيان ما جاء فى القرآن الكريم من آيات كريمه نذكرها كما يلى:

١ قال الله تبارك وتعالى:

(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (٣).

٢ قال البارى عز وجل:

(وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِنِّي آتَىٰ فَاذْهَبُونَ) (٤).

١- سورة الإسراء، الآية: ٤٢.

٢- سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

٣- سورة البقره، الآية: ١٦٣.

٤- سورة النحل، الآية: ٥١.

٣ قال الله سبحانه وتعالى:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) (١).

٤ قال الله تبارك وتعالى:

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَآهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (٢).

٥ قال الله عز وجل:

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (٣).

كما يؤكد ذلك ما ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وهي كما يلي:

١ عن إسحاق بن غالب، (عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض خطبه:

الحمد لله الذي كان في أوّليته وحيّدانيّاً، وفي أزليّته متعظماً بالالهية، متكبراً بكبريائه وجبروته ابتداءً ما ابتدع، وأنشأ ما خلق على غير مثالٍ كان سبق بشيءٍ ممّا خلق، ربّنا القديم بلطف ربوبيّته وبعلم خبره فتق وياحكام قدرته خلق جميع ما خلق، وبنور الإصباح فلق، فلا- مبدّل لخلقه، ولا- معيّر لصنعه، ولا- معقّب لحكمه، ولا- راّد لأمره، ولا- مستراح عن دعوته ولا زوال لمملكه، ولا انقطاع لمدّته، وهو الكينون أوّلاً والديموم أبداً، المحتجب بنوره دون خلقه في الأفق الطامح، والعزّ الشامخ والملك الباذخ، فوق كلّ شيءٍ علا، ومن كلّ شيءٍ دنا، فتجلّى لخلقه من غير أن يكون يُرى، وهو بالمنظر الأعلى، فأحبّ الاختصاص

١- سورة الشعراء، الآية: ٢١٣.

٢- سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

٣- سورة التوحيد، الآية: ١.

بالتوحيد إذ احتجب بنوره، وسما في علوه، واستتر عن خلقه، وبعث إليهم الرسل لتكون له الحجة البالغة على خلقه ويكون رسله إليهم شهداء عليهم، وابتعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حي عن بينه، وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه فيعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروا ويؤخدوه بالإلهية بعد ما عضدوا»^(١).

٢ وصيته من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام عند إنصرافه من صفين، وقد جاء فيها:

«... واعلم يا بنى! أنه لو كان لربك شريك لأتتكَ رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته.

ولكنه إله واحد كما وصف نفسه، لا- يضاده في ملكه أحد، ولا يزول أبداً، أول قبل الأشياء بلا أوليه، وآخر بعد الأشياء بلا نهايه...»^(٢)^(٣).

٣ حدّثنا أبي؛ وعبد الواحد بن محمد بن عبّدوس العطار رحمهما الله، قالاً: حدّثنا علي بن محمد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن محمّد بن أبي عمير، قال: (دخلت على سيّد موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله علمنى التوحيد فقال عليه السلام:

«يا أبا أحمد لا- تتجاوز فى التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره فى كتابه فتهلك واعلم أنّ الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبه ولا ولداً ولا شريكاً، وإنه الحيّ الّذى لا يموت، والقادر الّذى لا يعجز، والقاهر الّذى لا يغلب، والحليم الّذى لا يعجل، والدائم الّذى لا يبيد، والباقي

١- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٤٥ ٤٦، ح ٤.

٢- نهج البلاغه: قسم الرسائل، ص ٤٩، الوصيه رقم ٣١.

٣- العقائد الحقّه للسيد على الحسينى الصدر: ص ٤٨، ح ٢.

الَّذِي لَا يَفْنَى، والثَّابِت الَّذِي لَا يَزُول، والغَنَى الَّذِي لَا يَفْتَقِر، والعَزِيز الَّذِي لَا يَذَلُّ، والعَالَم الَّذِي لَا يَجْهَل، والْعَدْل الَّذِي لَا يَجُور، والجَوَاد الَّذِي لَا يَبْخُل، وإِنَّه لَا تَقْدَرُه العُقُول، وَلَا تَقَع عَلَيْهِ الأوهَام، وَلَا تَحِيط بِهِ الأَقْطَار، وَلَا يَحْوِيه مَكَان، وَلَا تَدْرِكُه الأَبْصَار وهو يَدْرِك الأَبْصَار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثل شىء وهو السميع البصير (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) وهو الأول العزى لا شىء قبله، والآخر الذى لا شىء بعده، وهو القديم وما سواه مخلوق محدث، تعالى عن صفات المخلوقين علواً كبيراً» (١).

٤ عن أبى هاشم الجعفرى، قال: سألت أبا جعفر الثانى عليه السلام ما معنى الواحد؟ قال عليه السلام:

«الَّذِي اجْتَمَعَ الأَلْسُن عَلَيْهِ بالتَّوْحِيد، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

(وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) (٢)» (٣).

٥ حدَّثنا محمَّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانى رضى الله عنه، قال: حدَّثنا محمَّد بن سعيد بن يحيى البزورى، قال: حدَّثنا إبراهيم بن الهيثم البلدى، قال: حدَّثنا أبى، عن المعافى بن عمران، عن إسرائيل، عن المقدم بن شريح بن هانىء، عن أبيه، قال: (إنَّ أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين أتقول إنَّ الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه، قالوا: يا أعرابى أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

١- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٧٤، ح ٣٢.

٢- سورة لقمان، الآية: ٢٥.

٣- كتاب التوحيد للصدوق: ص ٨٠، ح ٢.

«دعوه، فإنّ الذي يريد الأعرابي هو الذي نريده من القوم».

ثمّ قال عليه السلام :

«يا أعرابي إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنّه كفر من قال: ثالث ثلاثة، وقول القائل: هو أحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه لأنّه تشبيه، وجلّ ربّنا عن ذلك وتعالى، وأما اللذان الوجهان يثبتان فيه فقول القائل: (هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربّنا، وقول القائل: إنّه عزّ وجلّ أحدى المعنى، يعنى به أنّه لا ينقسم في وجوه ولا عقل ولا وهم كذلك ربّنا عزّ وجلّ)»(١).

معنى الجبروت

جاء المعنى اللغوي للجبروت بمعنى القهر(٢)، والقهر يعنى الغلبه، والقهار اسم من أسماء الله الحسنى: الغالب لا- يحد غلبته شيء(٣)، والتأمل في هذه المعانى اللغويه يقودنا إلى معرفه أن الله تعالى غالب مهيمن له السلطه المطلقه لا ند ولا ضد له في ذلك، إذ لا- معنى أن يكون قهاراً ولقاهريته حدود أو يكون ذا جبروت ولجبروته انقطاع وتقهر بجبروت آخر وقاهريه أخرى، وحيث إنّنا نعلم أن القاهر صفة يمكن انطباقها على المخلوق فيشعر ذلك باشتراك الخالق والمخلوق في صفة القاهريه إلا أن القرآن الكريم نفى هذا الشعور كما في قوله تعالى:

١- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٨١، ح ٣.

٢- المعجم الوسيط: ص ١٠٥.

٣- المعجم الوسيط: ص ٧٦٤.

(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (١).

وقوله سبحانه وتعالى:

(وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) (٢).

وغيرها من الآيات الكريمة الأخرى التي تؤكد أن الله تعالى هو قاهر كل قاهر ومتسلط على جميع القاهرين وقاطع لقاهريه كل قاهر فلذا وصف بصفه المبالغه (القَهَّار) التي تقدم معناها في أول البحث، كما أن الآيات التي تشير إلى فقر الموجودات وحاجتها تؤكد أن هذه القاهريه التي يتصف بها الموجود هي قاهريه غير حقيقيه لأنها ناشئه من أقدار الله تعالى وتمكينه لهذا المخلوق القاهر، أى أن صفه القاهريه فى المخلوق جاءت من غيره وليس بالاستقلال بذاته، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (٣).

وقال سبحانه وتعالى:

(هِيَ أَنْتُمْ هُوَ لَأِ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (٤).

١- سورة الرعد، الآية: ١٦.

٢- سورة ص، الآية: ٣٨.

٣- سورة فاطر، الآية: ١٥.

٤- سورة محمد، الآية: ٣٨.

بل أن الآيات الكريمة تبين أن هذا الإنسان القاهر يحتاج إلى ربه في قاهرته حدوثا واستمراره كما في قوله تعالى:

(اللَّهُ لَمَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (١).

وقال البارى عز وجل:

(وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) (٢).

فمعنى (القيوم) فى الآيتين هو القائم بذاته والمقوم لغيره، فهو تعالى الذى أوجد الأشياء ودبرها وأدام بقاءها.

(وقد أثبت الله تعالى أصل القيام بأمر خلقه لنفسه فى كلمه حيث قال تعالى:

(أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) (٣).

وقال تعالى وهو أشمل من الآيه السابقه :

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٤).

فأفاد أنه قائم على الموجودات بالعدل فلا يعطى ولا يمنع شيئاً فى الوجود (وليس الوجود إلا الإعطاء والمنع) إلا بالعدل بإعطاء كل شىء ما يستحقه ثم بين أن

١- سورة البقره، الآيه: ٢٥٥.

٢- سورة طه، الآيه: ١١١.

٣- سورة الرعد، الآيه: ٣٣.

٤- سورة آل عمران، الآيه: ١٨.

هذا القيام بالعدل مقتضى اسميه الكريمين العزيز الحكيم، فبعزته يقوم على كل شيء وبحكمته يعدل فيه.

وبالجملة لما كان تعالى هو المبدأ الذى يتبدئ منه وجود كل شيء وأوصافه وآثاره لا مبدأ سواه إلا وهو ينتهى إليه، فهو القائم على كل شيء من كل جهه بحقيقه القيام الذى لا يشوبه فتور وخلل، وليس ذلك لغيره قط إلا بإذنه بوجه، فليس له تعالى إلا القيام من غير ضعف وفتور، وليس لغيره إلا أن يقوم به، فهناك حصران: حصر القيام عليه، وحصره على القيام، وأول الحصرين هو الذى يدل عليه كون القيوم فى الآيه خبرا بعد خبر لله (الله القيوم)، والحصر الثانى هو الذى تدل عليه الجملة التالیه أعنى قوله:

(سِنَّهُ وَلَا نَوْمٌ) (١)(٢).

فيظهر مما تقدم أن القاهريه الحقيقيه صفه لله تعالى وحده لا شريك له، أى أن الجبروت منحصر به تعالى قد استخلصه لنفسه، وما يؤيد ذلك أيضا عجز المخلوقات ومحدوديتها وفناؤها، كما فى قوله تعالى:

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) (٣).

المشيئه والإراداه

وقوله عليه السلام:

(وَأَمْضَى الْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ وَالْقُدْرَةَ الْعِلْمَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ).

خلق الله تعالى الخلق لغايه ذكرها فى كتابه الكريم كما فى قوله عز وجل:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (٤).

١- سورة البقره، الآيه: ٢٥٥.

٢- تفسير الميزان للسيد الطباطبائى: ج ٢، ص ٣٣٥.

٣- سورة الرحمن، الآيه: ٢٦.

٤- سورة الذاريات، الآيه: ٥٦.

ودبر شؤون خلقه ونهج لهم المناهج وشرع لهم الشرائع وأغدق عليهم البركات بإرادته ومشئته وبقدرته وعلمه، ولكي نقف على معنى قول الإمام الحسين عليه السلام (وَأَمْضَى الْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ وَالْقُدْرَةَ الْعِلْمَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ) لابد من معرفه معانى هذه المفردات ومفاهيمها.

الإمضاء فى اللغة: أمض الحكم والأمر: أنفذه(١).

الإرادة والمشئته: كلمتان لمعنى واحد كما ورد فى المعجم الوسيط(٢).

القدره: الطاقه: القوه على الشئ والتمكن منه(٣).

العلم: إدراك الشئ بحقيقته و اليقين نور يقذفه الله فى قلب من يحب(٤).

ولبيان المعنى التام لقوله عليه السلام نقول:

ثبت فى محله أن الله تعالى مرید والإرادته من صفاته إلا- أن هذه الإرادة تختلف عن الإرادة فى الإنسان لأنه تعالى ليس كمثلته شئ ولكى يتضح الفرق بين إرادته الإنسان وبين إرادته الله تعالى لابد من استعراض الأقوال فى معنى الإرادة فى الإنسان قبل ذلك.

الإرادة: كيفيه نفسانيه تشتمل عليها النفس البشريه كغيرها من الكيفيات النفسانيه والأقوال فيها ما يلى:

١ يرى المعتزله أن الإرادة هى اعتقاد النفع، ويلاحظ على هذا القول عدم تماميته لأن مجرد الاعتقاد بالنفع لا يكفى أن يكون داعياً للفعل لما نلاحظ من كثره من يعتقد النفع ولا يريد.

٢ وهناك قول آخر بأن الإرادة شوق نفسانى يقع فى النفس بعد الاعتقاد بالنفع،

١- المعجم الوسيط: ص ٨٧٥.

٢- المعجم الوسيط: ص ٥٠٢.

٣- المعجم الوسيط: ص ٧١٨.

٤- المعجم الوسيط: ص ٦٢٤.

وهذا القول لا يمكن الالتزام به لأننا نرى من يريد شيئاً ويحققه دون أن يكون لديه شوق إزاءه.

٣ وقول ثالث يشير إلى أن الإرادة كيفية نفسانية ولكن ليست هي الاعتقاد فقط أو هي الشوق كما تقدم بل هي القصد والعزم (١).

وما ورد من الأقوال في تفسير الإرادة لا يمكن انطباقه على إرادة الله تعالى لتنزهه عن الكيفيات النفسانية حيث إنها من صفات الممكن لا من صفات الواجب سبحانه ولكي يتضح الأمر نقول ما يلي:

لو قلنا إن الإرادة هي مجرد الاعتقاد بالنعف للزم من هذا القول أن الإرادة هي العلم والقطع بالنعف والحال أننا نجد أن هناك شيئاً يدفعنا إلى الفعل ليس هو العلم بالنعف فقط، ونجد كذلك أننا نعتقد بالنعف ولكن لا نترك إزاء تحصيله لعدم وجود إرادته لذلك وتفسير الإرادة بالشوق محال على الله تعالى لمعرفة أن الشوق من مقوله الانفعال التي تعالى الله عنها، وأما القول الثالث بأنها قصد وعزم يلزم منه الحدوث بعد العدم ويلزم من هذا التغيير في الذات الإلهية المقدسه التي تنزهت عن صفات الممكن.

حقيقه الإراده الإلهيه

بعد أن اتضح أن الإرادة بمعانيها التي تقدمت لا تنطبق على إرادة الله تعالى صار لابد لنا من بيان حقيقه الإراده الإلهيه التي لا تشبه إرادته المخلوق فنقول:

وردت أقوال عديده لأهل العلم في معنى الإراده نذكرها باختصار دفعاً للتوسع:

ألف: إرادته سبحانه علمه بالنظام الأصلح:

أى أن علمه بالنظام الأتم والأكمل هو عين إرادته فيلزم من هذا أن تكون الإراده هي عين العلم بالنظام وليس شيئاً غيره وهذا العلم هو الداعى للفعل لا شىء آخر.

باء: إرادته سبحانه ابتهاجه بفعله:

أى أنه تعالى خير محض فهو مبتهج بذاته ولأنه كذلك فهو مبتهج فى مرحله الفعل لأنه من أحب شيئاً أحب آثاره ولوازمه.

جيم: إرادته سبحانه إعمال القدره والسلطه:

المقصود من هذا أن إعمال القدره والسلطه على خلقه هى بعينها إرادته.

دال: إرادته سبحانه نسبه تماميه السبب إلى الفعل:

المقصود من هذا هو أن الفعل يكون مراداً له تعالى إذا اكتملت علله ومقتضياته(١).

هذه الأقوال هى أقوال الفريق الأول وما يراه الفريق الثانى فهو: (أن الإراده من الصفات الذاتيه وتجرى عليه سبحانه مع تجردها من صفات النقص والإمكان كالحادث والطروء والتدرج... الخ)(٢).

(ومعنى كونه مريداً أى فاعلاً مختاراً فى مقابل كونه فاعلاً مضطراً)(٣).

وأما لسان الروايات فإن إرادته تعالى هى فعله ليس إلا كما دلّت على ذلك الأحاديث الشريفه:

ألف: حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثنا الحسين بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حُمَيد، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: (قلت له: لم يزل الله مريداً؟ فقال عليه السلام:

«إنّ المرید لا يكون إلا لمرادٍ معه، بل لم يزل عالماً قادراً ثمّ أراد»)(٤).

١- كتاب الإلهيات للشيخ جعفر السبحانى: ص ١٦٨ ١٧٣.

٢- كتاب الإلهيات، جعفر السبحانى: ص ١٧٤.

٣- المصدر السابق.

٤- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ١٤١، ح ١٥.

باء: حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، قال: (قلت لأبى الحسن عليه السلام: أخبرنى عن الإرادة من الله ومن المخلوق، فقال عليه السلام:

«الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنّه لا يروى، ولا يهّم، ولا يتفكّر، وهذه الصفات منفيّة عنه، وهى من صفات الخلق، فإرادة الله هى الفعل لا غير ذلك يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّه ولا تفكّر، ولا كيفَ لذلك كما أنّه بلا كيفٍ» (١).

أسئلة مهمه فى الإراده

السؤال: ما هو الفرق بين إرادة العبد وإرادة الله تعالى؟

الجواب:

١ إرادة العبد يسبقها تفكير وتروى وهم، وإرادة الله تعالى منزّه عن ذلك بل هى فعله.

٢ إرادة العبد سابقه على الفعل، وإرادة الله تعالى فى مقام الفعل هى عين الفعل.

وهذا ما تؤكّد الروايه الشريفه:

قال أبو الحسن عليه السلام:

«الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنّه لا يروى، ولا يهّم، ولا يتفكّر، وهذه

الصفات منفية عنه، وهي من صفات الخلق، بإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر، ولا كيفَ لذلك كما أنّه بلا كيفٍ»(١).

السؤال: هل أن إرادة الله تعالى تلغى إرادة العبد واختياره؟

الجواب: أن إرادة الله تعالى لا تلغى إرادة العبد ولا تمنع اختياره وللتوضيح أقول:

إنه تعالى جعل العبد مستطيعاً فأمره فيما أمره ونهاه عما ليس فوق طاقته وهذا ما أشارت له الروايات الشريفة:

عن عبيد بن زرار، قال: حدّثني حمزه بن حُمران، قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة فلم يجبني، فدخلت عليه دخله أخرى فقلت: أصلحك الله إنّه قد وقع في قلبي منها شيء لا يخرجّه إلا شيء أسمع منه منك).

قال عليه السلام :

«فإنّه لا يضرك ما كان في قلبك».

قلت: أصلحك الله فأني أقول: إن الله تبارك وتعالى لم يكلف العباد إلا ما يستطيعون وإلا ما يطيقون، فإنهم لا يصنعون شيئاً من ذلك إلا بإرادة الله ومشيتته وقضائه وقدره؛ قال عليه السلام :

«هذا دين الله الذي أنا عليه وآبائي أو كما قال»(٢).

كما أن العدل الإلهي يقتضى أن يكون المكلف مستطيعاً لما كلف به وإلا يلزم التكليف بما لا يطلق فيلزم من ذلك الظلم، والله تعالى عادل لا يجور ولا يظلم.

١- كتاب التوحيد: ص ١٤٢، ح ١٧.

٢- كتاب التوحيد للصدوق: ص ٣٣٧، ح ٣.

قال الله تبارك وتعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) (١).

وقال تعالى:

(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (٢).

السؤال: كيف نفسر ما يصيب العبد من الأذى هل ياراده الله تعالى أم ياراده العبد؟

الجواب:

هناك أسباب ودواعٍ لوقوع الأذى على العبد نذكرها كالاتي:

١ قد يصيب العبد الأذى بسبب سوء فعله فيجزى بذلك كما صرحت الآيات والروايات كقوله تعالى:

(وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (٣).

وقوله تعالى:

(وَأَمَّا تَمْوُدُ فَهَدَيْتَاهُمْ فَاسْتَجَبُوا لِعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ الْعَذَابُ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٤).

١- سورة النساء، الآية: ٤٠.

٢- سورة الأنفال، الآية: ٥١.

٣- سورة الأنعام، الآية: ١٢٠.

٤- سورة فصلت، الآية: ١٧.

وقال تعالى:

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (١).

وقال البارى عز وجل فى سورة الشورى:

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (٢).

وهناك الكثير من الآيات التى تشير إلى أن بعض الأذى التى يصيب الإنسان هو بسبب فعله السيئ، وهذا لا يخرج عن إرادة الله تعالى.

وهناك الكثير من الروايات التى تؤكد أن بعض الآلام أو الآثار المؤذية هى بسبب سوء فعل الإنسان كما فى الروايات الآتية:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أوحى الله تعالى إلى أيوب هل تدرى ما ذنبك إلى حين أصابك البلاء؟ قال: لا.

قال: إنك دخلت على فرعون فداهنت فى كلمتين» (٣).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يجنى على المرء إلا يده» (٤).

٢ هناك بعض الأذى قد يصيب العبد دون أن يكون لإرادته دخل فى ذلك، كماصابته بمرض دون تقصير منه أو غير ذلك من الأمثلة الكثيره، بل قد يتعرض العبد لأنواع من الألم لا يتحملها إلا من صبر واحتسب، وهذا يتم بلحاظين:

١- سورة الروم، الآية: ٤١.

٢- سورة الشورى، الآية: ٣٠.

٣- الدعوات للراوندى: ١٢٣/٣٠٤. أنظر المداهنه: باب ١٢٧٥. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٤٠٠، ح ١٩١٢.

٤- نور الثقلين: ٤/٢٠٩/٧٧. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٤٠٢، ح ١٩١٣.

ألف: إمّا أن ذلك الأذى ابتلاء للعبد وإن كان تعالى عالما بما يؤول إليه الأمر إلا أن ذلك الابتلاء لكى تكون الحججه البالغه لله تعالى على الناس كما فى قوله تعالى:

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغُفُورُ) (١).

وقوله تعالى:

(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) (٢).

وورد أيضا فى الروايات الشريفه ما يشير إلى ذلك كما فى قول أبى عبد الله عليه السلام:

«ما من قبض ولا بسط إلا والله فيه المنّ والابتلاء» (٣).

وجاء فى كتاب التوحيد أيضا عن على بن إبراهيم بن هشان، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن، عن حمزه بن محمد الطيار، (عن أبى عبد الله عليه السلام:

«ما من قبض ولا بسط إلا والله فيه مشيّه وقضاء وابتلاء» (٤).

ولقد جاء هذا الابتلاء لكى يقع ما يعلمه الله تعالى من العبد وباختياره فيجزئ كل عامل بعمله ولا شك أن هذا الابتلاء يصنع فته مؤمنه صابره تكون قدوه لغيرها كما يحكى ذلك القرآن الكريم فى قصه نبي الله أيوب عليه السلام.

باء: قد يصاب العبد بأذى وآلام لا لذنّب اقترفه ولا للابتلاء والامتحان بل لكى ينال درجه ورتبه عاليه عند ربه كما حصل ذلك للإمام الحسين عليه السلام حيث

١- سورة الملك، الآية: ٢.

٢- سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

٣- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٣٤٤، باب الابتلاء والاختيار، ح ١.

٤- التوحيد للصدوق: ص ٣٤٤ ٣٤٥، ح ٢.

أصابه من الألم والأذى ما لا يستطيع أحد تحمله إلاّ المعصوم لكى ينال درجة ادخرها الله تعالى له كما فى حديث جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم:

«حبيبي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قدموا علىّ وهم مشتاقون إليك ، وإن لك فى الجنان لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة»(١).

وهذا ما تؤكده الروايات الشريفه كما فى قول هشام بن سالم عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال:

«إن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل».

ورواه سلمان بن خالد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إنه ليكون للعبد منزله عند الله فما ينالها إلا بإحدى خصلتين، إما بذهاب ماله أو ببلية فى جسده»(٢).

فيظهر من هاتين الروايتين وغيرهما أن هذا البلاء هو لطف إلهي يمنّ به الله تعالى على عباده ليوصلهم إلى مقاماتهم المحموده الساميه.

وللبلايا فوائد كثيره منها:

ألف: أن تكون المصائب دافعاً لتحرك القابليات ونهوض الهمم.

باء: أن تكون المصائب هزه لإيقاظ الغافلين المنغمسين فى لذائذ الدنيا لكى يرجعوا إلى بارئهم الحق سبحانه.

جيم: أن تكون المصائب سببا فى معرفه النعم وشكرها وتعظيمها كالعافيه لا تعرف قيمتها إلا بعد الإصابه بالمرض وهكذا.

وخلصه القول: إن أفعال العباد أمر بين الأمرين بين الجبر والتفويض الباطلين

١- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٤٤، ص ٣٢٨.

٢- الكافي للكلينى: ج ٢، ص ٢٥٧، ح ٢٣؛ وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٢٦٢، ح ٣٥٨٧.

أى أن الله تعالى جعل الاختيار لعباده فى الفعل والترك مع قدرته على منعهم عما يختارون وعلى جبرهم فيما يتركون، كما أنه أقدرهم على أفعالهم ولكن حد لهم الحدود ونهاهم عن القبائح، وبناء على هذا فإن إرادة العبد فى طول إرادة الله تعالى لا فى قبالتها.

وأما إرادته فى الطاعات فهى الأمر بها والرضا لها والمعاونه عليها، وإرادته فى المعاصى النهى عنها والسخط لها والخذلان عليها.

قدره الله تعالى

إشاره

تعريف القدره: هى الطاقه، القوه على الشىء والتمكن منه (١).

القدير: ذو القدره، وهو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضى الحكمه لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه، ولذلك لا يوصف به إلا الله تعالى.

تعريفها اصطلاحاً: هى المكنه على الفعل أو الترك، مع الاختيار والإراده (٢).

وهناك تعاريف أخرى لا تخرج عما ذكرناه لا حاجه لذكرها.

وإن القدره التى يتصف بها الحق سبحانه لا بد أن تلازم الاختيار وإلا انقلب القادر إلى موجب أى مجبور على الفعل أو مجبور على الترك ولكى يتضح معنى القادر ومعنى الموجب لا بد من ذكر الفارق بينهما:

ألف: للقادر أن يفعل إذا شاء ذلك، وله أن يترك إذا شاء ذلك فى آن واحد وبالنسبه لشيء واحد، وأما الموجب ليس له أن يفعل إذا وجب عليه أن يترك، وليس له أن يترك إذا وجب عليه أن يفعل.

باء: للقادر العلم بما يقدم عليه قبل الإقدام وأثناءه، وليس للموجب ذلك.

١- المعجم الوسيط: ص ٧١٨.

٢- بدايه المعرفه: ص ١٠١.

جيم: فعل القادر يجوز أن يتأخر عن فاعله وجوداً، وليس للموجب ذلك حيث إن فعله لا ينفك عنه كالإحراق بالنسبه للنار.

وحيث إن من صفاته تعالى أنه قدير لا بد لنا من معرفه الدليل على ذلك، ومعرفه صحه هذه القدره، وهل هي من صفات الذات أم الفعل؟ وهذا ما سنتعرض له في بحثنا هذا بحسب الحاجه لذلك فنقول:

١ أمّا بالنسبه للدليل على قدرته تعالى فلدينا دليل عقلي وآخر نقلى نوردهما كالآتي:

الدليل العقلي وهو كما يلي:

ألف: دليل الفطره

تشهد الفطره السليمه على أن هناك قدره عليا نلجأ إليها عند وقوعنا في شدة أو أزمة لاسيما عند نفاذ الأسباب أو فقدانها، وهذا ما تلمسه النفس البشريه دون تعليم أو توجيه، فلذا نجد أن هناك ميلاً وانجذاباً في النفس تجاه قوه قاهره تستطيع إنقاذنا من الهلكه كما في حديث الإمام الصادق عليه السلام مع رجل يبحث عن وجود الله تعالى (١).

قال رجل: (يا ابن رسول الله دُلني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيروني، فقال الإمام عليه السلام:

«يا عبد الله هل ركبَت سفينه قطّ؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل كُسرَت بك حيث لا سفينه تنجيك ولا سباحه تغنيك؟».

١- الفوائد البهيه: ص ٨٨؛ ليل ركوب السفينه في ص ٦٥ من الكتاب.

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل تعلق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلّصك من ورطتك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى وعلى الإغاثه حيث لا مغيث»^(١).

باء: دليل النظام في الخلقه

يشير هذا الدليل إلى أن لهذا الوجود خالقا قادراً مختاراً استطاع أن يوجد بهذه الهيئه وبهذا الجمال من حيث الدقه والتنظيم والتناسب والإبداع.

قال الإمام أمير المؤمنين في خطبه له:

«أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً، بلا رويه أجالها، ولا تجربه استفادها، ولا حركه أحدثها، ولا همامه نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها وألزمها أشباحها عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهاؤها، عارفا بقرائنها وأحنائها، ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشق الأرجاء وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره، حمله على متن الرياح العاصفه، والزعرع القاصفه، فأمرها برده، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وأدام مربها، وأعصف مجراها وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار، وإثاره موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفتها بالفضاء، ترد أوله إلى آخره، وساجيه إلى

١- الفوائد البهيه في شرح عقائد الإماميه، الشيخ محمد جميل: ص ٨٨.

مآثره، حتى عب عبابه، ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتح، وجو منفهق، فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوبا وعليهن سقفا محفوظا، وسمكا مرفوعا، بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثم زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجا مستطيرا، وقمر منيرا، في فلكك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر»^(١).

جيم: قدره المخلوق دليل على قدره الخالق

إننا من خلال معرفتنا بأن المخلوقات الحيه قادره والقدره كمال لها، نعرف أن مفيض هذا الكمال لا بد أن يكون واجداً له غير فاقد لأن فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه، وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك»^(٢).

فيه إشارة صريحه إلى قدره الله تعالى التي تتجلى في هذه النفس البشريه من خلال جمال هذه الخلقه ومن خلال القدره التي أودعت فيها.

الدليل الثقلي على وجود القدره الإلهيه:

الآيات الكريمه الآتيه تشير إلى وجود القدره الإلهيه:

قوله تعالى:

(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) ^(٣).

١- نهج البلاغه، خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبه الأولى، ص ١٦ ١٨.

٢- التوحيد للصدوق: ص ١٢٣.

٣- سوره يس، الآية: ٨١.

وقال سبحانه وتعالى:

(وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ) (١).

وقوله عز وجل:

(فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لِقَادِرُونَ) (٢).

وقال الله تبارك وتعالى:

(يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣).

وقوله سبحانه وتعالى:

(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِثَّةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ لَبِثْتُمْ مِثَّةَ عَامٍ فَانظُرُوا إِلَى طَعَامِكُمْ وَشَرَابِكُمْ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرُوا إِلَى حِمَارِكُمْ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرُوا إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٤).

وغيرها من الآيات الكثيرة.

ألف: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام إذ يقول:

«لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته

١- سورة المؤمنون، الآية: ١٨.

٢- سورة المعارج، الآية: ٤٠.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٠.

٤- سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدوراً»(١).

باء: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام، هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضه من غير أن يصغر الدنيا أو يكبر البيضه؟ فقال عليه السلام:

«إن الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز»(٢).

وفي روايه أخرى قال عليه السلام:

«ويلك، إن الله لا يوصف بالعجز ومن أقدر ممن يلطف الأرض ويعظم البيضه»(٣).

وهناك أحاديث كثيره تدل على قدره الله تعالى راجع كتاب التوحيد باب القدره.

٢ أما بالنسبه إلى سعه هذه القدره نقول:

حكم العقل السليم بأن واجب الوجود له الصفات الكماليه ومن صفاته الكماليه أن يكون قادراً قدره لا حد لها ولا نهايه وإلا يلزم النقص والعجز والانقلاب إلى ممكن فقير محتاج، ولذا يجب الإذعان بعموم قدرته سبحانه وسعتها لكل ما هو ممكن، وهذا ما أيدته الآيات الكريمه والأحاديث الشريفه المتقدمه، ولا بأس بالإشاره إلى غيرها من الآيات والروايات كقوله تعالى:

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) (٤).

وقوله تعالى:

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) (٥).

١- كتاب الكافي للكليني: ج ١، ص ١٢٨، ح ١.

٢- كتاب التوحيد للصدوق: ص ١٢٦، ح ٩.

٣- كتاب التوحيد للصدوق: ص ١٢٦، ح ١٠.

٤- سورة الأحزاب، الآية: ٢٧.

٥- سورة الكهف، الآية: ٤٥.

وقال سبحانه وتعالى:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)(١).

وكقول الإمام الصادق عليه السلام:

«والأشياء له سواء علما وقدره وسلطانا وملكا وإحاطه»(٢).

وقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

«هو القادر الذي لا يعجز»(٣).

٣ أمّا بالنسبة إلى قدرته هل هي من صفات الذات أم الفعل؟ فنقول:

اجتمعت كلمه الإلهيين على أن قدره من صفات الله تعالى الذاتيه الكماليه كالعلم والحياء ولا يختلف اثنان على ذلك، ولا بأس بتوضيح بسيط لهذا، فنقول: يحكم العقل السليم باستحاله أن يصنع الصانع هذا الكون دون أن يتصف بالقدره، ويحكم كذلك بأن العجز نقص، ومحال أن يتصف به واجب الوجود لوجوب كماله، فيلزم من هذا أن القدره صفه كماليه ذاتيه، ومما يؤيد قولنا لهذا ما ورد عن أهل بيت العصمه عليهم السلام كقول الإمام أبي جعفر عليه السلام:

عن علي بن أبي حمزه، عن أبي بصير قال: (جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له: يا أبا جعفر أخبرني عن ربك متى كان؟ فقال:

«ويلك، إنما يقال لشيء لم يكن فكان: متى كان، إن ربي تبارك وتعالى كان لم يزل حياً بلا كيف، ولم يكن له كان ولا كان

١- سورة فاطر، الآية: ٤٤.

٢- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ١٢٩.

٣- كتاب التوحيد للصدوق: ص ١٧.

لكونه كيف، ولا كان له أين، ولا كان فى شىء، ولا كان على شىء، ولا ابتدع لكونه مكاناً ولا قوى بعد ما كَوّن شيئاً، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً مكوّناً، ولا كان خلوّاً من [القدره على] المُلْك قبل إنشائه، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه، لم يزل حياً بلا حياه، وملكاً قادراً قبل أن ينشئ شيئاً، وملكاً جباراً بعد إنشائه للكون، فليس لكونه كيف، ولا له أين، ولا له حدّ، ولا يعرف بشىء يشبهه، ولا يهزم لطول البقاء، ولا يصيغ لشىء، ولا يخوفه شىء، تصعق الأشياء كلّها من خيفته، كان حياً بلا حياه عاريه ولا كونٍ موصوف، ولا كيفٍ محدود، ولا أثر مقفوّ ولا مكان جاور شيئاً، بل حتى يعرف، وملك لم يزل له القدره والمُلْك، أنشأ ما شاء كيف شاء بمشيئته، لا يحدّ ولا يبعض، ولا يفنى، كان أولاً بلا كيف، ويكون آخراً بلا- أين، وكلّ شىء هالك إلا وجهه، له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين، ويلك أيّها السائل، إنّ ربّى لا تغشاه الأوهام، ولا تنزل به الشبهات، ولا يجار من شىء ولا يجاوره شىء ولا تنزل به الأحداث، ولا يسأل عن شىء يفعله، ولا يقع على شىء، ولا تأخذه سنه ولا نوم، له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى»(١).

وقول الإمام الرضا عليه السلام، عن محمد بن إسماعيل البرمكى قال: حدّثنا الحسين بن الحسن قال: (حدّثنا محمّد بن عيسى، عن محمد بن عرفه، قال: قلت للرضا عليه السلام خلق الله الأشياء بالقدره أم بغير القدره؟ فقال عليه السلام:

«لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدره لأنك إذا قلت: خلق الأشياء بالقدره فكأنك قد جعلت القدره شيئاً غيره، وجعلتها آله له بها خلق الأشياء،

وهذا شرك، وإذا قلت: خلق الأشياء بقدره فإتّما تصفه أنّه جعلها باقتدار عليها وقدره، ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولا محتاج إلى غيره»(١).

أسئلة في القدره

بعد أن عرفنا أن قدرته من صفات الذات وهي عين ذاته، كما عرفنا أن الذات الإلهيه ذات لا نقص فيها ولا عجز ووقفنا على سعه قدرته صار لا بد أن نسمع أسئلة السائلين ونجيب عليها إضافة لما تقدم:

السؤال: هل يقدر الله تعالى أن يخلق مثله؟

الجواب: المثل إمّا يكون واجباً أيضاً أو ممكناً، فإن كان واجبا يلزم اجتماع الضدين لأن ما فرضناه واجباً لا بد أن يكون قديماً وهذا المثل مخلوق فهو حادث فيلزم أن يكون هذا المثل واجبا وحادثاً في آن واحد ويتفرع على هذا أن يكون واجباً وممكناً لأنه خلق من قبل غيره، فإذا المثل محال والمحال باطل ليس بشيء والله تعالى تتعلق قدرته بالأشياء.

السؤال: هل أنه تعالى قادر على أن يدخل الدنيا في البيضه دون أن تكبر البيضه وأن نصغر الدنيا؟

الجواب: يلزم من هذا القول أن يكون الطرف الكبير في مظروف صغير، وهذا مرفوض بالبداهه لأن العقل السليم يحكم ببداهه وجوب كبر الطرف عن المظروف لكي يتحقق الاحتواء، ويلزم أيضاً أن يكون المظروف الكبير في داخل الطرف الصغير فيحصل اجتماع النقيضين، أي يكون المظروف الكبير صغيراً في آن واحد، ويكون الطرف الصغير كبيراً في آن واحد وهذا محال وقد تقدم عدم تعلق قدره الله تعالى بما هو محال لبطلانه وعدم شيئته.

السؤال: هل لله القدره على إيجاد شيء لا يقدر على إفنائه؟

الجواب: أيضا هذا من المحال لأن كل ممكن حادث وهو قابل للفناء، فكيف يكون حادثا ممكناً قابلاً للفناء وغير قابل للفناء، ويلزم من عدم فنائه انقلابه إلى واجب فيلزم المحال من ذلك.

وهناك الكثير من الأسئلة التي يجاب عنها بهذه الطريقة الواضحه.

وقوله عليه السلام:

(لا تتداوله الأمور، ولا تجرى عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث، ولا يقدر الواصفون كنه عظمته).

لا يكون الواجب إلا كاملا ولا كمال إلا ينفي النقص عن اتصف بالكمال وعلى هذا نقول:

لا- يليق بالإله الذى خلق ودبر وربى إلا أن يكون واجداً لصفات الكمال ومنزهاً عن كل نقص وقبيح، ومما يجب أن ينزه عنه تعالى هو أن لا- يكون محتاجا إلى الغير لا فى ذاته ولا فى صفاته، ولا يحتاج إلى المكان والزمان والكيفيه والأدوات والآلات، فهو الغنى المطلق والحق المبين لا يحتاج كل ما سواه إليه واستغنائه عن كل شيء، فالكمال ذاته وبالغنى ألوهيته وربوبيته وتدييره، وحيث إن واجب الوجود غنى كامل له الصفات العليا والأسماء الحسنى فهو منزه عن الأجزاء والتركيب لما فيها من نقص وفقر وحاجه، ومنزه عن كونه محلاً للتغيرات والحوادث كالنوم واليقظه أو الحركة والسكون أو القيام والقعود أو الكهوله والصبأ أو الشباب والشيب أو القوه والضعف أو النشاط والكسل أو الفرح والحزن أو الرضا والسخط لما فى ذلك من نقص وقبح وعجز وحاجه وفقر وحدوث، ومنزه عن الحلول والاتحاد فلا- يحل بغيره ولا يتحد به لما فى ذلك من حاجه إلى المحل وافتقار إلى الغير، ومنزه عن الجسم والجسمانيه والأبعاد والكثافات والحجم

والكتلة والخفه والثقل والطول والعرض والعمق والسطح.

فكيف يكون محتاجا وذاته الغنى؟ وكيف يكون مركبا، والتركيب نقص؟ وكيف يكون محلاً للحوادث وهو الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنه ولا نوم؟ وكيف يكون فى محل ومكان والمحل والمكان من خلقه وهو بكل شىء محيط؟ وكيف يكون له عمرٌ وسن وهو الذى خلق الزمان؟ وكيف يتحد بغيره ولا- غير فى الوجود سواه؟ وكيف يتحد مع غيره وهو لا شريك له فى الوجود ولا مثل ولا ند ولا ضد ولا منازع ولا شبيه؟ وكيف يكون جسما والجسم حادث تعتريه التغيرات وتحدّه الحدود وتراه العيون؟ فلا- وصف له إلا- ما وصف به نفسه ولا إحاطه بكنهه ولا علم بذاته إلا إحاطته وعلمه فتعالى الله عن كل صفة صفته وسمى ربنا عن المربوب وتجلي عن المخلوقات.

وما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام خير ما يدل على جلال الله تعالى وعلوه عن صفات الخلق كقوله:

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادته كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادته كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شىء لا بمقارنه، وغير كل شىء لا بمزاييله، فاعل لا بمعنى الحركات والآله، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق إنشاء، وأبتدأه ابتداء بلا رويه أجالها ولا تجربه استفادها

ولا حركة أحدثها ولا همامه نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وعرز غرائزها وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها عارفاً بقرائنها وأحنائها»(١).

وقوله عليه السلام:

(لَا يَخْطُرُ عَلَى الْقُلُوبِ مَبْلَغُ جَبْرٍ وَتَهٍ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ عَدِيلٌ).

اعلم أن المخلوق لا- قدره له ولا- سبيل إلى معرفه كنه الخالق ولا علم ولا إحاطه بحقيقته جل شأنه لاستحاله إحاطه المحدود باللامحدود والممكن بالواجب، ولجلاله تعالى عن أن يحد أو يحاط به، وهذا ما أكده قوله تعالى:

(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (٢).

وقوله تعالى:

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (٣).

كما أن الروايات كثيره في هذا المضمون كقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«اللَّهُ مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ الْخَلْقُ وَيُؤَلِّهُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْمَسْتُورُ عَنِ دَرْكِ الْأَبْصَارِ، الْمَحْجُوبُ عَنِ الْأَوْهَامِ وَالْخَطَرَاتِ» (٤).

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«اللَّهُ مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي أَلَهُ الْخَلْقُ عَنِ دَرْكِ مَا هَيْتَهُ وَالْإِحَاطَةَ بِكَيْفِيَّتِهِ» (٥).

١- حق اليقين، السيد عبد الله شبر: ص ٦٧.

٢- سورة طه، الآية: ١١٠.

٣- سورة الأنعام، الآية: ٩١.

٤- ميزان الحكمه، محمد الريشهري: ج ١، ص ١٢٤، ح ٦٥٨.

٥- ميزان الحكمه، الريشهري: ج ١، ص ١٢٤، ح ٦٨٩.

ومما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام هو بيان عله عدم الإحاطه به تعالى والوقوف على كنه ذاته، فقال عليه السلام:
«لأن ليس له في الأشياء عديل».

وكانما أراد الإمام عليه السلام أن يقول أمراً وهو أن بعض التصورات والأفكار التي تجول في ذهن الإنسان منتزعه من الوجودات الخارجيه كمعرفتنا مثلاً للشجره التي وقع عليها الحس، أو كمعرفتنا للأرض والسماء، وأما ما ليس له وجودٌ مرئى فلا يمكن تصوره ووصفه، وحيث إن الله تعالى ليس له في الأشياء مثيل لا نستطيع تصوره أو وصفه إلا بما وصف به نفسه تعالى، ويمكن تفسير قوله عليه السلام لأن ليس له في الأشياء عديل أى لا يوجد من له القدره والإحاطه بغايه جبروته لأن لا شبيهه ولا عديل لجبروته حتى نستطيع أن نقف على جبروت الله تعالى ونعرف كنهه، كما أن الإمام عليه السلام ينفى أن يكون لله تعالى شبيهه أو مثل فكيف نستطيع من خلال معرفه الشبيه أن نعرف الأصل وهو الله تعالى كنه ذات الله تعالى ممتنع على مخلوقاته لمحدوديه المخلوق وتناهيه، ولإحاطه الخالق وكبره عن أن يوصف وخير من أشار إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله،

ورد في التوحيد (عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه الوسيله:

«الحمد لله الذى أعجز الأوهام أن تنال إلا وجوده، وحجب العقول عن أن تتخيل ذاته فى امتناعها من الشبه والشكل، بل هو الذى لم يتفاوت فى ذاته ولم يتبعض بتجزيه العدد فى كماله، فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن، وتمكن منها لا على الممازجه، وعلم بها لا بأداه لا يكون العلم إلا بها وليس بينه وبين معلومه علم غيره، إن قيل كان فعلى تأويل أزليه الوجود وإن قيل لم يزل، فعلى تأويل نفى العدم»^(١).

وقال عليه السلام:

«لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها، وبها امتنع منها وإليها حاكمها، ليس بذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيمياً، ولا بذى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً، بل كبر شأناً وعظم سلطاناً».

وقوله عليه السلام:

«لا تُدرِكُهُ الْعُلَمَاءُ بِالْبَابِهَا، وَلَا أَهْلُ التَّفَكِيرِ بِتَفَكِيرِهِمْ إِلَّا بِالتَّحْقِيقِ (١) إيقاناً بِالْغَيْبِ».

أشار الإمام الحسين عليه السلام بقوله هذا إلى قصور إدراك العلماء فضلاً عن غيرهم، وعجز عقولهم مع ما لهم من العلم والمعرفة وقوه الملاحظه وتوقد الذهن وسعه الفطنه، وعجز الألباب وحيه الفكر في ذات الله تعالى وكنهه ناشئ من امتناعه على الألباب لوجوب وجوده، ومحدودية الألباب لأنها ممكنه، فلذا نهانا أمير المؤمنين عليه السلام من الخوض في هذا الأمر بقوله:

«لا تقدر عظمه الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين».

وأكد الإمام عليه السلام أن إدراك وجود الله تعالى وعظمته تتم من خلال الآثار والصفات التي تجلّت في عالم الوجود، ويحصل اليقين بوجوده تعالى وعظمته من خلال الأخبار التي وردت على لسان خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين وهو من الإيمان بالغيب.

ومما يؤكد عجز العلماء والمفكرين في إدراك الحق سبحانه قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«محرم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده، وعوامق ناقبات الفكر تكيفه، وعلى

غوائص سابحات النظر تصويره، لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقاييس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتننه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمثله، قد يئست من استنباط الإحاطه به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحاره العلوم، ورجعت بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم.

واحد لا من عدد ودائم لا بأمدة وقائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادل الأجناس، ولا بشبح فتعارضه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات، قد ضلت العقول في أمواج تيار إدراكه، وتحيرت الأوهام عن إحاطه ذكر أزلته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته، مقتدر بالآلاء وممتنع بالكبرياء ومتملك على الأشياء، فلا دهر يخلقه ولا وصف يحيط به، قد خضعت له ثوابت الصعاب في محل تخوم قرارها، وأذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواهد أقطارها، مستشهد بكليه الأجناس على ربوبيته، ويعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه، فلا لها محيص عن إدراكه إياها، ولا خروج عن إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع عن قدرته عليها، كفى باتقان الصنع لها آية وبمركب الطبع عليها دلالة وبحدوث الفطر عليها قدمه وبإحكام الصنعه لها عبره، فلا إليه حد منسوب ولا له مثل مضروب ولا شيء عنه بمحجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقه علواً كبيراً» (١).

وقوله عليه السلام:

«لأنَّه لا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ».

١- حق اليقين، السيد عبد الله شبر: ص ٦٦ ٦٧، الباب الثالث: معرفه الذات والصفات.

ثبت في محله أن في الوجود واجب الوجود وممكن الوجود، وثبت أن الواجب هو عين الغنى، والممكن عين الفقر والحاجة. وثبت أيضاً أن الواجب يتصف بكل صفات الكمال ومنزه عن كل نقص وقبح، بينما يتصف الممكن بالنقص والحاجة، ولكي يتضح قول الإمام الحسين عليه نقول:

يتصف المخلوق بصفات حسنه وكامله بالنسبه إليه إلا أنها نقص وقبح وفقر بالنسبه لخالقه، فلو قلنا إن المخلوق يتصف بصفه العلم أو قدره أو الإدرك فهي صفات كمال بالنسبه للمخلوق ولكن هذه الصفات لو نسبناها إلى الله تعالى بحدودها ومقدارها وشروطها لصارت نقصاً وحاجه، لأنه تعالى سيكون عالماً بعلم محدود وقادراً بقدره محدود ومدرراً بإدراك محدود وهكذا، فلذا لا يصح أن يوصف بصفات المخلوقين، ومحال أن يكون كالمخلوق لأن (ليس كمثله شيء)، كما أنه تعالى منزّه عن كل صفات المخلوقين من التركيب والمكان والزمان والحدوث والاتحاد والفناء... الخ.

وقد تقدم الكلام في ذلك.

ولكي لا يقع الإنسان في محذور التشبيه الذي حذر منه الإمام الحسين عليه السلام نورد بعض فقرات الأدعية التي جاءت على لسان أمير المؤمنين عليه السلام التي تؤكد أن ذات الله تعالى لا يحيط بها العالم أو المفكر فضلاً عن عامه الناس، فلفد ورد في دعاء المشلول المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«يا من لا يعلم ما هو ولا كيف هو ولا أين هو ولا حيث هو إلا هو».

وفي دعاء الإمام السجاد عليه السلام دليل واضح على عجز المخلوق في معرفه الله تعالى كقوله:

«ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك»^(١).

(وهو الواحد الصمد)**معنى الواحد**

كل شيء يدل على وحدانيته كما دل على وجوده، وكل جارحه تشهد على أن خالقها واحد ومدبرها واحد وفانيها واحد، فالقلب يتوجه إلى الله تعالى عندما يلزم به الخطر، والضمير يفرع إليه عندما يضطر إلى حاجته، والوجدان لا يستعين ولا يستغيث إلا- به تعالى، وهذا مما يكشف عن أن القلب والعقل لا يعرفان إلا هو تعالى بالفطره قبل الدليل، ولكي يتضح ما تقدم نقل محاوره الإمام الصادق عليه السلام مع رجل سأله عن الدلاله على الله تعالى:

قال رجل: (يا بن رسول الله ذلني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيروني، فقال الإمام عليه السلام:

«يا عبد الله هل ركبت سفينه قط؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل كسرت بك حيث لا سفينه تنجيك ولا سباحه تغنيك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلصك من ورطتك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى وعلى الإغاثة حيث لا مغيث»^(١).

فبعد هذه المحاوره يتضح لنا أن الإمام الصادق عليه السلام أشار إلى وحدانيه الله تعالى فضلاً عن وجوده في قوله (فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك)؟

فقوله (أن شيئاً) وقوله (قادر) فيه دلالة على وحدانيه الله تعالى لأن الإمام عليه السلام لو كان يعتقد أن مع الله تعالى إلهاً آخر لما قال للرجل (أن شيئاً) و(قادر) بصيغته المفرد، فمن هذا يتضح أن وحدانيه الله تعالى تركز في فطره الإنسان وهذا ما أكده الرجل بقوله (نعم) أي أن قلبى تعلق بشيء واحد وقادر واحد ولم يقل (كلاً) لقد تعلق قلبى بأكثر من شيء.

فبهذه المقدمة تبين من خلال الفطره أن الله تعالى واحد لا شريك له، وأما ما دل على وحدانيته في مقام الذات والصفات والأفعال فلقد تقدم الحديث عن ذلك في بحثنا (استخلص الوجدانيه والجبروت).

معنى الصمد

وأما عن قوله عليه السلام (الصمد) نقول:

الصمد في اللغة: المقصود لقضاء الحاجات، اسم من أسماء الله الحسنى، ويقال شيء صمد: مصمت لا جوف له (١).

الصمد في الاصطلاح: السيد المعظم الذي يصمد إليه في الحوائج، أى يقصد، وقيل: هو السيد الذى ينتهى إليه السؤدد (٢).

بعد التأمل فيما سبق من الآيات التى تطرقنا فيها إلى بيان صفات واجب الوجود يظهر لنا جلياً أن اسم الصمد اسم لا يليق إلا بالغنى المطلق والعالم والقادر

١- المعجم الوسيط: ص ٥٢٢.

٢- مجمع البيان: ج ١٠، ص ٥٤٤.

المطلق وهذا لا يصدق إلا على الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فلا شك أن الله تعالى هو الذى برأ الخلق وأوجد كل ذى وجود بعلمه وقدرته، وهو الذى أعطى كل خلقه حاجته وأدام فيضه على خلقه فلذا استحق أن يكون مقصوداً فى الحاجات، لأنه تعالى الغنى المطلق فهو يقصد ولا يقصد أحداً لافتقار كل ما سواه إليه فلذا أورد قوله تعالى:

(وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ) (١).

وإذا تأملنا المعنى اللغوى للصمد الذى هو مصمت لا جوف له، يظهر لنا عدم حاجته للأكل والشرب والنوم كما أنه لم يلد ولم يولد، وما ورد عن أهل البيت عليهم السلام فى تفسير الصمد يدلنا على معانى كثيرة نذكرها للفائدة الكبيرة.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«حدّثنى أبى زين العابدين عليه السلام، عن أبيه الحسين بن على عليهما السلام أنه قال: (الصمد) الذى قد انتهى سؤدده، والصمد: الدائم الذى لم يزل ولا يزال، والصمد: الذى لا جوف له، والصمد: الذى لا يأكل ولا يشرب، والصمد: الذى لا ينام».

وقال أيضاً عليه السلام:

«والصمد: السيد المطاع الذى ليس فوقه أمر ولا ناه».

وسئل الإمام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن (الصمد) فقال:

«الصمد: الذى لا شريك له ولا يؤوده حفظ شيء، ولا يعزب عنه شيء».

وقال عليه السلام:

«الصمد: الذى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، والصمد: الذى أبدع

الأشياء، فخلقها أصدادا وأصنافا، وأشكالا وأزواجا، وتفرد بالوحده بلا ضد، ولا شكل، ولا مثل، ولا ند».

قال وهب بن وهب: وحدثني الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، أن أهل البصره كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار، وإن الله قد فسر سبحانه الصمد.

فقال:

(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (١) (٢).

(ما تصوّر في الأوهام فهو خلافه)

التصوّر في اللغة: تصوّر: تكونت له صورته وشكله والشئء تخيله واستحضر صورته في ذهنه.

التصوّر في علم النفس: استحضر صورته شئء محسوس في العقل دون التصرف فيه.

التصوّر عند المناطق: إدراك المفرد: أى معنى الماهيه من غير أن يحكم عليها بنفى أو إثبات (٣).

١- سورة الإخلاص، الآيتان: ٣ و ٤.

٢- تفسير مجمع البيان، الطبرسى: ج ١٠، ص ٥٥٠.

٣- المعجم الوسيط: ص ٥٢٨.

التصوريه فى الفلسفه: المذهب القائل بأن الكليات لا توجد إلا فى الذهن وهو يقابل مذهبي الواقعيه والأسميه.

الوهم: ما يقع فى الذهن من الخاطر، وهم الشئء دار فى خاطره، توهم الشئء: ظنه وتمثله وتخيله كان فى الوجود أو لم يكن (١).

التصور والتصديق

التصور: هو علمك بالشئء دون أن تجزم أو تعتقد بمطابقه علمك للواقع.

التصديق: هو علمك بالشئء مع مطابقه ذلك للواقع مما يدفع النفس للإذعان والتصديق بالمطابقه.

ولكى يتضح المطلب نقول: إذا حصل فى ذهنك علم بشئء دون أن تصل إلى حد الجزم والاعتقاد به فهذا يسمى تصوراً مجرداً، وإذا قمت بالبرهنه والاستدلال على ثبوته أو نفيه وحصل لك جزم واعتقاد بذلك فهذا يسمى تصديقاً ولكى يكون المطلب أوضح نضرب مثلاً لذلك:

(لو قلت لك أن قبه الإمام الحسين عليه السلام بيضويه الشكل مذهبه بذهب خالص حصل عندك تصور عما أخبرتك به، ولما ذهبت وتحققت من الخبر وثبت لك صحه ما قلت حصل لك تصديق لمطابقه الخبر للواقع).

فالتصور مجرد علمك بشئء دون أن يستتبع ذلك التصور جزم واعتقاد، والتصديق هو ترجيح أحد طرفى الخبر مع نفى احتمال الطرف الآخر وهذا هو (اليقين) أو مع وجود احتمال ضعيف للطرف الآخر وهذا يسمى (الظن) وهذا ما ينقسم إليه التصديق على بعض الآراء.

الوهميات

وهي القضايا الوهميه الصرفه، وهي قضايا كاذبه(١)، ولكي نقف على هذا المطلب نحتاج إلى مقدمه فنقول:

أخرج الله تعالى الإنسان من بطن أمه وهو لا يعلم شيئاً، إلا أنه يملك حواساً ظاهره كحاسه السمع والبصر والذوق واللمس فيستخدم هذه الحواس في بيئته فيحس بالأشياء ويتأثر بها ويحصل عنده علم نتيجة استخدامه لهذه الحواس، ويسمى (العلم الحسى) وهو أول درجات العلم وهذا ما يؤكد الله سبحانه وتعالى:

(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٢).

ثم يحفظ هذه الصورة التي أدركها بالحس في ذهنه فينسب بعضها إلى بعض كقوله (هذا أطول من ذاك) أو يؤلف بعضها مع بعض فتكون عنده صوراً لا واقع لها في الخارج، فهذا الحفظ أو التأليف يسمى (العلم الخيالي) ثم يتجاوز إدراك المحسوسات إلى إدراك أمور ليست هي من جنس المحسوسات كحبّ الغير له وحبه لغيره أو بغض الغير له أو بغضه لغيره وهذا يسمى (بالعلم الوهمي) يحصل عليه الإنسان بقوه الوهم.

للوهم معنيان تارة يراد منه ما يقابل الظن وهو: أن تحتل مضمون الخبر أو عدمه مع ترجيح الطرف الآخر، وأخرى: يراد منه تصوير الأمور غير المحسوسه تصويراً محسوساً فترتكز هذه الصور في ذهنه حتى تستفحل وتتحول إلى قضايا ثابتة في النفس لا يمكن رفضها حتى مع قيام البرهان على خلافها وقد تتحول إلى معتقدات يصعب زوالها، ولكي نوضح هذا الأمر بالمثال نقول: نجد الإنسان لا يقبل الاجتماع مع ميت

١- منطق المظفر: ج ٣.

٢- سورة النحل، الآية: ٧٨.

فى مكان مظلم رغم علمه أنه جماد لا يتحرك ولا يضر ولا ينفع، وإذا كان خوفه ناشئاً من عوده الحياه إلى هذا الميت فالعقل يحكم بأنه سيرجع إنساناً سوياً لا سيما إذا كان من الأحبه، ولكن الوهم والقوه الواهمه ترفض حكم العقل وتجعل صاحبها فى خوف دائم من الميت.

فالوهم تابع للحس ومنقاد له ولذا يطبق أحكام المحسوسات على غير المحسوس أيضا كتوهمه بأن الله تعالى فى مكان عالٍ وله هيئه كبيره وإلخ من التوهّمات فيقع فى التجسيم والتشبيه وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام بقوله أعلاه.

وقوله عليه السلام:

«لَيْسَ بَرُّ مَنْ طُرِحَ تَحْتَ الْبَلَاغِ، وَمَعْبُودٌ مَنْ وَجِدَ فِي هَوَاءٍ أَوْ غَيْرِ هَوَاءٍ».

من خلال معرفتنا لعظمه الله تعالى وغناه وتزهره عن الحدود المكانية والزمانية يتضح لنا قول الإمام الحسين عليه السلام المتقدم ونراه يؤكد فيه أن الرب الذى يدبر شؤون مخلوقاته ويدير أمر الممكنات لا يمكن أن يخضع للحدود، ولا يمكن أن يحده مكان أو يحيط به شىء مهما كانت سعته حتى لو كان هواءً أو غيره ممن هو أوسع من الهواء وأكثر مرونة منه، ولا يستحق المحدود والمتناهى العبوديه لانتفاء صفات المعبود فيه، إذ إننا نعلم أن من يستحق أن يعبد هو من لا شريك ولا ند ولا مثيل ولا شبيه ولا حاجه ولا- كتله ولا حجم ولا كثافه ولا وزن ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا صوره ولا جسم له بل ولا صفه من صفات العباد الكماليه وغيرها، لأنه ليس كمثل شىء وتعالى من أن يحاط بأرض أو سماء أو ماء أو هواء، وما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام فى نهج البلاغه بقوله:

«قد علم السرائر وخير الضمائر وله الإحاطه بكل شىء».

يؤكد هذا المعنى بل يترجم قوله تعالى:

(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا) (١).

وقوله عليه السلام:

«هُوَ فِي الْأَشْيَاءِ كَائِنٌ لَا كَيْنُونَهُ مَحْظُورٌ بِهَا عَلَيْهِ، وَمِنَ الْأَشْيَاءِ بَائِنٌ لَا بَيْنُونَهُ غَائِبٌ عَنْهَا».

تبيين مما تقدم جلاله الله تعالى عن صفات الأجسام وقوانينها وآثارها فلذا لا يمكن أن نفسر قول الإمام الحسين عليه السلام بتفسير يوحى بالجسميه والمحدوديه والماديه، بل لابد من بيان لقوله عليه السلام يؤكد نزاهه الله تعالى عن كل صفه من صفات المخلوقين وهذا ما سنتعرض له فنقول:

لا يصح أن نفسر قول الإمام عليه السلام (في الأشياء) بالدخول، وقوله (من الأشياء) بالخروج لأنهما من صفات الأجسام وهو تعالى ليس بجسم، فضلا عن غناه المطلق عن كل شيء، فلو دخل في الأشياء كدخول الأجسام في بعضها لزم افتقاره إلى المكان والمحدوديه وهذا من صفات الممكن وقد ثبت أنه تعالى واجب الوجود غنى مطلق، وكذلك لو قلنا بدخوله في الأشياء كدخول الأجسام يلزم من قولنا هذا وصفه بالنقص لأن الدخول إما أن يكون كاملاً له أو لا؟ فعلى الأول يلزم وصفه بنقص سابق فأراد أن يستكمل بالدخول، وعلى الثاني: يكون الدخول نقصاً بذاته يتصف به الحق سبحانه وعلى الفرضين يقع التجسيم والوصف القبيح تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلذا لابد من تفسير قول الإمام عليه السلام بأنه سبحانه هو القيوم المحيط بكل شيء، وهذه الإحاطه التي يحيط الأشياء بها هي إحاطه تامه للظاهر والباطن على حد سواء، وهذا المعنى ورد في أقوال أمير المؤمنين عليه السلم في أكثر من خطبه كما في قوله عليه السلام:

«ليس فى الأشياء بوالج ولا عنها بخارج»^(١).

ولنزهته تعالى عن الحدود والحلول والعجز نجد سيد الموحدين عليه السلام يصفه فى خطبه أخرى فىقول:

«لم يحلل فى الأشياء فىقال هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فىقال هو منها بائن»^(٢).

ولكى لا يفسر قربه وبُعدته تعالى تفسيراً مادياً بوجوب التشبيه فىقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراق»^(٣).

وهكذا ديدن أهل البيت عليهم السلام فى وصفهم لخالقهم وربهم ومعبودهم، لا يختلف أمير المؤمنين عليه السلام مع ولده الإمام الحسين عليه السلام ولا الإمام الحسين مع ذريته الأئمة المعصومين عليهم السلام فى وصفهم لله تعالى وتنزيهه وتسيححه عما لا يليق بكماله سبحانه، ومن ضمن هذه الروايات:

عن أحمد بن محمد بن خالد البرقى، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زرارة بن أعين قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام فىقول:

«إن الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه، وكل ما وقع عليه اسم شىء ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق كل شىء، تبارك الذى:

(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)
^(٤)(٥).

١- نهج البلاغه: الخطبه ١٨٥.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ٦٤.

٣- نهج البلاغه: الخطبه ١٦٢.

٤- سوره الشورى، الآيه: ١١.

٥- أصول الكافى: ج ١، ص ٤٨ ٤٩، ح ٤.

عن علي بن إبراهيم عن أبيه، عن أبي عمير عن علي بن عطيه عن ثيتمه (عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إن الله خلق من خلقه، وخلق خلقه منه، وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله تعالى فهو مخلوق والله خالق كل شيء» (١).

وقوله عليه السلام:

(لَيْسَ بِقَادِرٍ مَن قَارَنَهُ ضِدُّهُ أَوْ سَاوَاهُ نِدًّا).

أشار الإمام عليه السلام إلى حدود قدره من له ضد، إذ إن كل ضدين يدفع أحدهما الآخر لتساوي قدرتهما ومحدوديتهما إزاء بعضهما البعض، ولذا لا يعد قادراً حقيقاً من اتصف بالعجز أمام من هو ضده أو نده، وحيث إن الله تعالى قادر مطلق لا يعجزه شيء بل هو على كل شيء قدير لزم من هذا أن لا ضد ولا ند له.

وقوله عليه السلام:

(لَيْسَ عَنِ الدَّهْرِ قَدَمُهُ وَلَا بِالنَّاحِيَةِ أُمَّهُ، احْتَجَبَ عَنِ العُقُولِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الأَبْصَارِ، وَعَمَّنْ فِي السَّمَاءِ احْتِجَابُهُ كَمَنْ فِي الأَرْضِ، قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ، لَا تُحَلَّةُ (فِي) وَلَا تُوقَّتُهُ (إِذْ) وَلَا تُؤَامِرُهُ (إِنْ)، عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنَقُّلٍ، يُوجَدُ المَفْقُودَ وَيُفْقِدُ المَوْجُودَ، وَلَا تَجْتَمِعُ لِغَيْرِهِ الصِّفَتَانِ فِي وَقْتٍ).

في هذا المقطع الشريف يشير الإمام الحسين عليه السلام إلى مجموعه أبحاث عقائديه نتعرض لها باختصار:

قوله عليه السلام (لَيْسَ عَنِ الدَّهْرِ قَدَمُهُ وَلَا بِالنَّاحِيَةِ أُمَّهُ).

يشير الإمام عليه السلام إلى صفة من صفات الله تعالى ألا وهي أزليته وقدمه، فلقد أجمع أهل الإيمان والعلم على نزاهه الله تعالى عن الزمان واتسامه فلا يصح

توصيفه بالماضى أو الحاضر أو المستقبل لأنه هو خالق الزمان بل هو محيط بالزمان، فلذا لا يجوز تفسير قدمه بمعنى وجود فى الماضى وإنما يفسر قدمه تعالى بأنه وجود غير مسبوق بعدم لأنه واجب الوجود، وكذلك فهو تعالى منزه عن المكان والجهه لأنه هو خالق المكان والنواحي والجهات بل هو محيط بالمكان وجهاته.

وهكذا، وبناء على ما تقدم يظهر أن الصورة أو المفهوم الذى يحصل فى ذهن الإنسان عن الله تعالى ليس إلا- وهم مخالف للحقيقه.

الخطبه الثانيه: وفيها يوصى بتقوى الله، وينذر من عقابه

اشاره

«أوصيكم بتقوى الله، وأحذركم أيامه، وأرفع لكم أعلامه، فكأنَّ المخوف قد أفتد بمهول وُروده، ونكير حُلُوله، وبشع مِذاقه، فاعتلق مَهَجَكُم (١)، وحال بين العمل وبينكم، فبادروا بصحَّه الأجسام في مدَّه الأعمار، كأنتكم ببغئات طوارقه (٢) فتتقلُّكم من ظهر الأرض إلى بطنها، ومن علوها إلى سفْلِها، ومن أنسها إلى وحشتها، من روجها وضوئها إلى ظلمتها، ومن سعتها إلى ضيقها، حيث لا يزار حميم ولا يعاد سقيم ولا يُجاب صيرِيخ، أعاننا الله وإياكم على أهوال ذلك اليوم، ونجانا وإياكم من عقابه، وأوجب لنا ولكم الجزيل من ثوابه.

عباد الله فلو كان ذلك قصير مرامكم ومدى مظعنكم (٣) كان حسب العامل شغلاً يستفرغ عليه أحزانه، ويدهله عن دُنياه، ويكثر نصيبه لطلب الخلاص منه، فكيف وهو بعد ذلك مرتَهَنٌ باكتسابه، مستوقفٌ على حساب، لا وزير له يمنعه ولا ظهير عنه يدفعه، ويومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، قل انتظروا إننا منتظرون.

١- أفتد: دنا وقرب. والمهول: المخيف. بشع: صار طعمه كريهاً. واعتلقه وبه: أحبه حباً شديداً. والمهج: جمع مهجه: دم القلب والمراد نفس القلب.

٢- البغئات: جمع بغته أى فجأه.

٣- الجزيل: الكثير العظيم من كل شىء. والقصر: الغايه. والمرمى: ما ترمى إليه السهام. والمدى: المسافه والغايه. والمظعن: المسير.

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَمَّ مِنْ لِمَنِ اتَّقَاهُ أَنْ يُحَوَّلَهُ عَمَّا يَكْرَهُ إِلَى مَا يُحِبُّ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِمَّنْ يَخَافُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَيَأْمَنُ الْعُقُوبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُخَدِّعُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

المعنى العام

(أوصيكم بتقوى الله، وأحذركم أيامه، وأرفع لكم أعلامه، فكأن المخوف قد أمد بمهول ووروده، ونكير حلولة، وبشع مذاقه، فاعتلق مهجكم، وحال بين العمل وبينكم).

أطلب منكم الالتزام بالخشية والخوف من الله تعالى، وأخوفكم وأطلب منكم التحرز من أيام الله تعالى التي تحدث عنها في القرآن الكريم (يوم كآلف سنه... الخ) (يوم التلاق...) وارفع لكم ما تهتدون به من هدى الله تعالى، فكأن الأمر الذي تخشونه قد دنا وقرب إليكم بفزع ورعب ووروده، وصعوبه نزوله، وكريه طعمه، فتعلق بقلوبكم تعلقاً شديداً، وصار مانعاً بينكم وبين العمل.

(فبادروا بصحة الأجسام في مده الأعمار، كأنكم ببغات طوارقه فتتقلكم من ظهر الأرض إلى بطنها، ومن علوها إلى سفليها، ومن أنسها إلى وحشتها، من روحها وضوئها إلى ظلمتها، ومن سعتها إلى ضيقها).

أسرعوا وعجلوا إلى اغتنام الصحة قبل السقم في طاعة الله تعالى، وأنتم على وشك أن تفاجئكم الدواهي التي تأتي ليلاً فتحولكم من على سطح الأرض إلى جوفها وباطنها، ومن ارتفاعها إلى أدنى نقطه فيها، ومن ما هو لطيف ومسر للنفس إلى ما هو ضد ذلك من النفور والكدوره، ومن الراحة والسعه وطيبه العيش إلى ذهاب نورها

وشدتها، ومن رحابتها ويسارها إلى شدتها.

(حيث لا يزار حميم ولا يُعاد سقيم ولا يُجاب صريح).

يشير الإمام على عليه السلام إلى أن هذا المكان لا يحصل فيه اللقاء بين الأحبه ولا يفحص المريض ولا يطمئن على صحه ولا يغاث المستغيث.

(أعانتنا الله وإياكم على أهوال ذلك اليوم، ونجاننا وإياكم من عقابه، وأوجب لنا ولكم الجزيل من ثوابه).

ساعدنا الله تعالى وإياكم على رعب وخوف ذلك اليوم الذى هو يوم القيامة، وخلصنا الله وإياكم من أذاه وآلامه، وجعل لنا ولكم الكثير العظيم من العطاء وحسن الجزاء.

(عباد الله فلو كان ذلك قصير مرمما وميدى مظعنكم كان حسب العامل شغلا يستفرغ عليه أحزانه، ويذهله عن دنياه، ويكثر نصيبه لطلب الخلاص منه، فكيف وهو بعد ذلك مرتهن باكتسابه، مستوقف على حسابيه، لا وزير له يمنعه ولا ظهير عنه يدفعه، ويؤمئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، قل انتظروا إنا منتظرون).

يوجه الإمام عليه السلام نداءه إلى من هو مؤمن عابد لربه فيقول لو كان ذلك الأمر الذى سبق بيانه هو غايه هدفكم ومسافه وغايه مسيركم كان كافيا ليشغل العامل منكم فى طاعه الله تعالى وكافيا لصب تمام غمه وهمه عليه، وكافيا ليشغله ويغفله عن زبارج الدنيا وزخارفها، ويكثر تعب لئيل النجاه من أهوال ذلك اليوم، فكيف لا يذهل ويهتم بذلك اليوم الذى سيكون فيه حيث لا معين فيعينه ولا حامل لثقله أحد، ولا دافع عنه البلاء، وفى هذا اليوم لا يفيد نفس إيمانها وهى لم تكن مؤمنه فى الدنيا وغير عامله فى طاعه ربها، فقل ترقبوا ونحن معكم نرقب.

(أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَمَّ مِنْ لِمَنِ اتَّقَاهُ أَنْ يُحَوَّلَهُ عَمَّا يَكْرَهُ إِلَى مَا يُحِبُّ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَخَافُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَيَأْمَنُ الْعُقُوبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُخَدِّعُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

تقدم فى بدايه الخطبه بيان قوله أوصيكم بتقوى الله، ويشير الإمام الحسين بن على عليهما السلام إلى أن الله تعالى تكفل لكل من يخافه ويخشاه أن ينقله عنما لا يريد وينفر منه إلى ما يرغب ويحبه ثم يأتى برزقه من غير الأسباب التى سعى فيها ومن حيث لا- يحتمل، ثم يرشد الإمام عليه السلام أن تكون من الناس الذين يخشون على مصر غيرهم بسبب ذنوبهم ولا يخافون على مصايرهم وهم فى اطمئنان من نزول العقوبه عليهم مع وقوع الذنب منهم، ويقول الإمام عليه السلام إن الله تبارك وتعالى لا تخفى عليه الحيل ولا- يستطيع أحد أن يمكر فيظهر مره ويخفى مره أخرى لينال جنه الله تعالى فإن ذلك لا- ينال إلا بالطاعه الخالصه.

بحث أخلاقى

التقوى ميزان القرب الإلهى

كل ما يخرج من فم العصمه والطهاره لابد أن يكون مهما ومعصوما ولا يخالف العقل أو الشرع، ومما أكد عليه الإمام السبط عليه السلام فى خطبته الثانيه هو التمسك بهذا الأمر المهم الذى يعد ميزانا لقرب العبد من مولاه وعلامه على أفضليته على غيره ممن لم يتحلى به ألا وهو (التقوى).

التقوى لغه: هو الحذر الخوف والتجنب.

الخشية والخوف وتقوى الله: خشية وامتنال أوامره واجتناب نواهيه(١).

التقوى اصطلاحاً: هو الامتنال لأمر الله تعالى والانتهاز عن نهيه خوفاً منه وتجنباً لغضبه وعقوبته.

لهذه الصفة دلالات تدل على من يتصف بها، كما أن لها آثاراً عظيمة تنعكس على نفس صاحبها انعكاساً هو بأمس الحاجة إليه في الدنيا والآخرة فلذا نجد أن الإمام الحسين عليه السلام يقتفى أثر العدل الأكبر (القرآن الكريم) في الحرص على الوصية بهذه الصفة المهمة، ولكي نقف على ما جاء في الكتاب الكريم ونطلع على لطف المولى جل وعلا بعباده لا بد لنا من التأمل في قوله تعالى:

(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا) (٢).

وما كان هذا الأمر الإلهي بالتقوى إلا لكي ينتفع العبد بآثارها ويكسب السند المنيع والملجأ الحصين وينال البركات في الدنيا والرضا والشكر الإلهي في الآخرة.

فإن التقوى هي خير الوصايا وأفضل العواقب كما ورد ذلك على لسان إمام المتقين عليه السلام بقوله:

«أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرٌ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ» (٣).

١- المعجم الوسيط: ص ١٠٥٢.

٢- سورة النساء، الآية: ١٣١.

٣- ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١٠، ح ٢٢٣٤٦.

ولأهميه الوصيه بالتقوى حرص أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته الكرام عليهم السلام على افتتاح خطبهم وكتبهم ورسائلهم بالوصيه بالتقوى وهذا ما تؤكد النصوص الآتية:

١ قال عليه السلام:

«أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمْ الْآجَالَ» (١).

٢ قال عليه السلام:

«أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَيْ بِنَيْ وَتُرُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ» (٢).

٣ قال عليه السلام:

«أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيشَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ» (٣).

٤ عنه عليه السلام:

«أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأُحْذِرُكُمْ أَهْلَ النَّفَاقِ» (٤).

٥ عنه عليه السلام:

«أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأُحْذِرُكُمْ الدُّنْيَا» (٥).

وهناك المزيد من هذه الوصايا تركناها للاختصار.

١- ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١٠، ح ٢٢٣٤٧.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ٣١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١١، ح ٢٢٣٤٩.

٣- نهج البلاغه: الخطبه ١٨٢. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١١، ح ٢٢٣٥٠.

٤- نهج البلاغه: الخطبه ١٩٤. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١١، ح ٢٢٣٥١.

٥- نهج البلاغه: الخطبه ١٩٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١١، ح ٢٢٣٥٣.

آثار التقوى فى الدنيا

نذكر هذه الآثار وفق هذا التبويب لتسهيل حفظها من قبل القارئ، فلذا تجنبنا شرحها ولكى لا ندخل فى الإسهاب والإطالة وإلا فإن لكل أثر من آثارها شرحاً طويلاً يحتاج إلى صفحات كثيرة.

١ إنها تورث البركة كما فى قوله تعالى:

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (١).

٢ إنها تورث الفلاح كما فى قوله تعالى:

(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٢).

٣ إنها تشبه بأخلاق الأنبياء كما ورد فى قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«عَلَيْكَ بِالتَّقَى؛ فَإِنَّهُ خُلِقَ الْأَنْبِيَاءُ» (٣).

٤ إنها تورث خير الدنيا والآخرة كما ورد فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ رُزِقَ تَقَى فَقَدْ رُزِقَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (٤).

١- سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

٢- سورة البقرة، الآيات: ٥٢.

٣- غرر الحكم: ٦٠٨٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٠٨، ح ٢٢٣٣١.

٤- كنز العمال: ٥٦٤١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٠٨، ح ٢٢٣٣٢.

٥ إنها سبب في دفع الهلاك وحفظ ما يزرع العبد من زرع معنوى أو مادى، كما ورد في قوله عليه السلام:

«لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلِ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ» (١).

٦ إنها سبب في نجاه الهاربيين من الظلم، وسبب في نيل المطالب، وسبب في النصر على الأعداء الظالمين كما أنها حرز وعز لمن يتحلى بها وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِنَّ التَّقْوَى أَفْضَلُ كَنْزٍ، وَأَحْرَزُ حِرْزٍ، وَأَعَزُّ عِزٍّ، فِيهِ نَجَاةٌ كُلِّ هَارِبٍ، وَدَرْكٌ كُلِّ طَالِبٍ، وَظَفَرٌ كُلِّ غَالِبٍ» (٢).

٧ إنها سلامه من الخساره والتلف وهذا ما أشار إليه الإمام أبو جعفر عليه السلام لسعد الخير:

«أَوْصِيكَ بِتَوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ فِيهَا السَّلَامَةَ مِنَ التَّلْفِ وَالْغَنِيمَةَ فِي الْمُنْقَلَبِ» (٣).

٨ إنها حرز وصيانه من إغواء الفجار وقوه لحفظ النفس أمام إغراء الشهوات واللذات، وحرز من الضلال ولذا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ مَنْ فَارَقَ التَّقْوَى أُغْرِيَ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَوَقَعَ فِي تِيهِ السَّيِّئَاتِ، وَلَزِمَهُ كَبِيرُ التَّبَعَاتِ» (٤).

٩ إنها تدفع وساوس الشيطان وتفتح البصيره والبصر كما في قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (٥).

١- نهج البلاغه: الخطبه ١٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٠٩، ح ٢٢٣٣٦.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٣٧٤، ح ٣٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٠٩، ح ٢٢٣٣٨.

٣- الكافي: ج ٨، ص ٥٢، ح ١٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٠٩، ح ٢٢٣٣٩.

٤- غرر الحكم: ٣٦٢٥. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٠٩، ح ٢٢٣٤٢.

٥- سوره الأعراف، الآية: ٢٠١.

١٠ إنها تكسب صاحبها الشرف كما فى قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«التَّقْوَى ظَاهِرُهُ شَرَفُ الدُّنْيَا، وَبَاطِنُهُ شَرَفُ الآخِرَةِ» (١).

١١ إنها توجب الغنى والعز والآنس كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَا نَقَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا مِنْ ذُلِّ الْمَعَاصَى إِلَى عِزِّ التَّقْوَى إِلَّا أَغْنَاهُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ، وَأَعَزَّهُ مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ، وَأَنَسَّهُ مِنْ غَيْرِ بَشَرٍ» (٢).

١٢ إنها شفاء لأمراض القلوب والأجساد معاً، ونور للعقول، وطهاره للنفوس، وهذا ما أرشد إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصِيرَةٌ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءٌ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصِيْلَاحٌ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطَهْوْرٌ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجَلَاءٌ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنٌ فَرَعِ جَأْشِكُمْ، وَضِيَاءٌ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ» (٣).

١٣ هى خلاص من المآزق والشدائد، وهى سبب فى تحصيل الأرزاق من حيث لا نحتسب كما فى قوله تعالى:

(وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (٤).

١٤ هى نجاه من الفتن وخلاص من الحيره كما ورد عن إمام المتقين أمير المؤمنين على عليه السلام:

«اعْلَمُوا أَنَّهُ (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) مِنَ الْفِتَنِ، وَنُورًا مِنَ الظُّلْمِ» (٥).

١- غرر الحكم: ١٩٩٠. ميزان الحكمه: ج ١١، ص ٤٨١٨، ح ٢٢٤٠٥.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٨٢، ح ١. ميزان الحكمه: ج ١١، ص ٤٨١٨، ح ٢٢٤٠٩.

٣- غرر الحكم: ٥١٥٤. ميزان الحكمه: ج ١١، ص ٤٨١٩، ح ٢٢٤١١.

٤- سورة الطلاق، الآية: ٣.

٥- نهج البلاغه: الخطبه ١٨٣. ميزان الحكمه: ج ١١، ص ٤٨٢٣، ح ٢٢٤٣٦.

١٥ هي سبب في كشف الهموم كما ورد عن إمام المتقين أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«مَنْ اتَّقَى اللَّهَ سَبَحَانَهُ جَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا» (١).

آثار التقوى في الآخرة

لا شك في أن للتقوى آثاراً عظيمة لا يستغنى عنها عباد الله تعالى بشيء سواها ومن هذه الآثار:

١ إنها توجب شكر المولى عز وجل لعبده في آخرته كما في قوله تعالى:

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٢).

٢ إنها توجب رحمه المولى عز وجل بعبده كما في قوله تعالى:

(أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (٣).

٣ إنها توجب الفوز في الآخرة، كما قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«التَّقْوَى غَايَةٌ لَا يَهْلِكُ مَنْ اتَّبَعَهَا، وَلَا يَنْدَمُ مَنْ عَمِلَ بِهَا؛ لِأَنَّ بِالَّتَّقْوَى فَازَ الْفَائِزُونَ، وَبِالْمَعْصِيَةِ خَسِرَ الْخَاسِرُونَ» (٤).

٤ إنها توجب تقربك من الله تعالى وتحفظ من العذاب، حيث قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

١- غرر الحكم: ٨٨٤٧. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٢، ح ٢٢٤٣١.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

٣- سورة الأعراف، الآية: ٦٣.

٤- كنز العمال: ٤٤٢١٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٠٩، ح ٢٢٣٤٠.

«التَّقْوَى آكَدُ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَخَذْتَ بِهِ، وَجُنَّةٌ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» (١).

٥ إنها سبب في قبول الأعمال كما في قوله تعالى:

(وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (٢).

٦ إنها تسد العبد في دنياه فيكون من الفائزين في أخراه، وهي كثر مذخور ليوم الفقر والفاقة، يوم القيامة كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةٌ مَعَادٍ» (٣).

٧ إنها توجب التعم في الجنان والأنهار بل هي سبب في قرب العبد من ربه كما في قوله تعالى:

«إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ» (٤).

التقوى ضروره لابد منها

إذا لم يتلبس الإنسان بالتقوى صار إنساناً ميتاً بحسب الباطن والمعنى، وإذا سلب الإنسان وصف الحياه خرج عن عنوان الإنسانيه، فيصبح مخلوقاً مسخاً ينافس الوحوش والأنعام في صفاتها، فيغدو لا يهمله إلا ما يهمل البهائم من طعام وشراب وتناسل بل قد يصل إلى أسوأ من ذلك فتتحول وداعته وألفته إلى غلظه ووحشيه يفوق بها وحشيه الوحوش الأخرى.

أما عدم إمكان وصف فاقد التقوى بالحي لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

١- غرر الحكم: ٢٠٧٩. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١٩، ح ٢٢٤١٤.

٢- سورة المائدة، الآية: ٢٧.

٣- نهج البلاغه: الخطبه ٢٣٠. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١٥، ح ٢٢٣٨٦.

٤- سورة القمر، الآيتان: ٥٤ و٥٥.

«لا حياه إلا بالدين، ولا موت إلا بجود اليقين»^(١).

وأما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيصرح بأن بعض الناس تراهم إحياء بحسب الظاهر والماده إلا أنهم أموات كما فى قوله عليه السلام:

«ليس من مات واستراح بميت، إنما الميت ميت الأحياء»^(٢).

وهناك من اتصف بصفه الكذب التى تجانب التقوى فصار ميتا بنظر الإمام على عليه السلام وهذا ما جاء فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الكذاب والميت سواء، فإن فضيله الحى على الميت الثقه به، فإذا لم يوثق بكلامه فقد بطلت حياته»^(٣).

أما كون الإنسان الذى سلب الحياه بسبب تركه للتقوى ليس بإنسان بل هو حيوان فى باطنه لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فالصوره صورته إنسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتجه ولا باب العمى فيصد عنه وذلك ميت الأحياء»^(٤).

وأما انقلابه إلى بهيمه همها علفها وشرابها وتناسلها بل تحوله إلى وحش كاسر يفوق الوحوش البريه يرشد إليه قوله تعالى:

(أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا)^(٥).

١- ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٩٢٢.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ١٧٥، ح ١٣.

٣- شرح أصول الكافى، محمد صالح المازندراني: ج ١، ص ١٨٤.

٤- ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠٨٢، ح ٢٨٦٧.

٥- سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

ولكى لا يصل الإنسان العاقل إلى هذه المرتبة الخسيسه ولكى يعيش حياه حقيقه ويبقى محافظاً على خلقته وصفته الإنسانيه لابد له من التلبس بالتقوى التى هى الإيمان القلبي والعمل الصالح الذى هو روح الدين الحنيف.

وبعد التأمل فى آثار التقوى دنيويا وأخرويا أصبحت التقوى ضروره لا غنى عنها بل هى الحياه والسعاده والنجاه والشفاء والفلاح والحصانه والحرز والغنى والعز والشرف والأنس، وأخرويا هى الشكر والرحمه والقرب الإلهى وهى الفوز والكنز المذخور ليوم القيامة.

رفع التوهم

اشاره

عندما يعمل العبد عملاً صحيحاً من حيث المقدمات والأجزاء والشروط الفقيهه يقع فى توهم أن هذا العمل سيقربه من الله تعالى ويغفل عن الشرط الذى يجعل العمل مقبولاً ومقرباً من الله تعالى، ولذا نجد أن القرآن الكريم يبين بوضوح هذه الصوره فى قوله تعالى:

(وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (١).

فالله تعالى لا يقبل العمل إلا من المتقى الذى لا يهمله تمام العمل وصحته فحسب بل الذى يهمله قبول العمل ولذا أكد النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى فى وصيته لأبى ذر:

«يا أبا ذرٍّ، كُنْ لِلْعَمَلِ بِالتَّقْوَى أَشَدَّ اهْتِمَاماً مِنْكَ بِالْعَمَلِ» (٢).

١- سورة المائده، الآية: ٢٧.

٢- كنز العمال: ٨٥٠١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٠، ح ٢٢٤١٨.

وصرح أمير المؤمنين عليه السلام أن صفتي التقى والإخلاص سر قبول الأعمال بقوله:

«صِفَتَانِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الْأَعْمَالَ إِلَّا بِهِمَا: التُّقَى وَالْإِخْلَاصُ» (١).

وهناك دور آخر للتقوى ألا وهو حفظ العمل الصالح من النقصان أو الزوال وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«جِدُّوْا وَاجْتَهِدُوا، وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا فَلَا تَعْصُوا؛ فَإِنَّ مَنْ يَبْنِي وَلَا يَهْدِمُ يَرْتَفِعُ بِنَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا، وَإِنَّ مَنْ يَبْنِي وَيَهْدِمُ يُوْشِكُ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ بِنَاؤُهُ» (٢).

بل ينظر للعمل القليل المقبول بأنه عمل كثير يرفع بناء العامل كما تقدم في الحديث، ويؤكد ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ تَقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟!» (٣).

وبمعرفة هذه النكته العلميه يرتفع التوهم الذي يحصل لكثير من المؤمنين لاسيما من يهمله قبول العمل ومن لا يعرف ذلك أو لا يهتم بقبول العمل فلا فائده من عمله الصحيح وهذا ما رد به السيد الخوئي قدس سره الشريف على أحد السائلين عن الحج وقبوله

مسأله: منزله المتقين وصفاتهم

إن للمتقين منزله عظيمه ورتبه عاليه عند الله سبحانه وتعالى وكما أن لهم منزله ورتبه شريفه عند أهل الدنيا، وبمجرد الوقوف على الآيات الكريمه التي وردت لبيان منزلتهم ومقامهم يغنيننا عن الشرح والإطاله وهي كما يلي:

١- غرر الحكم: ٥٨٨٧. ميزان الحكمه: ج ١١، ص ٤٨٢١، ح ٢٢٤٢٢.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٨٦، ح ٨. ميزان الحكمه: ج ١١، ص ٤٨٢١، ح ٢٢٤٢٤.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٧٥، ح ٥. ميزان الحكمه: ج ١١، ص ٤٨٢٠، ح ٢٢٤٢١.

١ المتقى ولى الله تعالى كما فى قوله:

(وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (١).

(وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) (٢).

٢ الله تعالى ناصرهم وسندهم كما فى قوله تعالى:

(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (٣).

٣ المتقون محبوبون لله تعالى:

(بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (٤).

٤ حسن العاقبه للمتقين كما فى قوله تعالى:

(تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) (٥).

(هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَآبٍ) (٦).

٥ بأنهم سكان الجنة كما فى قوله تعالى:

١- سورة الأنفال، الآية: ٣٤.

٢- سورة الدخان، الآية: ١٩.

٣- سورة البقره، الآية: ١٩٤.

٤- سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

٥- سورة هود، الآية: ٤٩.

٦- سورة ص، الآية: ٤٩.

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) (١).

(وَأُزْلِفَتُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) (٢).

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) (٣).

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ) (٤).

٦ إنهم في مقام أمين كما في قوله تعالى:

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ) (٥).

٧ هم أهل الهدى كما في قوله تعالى:

(أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (٦).

٨ هم أهل القرآن كما في قوله تعالى:

(هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) (٧).

٩ هم الوارثون كما في قوله تعالى:

(قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (٨).

١- سورة الحجر، الآية: ٤٥.

٢- سورة الشعراء، الآية: ٩٠.

٣- سورة الذاريات، الآية: ١٥.

٤- سورة الطور، الآية: ١٧.

٥- سورة الدخان، الآية: ٥١.

٦- سورة الزمر، الآية: ٥٧.

٧- سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

٨- سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

١٠ هم وفد الرحمن كما فى قوله تعالى:

(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) (١).

١١ هم أهل الصدق كما فى قوله تعالى:

(وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (٢).

ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام وصف رائع للمتقين وبيان يأخذ شفاف القلوب القلوب وتوقف به العقول وتقر به الأعين وتسرب به النفوس:

١ إن المتقين عباد ملكوا شهواتهم ولم يرزحوا تحت عبوديتها وعاشوا أحراراً فصارت لهم السيادة عليها وبذلوا أنفسهم وآثروا غيرهم عليها فجادوا ومن جاد ساد فلذا ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

«الْمُتَّقُونَ سَادَةٌ، وَالْفُقَهَاءُ قَادَةٌ، وَالْجُلُوسُ إِلَيْهِمْ عِبَادَةٌ» (٣).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«الْمُتَّقُونَ سَادَةٌ، الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ قَادَةٌ، أُخِذَ عَلَيْهِمْ أَدَاءُ مَوَائِيقِ الْعِلْمِ وَالْجُلُوسُ إِلَيْهِمْ بَرَكَهٌ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهِمْ نُورٌ» (٤).

٢ من أخلاق المتقين قناعتهم بما رزقهم الله تعالى فاستشعروا الغنى واتصفوا به، وتجنبوا أن يعيشوا حياه الباذخين بإسراف وتترف فوق حد الضروره، وعشرتهم مليئه بالفوائد والبركه والطهاره وهذا ما يؤكد الإمام الباقر عليه السلام:

١- سورة مريم، الآية: ٨٥.

٢- سورة الزمر، الآية: ٣٣.

٣- أمالى الطوسى: ص ٢٢٥، ح ٣٩٢. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٣، ح ٢٢٤٣٧.

٤- كنز العمال: ٥٦٥٣. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣٢، ح ٢٢٤٣٨.

«أَنَّ أَهْلَ التَّقْوَى هُمُ الْأَغْنِيَاءُ، أَعْنَاهُمُ الْقَلِيلُ مِنَ الدُّنْيَا، فَمَوَّوْتُهُمْ يَسِيرَةٌ، إِنْ نَسِيَتْ الْخَيْرَ ذَكَرُوكَ، وَإِنْ عَمِلَتْ بِهِ أَعَانُوكَ، أَخْرُوا شَهَوَاتِهِمْ وَلَسَدَاتِهِمْ خَلْفَهُمْ، وَقَسَدَمُوا طَاعَةَ رَبِّهِمْ أَمَامَهُمْ، وَنَظَرُوا إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ وَإِلَى وِلَايَةِ أَحِبِّيَاءِ اللَّهِ فَأَحْبَبُوهُمْ، وَتَوَلَّوْهُمْ وَاتَّبَعُوهُمْ» (١).

٣ ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يصفهم بصفات يحبها أهل الأرض وأهل السماء ويطمئن إليهم كل من يعاشرهم لصدقهم وأمانتهم ووفائهم ولذا جاء عنه عليه السلام:

«كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّ لِأَهْلِ التَّقْوَى عِلَامَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ... وَقَلَّةُ الْمُؤَاتَاةِ لِلنِّسَاءِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَسَعَةُ الْحِلْمِ، وَاتِّبَاعُ الْعِلْمِ فِيمَا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (٢).

٤ لا تفارق التقوى الإخلاص فإذا اتصف أحد بها لا بد من الاتصاف به، كما لا يعيش المتقى حياه الآملين بآمال الدنيا وأمنياتها فيؤخذ بطوى الأمل ويغفل عن الأجل، ومن صفاته النباهه والفظنه فلا تفوته فرصه خير إلا واغتنمها شعوراً منه بقرب الأجل فلذا ذكر الإمام الباقر عليه السلام ذلك بقوله:

«لِلْمُتَّقِي ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ، وَقِصْرُ الْأَمَلِ، وَاعْتِنَاؤُ الْمَهْلِ» (٣).

٥ وما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام من صفاتهم فى خطبته التى ألقاها تلبيه لرغبة أحد أصحابه الذى ألقى عليه فيها وهى المشهوره باسم هذا الرجل وهو (همام) فيها الكثير من صفاتهم الرائعه ولذا نذكر بعض المقتطفات تجنباً للإطاله:

١- بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ١٦٦، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٥، ح ٢٢٤٤٢.

٢- الخصال: ص ٤٨٣، ح ٥٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٥، ح ٢٢٤٤٤.

٣- غرر الحكم: ٧٣٧٠. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٥، ح ٢٢٤٤٥.

«فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ، وَمَشِيئُهُمُ التَّوَاضُّعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَلَوْلَا الْأَجَلُ الْمَلْدِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (١) لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ.

عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصِيغَةً مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهَمُّ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدِ رَأَاهَا فَهَمُّ فِيهَا مُنَعَمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدِ رَأَاهَا فَهَمُّ فِيهَا مُعَذِّبُونَ، قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَيَّامُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مَرِيحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسْرَتْهُمْ فَفَدَّوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

فَمِنْ عِلَامَةِ إِحْيَاؤِهِمْ أَنْكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحِزْمًا فِي لَيْنٍ، وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ، وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ، وَقَصْدًا فِي غِنَى، وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ، وَطَلْبًا فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطًا فِي هَيْدَى، وَتَحَرُّجًا عَنِ طَمَعٍ، يَعْمَلُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمَسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ، يَبِيتُ حَذِرًا، وَيُصْبِحُ فَرِحًا؛ حَذِرًا لِمَا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ» (٢).

الطرق الموصلة إلى التقوى

هذه الرتبة العاليه الشريفه التي يطمع فيها كل العقلاء لن ينالها أحد إلا من خلال التمسك بمنهجيته مرسومه من قبل الشارع المقدس ولذا نرى أن نبوب هذه الطرق لتسهيل معرفتها والأخذ بها:

١- ورد في نهج البلاغه: الذي كتب لهم.

٢- ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٦ ٤٨٢٧.

١ الالتزام بالاستقامة فى كل مفردات الحياه قولاً وعملاً والابتعاد عن الأفكار والطرق المنحرفه التى تتعد بصاحبها عن القرب الإلهى وعن رتبه المتقين وهذا ما نلمسه فى قوله تعالى:

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١).

٢ التمسك بالدين الإسلامى الحنيف والتلبس بواجباته والانتهاه عن نواهيه فلذا ورد فى الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«التَّقْوَى ثَمَرَةُ الدِّينِ، وَأَمَارَةُ الْيَقِينِ» (٢).

٣ أن يصوم صوماً حقيقياً، ويتعد عن كل ما يفسد الصوم سواء كان على مستوى الجوارح أو الابتعاد عن المفطرات الفقهييه وهذا ما تريده الآيه الشريفه كما فى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٣).

٤ أن يحتاط العبد من الوقوع فى الشبهات فضلاً عن الحرام الصريح والباطل الواضح وهذا ما أرشدنا إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«إِنَّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَا يَتَّقَى مِنْهُ خَوْفًا مِنَ الدُّخُولِ فِي الشُّبُهَةِ» (٤).

١- سورة الأنعام، الآيه: ١٥٣.

٢- غرر الحكم: ١٧١٤. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٨، ح ٢٢٤٤٧.

٣- سورة البقره، الآيه: ١٨٣.

٤- تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ٦٢. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٩، ح ٢٢٤٤٩.

٥ لابد للعبد الذى يطمع أن يكون من المتقين أن يحاسب ويراقب نفسه ويتأكد من حليه ضرورياته، وهو الذى صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى وصيته لأبى ذر:

«يا أبا ذرٍّ، لا يكونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ، فَيَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَطْعُمُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَشْرَبُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ؟ أَمِنْ جِلِّ ذَلِكَ، أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟» (١).

ما يمنع التقوى

كما أن للتقوى وسائلًا يصل بها الإنسان إلى رتبة المتقين التى هى رتبة الأنبياء والأولياء والعباد الصالحين كذلك هناك ما يمنع الاتصاف بهذه الصفة وما يحول بين المرء وبين هذه الرتبة ونذكرها على النحو الآتى:

١ إذا انغمس الإنسان فى زخرف الدنيا وانبهر بزبرجدها يتعلق قلبه بها ويعشقهها إلى درجة الوله، فيستولى عليه حب الدنيا فيغلق الباب بوجه التقوى فلا تستطيع الدخول إلى هذا القلب المغرور فضلاً عن الاستقرار فيه، وهذا يتضح من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«حَرَامٌ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَوَلِّهِ بِالدُّنْيَا أَنْ تَسْكُنَهُ التَّقْوَى» (٢).

٢ لا ينسجم بل لا يصح أن يكون المتقى طامعاً بما فى أيدي الناس من حطام الدنيا وقذارتها، ولا يكون المتقى خالياً من الحياء فلذا قال الإمام العسكرى عليه السلام:

«مَنْ لَمْ يَتَّقِ وُجُوهَ النَّاسِ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ» (٣).

١- كنز العمال: ٨٥٠١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٩، ح ٢٢٤٥٠.

٢- غرر الحكم: ٤٩٠٤. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٩، ح ٢٢٤٥٣.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٣٧٧، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٩، ح ٢٢٤٥٤.

٣ إذا أراد العبد أن يتصف بالتقوى وأن يلمس آثارها وفوائدها لا بد له من حفظ لسانه عما حرم الله تعالى، ولأهميه هذا الشرط نجد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقسم بالله تعالى فيقول:

«والله، ما أرى عبداً يتقى تقوى تنفعه حتى يحزن لسانه»^(١).

٤ هناك إحدى الصفات الذميمة التي لا تليق بالمؤمن، بل قد تبعده عن طاعة الله تعالى حذر منها الإمام المعصوم بقوله:

«ولا يستطيع أن يتقى الله من خاصم»^(٢).

أُسْئَلُهُ مَهْمَهُ

نعلم أن الصفات الحسنه والفضائل الكريمة لها درجات متفاوتة بحسب من يتصف بها، فلذا نجد أن من الناس من له رتبة المتقين إلا أنه لا يمكن أن يكون في رتبة إمام المتقين عليه السلام ولذا نرى من المهم أن نطرح هذه الأسئلة لكي نجيب عليها بأجوبه أهل بيت العصمة عليهم السلام.

السؤال: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

فكيف نتقى الله حق تقاته؟

الجواب: ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ: أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى»^(٤).

١- نهج البلاغه: الخطه ١٧٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣٠، ح ٢٢٤٥٥.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ٢٩٨. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣٠، ح ٢٢٤٥٦.

٣- سوره آل عمران، الآية: ١٠٢.

٤- الدر المنثور: ج ٢، ص ٢٨٢. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣٠، ح ٢٢٤٥٧.

وقد أضاف الإمام الصادق عليه السلام على قول جده صلى الله عليه وآله وسلم (وَيُشْكِرُ فَلَا يُكْفِرُ).

ولكى نقف على نوع هذه التقوى نعرض هذه الأحاديث الشريفه لتبين لنا كيفيتها وهي كما روى عليه السلام:

«اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرَ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفَ يَدَنَهُ، وَأَسَهَرَ التَّهَجُّدَ غِرَارَ نَوْمِهِ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءَ هَوَاجِزَ يَوْمِهِ، وَظَلَفَ الزُّهْدَ شَهَوَاتِهِ»^(١).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«اتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ مَنْ شَغَلَ بِالْفِكْرِ قَلْبَهُ، وَأَوْجَفَ الذُّكْرَ بِلِسَانِهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ»^(٢).

السؤال: ما هو تفسير التقوى فى نظر أهل البيت عليهم السلام؟

الجواب:

التقوى أن تجتنب الحرام وتعصم نفسك من الوقوع فيه وهذا ظاهر فى قولهم عليهم السلام:

«التَّقْوَى اجْتِنَابُ»^(٣).

«بِالتَّقْوَى قُرِنَتْ الْعِصْمَةُ»^(٤).

«التَّقْوَى أَنْ يَتَّقَى الْمَرْءُ كُلَّ مَا يُؤْتِمُّهُ»^(٥).

١- نهج البلاغه: الخطبه ٨٣. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣١، ح ٢٢٤٦٤.

٢- غرر الحكم: ٦٦٠٠. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣١، ح ٢٢٤٦٧.

٣- غرر الحكم: ١٨٨. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣١، ح ٢٢٤٦٨.

٤- غرر الحكم: ٤٣١٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣١، ح ٢٢٤٦٩.

٥- غرر الحكم: ١٨٧١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣٢، ح ٢٢٤٧١.

بحث أخلاقي

النصيحة علامه المحب

إذا أحب الإنسان غيره لا بد أن يكون ناصحاً معه أو له لكي يؤكد حبه له وإلا يلزم من خلاف ذلك عدم صدق المدعى، فلذا خاطب القرآن الكريم الناس بلسان أحد أنبياء الله تعالى بأنه من الناصحين لهم لما جاء لهم من رسالات الله تعالى التي تقودهم إلى كمالهم ومصالحهم وهذا ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى:

(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (١).

(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) (٢).

ولا بد لنا من الوقوف على معنى النصيحة لكي يتسنى لنا معرفه أهميتها فنقول:

النصيحة لغه: هي الخالص من العمل، ناصح مناصحه (نصح نفسه بالتوبه: أخلصها، نصح الشيء نصحاً: خلص.

النصيحة اصطلاحاً: أن تخلص الإرشاد من يستحقه.

ولكى لا يلتبس المعنى على البعض عندما يقرأ (نصح لله، النصيحة لله ولرسوله الخ) فنقول:

المراد هنا نصح معه: أى أخلص معه فى طاعته وانقياده وامتناله أوامره والانتهاه عن نواهيه.

وأما النصيحة للمسلمين هي الإخلاص فى الإرشاد أو فى التعامل معهم.

فإذا وزنا سلوك الإنسان مع ربه ومع أخيه المؤمن نجد أن هذا الإخلاص فى فعله

١- سورة الأعراف، الآية: ٦٢.

٢- سورة الأعراف، الآية: ٦٨.

وقوله ما هو إلا دلالة على حبه لربه أو لأخيه، فمن كان محباً كان ناصحاً ومن كان ناصحاً كان محباً ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما أَخْلَصَ الْمَوَدَّةَ مَنْ لَمْ يَنْصَحْ» (١).

وإذا أراد الإنسان أن ينال محبة الطرف الآخر فما عليه إلا أن يكون ناصحاً له فى كل ما تصح فيه النصيحة، وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«النَّصِيحَةُ تُثْمِرُ الْوُدَّ» (٢).

النصيحة لمن؟

بعد أن عرفنا النصيحة وعرفنا دلالاتها على المحبه، بل وتثمر المحبه أيضاً، صار لا بد من معرفه من له الحق علينا فى النصيحة، وهذا ما سنقدمه فى العرض الآتى:

١ النصيحة لله تعالى:

قلنا إن النصيحة لله تعالى هى الإخلاص له فى الطاعة والانقياد، وإتيان ما يحب واجتناب ما يكره، وهذه النصيحة لا تعود على الله تعالى بالنفع والفائده لغناه عن طاعه من أطاعه، إلا أننا نجد أن الله تعالى يؤكد على هذه النصيحة بل يجعلها من أحب العبادات إليه تعالى كما فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَحَبُّ مَا تَعَبَّدَ لِي بِهِ عَبْدِي، النَّصِيحُ لِي» (٣).

وما هذا التأكيد إلا لكى ينتفع العبد الناصح بذلك فإن دل على شىء فإنما يدل على لطف الله تعالى ورحمته بعباده.

١- مستدرک الوسائل، الميرزا النورى: ج ١٢، ص ٤٣٣، ح ١٤٥٤٠. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٣، ح ٢٠١٣٧. غرر الحكم: ح ٩٥٨٠.

٢- غرر الحكم: ٨٤٤. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٣، ح ٢٠١٤٣.

٣- الترغيب والترهيب: ج ٢، ص ٥٧٧، ح ١٦. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٢، ح ٢٠١٣١.

٢ النصيحة لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

ومعنى النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الالتزام بشريعته بعد الإيمان به والتصديق بما جاء به من عند الله العظيم، والحفاظ على دينه والدفاع عن بيضه هذا الدين، والمودة والمولاة لآله الطاهرين عليهم السلام والسير بهداهم، وهذا ما أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ يَضْمَنْ لِي خَمْسًا أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ: النَّصِيحَةَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالنَّصِيحَةَ لِرَسُولِهِ، وَالنَّصِيحَةَ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةَ لِدِينِ اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةَ لَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ» (١).

٣ النصيحة لكتاب الله تعالى:

وهذا يتجسد في تلاوته والالتزام بأحكامه وعدم هجره تلاوه وعملا، والتدبر فيه والتبرك بالنظر إليه، وتطهير الألسن والنفوس بآياته وعبره وحكمه وأمثاله وقصصه.

وهذا أيضا ورد في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِدِينِ اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ» (٢).

٤ النصيحة للإمام بالحق:

التولى للإمام ولأوليائه والتبرى من أعدائه، والاقْتداء بهديه وسمته، والإقرار بحجته والدفاع عنه والاستشهاد بين يديه إذا استلزم الأمر ذلك هو عين النصيحة له، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُصْبِحْ وَيُمْسِ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَإِلِمَامِهِ وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ» (٣).

١- مشكاة الأنوار: ص ٣١٠.

٢- ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٢، ح ٢٠١٣٥.

٣- الترغيب والترهيب: ج ٢، ص ٥٧٧، ح ١٧. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٢، ح ٢٠١٣٢.

٥ النصيحة لعامة المسلمين:

مؤازرتهم ومعاونتهم وإرشادهم ومعاشرتهم بالمعروف والاهتمام بأمرهم والدفاع عن مظلومهم هو ما أرشد إليه الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«والتَّصِيحَةُ لَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ».

فوائد

إشارة

إذا وجدت في شخص بعض هذه الصفات التي سنذكرها الآن فخذ بنصيحته إذا قدمها إليك وهي:

ألف: إذا أراد أن يحكم بين طرفين لا- يحكم إلا- بالحق دون أن يتأثر بنسب أو مال أو رباطه معينه كالديانته أو المذهبيه أو الوطنييه.

باء: إذا كان لغيره عليه حق لا يتوانى في إعطائه من نفسه.

جيم: لا يرضى لنفسه شيئاً دون غيره ولا يرضى لغيره إلا ما يرضاه لنفسه.

دال: لا يبغي ولا يظلم ولا يتجاوز حدود الله تعالى.

هذه الصفات ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أَمَّا عَلَامَةُ النَّاصِحِ فَرَبْعَةٌ: يَقْضِي بِالْحَقِّ، وَيُعْطِي الْحَقَّ، وَيُعْطَى الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَرْضَى لِلنَّاسِ مَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَعْتَدِي عَلَى أَحَدٍ» (١).

لا تنتظر من البخيل اللئيم والحاسد البغيض نصيحه ولا تعاتبهم على ذلك لعدم فائده العتاب معهم، فإن هذين الصنفين من الناس لا يحركهما إلا الطمع أو الخوف وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

١- تحف العقول: ص ٢٠. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٤، ح ٢٠١٥٥.

«لَا يَنْصَحُ اللَّئِيمُ أَحَدًا إِلَّا عَنِ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ، فَإِذَا زَالَتِ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ» (١).

وأشار إلى الصنف الثاني (الحاسد) إمامنا الصادق عليه السلام بقوله:

«النَّصِيحَةُ مِنَ الْحَاسِدِ مُحَالٌ» (٢).

قد يتلبس بعض السعاده النمامين والمفرقين بين الناس بلباس الناصحين وهم أكثر الناس غشاً فاحذرهم وهذا هو معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه وعهده لمالك الأشتر رضى الله عنه فجاء:

«وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ» (٣).

لا تنسى نفسك

تقدم الكلام أن النصيحة الحقه التي لا غش فيها ولا تلكأ ولا غايه فاسده هي ما كانت لله تعالى ولرسوله ولكتابه وللإمام الحق ولعامه المسلمين، ولكي تصدر النصيحة من العبد لما ذكرنا لا بد أن يكون صاحب النصيحة ذا نفس مؤمنه مطيعه منقاد لله تعالى ولرسوله وهذا لا يتم إلا من رجل ينصح نفسه قبل غيره كما صرح بذلك أمير المؤمنين بقوله:

«مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ كَانَ جَدِيرًا بِنُصْحِ غَيْرِهِ، مَنْ غَشَّ نَفْسَهُ كَانَ أَغْشَّ لِغَيْرِهِ» (٤).

ولكى يتضح هذا الترابط بين النصيحة وبين العبد المطيع لربه نذكر قول الإمام

١- غرر الحكم: ص ١٠٩١٠. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥، ح ٢٠١٥٨.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٩٤، ح ٩. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥، ح ٢٠١٥٧.

٣- نهج البلاغه: الكتاب ٣١. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥، ح ٢٠١٦١.

٤- غرر الحكم: ٩٠٤٣، ٩٠٤٤. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥، ح ٢٠١٦٥.

أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ أَنْصَحُهُمْ لِنَفْسِهِ، وَأَطَوْعُهُمْ لِرَبِّهِ» (١).

فمن أراد أن يكون ناصحاً لنفسه لابد أن يكون من المطيعين، فالمطيع هو الناصح الحقيقي والعاصي هو الغاش لنفسه كما ورد في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطَوْعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَعَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ» (٢).

ومن كان ناصحاً لله تعالى ولرسوله ولنفسه رزقه الله تعالى القناعة والرضا بما ناله من هذه الدنيا الفانية، ورزقه في الآخرة برضوان ينجيه من عذابها ولذا ذكر الإمام الصادق عليه السلام قوله هذا:

«مَا نَاصَحَ اللَّهُ عَبْدٌ مُسْلِمٌ فِي نَفْسِهِ، فَأَعْطَى الْحَقَّ مِنْهَا وَأَخَذَ الْحَقَّ لَهَا، إِلَّا أُعْطِيَ خَصْلَتَيْنِ: رِزْقاً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقَعُّ بِهِ وَرِضًى عَنِ اللَّهِ يُنْجِيهِ» (٣).

أَسْئَلُهُ مَهْمَهُ

السؤال: من هو الذى لا ينتفع بالنصيحة؟

الجواب: ذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أصنافاً من الناس لا تهمهم النصيحة ولا ينتفعوا بها:

ألف: الفاسد الذى يلتذ بفضيحته ولا يهتم بما قيل فيه وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«كَيْفَ يَنْتَفِعُ بِالنَّصِيحَةِ مَنْ يَلْتَذُّ بِالْفَضِيحَةِ» (٤).

١- غرر الحكم: ٣٥١٥. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥، ح ٢٠١٦٢.

٢- نهج البلاغة: الخطبه ٨٦. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥، ح ٢٠١٦٣.

٣- الخصال: ٤٦ ٤٦. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥ ٤٣٢٦، ح ٢٠١٦٦.

٤- غرر الحكم: ٧٠٠٨. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٦، ح ٢٠١٦٩.

باء: من لا عقد له سواء كان مجنوناً أو أحمقاً أو جاهلاً جهلاً مركباً، فلذا قال الإمام السجاد عليه السلام عن الأحمق الذى لا يهتم بالنصيحه:

«إن تكلم فضحه حمقه، وإن سكت قصر به عيه، وإن عمل أفسد، وإن استرعى أضاع، لأعلمه من نفسه يغنيه، ولا علم غيره ينفعه، ولا يطيع ناصحه، ولا يستريح مقارنه، تود أمه أنها ثكلته، وامراته أنها فقدته، وجاره بعد داره، وجليسه الوحده من مجالسته، إن كان أصغر من فى المجلس أعى من فوقه، وإن كان أكبرهم أفسد من دونه»^(١).

وتكلم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يصف الجاهل بالجهل المركب الذى لا يقبل قولاً ولا موعظه ولا نصيحه فقال:

«إن الجاهل من عمد نفسه بما جهل من معرفه العلم عالماً وبرأيه مكتفياً فما يزال من العلماء مباعداً وعليهم زارياً ولمن خالفه مخطئاً ولمن لم يعرف من الأمور مضللاً وإذا ورد عليه من الأمر ما لا يعرفه أنكره وكذب به وقال بجهالته: ما أعرف هذا، وما أراه كان، وما أظن أن يكون، وإنى كان، ولا أعرف ذلك لثقتة برأيه وقله معرفته بجهالته»^(٢).

السؤال: ممن نأخذ النصيحه؟

الجواب: نصحننا الإمام عليه السلام أن نأخذها مما يلى:

ألف: إن أفضل ناصح وأكمل نصيحه هى نصيحه الله تعالى لعبده فلذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَّقَ»^(٣).

١- الأمالى للشيخ الطوسى: ص ٦١٤، ح ١٢٦٨/٤.

٢- الآداب والأخلاق الإسلامى لعبد الله الهاشمى: ص ٦٩٥.

٣- نهج البلاغه: الخطبه ١٤٧. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٦، ح ٢٠١٧٢.

باء: وأن كتاب الله تعالى القرآن الكريم هو خير ناصح لا يغش ويظل وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«اتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ، واقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ... واعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يُغْشَى... واستَنْصِتْ حَوْه عَلَى أَنْفُسِكُمْ، واتَّهَمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، واستَغْشُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ» (١).

جيم: هناك من يمتن علينا بمبادره منه فيهب لنا نصيحته لتدبرها بعقولنا ثم نعمل بها بعد التأكد من صوابها وهذا ما أشار إليه مولى المتقين عليه السلام بقوله:

«اسْمَعُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاها إِلَيْكُمْ، واعْقِلوها عَلَى أَنْفُسِكُمْ» (٢).

ورد أيضا عن أمير المؤمنين عليه السلام أن:

«لا تأخذ النصيحة ممن لا عقل له ولا أصل... الخ».

السؤال: ما هي آثار قبول النصيحة أو عدم قبولها؟

الجواب: ألف / إن لقبول النصيحة آثارا جميله أوردها أمير المؤمنين عليه السلام بالأحاديث الآتية:

١ قال الإمام على عليه السلام:

«مَنْ نَصَحَكَ فَقَدْ أَنْجَدَكَ» (٣).

٢ وعنه عليه السلام:

«مَنْ قَبِلَ النَّصِيحَةَ أَمِنَ مِنَ الْفُضِيحَةِ» (٤).

١- نهج البلاغه: الخطبه ١٧٦. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٦، ح ٢٠١٧١.

٢- غرر الحكم: ٢٤٩٤. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٧٤.

٣- غرر الحكم: ٧٧٦٧. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٨١.

٤- غرر الحكم: ٨٣٤٤. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٨٢.

٣ وعنه عليه السلام:

«مِنَ أَكْبَرِ التَّوْفِيقِ الْأَخْذُ بِالنَّصِيحَةِ» (١).

٤ وعنه عليه السلام:

«مَنْ أَقْبَلَ عَلَيَّ النَّصِيحَ أَعْرَضَ عَنِ الْقَبِيحِ، مَنْ اسْتَعَشَّ النَّصِيحَ غَشِيَهُ الْقَبِيحُ» (٢).

وقفه وتأمل

لتأمل في هذه الدرر التي فاض بها علينا سيد الأوصياء عليه السلام فنجده يؤكد على قبول نصيحة الناصح لما فيها من نجاه وخلص من برائن الشيطان وعثرات النفس، ولما فيها من دفع للفضيحة بين الناس التي ستلحق الضرر الكبير بسمعنا ومنزلتنا في الدنيا وتحجب عنا رضا ربنا ورضوانه في الآخرة.

باء/ ومن ترك التمسك بالنصيحة ظل وهوى، وأدخل السرور على أعدائه والحزن على أحبائه، فلذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ خَالَفَ النَّصِيحَ هَلَكَ» (٣).

وعنه عليه السلام:

«مَنْ عَصَى نَصِيحَةَ نَصْرٍ ضِدَّةٌ» (٤).

وعنه عليه السلام:

«مَنْ أَعْرَضَ عَنِ نَصِيحَةِ النَّاصِحِ أَحْرَقَ بِمَكِيدِهِ الْكَاشِحَ» (٥).

١- غرر الحكم: ٩٣٠٥. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٨٣.

٢- غرر الحكم: ٨٦٨٣. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٨٥.

٣- غرر الحكم: ٧٧٤٣. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٧٩.

٤- غرر الحكم: ٨٣٥٥. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٨٠.

٥- غرر الحكم: ٨٦٩٧. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٨٦.

بحث عقائدى

الحياه البرزخيه

بعد أن أوصى الإمام الحسين عليه السلام بالتقوى وحذر الناس من أيام الله تعالى نحا بخطبته على بيان نزول ريب المنون ومرارته واستيلائه على مهج القلوب ووقوفه حاجبا بين العمل وبين صاحبه فينقطع العبد عن الدنيا ليبدأ يومه الأول فى آخرته فيأخذ بقوانين النشأ الأخرى، وأدلى مراحل هذه النشأ هى الحياه البرزخيه.

قبل أن نخوض فى تفصيلات هذه الحياه لابد لنا من معرفه البرزخ لغه واصطلاحاً.

البرزخ فى اللغه: الحاجز بين شيئين(١).

البرزخ فى الاصطلاح: جاء عن الجرجانى(٢)، البرزخ: هو العالم المشهور بين عالم المعانى المجرده والأجسام الماديه، وعرفه أهل البيت عليهم السلام بأنه أمر بين أمرين كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

ورد فى تفسير نور الثقلين عن على بن إبراهيم: البرزخُ هو أمرٌ بين أمرين، وهو الثواب والعقابُ بين الدُّنيا والآخِرَه، وهو قولُ الصادقِ عليه السلام:

«والله، ما أخافُ عليكم إلا البرزخ»(٣).

وحده الإمام الصادق عليه السلام بكلام صريح بقوله:

«والله، أتخوَّفُ عليكم فى البرزخِ!

قلتُ: وما البرزخُ؟ فقال:

القبرُ، منذُ حينِ موتهِ إلى يومِ القيامةِ».

١- المعجم الوسيط: ص ٤٩.

٢- التعريفات للجرجانى: ص ٣١.

٣- تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٥٥٣، ح ١٢٠. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٣٣٦، ح ١٦٨١.

أحوال البرزخ

تقدم الحديث أن البرزخ هو ما سيكون عليه العبد في القبر الذى يضمه منذ موته إلى حين نشوره وقيامته، فإذا نزل العبد فى ذلك المكان الموحش المظلم الضيق انقطع عن عالم الدنيا وما فيها من الأحبه والأموال والمناصب والعناوين الوقتيه والجاه العريض، فيصرح دون أن يسمعه أحد، وينادى فلا يجيبه مجيب، فتبدأ أحوال القبر من ضمه القبر إذ إن القبر يضم صاحبه إذا كان عاصياً يضمه فتتلاقى أضلاعه كما ورد ذلك فى الروايات الشريفه فلقد جاء فى كتاب الأمالى للشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له: إن سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقام أصحابه معه.

فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضاده الباب، فلما أن حنط وكفن وحمل على سريره تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا حذاء ولا رداء.

ثم كان يأخذ يمينه السرير مره ويسره السرير مره حتى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحدته وسوى اللبن عليه، وجعل يقول: ناولونى حجراً، ناولونى تراباً رطباً يسد به ما بين اللبن.

فلما أن فرغ وحشا التراب عليه وسوى قبره، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى لأعلم أنه سيبنى ويصل البلى إليه؛ ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه، فلما أن سوى التربه عليه قالت أم سعد: يا سعد هنيئاً لك الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أم سعد! مه، لا تجزى على ربك، فإن سعداً قد أصابته ضمه.

قال: فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجع الناس؛ فقالوا له: يا رسول الله

لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسيت بها.

فقالوا: وكنت تأخذ يمينه السرير مره ويسره السرير مره، قال: كانت يدي في يد جبرئيل آخذ حيث يأخذ، قالوا: أمرت بغسله وصليت على جنازته ولحدته في قبره ثم قلت: إن سعداً قد أصابته ضمه! قال: فقال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم إنه كان في خلقه مع أهله سوء» (١).

فإن هذه الضمه التي تصيب الميت هي تطهير له لكي يخرج إلى القيامة نظيفاً من بعض الذنوب كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن علي عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ضغطه القبر للمؤمن كفاره لما كان من تضييع النعم» (٢).

ثم يلي ضمه القبر سؤال منكر ونكير فيسألان العبد أسئلة عديدة فيكون بعدها إما فائزاً أو هو من الخاسرين نتيجة لأجوبته وهذا ما ذكره لنا صاحب الأمالي فقال:

عن موسى بن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال:

«إذا مات المؤمن شيعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أدخل قبره أتاه منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مد بصره، ويأتياه بالطعام من الجنة، ويدخلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عز وجل:

١- تسليه الفؤاد في بيان الموت والمعاد، السيد عبد الله شبر: ص ٨٥ ٨٦.

٢- تسليه الفؤاد لعبد الله شبر: ص ٨٦.

(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) (١).

يعنى فى قبره.

(وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) (٢).

يعنى فى الآخره.

ثم قال عليه السلام:

إذا مات الكافر شيعة سبعون ألفاً من الزبانية إلى قبره، وإنه ليناشد حامله بصوت يسمعه كل شيء إلا الثقلان ويقول: لو أن لى كره فأكون من المؤمنين، ويقول: ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت، فتجيبه الزبانية: كلا- إنها كلمه أنت قائلها، ويناديهم ملك: لو رد لعاد لما نهى عنه، فإذا أدخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير فى أهول صوره؛ فيقيمانه ثم يقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيتلجلج لسانه ولا يقدر على الجواب، فيضربانه ضربه من عذاب الله يدعها كل شيء، ثم يقولان له:

من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا- أدرى، فيقولان له: لا دريت ولا هديت ولا أفلحت، ثم يفتحان له باباً إلى النار ويزلان إليه الحميم من جهنم وذلك قول الله عز وجل:

(وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ) (٣).

يعنى فى القبر.

(وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ) (٤).

١- سورة الواقعة، الآيتان: ٨٨ و ٨٩.

٢- سورة الواقعة، الآية: ٨٩.

٣- سورة الواقعة، الآيتان: ٩٢ و ٩٣.

٤- سورة الواقعة، الآية: ٩٤.

يعنى فى الآخره»(١).

هذه الحاله التى يمر فيها الميت هى مرحله سابقه لمرحله البرزخ، أى عندما يودع الإنسان هذه الدنيا وينتقل إلى عالم الآخره يكون فى يومه الآخ من أيام الدنيا والأول من أيام الآخره فيتجسم له ما كان مهتما به أشد الاهتمام ألا وهو المال والأولاد والعمل فعندها تحصل المحاوره التى تزلزل القلوب وتدمع العيون ويطير لها اللب، وهذا ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام فى الكافى مسنداً عن سويد بن غفله قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«إن ابن آدم إذا كان فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخره مثل له ماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنى كنت عليك حريصاً شحيحاً فما لى عندك؟ فيقول: خذ منى كفنك.

قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: والله إنى كنت لكم محبباً وإنى كنت عليكم محامياً فماذا لى عندكم؟ فيقولون: تؤديك إلى حفرتك نواريك فيها.

قال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إنى كنت فيك لزاماً وإن كنت على لثقيلا- فماذا لى عندك، فيقول: أنا قرينك فى قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك.

قال: فإن كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظرأً وأحسنهم رياشاً، فقال: أبشر بروح وريحان وجنه نعيم ومقدمك خير مقدم، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عمك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنة وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله»(٢).

١- أمالى الصدوق: ص ١٧٤. تسليه الفؤاد، لعبد الله شبر: ص ٨٧ ٨٨.

٢- الكافى: ج ٣، ص ٢٣١. تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص ٨٩ ٩٠.

ففى هذه الروايه يكون العمل مجملا لصاحبه.

وهناك ما يدل على تجسم الأعمال تفصيليا، أى أن الصلاه تتجسم بصوره والصوم بصوره أخرى والزكاه بصوره ثالثه وهكذا فلذا ذكر فى المحاسن عن أبى بصير عن أحدهما عليهما السلام قال:

«إذا مات العبد المؤمن دخلت معه فى قبره ست صور، فيهن صوره أحسنهن وجهاً، وأبهاهن هيئه، وأطيبهن ريحاً وأنظهن صورته، قال: فتقف صورته عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجله، وتقف التى هى أحسنهن فوق رأسه، فإن أتى عن يمينه منعتة التى عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست، قال: فتقول أحسنهن صورته: من أنتم جزاكم الله عنى خيراً؟ فتقول التى عن يمين العبد: أنا الصلاه، وتقول التى عن يساره، أنا الزكاه، وتقول التى بين يديه: أنا الصيام وتقول التى خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التى عند رجله: أنا بر من وصلت من إخوانك، ثم يقلن: من أنت، فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأبهانا هيئه؟ فتقول: أنا الولايه لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين» (١).

عندما تقرأ الروايات التى تتحدث عن أحوال البرزخ تقف مذهولاً فهناك روايه تشير إلى أن المؤمن مهما بلغ إيمانه ودرجته لا بد له من ضمه القبر لمعصيه لم يتب منها وهذا ما حصل لسعد بن معاذ كما جاء فى الروايه السابقه الذكر ففى هذه الروايه نجد أن سعداً شيعته الملائكه وعلى رأسهم جبرئيل عليه السلام وحمله سيد الكائنات صلى الله عليه وآله وسلم على عاتقه الشريف وتولى أمر تنزيله فى القبر ووضع فى مخلوده قبره وسوى عليه التراب بيده الشريفه إلا أنه لم ينبج من ضمه القبر بسبب غلظه مع أهله.

١- المحاسن: ص ٢٨٨. تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص ٩٣.

أَسْئَلُهُ مَهْمَهُ

السؤال: هل هناك من ينجو من ضغطه القبر؟

الجواب: ورد في الروايات أن الناجين من ضغطه القبر قليلون جداً وهذا ما أكده الإمام الصادق عليه السلام في الكافي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

أيفلت من ضغطه القبر أحد؟، قال، فقال عليه السلام:

«نعوذ بالله منها، ما أقل من يفلت من ضغطه القبر، إن رقيه لما قتلها عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبرها، فرفع رأسه إل السماء فدمعت عيناه وقال للناس:

إني ذكرت هذه وما لقيت فرقت لها واستوهبتها من ضمه القبر، قال: فقال اللهم هب لي رقيه من ضمه القبر؛ فوهبها الله له» (١).

وهم كالاتى:

ألف: من شفع فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد الأئمة عليهم السلام كما فى تكمله الروايه السابقه فيقول:

إن رقيه لما قتلها عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبرها، فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس:

إني ذكرت هذه وما لقيت فرقت لها واستوهبتها من ضمه القبر، قال: فقال اللهم هب لي رقيه من ضمه القبر؛ فوهبها الله له» (٢).

باء: من مات فى وقت شريف من أيام الأسبوع وهو يوم الجمعة ينجو من هذه

١- الكافي: ج ٣، ص ٢٦٣. تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص ٩٤.

٢- الكافي: ج ٣، ص ٢٦٣. تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص ٩٤ ٩٥.

الضغطة المخيفه كما فى الروايه الآتيه، فى محاسن البرقى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من مات يوم الجمعة كتب الله له براءه من ضغطة القبر»^(١).

بل فى روايه أخرى هناك توسعه فى الوقت مما أشارت إليه الروايه السابقه وهذا ما أشارت إليه الروايه:

«من مات ما بين زوال الشمس يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاده الله من ضغطة القبر»^(٢).

وفى روايه ثالثه أن ليله الجمعة أو يومها دوراً كبيراً فى رفع عذاب القبر كله بما فيه ضغطة القبر وهذا ما ذكره الإمام أبو جعفر عليه السلام بقوله:

«بلغنى أن النبى قال: من مات يوم الجمعة أو ليله الجمعة دفع عنه عذاب القبر»

جيم: وسنذكر بعض الأعمال التى تساعد على النجاه من ضغطة القبر وهى كما يلى:

(الأول: روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«مَنْ قرأ سورة النساء فى كل جمعه أو من من ضغطة القبر»^(٣).

الثانى: روى:

«مَنْ أذَمَّنَ قراءه (حم) الزخرف آمنه الله فى قبره من هَوائِ الأرض وضغطة القبر»^(٤).

الثالث: روى:

١- المحاسن: ص ٥٨. تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص ٩١ ٩٢.

٢- أمالى الصدوق: ص ١٦٩، تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص ٨٦.

٣- ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٣١. منازل الآخرة للشيخ عباس القمى: ص ٦٢.

٤- ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤١. نقله فى البحار: ج ٨٧، ص ٢، ح ٣.

«مَنْ قرأ سورة (ن) والقلم في فريضه أو نافله... أعاده الله إذا مات مِنْ ضمه القبر»(١).

الرابع: رُوى عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ مات ما بين زوال الشمس من يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة أعاده الله مِنْ ضغطه القبر»(٢).

الخامس: رُوى عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«عليكم بصلاه الليل، فما من عبد يقوم آخر الليل فيصلى ثمان ركعات، وركعتي الشفع، وركعه الوتر، واستغفر الله في قنوته سبعين مرّة إلا أُجبر مِنْ عذاب القبر ومن عذاب النار، ومُدَّ في عمره، ووسع عليه في معيشته»(٣).

السادس: روى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ قرأ ألهاكم التكاثر عند النوم وقى مِنْ فتنه القبر»(٤).

السابع: قراءه دعاء:

(أعددتُ لكل هول لا إله إلا الله...).

الثامن: الدفن في النجف الأشرف، فمن خواص هذه التربة الشريفة أنها تُسقط عذاب القبر وحساب منكر ونكير عَنْ مَنْ يدفن فيها(٥).

التاسع: من الأمور النافعه لرفع عذاب القبر وضع جريدتين رطبتين مع الميت.

١- ثواب الأعمال: ص ١٤٧. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٦٣.

٢- الأمل للصدوق: ص ٢٣١. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٦، ص ٢٢١، ح ١٧.

٣- روضه الواعظين للنيسابوري: ج ٢، ص ٣٢٠. بحار الأنوار: ج ٨٧، ص ١٦١.

٤- ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٥٣. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٦، ص ٢٠٠، ح ١٤.

٥- إرشاد القلوب للشيخ الديلمي: ص ٤٣٩. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٦٤.

وروى: أنه يتجافى عنه العذاب ما دامت رطبه.

وروى أيضا:

(مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبر يُعذَّب صاحبه، فدعا بجريده فشققها نصفين، فجعل واحدة عند رأسه، والأخرى عند رجله، وأنه قيل له: لم وضعتها؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنه يخفف عنه العذاب ما كانتا خضراوين»^(١).

ومن النافع أيضاً صبّ الماء على القبر لما ورد أن العذاب يرفع عن الميت ما دام القبر رطباً^(٢).

العاشر: فى أول يوم من رجب.

(تصلّى عشر ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحه الكتاب مرّه، وقل هو الله أحد ثلاث مرات... وقاك الله فتنه القبر وعذاب يوم القيامة)^(٣).

(ويصلى فى الليله الأولى من رجب بعد صلاه المغرب عشرين ركعه بالحمد والتوحيد، فإنّها نافعه فى رفع عذاب القبر)^(٤).

الحادى عشر: أن تصوم أربعة أيّام من شهر رجب^(٥).

وكذلك صوم اثنى عشر يوماً من شعبان^(٦).

الثانى عشر: ومن الأمور الموجبه للنجاه من عذاب القبر قراءه سوره الملك فوق

١- الفقيه: ج ١، ص ١٤٤، ح ٤٠٢. منازل الآخره للشيخ عباس القمى: ص ٦٦.

٢- الكافى: ج ٣، ص ٢٠٠، ح ٦.

٣- الإقبال لابن طاوس: ص ٦٣٧.

٤- الإقبال لابن طاوس: ص ٦٢٩.

٥- ثواب الأعمال للصدوق: ص ٧٩. منازل الآخره للشيخ عباس القمى: ص ٦٧.

٦- ثواب الأعمال للصدوق: ص ٨٧. الأمالى للصدوق: ص ٣٠.

قبر الميت كما روى ذلك القطب الراوندى عن ابن عباس قال:

(إن رجلاً ضرب خباءه على قبر ولم يعلم أنه قبر، فقرأ تبارك الذى بيده الملك، فسمع صائحاً يقول: هى المنجيه.

فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:

«هى المنجيه من عذاب القبر»^(١).

وروى الشيخ الكلينى عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«سوره الملك هى المانع تمنع من عذاب القبر»^(٢).

الثالث عشر: فى دعوات الراوندى نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ما من أحد يقول عند قبر ميت إذا دفن ثلاث مرّات: (اللهم إننى أسألك بحق محمد وآل محمد أن لا تُعَذِّبَ هذا الميت) إلا دفع الله عنه العذاب إلى يوم ينفخ فى الصور»^(٣).

الرابع عشر: روى الشيخ الطوسى فى (مصباح المتهدج) عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«مَنْ صَلَّى ليله الجمعة ركعتين يقرأ فيهما بفتحة الكتاب وإذا زلزلت الأرض زلزالها خمس عشره مرّه آمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة»^(٤).

الخامس عشر: ومن النافع فعلة لرفع عذاب القبر صلاه ثلاثين ركعه فى ليله

١- الدعوات للقطب الراوندى: ص ٢٧٩، ح ٨١٧ س.

٢- الكافى: ج ٢، ص ٦٣٣، ح ٢٦. منازل الآخره للشيخ عباس القمى: ص ٦٨.

٣- الدعوات للقطب الراوندى: ص ٢٧٠، ح ٧٧٠. بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ٥٤، ح ٤٣.

٤- مصباح المتهدج: ص ٢٢٨.

النصف من رجب يقرأ في كل ركعه الحمد مرّه والتوحيد عشر مرّات (١).

وكذلك في الليله السادسه عشره (٢) والليله السابعه عشره (٣) من رجب.

وكذلك أن يصلى في الليله الأولى من شعبان مائه ركعه بالحمد والتوحيد، وبعد أن يفرغ من الصلاه يقرأ التوحيد خمسين مرّه (٤).

وكذلك يصلى في الليله الرابعه والعشرين من شعبان ركعتين يقرأ في كل ركعه الحمد مرّه، وإذا جاء نصر الله عشر مرات (٥).

وورد ليوم النصف من رجب صلاه خمسين ركعه بالحمد والتوحيد والفلق والناس، فإنّها نافعه لرفع عذاب القبر (٦).

ومثلها صلاه مائه ركعه ليله عاشوراء (٧) (٨).

السؤال: هل يعذب المصلوب عذاب القبر لاسيما ضغطه القبر؟

الجواب: أجاب على ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

روى على بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس قال: سألته عن المصلوب يعذب عذاب القبر؟ قال: فقال:

«نعم إن الله عز وجل يأمر الهواء أن يضغته» (٩).

١- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٦٥٢.

٢- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٦٦٤.

٣- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٦٦٥.

٤- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٦٨٣. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٦٩.

٥- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٧٢٢.

٦- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٦٥٨. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٧٠.

٧- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٥٥٥ ٥٥٦.

٨- منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٦٢ ٧٠.

٩- الكافي للكليني: ج ٣، ص ٢٤١، برقم ٤٧٢٨ ١٦.

وفى روايه أخرى، سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المصلوب يصيبه عذاب القبر فقال:

«إن رب الأرض هو رب الهواء فيوحى الله عز وجل إلى الهواء فيضغطه ضغطه أشد من ضغطه القبر»(١).

ويستشف من هذه الروايه أن الميت يتعذب بعذاب القبر وإن لم يكن له قبر ترابى بحسب الظاهر، ولا يقتصر العذاب على ضغطه القبر بل يتعداه إلى غيره بدليل أن السائل الذى سأل الإمام عليه السلام عن عذاب القبر مطلقاً فلم ينفِ الإمام عليهم السلام العذاب عن الميت المصلوب وإنما أشار إلى الضغطه من باب ذكر مصداق من مصاديق العذاب، أو لعل الإمام عليه السلام دفع إشكالاً مقدراً فى ذهن السائل وهو (كيف يضغط المصلوب ولم يكن له قبر من تراب) فرد عليه بأنه يضغط بالهواء.

السؤال: من هو الذى يتعرض لسؤال منكر ونكير، أجميع الناس يسألون أم هناك فئه دون أخرى؟

الجواب: هناك ثلاثه أصناف من الناس، صنف محض الإيمان محضاً أى كان مؤمناً فى أعلى درجات الإيمان وأرقى رتب المؤمنين، وصنف آخر محض الكفر، وصنف ثالث هو الصنف الذى بين هؤلاء وأولئك، وكذلك الحال مع المستضعفين والبلهاء والأطفال وأبناء المسلمين الذين لم يبلغوا سن الرشد.

فلذا لا يُسأل إلا- الصنف الأول والثانى فقط ولغى عن الصنف الثالث وهذا ما أكدته الكثير من الروايات كما فى قول الإمام الصادق عليه السلام:

ورد فى الكافى عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«لا يسأل فى القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً»(٢).

١- المصدر السابق: برقم ١٧ ٤٧٢٩.

٢- الكافى: ج ٣، ص ٢٣٦. تسليه الفؤاد، السيد عبد الله شير: ص ١٠١.

وعن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، والآخرون يلهون عنهم»^(١).

وعن ابن بكير عن أبي جعفر عليه السلام، وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إنما يسأل في قبره من محض الإيمان محضاً أو الكفر محضاً، وأمّا ما سوى ذلك فيلهي عنهم»^(٢).

وعن أبي بكر الحضرمي قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام: من المسؤولون في قبورهم؟ قال:

«من محض الإيمان ومن محض الكفر».

قال: قلت: فبقيه هذا الخلق؟ قال:

«يلهي والله عنهم ما يعبا بهم»^(٣).

وينسجم هذا القول مع قوله تعالى:

(وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)^(٤).

السؤال: هل أن أرواح المؤمنين والكفار تزور أهلها بعد الموت؟

الجواب: ورد في الكافي أن المؤمنين والكفار على حد سواء يزورون أهلهم في أوقات معينه وبصوره العصفور أو أقل منه فيرون أهلهم، فأما المؤمنون يرجعون في فرح

١- الكافي: ج ٣، ص ٢٣٥.

٢- المصدر السابق.

٣- الكافي: ج ٣، ص ٢٣٧. تسليه الفؤاد، السيد عبد الله شبر: ص ١٠١ ١٠٢.

٤- سورة التوبة، الآية: ١٠٦.

وسرور لما رأوا من حسن حال دين أهلهم، وأما الكفار فإنهم يرون أهلهم ويرجعون إما بحسره عندما يرون أن أهلهم يعملون بالصالحات وإما فى حزن عندما يرونهم بشر وحاجه، ويزور الأموات أهلهم عند زوال الشمس، ولكن المؤمنون يؤذن لهم بالزياره أكثر من مره فى الأسبوع وعلى قدر فضلهم وهذا ما أشارت إليه الروايات الآتية:

روى ثقة الإسلام فى الكافى بإسناده (عن الصادق عليه السلام قال:

«إن المؤمن ليزور أهله فىرى ما يحب ويستتر عنه ما يكره، وإن الكافر ليزور أهله فىرى ما يكره ويستتر عنه ما يحب.

قال:

ومنهم من يزور كل جمعه، ومنهم من يزور على قدر عمله»(١).

وعن أبى بصير، عن الصادق عليه السلام قال:

«ما من مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتى أهله عند زوال الشمس، فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسره»(٢).

وعن إسحاق بن عمار، عن أبى الحسن الأول عليه السلام قال: سألته عن الميت يزور أهله؟ فقال:

«نعم.

فقلت: فى كم يزور؟ قال:

فى الجمعه وفى الشهر وفى السنه على قدر منزلته.

فقلت: فى أى صوره يأتهم، قال:

١- الكافى: ج ٣، ص ٢٣٠.

٢- المصدر السابق.

فى صوره طائر لطيف يسقط على دارهم ويشرف عليهم فإن رآهم بخير فرح وإن رآهم بشر وحاجه وحزن اغتم»(١).

وعن عبد الرحيم القصير قال: قلت له: المؤمن يزور أهله؟ قال:

«نعم، يستأذن ربه فيأذن له فيبعث معه ملكين فيأتيهم فى بعض صور الطير يقع فى داره ينظر إليهم ويسمع كلامهم»(٢).

عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبى الحسن عليه السلام: يزور المؤمن أهله؟ فقال:

«نعم».

فقلت: فى كم؟ قال:

على قدر فضائلهم، منهم من يزور فى كل يوم؛ ومنهم من يزور فى كل يومين، ومنهم من يزور فى كل ثلاثة أيام.

قال: ثم رأيت فى مجرى كلامه يقول:

أدناهم منزله يزور كل جمعه.

قال: قلت فى أى ساعه؟ قال:

عند زوال الشمس ومثل ذلك.

قال: قلت فى أى صوره؟ قال:

فى صوره العصفور وأصغر من ذلك، ويبعث الله عز وجل معه ملكاً فيريه ما يسره ويستر عنه ما يكره، فيرى ما يسره ويرجع إلى

قره عين»(٣).

١- المصدر السابق.

٢- المصدر السابق.

٣- الكافى: ج ٣، ص ٢٣١. تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص ١١٤ ١١٥.

تذكير

لا أظن أن القارئ الكريم قد يغفل عن تكليفه بعدما قرأ هذه الروايات إلا أن الذكرى تنفع المؤمنين.

فأقول:

١ ليجتهد المؤمن في إدخال السرور على روح أمواته من خلال طاعته لله تعالى وتلبسه بالإيمان والعمل الصالح في آناء الليل وأطراف النهار وليكون سبباً في إدخال السرور على المؤمن وينال بذلك ثواب من أدخل السرور على المؤمنين.

٢ لا ينسى المؤمن أن يتحف أمواته بشيء من الثواب ليرجع الميت إلى قبره بهديته فرحاً كما ورد في الرواية الشريفة:

جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما تصدرت لميت فيأخذها ملك في طبق من نور ساطع ضوءها يبلغ سبع سماوات ثم يقوم على شفير الخندق (القبر) فنأدى:

السلام عليكم يا أهل القبور، أهلكم أهدوا إليكم بهذه الهدية فيأخذها ويدخل بها في قبره فتوسع عليه مضاجعه»^(١).

كما روى بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام:

(قال الراوى: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: يصلّى عن الميت؟ فقال:

«نعم حتى أنه ليكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق، ثم يؤتى فيقال له: خفف عنك هذا الضيق بصلاه فلان أخيك عنك».

قال: فقلت له: فأشركُ بين رجلين في ركعتين؟ قال:

«نعم...».

ثم قال عليه السلام:

«إن الميت ليفرح بالترحم عليه والإستغفار له كما يفرح الحي بالهدية تهدى إليه»^(١).

٣- لا- يتوهم المؤمن بأن الثواب الذى يهديه إلى الميت هو ناشئ عن إطعام الطعام أو الصدقة المادية فقط، وإنما هناك أنواع كثيرة من الثواب تأتي من جراء أعمال سهله لا مؤنه فيها كإهداء ثواب (الصلوات على محمد وآله) وزياره الأئمه المعصومين عليهم السلام أو تلاوه القرآن أو الكلمه الطيبه مع الناس بل كل أعمال البر والخير والمعروف يمكن إهداء ثوابها إلى الموتى.

٤ ركعتان خفيفتان أحب إلى الميت من البكاء والنوح عليه كما ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مرّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقبر دفن فيه بالأمس إنسان وأهله يبكون فقال:

«ركعتان خفيفتان مما تحتقرون أحب إلى صاحب هذا القبر من دنياكم كلها»^(٢).

السؤال: ما هي المعاصى التى توجب عذاب القبر؟

الجواب:

ذكرت الروايات مجموعه من المعاصى توجب عذاب القبر للمؤمن، كالنميمة وسوء الخلق مع الأهل وعدم النزه من البول.... الخ، وهذا ما تدلنا عليه الروايات الآتية:

١- منازل الآخرة للشيخ عباس القمى: ص ٧٤؛ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٨٣، وفيه بدل ثم قال: فقال..... .

٢- تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ٢٢٥.

١ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«استنزهوا من البول، فإن عامه عذاب القبر منه»^(١).

٢ عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«عذاب القبر يكون من النميمه والبول وعزب الرجل عن أهله»^(٢).

السؤال: ما هي الأعمال التي تدفع هول منكر ونكير؟

الجواب: جاء في الروايات أن الصورة التي يأتى فيها الملكان لصوره مهوله مرعبه ترتعد منها الفرائص وتخرس الألسن وتشبح العيون خائفه ويطير لها اللب، وهذا ما يصفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«إذا أقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير يقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنا فيقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومه العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري!

فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيه معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»^(٣).

وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

١- بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢٧٥. تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص ١٠٨.

٢- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٢، ص ٢٦٥، ح ١٠.

٣- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٦، ص ٢٧٦. تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص ١١٠.

«فإذا أدخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخدان الأرض بأقدامهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول:

الله ربي وديني الإسلام، ونبيي محمد (صلى الله عليه وآله)، فيقولان له:

ثبتك الله فيما تحب وترضى، وهو قول الله عز وجل:

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (١).

ثم يفسحان له فى قبره مد بصره ثم يفتحان له بابا إلى الجنة، ثم يقولان له: نم قرير العين، نوم الشاب الناعم، فإن الله عز وجل يقول:

(أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) (٢).

قال : وإن كان لربه عدوا فإنه يأتيه أقبح من خلق الله زيا ورؤيا وأنتنه ريحا فيقول له: أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وإنه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يجسوه فإذا أدخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه ثم يقولان له: من ربك وما دينك؟ ومن نبيك؟، فيقول: لا أدري فيقولان: لا دريت ولا هديت، فيضربان يافوخه بمرزبه معهما ضربه ما خلق الله عز وجل من دابه إلا وتدعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له بابا إلى النار.

ثم يقولان له: نم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وإنه ليتمنى قيام الساعة فيما هو فيه من الشر» (٣).

١- سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

٢- سورة الفرقان، الآية: ٢٤.

٣- الكافي للشيخ الكليني: ج ٣، ص ٢٣٣، ٤٧٠٨١. تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص ٩٠.

فبعد أن اطلعت على وصف الملكين وهولهما لا بد من الاطلاع على الأعمال التي تنجى منهما ومن سؤالهما وهي كما يلي:

١ أن يلقن الميت بعد دفنه من قبل أحد أقربائه الشهادتين والعقائد الحقه والولاية لأهل البيت عليهم السلام والاعتراف بإمامتهم والإقرار بالغيب.

٢ أداء الصلاة والزكاة والصبر بأنواعه تدافع عن صاحبها أشد الدفاع مع منكر ونكير.

٣ صيام شهر شعبان بل من صام تسعة أيام منه عطف عليه منكر ونكير.

٤ إحياء ليله الثلاث والعشرين من شهر رمضان بالعبادة والصلاة مئة ركعه فيها.

٥ الدفن في ترابه النجف (١).

ص: ١٧٥

الخطبه الثالثه: فى مكارم الأخلاق

اشاره

«يا أَيُّهَا النَّاسُ، نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ، وَسَارِعُوا فِي الْمَغَانِمِ، وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعْجَلُوا، وَاكْتَسَبُوا الْحَمِيدَ بِالنُّجْحِ، وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَطْلِ ذَمًّا: فَمَهْمَا يَكُنْ لِأَحَدٍ عِنْدَ صَنِيعِهِ (١) لَهُ رَأْيٌ أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِشُكْرِهَا فَاللَّهُ لَهُ بِمُكَافَأَتِهِ، فَإِنَّهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَلَا تَمْلُوا النِّعَمَ فَتَحُورَ نِقَمًا.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ مُكْسَبٌ حَمْدًا، وَمُعَقَّبٌ أَجْرًا، فَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ حَسِينًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاضِرِينَ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ اللَّؤْمَ رَأَيْتُمُوهُ سَمِجًا مُشَوَّهًا تَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَتُغْضُ دُونَهُ الْأَبْصَارُ.

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ جَادَ سَادَ، وَمَنْ بَحَلَّ رُذِلَ، وَإِنَّ أَجُودَ النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ مَنْ لَّا يَرْجُوهُ، وَإِنَّ أَعْفَى النَّاسِ مَنْ عَفَا عَن قُصْدَرِهِ، وَإِنَّ أَوْصَلَ النَّاسِ مَنْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَالْأَصُولُ عَلَى مَغَارِبِهَا بِفُرُوعِهَا تَشِيمُو، فَمَنْ تَعَجَّلَ لِأَخِيهِ خَيْرًا وَجِدَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ غَدًا، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

١- المطل: تأجيل موعد الوفاء بحقه مره بعد أخرى. والصنيعه: كل ما عمل من خير أو إحسان.

بِالصَّنِيعَةِ إِلَىٰ أَخِيهِ كَافَأَهُ بِهَا فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ، وَصَيَّرَ عَنْهُ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ، وَمَنْ نَفَسَ كُرْبَهُ مُؤْمِنٍ فَرَجَّ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».

المعنى العام

(يا أَيُّهَا النَّاسُ، نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ، وَسَارِعُوا فِي الْمَغَانِمِ، وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعْجَلُوا، وَاكْسَبُوا الْحَمْدَ بِالنُّجْحِ، وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَظْلِ ذِمًّا: فَمَهْمَا يَكُنْ لِأَحَدٍ عِنْدَ صَنِيعِهِ لَهُ رَأْيٌ أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِشُكْرِهَا فَاللَّهُ لَهُ بِمُكَافَأَتِهِ، فَإِنَّهُ أَجْزَلُ عَطَاءٍ وَأَعْظَمُ أَجْرًا).

أيها الناس تسابقوا وتباروا في فعل الخيرات، وعجلوا في تحصيل الربح والنفع، ولا تكشفوا بمعروف لم تسارعوا في فعله، واطلبوا واربحوا الثناء الجميل بالنجاح والفوز، ولا تطلبوا بتأخير فعل المعروف الملامه والإعايه، وإذا عمل أحد العباد خيرا ومعروفا لأخيه دون أن ينال شكرا منه، فالله تعالى هو الذى يجزيه ويشكره، فهو كثير وعظيم النوال والثواب لمن شاء.

(وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَلَا تَمْلُوا النَّعْمَ فَتَحُورَ نِقْمًا).

أى عليكم أن تعرفوا وتيقنوا أن طلبات وضروريات الناس وافتقارهم إليكم من منن الله وفضله عليكم، فلا تسأموا ولا تضجروا هذه النعم فترجع بلاء وعقوبه.

(وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ مُكْسَبٌ حَمْدًا، وَمُعَقَّبٌ أَجْرًا، فَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاطِرِينَ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ اللَّؤْمَ رَأَيْتُمُوهُ سَمِجًا مُشَوَّهًا تَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَتُعْضُ دُونَهُ الْأَبْصَارُ).

أدر كوا وتيقنوا أن العمل الحسن يورث الثناء والشكر، وتارك ثوابا، فلو تمثل عمل الخير بهيئة رجل لكان رجلا ذا هيئته بهيه تدخل الفرحة على من يراها، ولو شاهدتم الشمه والدناء لشاهدتم رجلا قبيحا غير سوى تعرض عنه القلوب وتتركه، وتكف عنه العيون.

(أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ جَادَ سَادَ، وَمَنْ بَخِلَ رُذِلَ، وَإِنَّ أَجْوَدَ النَّاسِ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ، وَإِنَّ أَعْفَى النَّاسِ مَنْ عَفَا عَنْ قُدْرِهِ، وَإِنَّ أَوْصَلَ النَّاسِ مَنْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَالْأَصُولُ عَلَى مَغَارِبِهَا بِفُرُوعِهَا تَشِيمُ، فَمَنْ تَعَجَّلَ لِأَخِيهِ خَيْرًا وَجَدَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ غَدًا، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالصَّنِيعَةِ إِلَى أَخِيهِ كَافَأَهُ بِهَا فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ، وَصَيَّرَ عَنْهُ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ، وَمَنْ نَفَسَ كُرْبَةَ مُؤْمِنٍ فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

أيها الناس من اختار أو أتى بالحسن من القول والعمل صار من أهل الشرف والمجد، ومن شح وقر صار رديئا غير فاضل، وإن أكرم الناس وأسخاهم من بذل إلى من لا ينتظر منه جزاء ولا شكورا، وإن من أكثر الناس مسامحة وصفحاً من صفح عن قدره واستطاعه، وإن من أرحم الناس وأعطفهم من ترحم وتعطف على قاطع الرحم وعاقها وهاجرها، والمنابت حسب الأرض التي غرست فيها فهي ترتفع وتعلو إذا كان المغرس طيبا، فمن بادر لصنع المعروف وأسداه إلى أخيه يجد أن هذا الصنيع محفوظ له عند أخيه، ومن كان صنيعه لوجه الله تعالى سيدخرها له عند حاجته إليها، ويرد عنه من آلام الدنيا وهمومها، ومن لطف أو فرج مشقه أو حزناً أو همياً عن أخيه المؤمن وسع الله عليه كل شدة في الدنيا والآخرة، ومن فعل معروفًا يجزيه الله تعالى والله يحب أهل الإحسان.

بحث أخلاقي

صنع المعروف

لابد للتعايش الإنسانى الناجح من طريقه راقية مؤطره بإرشاد الشريعة وتعاليمها ومزينة بجمال العرف وحسنه، ومليئه بأريحيه المجتمع وتآلفه، ولا شك فى أن الجامع لكل هذه الشروط هو المعروف الذى يمثل الجمال والعدل والإحسان والحق والإيثار، فلذا نجد الآيات الشريفه تؤكد على هذا المعنى الشريف فى كل مفردات الحياه، بل الظاهر من النصوص القرآنيه الكريمه والأحاديث الشريفه أن الحياه معروف والمعروف هو الحياه الحقيقيه والتي بخلافها لا يكون الإنسان إنسانا، لا نقصد بالمعروف وهو الإحسان فقط دون المعانى الأخرى التى سبق ذكرها بل هو المعروف الذى جمع كل المعانى العالیه، ولكى نظمئن من صحه ما تقدم لابد أن نقف على المعنى اللغوى والاصطلاحى للمعروف.

المعروف فى اللغه: هو الخير، الإحسان(١)، المعروف: اسم لكل فعل يعرف حسنه بالعقل أو الشرع: وهو خلاف المنكر، هو الصنيعه التى يسديها المرء إلى غيره(٢).

المعروف فى الاصطلاح: هو كل خير وكل فعل حسن عقلا وشرعا.

تناولت الآيات الكريمه هذه الكلمه فى مواضع عديده تشير من خلالها إلى القول الطيب والفعل الحسن كما فى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِغَدٍّ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٣).

١- المنجد النجدى: ص

٢- المعجم الوسيط: ص ٥٩٥.

٣- سوره البقره، الآيه: ١٧٨.

وقال تعالى:

(الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَسْرِیْحُ بِاِحْسَانٍ وَلَا یَجِلُّ لَكُمْ اَنْ تَاْخُذُوْا مِمَّا اَتَيْتُمُوْهُنَّ شَیْئًا اِلَّا اَنْ یَّخَافَا اَلَّا یُقِیْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ فَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا یُقِیْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ فَلَمَّا جُنَّحَ عَلَیْهِمَا فِیْمَا افْتَدَتْ بِهٖ تِلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ فَلَا تَعْتَدُوْهَا وَمَنْ یَّتَعَدَّ حُدُوْدَ اللّٰهِ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ) (١).

وقال سبحانه وتعالى:

(وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلٰی الْمُتَّقِیْنَ) (٢).

وفی قوله عزّ وجل:

(قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ یَتَّبِعُهَا اُذٰی وَاللّٰهُ غَنِیٌّ حَلِیْمٌ) (٣).

وقال الله سبحانه وتعالى فی سورة النساء:

(وَابْتُلُوْا الِیْتَامٰی حَتّٰی اِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَاِنْ اَنْسِیْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوْا اِلَیْهِمْ اَمْوَالَهُمْ وَلَا تَاْكُلُوْهَا اِسْرَافًا وَّیَدَارًا اَنْ یَّكْبُرُوْا وَمَنْ كَانَ غَنِیًّا فَلَیْسَتْغَفِرْ وَمَنْ كَانَ فَقِیْرًا فَلِیَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَاِذَا دَفَعْتُمْ اِلَیْهِمْ اَمْوَالَهُمْ فَاَشْهَدُوْا عَلَیْهِمْ وَكَفٰی بِاللّٰهِ حَسِیْبًا) (٤).

وقال عزّ وجل:

(یٰۤاَیُّهَا الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا لَمَّا یَجِلُّ لَكُمْ اَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَّلَمَّا تَغَضُّ لُوْهُنَّ لِتَذٰهَبُوْا بِبَغْضِ مٰی اَتَيْتُمُوْهُنَّ اِلَّا اَنْ یَأْتِیَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِیْنَةٍ وَّعَاشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَاِنْ

١- سورة البقره، الآیه: ٢٢٩.

٢- سورة البقره، الآیه: ٢٤١.

٣- سورة البقره، الآیه: ٢٦٣.

٤- سورة النساء، الآیه: ٦.

كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١).

وقال الباری عز وجل فی سورة الممتحنه:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَعْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٢).

وقال سبحانه وتعالى في سورة آل عمران:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (٣).

وحتت الأحاديث الشريفه على فعل المعروف من خلال وصفها له بصفات عديده، فتاره يصفه الحديث أنه عين السيادة كما في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«المَعْرُوفُ سِيَادَةٌ» (٤).

وأخرى هو الحسب كما في قوله عليه السلام:

«المَعْرُوفُ حَسَبٌ» (٥).

١- سورة النساء، الآية: ١٩.

٢- سورة الممتحنه، الآية: ١٢.

٣- سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

٤- غرر الحكم: ص ٣٢. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٥٨، ح ١٢٥٩٠.

٥- غرر الحكم: ص ٨٠. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٥٨، ح ١٢٥٩٢.

وفى ثالثه هو وسيله لتحصيل المدح والثناء فى الدنيا والثواب والجزاء الحسن فى الآخره وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام بقوله:

«اعلموا أن المَعْرُوفَ مُكْسَبٌ حَمْدًا، وَمُعَقَّبٌ أَجْرًا، فَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا لَرَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاطِرِينَ وَيَفُوقُ الْعَالَمِينَ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ اللَّوْمَ رَأَيْتُمُوهُ سَمِجْحًا قَبِيحًا مُشَوِّهًا تَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ وَتُعَضُّ دُونَهُ الْأَبْصَارُ» (١).

بل أن الإمام الصادق عليه السلام لا يرى شيئاً أفضل من المعروف إلا الأجر الإلهى بقوله:

«رَأَيْتُ الْمَعْرُوفَ كَأَسْمِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا ثَوَابُهُ وَذَلِكَ يُرَادُ مِنْهُ» (٢).

ولأهميه المعروف للفرد والمجتمع معا نجد أمير المؤمنين عليه السلام يدعونا إلى صنعه ولو ببذل أقصى الجهود بقوله:

«اصْطَنِعُوا الْمَعْرُوفَ بِمَا قَدَرْتُمْ عَلَى اصْطِنَاعِهِ» (٣).

ويقول الإمام الجواد عليه السلام بأن الذين يصنعون المعروف هم أول من يستفيد من هذا المعروف بقوله:

«أَهْلُ الْمَعْرُوفِ إِلَى اصْطِنَاعِهِ أَحْوَجُ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ لَهُمْ أَجْرَهُ وَفَخْرَهُ، فَمَهْمَا اصْطَنَعَ الرَّجُلُ مِنْ مَعْرُوفٍ فَإِنَّمَا يَبْدَأُ فِيهِ بِنَفْسِهِ، فَلَا يَطْلُبُنَّ شُكْرَ مَا صَنَعَ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِهِ» (٤).

١- مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٣٤٣، ح ١٤٢٢٤٢. ميزان الحکمه: ج ٦، ص ٢٥٥٨، ح ١٢٥٩٥.

٢- الکافی: ج ٤، ص ٢٦، ح ٣. ميزان الحکمه: ج ٦، ص ٢٥٥٩، ح ١٢٥٩٦.

٣- الخصال: ص ٦١٧، ح ١٠. ميزان الحکمه: ج ٦، ص ٢٥٥٩، ح ١٢٦٠٠.

٤- كشف الغمّه: ج ٣، ص ١٣٧. ميزان الحکمه: ج ٦، ص ٢٥٥٩، ح ١٢٦٠٣.

لمن يبذل المعروف؟

بعد أن عرفنا أن المعروف جميل بذاته ينبغي أن نعلم أن بذله أجمل لما فيه من تجلى صور الرحمة والحنو والرأفة والمروءة، فلذا جاءت الروايات الشريفة تحث على بذله إلى البر والفاجر من الناس، بل وصلت بحثها على بذله إلى الحيوانات.

إن فعل المعروف خير، وكل ما هو خير لا يصح البخل به على إنسان دون آخر، فلذا صارت فضيلته فوق كل فضيله وجزاؤه فوق كل جزاء، وهذا ما أشار إليه مولى الموحدين بقوله عليه السلام:

«ابْذُلْ مَعْرُوفَكَ لِلنَّاسِ كَأَفِّهِ؛ فَإِنَّ فَضِيلَةَ فِعْلِ الْمَعْرُوفِ لَا يَعْدِلُهَا عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ شَيْءٌ» (١).

ولكى نطلع بدقه على ما حثت عليه الروايات الشريفة نذكرها على النحو الآتي:

١ حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين على فعل المعروف إلى العالمين دون أن يميزوا بين من يستحق ومن لا يستحق بقوله:

«رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الدِّينِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ، وَاصْطِنَاعُ الْخَيْرِ إِلَى كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ» (٢).

وعند تأمل هذا الحديث الشريف نستنتج منه ما يلي:

ألف: إن المعروف لا يقتصر على بذل المال أو ما هو مادي فقط بل يتعداه إلى الخلق الحسن والقول الطيب وهذا ما أشار إليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الدِّينِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ».

باء: بما أن الخير فعل حسن لا ضرر فيه يحتاجه كل مخلوق في حياته، صار بذله

١- غرر الحكم: ٢٤٧٠. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٦٢، ح ١٢٦٢٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٤٠١، ح ٤٤. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٦٢، ح ١٢٦٢٤.

جميلاً إلى الإنسان الصالح والطالح على السواء كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«واصطناع الخير إلى كل برّ وفاجر».

ولكى لا يقع المؤمن في التباس من أمره فيقول كيف أصنع الخير للفاجر وهو فاجر عاصى لله تعالى؟

فأقول: ورد من جهة أخرى، إذا علمت بأن معروفك سيكون عوناً على الإثم ويستعين به الفاجر على معصية الله تعالى لا يصح لك أن تعينه على ذلك لقوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا تَحُلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلِمَا الشَّهَرِ الْحَرَامِ وَلِمَا الْهَدْيِ وَلِمَا الْفَلَاءِ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١).

٢- حث أهل بيت العصمة عليهم السلام على بذل المعروف إلى الحيوانات أيضاً، مما يدل على سعة رحمه الله تعالى، ورعايته لمخلوقاته فلذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمن يستعمله على الصدقات:

«ثُمَّ احْدُرْ (٢) إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نَصِيْبُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ الْأَ يَحُولَ بَيْنَ نَاقِهِ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا (٣)، وَلَا يَمْضُرْ (٤) لَبْنَهَا فَيُضِرَّ ذَلِكَ بَوْلِدَهَا، وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا، وَلْيُعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرْفَهُ عَلَى اللَّاعِبِ (٥)»

١- سورة المائدة الآية: ٢.

٢- أى سقى إلينا سريعاً.

٣- فصيل الناقة: ولدها وهو رضيع.

٤- مَضُرَّ اللبن: حلب ما فى الضرع جمعيه.

٥- أى ليريح ما ألعب أى أعياء التعب.

وَلَيْسْتَآنِ (١) بِالنَّقَبِ (٢) وَالظَّالِعِ (٣)، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْعُدْرِ (٤)، وَلَا يَعْدِلُ بِهَا عَيْنَ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى حَيَوَادِّ الطَّرْقِ (٥)، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيَمَهِّلْهَا عِنْدَ النَّطَافِ (٦) وَالْأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِينَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدْنًا (٧) مُنْقِيَاتٍ (٨) غَيْرِ مُتَعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ (٩) «(١٠)».

إشكال وتوجيه

سبق أن بينا أن الأحاديث الشريفه السابقه تحت المؤمن على فعل المعروف لجميع الناس برهم وفاجرهم، وسواء كان من أهل المعروف أو لم يكن كذلك كما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اصْطَنِعِ الْخَيْرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ، وَإِلَى مَنْ هُوَ غَيْرُ أَهْلِهِ، فَإِنْ لَمْ تُصِبْ مَنْ هُوَ أَهْلُهُ فَأَنْتَ أَهْلُهُ» (١١).

إلا أننا نجد فى مكان آخر أحاديث تحت عنوان ترك بذل المعروف إلى من لا يستحقه وهى كما يلى:

١ قال الإمام على عليه السلام:

- ١- لَيْسْتَآنِ: أى يَرْفُق، من الأناه بمعنى الرَّفَق.
- ٢- النَّقَبِ بفتح فكسر ما نَقَبَ خَفَهُ كَفَرِحَ: أى تخرق.
- ٣- ظَلَعَ البعير: غمز فى مشيته.
- ٤- الْعُدْرُ جمع غدير: ما غادره السيل من المياه.
- ٥- أى الطرق التى لا مرعى فيها.
- ٦- النَّطَافِ جمع نُطفه: المياه القليله، أى يجعل لها مهله لتشرب وتأكل.
- ٧- الْبُدْنُ بضم الباء وتشديد الدال: السمينه.
- ٨- الْمُنْقِيَاتِ: اسم فاعل من أنقت الإبل إذا سَمِتَتْ.
- ٩- مجهودات: بلغ منها الجهد والعناء مبلغاً عظيماً.
- ١٠- نهج البلاغه: الكتاب ٢٥. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٣ ٢٥٦٤، ح ١٢٦٣٢.
- ١١- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٣٥، ص ٧٦. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٢، ح ١٢٦٢٦.

«لَا تَصْلُحِ الصَّنِيعَةُ إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ» (١).

٢ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحِظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ اللَّثَامِ، وَتَنَاءُ الْأَشْرَارِ. وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ مَا دَامَ مَنَعِمًا عَلَيْهِمْ: مَا أَجْوَدَ يَدَهُ! وَهُوَ عَنِ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ» (٢).

٣ وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَعْمَلُ كَذَلِكَ تُجْزَى، مَنْ يَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى أَمْرِ السَّوِّءِ يُجْزَى شَرًّا» (٣).

٤ ورد في الأمالي للمفيد عن كعب الأحماس:

مَنْ صَنَعَ مَعْرُوفًا إِلَى أَحَقَّ فَهِيَ خَطِيئَةٌ تُكْتَبُ عَلَيْهِ (٤).

٥ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«ظَلَمَ الْمَعْرُوفَ مَنْ وَضَعَهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ» (٥).

٦ عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«مَنْ أَسَدَى مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ظَلَمَ مَعْرُوفَهُ» (٦).

وبعد تأمل هذين النوعين من الأحاديث الشريفه نلمس تناقضا ظاهراً بينهما،

١- الخصال: ص ٦٢٠، ح ١٠.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ١٤٢. شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٩، ص ٧٤. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٦٦، ح ١٢٦٤٣.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٤١٢، ح ٢٦. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٦٦، ح ١٢٦٤٤.

٤- أمالي المفيد: ١٣٧، ح ٧. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٦٦، ح ١٢٦٤٥.

٥- غرر الحكم: ٦٠٦٣. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٦٦، ح ١٢٦٥٠.

٦- غرر الحكم: ٨٥٤٧. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٦٦، ح ١٢٦٥١.

ولكى لا يقع القارئ الكريم فى التباس بين الحث على بذل المعروف وبين النهى عن ذلك لابد من توجيه الأحاديث التى حثت على ترك بذل المعروف وتبدأ كما يلى:

ألف: لا تنهى الأحاديث عن فعل المعروف إلى غير أهله وإنما ترشد إلى ذلك من باب النهى الإرشادى.

باء: تريد الأحاديث أن تبين أن البازل للمعروف إلى غير أهله لا- ينتظر منهم جزاء ولا شكورا، ولذا فليكن بذله للمعروف لله تعالى ولجمال وحسن البذل.

جيم: تشير الأحاديث إلى ترك بذل المعروف لمن كان مجربا بنكران الجميل أو من لا يشكر المعروف بدليل القول الذى ورد فى الحديث أعلاه وهو:

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَيْسَ لِوَأَضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحِطِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَهُ اللَّئَامُ، وَتَنَاءُ الْأَشْرَارِ. وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ مَا دَامَ مَنِعَمًا عَلَيْهِمْ: مَا أَجْوَدَ يَدَهُ! وَهُوَ عَنِ ذَاتِ اللَّهِ بَخِيلٌ».

دال: وردت أحاديث تتضمن إرشادات تنهى عن صنف اتصف بالحمق دون غيره من الصفات.

خلاصه القول:

١ إن بذل المعروف لأهله أى لمن يفعل المعروف من باب رد الجميل، ولغير أهله الذين يحبون فعل المعروف ولكن لا يستطيعون ذلك.

٢ إذا فعلت المعروف لا تنتظر من أحد جزاء ولا شكورا.

٣ إن بعض أنواع المعروف كبذل الحكمة لا تضعها إلا عند أهلها، وأما ما يصدر منك من خير دون أن يترتب عليه ضرر فابذله لمن شأت.

آثار فعل المعروف

وردت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بكثرة مبينه الآثار الطيبة لفعل المعروف سواء كان ذلك في الحياه الدنيا أو في الآخرة ولكي يتضح الموضوع أكثر نبوّ هذه الآثار كالاتي:

الآثار في الدنيا

١ لكي تنال الجاه وتحظى بالتقدم على الغير وتنال الطاعه والاحترام لابد لك من فعل المعروف، وهذا ما أكده الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«المعروف سياده».

وقول الإمام الصادق عليه السلام:

«عَجِبْتُ مِمَّنْ يَشْتَرِي الْمَمَالِيكَ بِمَالِهِ، كَيْفَ لَا يَشْتَرِيَ الْأَحْرَارَ بِمَعْرُوفِهِ فَيَمْلِكَهُمْ»^(١).

٢ ضمن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لفاعل المعروف ربها ونماءً نتيجة بذله للمعروف بقوله عليه السلام:

«إنما المعروف زرع من أنمى الزرع، وكنز من أفضل الكنوز»^(٢).

٣ بذل المعروف يحافظ على النعم ويدفع عنها خطر السلب فيكون مصداقاً للدعاء الشريف: (اللهم أعوذ بك من الذنوب التي تسلب النعم).

وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«المعروف زكاه النعم، وما أدبت زكاته فهو مأمون السلب»^(٣).

١- تحف العقول: ص ٢٠٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٥٩، ح ١٢٦٠٢.

٢- جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ج ١٤، ص ٤٧٦، ح ٣١٤٤(١٥).

٣- ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٩٣١.

٤ بذل المعروف يؤدي إلى أن ينال فاعله شكراً ومدحاً من أناس لم يصيبهم هذا المعروف، ولكن لحبهم وإنصافهم يشكرون البازل للمعروف، وهذا ما نستشفعه من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فإنه قد يشكر ك عليه من يسمع منك فيه» (١).

٥ فعل المعروف يرد على صاحبه بكل ما هو جميل فلذا ورد عن الإمام على عليه السلام:

«مَنْ عَامَلَ النَّاسَ بِالْجَمِيلِ كَأَقْوَمِهِ بِهِ» (٢).

٦ يفضل باذل المعروف بكثره على غيره ممن لم يفعل المعروف، ويقر له جميع الناس بالأفضلية كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ كَثُرَ جَمِيلُهُ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى تَفْضِيلِهِ» (٣).

٧ من أراد أن ينال قاعده جماهيريته، وتتسع سمعته الحسنه فما عليه إلا أن يكثر من بذل المعروف مع جميع الناس ولا يقتصر فعله على فئة دون أخرى أو شخص دون آخر وهذا لعله المراد من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ كَثُرَتْ عَوَارِفُهُ كَثُرَتْ مَعَارِفُهُ» (٤).

الآثار في الآخرة

١ إذا بذل المعروف للمؤمن ينقذ باذله من الدخول إلى نار جهنم كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

١- ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٩٣٠.

٢- غرر الحكم: ٨٧١٦. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٢، ح ١٢٦١٩.

٣- غرر الحكم: ٨٤٠٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٢، ح ١٢٦٢٠.

٤- غرر الحكم: ٨١٦٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٢، ح ١٢٦٢١.

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَمُرُّ عَلَيْهِ بِالرَّجُلِ وَقَدْ أَمَرَ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ لَهُ: يَا فُلَانُ أَغْنَيْتَنِي، فَقَدْ كُنْتُ أَصْنَعُ إِلَيْكَ الْمَعْرُوفَ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ لِلْمَلِكِ: خَلِّ سَبِيلَهُ فَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمَلِكَ أَنْ أَجْزَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِ، فَيَخْلِي الْمَلِكُ سَبِيلَهُ» (١).

٢ أمرنا الله سبحانه بالاستعداد للموت والتزود بالبضاعة الحسنه للمعاد يوم لا ينفع مال ولا بنون، فلذا لا بد من صنع المعروف لخلق الله تعالى لكى نذهب بزاد نافع وهذا ما يشير إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«عَلَيْكُمْ بِصَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ؛ فَإِنَّهَا نِعَمَ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ» (٢).

٣ وعد الله تعالى المؤمنين العاملين بالجنة، وخلق الله تعالى لهذه الجنة أبواباً وجعل بعضاً من هذه الأبواب باسم بعض المؤمنين كباب الريان للصائمين وباب المعروف لأهل المعروف كما ورد ذلك فى الحديث الشريف عن أبى هاشم: (سَجِمَعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ يَقُولُ:

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ: الْمَعْرُوفُ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ.

فَحَمِدْتُ اللَّهَ تَعَالَى فِي نَفْسِي وَفَرِحْتُ مِمَّا أَتَكَلَّفُهُ مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ، فَظَنَرْتُ إِلَيَّ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ:

نَعِيمٌ قَدْ عَمِلْتَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؛ وَإِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ يَا أَبَا هَاشِمٍ وَرَحِمَكَ» (٣) (٤).

٤ الباذل للمعروف ولو بقى الماء ورعايه الخلق لاسيما العجماوات (الحيوانات) سيجعله الله تعالى تحت ظله الذى لا يستغنى عنه أحد فى يوم شديد لا ظل فيه كما ورد

١- المحاسن: ج ١، ص ٢٩٤، ح ٥٨٩. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٠، ح ١٢٦٠٩.

٢- غرر الحكم: ٦١٦٦. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٠، ح ١٢٦١٠.

٣- المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ٤٣٢.

٤- ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦١، ح ١٢٦١٧.

في الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِبرَادَ الكَبِدِ الحَرَى، وَمَنْ سَقَى كَبِدًا حَرَى مِنْ بَهيمِهِ أَوْ غَيْرِهَا أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ» (١).

٥- لا يحتاج أهل المعروف إلى حسناتهم يوم القيامة لاستغنائهم عنها بفضل الله تعالى ومَنه، وسيتبرعون بها إلى من هو بحاجة إليها كما جاء ذلك في حديث الإمام الصادق عليه السلام:

«أهل المَعروفِ في الدُّنيا هُم أهل المَعروفِ في الآ-خِرَةِ؛ لِأَنَّهم في الآ-خِرَةِ تَرَجَّحَ لَهيمُ الحَسَنِاتِ، فيجودونَ بِها على أهلِ المَعاصي» (٢).

فوائد

١ لا يمنعك من فعل المعروف وبذله إلى خلق الله تعالى الناكرون والجاحدون فإنك تبذله لله تعالى وهو الذي يشكرك عليه وهذا ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«فَلَا يُزْهَدَنَّكَ في المَعروفِ كُفْرٌ مِنْ كَفَرَهُ، ولا جُحودٌ مِنْ جَحَدَهُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ يَسْمَعُ مِنْكَ فِيهِ» (٣).

٢ أنت لمعرفك أحوج من أهل الحاجة إليه كما فيه ثواب كبير وذكر دائم وسمعه حسنه.

٣- لا تتردد في أن تكون وسيله لإيصال الخير إلى الآخرين وإن لم تكن أنت باذله، فإن لك كأجر الباذل كما أكد ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

١- الكافي: ج ٨، ص ٥٨، ح ٦. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٣، ح ١٢٦٣١.

٢- أمالي الطوسي: ص ٣٠٤، ح ٦١٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦١، ح ١٢٦١٥.

٣- مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٣٤٠، ح ١٤٢٢٩. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٥٩، ح ١٢٥٩٧.

«لو جَرَى المَعْرُوفُ عَلَى ثَمَانِينَ كَفًّا لَأَجْرُوا كُلَّهُمْ فِيهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ صَاحِبُهُ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا» (١).

٤ لا- تعطِ الخير ناقصا ولا- تفعل المعروف إلا بتمامه إذا كنت قادراً على ذلك وهذا ما أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«استتمام المعروف أفضل من ابتدائه» (٢).

وما أُرشدنا إليه وصيه الأول أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«جمال المعروف إتمامه» (٣).

٥ إذا وفقت لبذل المعروف عليك الالتزام بخواصه الثلاث التي تجعله معروفا كاملاً نافعا في الدنيا والآخرة، فلا بد حينئذ من استقلاله (تصغيره)، وكتمه وسريته، والإسراع به إلى من هو بحاجة إليه وكن لقول أمامك الصادق عليه السلام مطبقا إذ يقول:

«رَأَيْتُ المَعْرُوفَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِثَلَاثِ خِصَالٍ: تَصْغِيرِهِ، وَتَسْتِيرِهِ، وَتَعْجِيلِهِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا صَغَّرْتَهُ عَظَمْتَهُ عِنْدَ مَنْ تَصَنَّعَهُ إِلَيْهِ، وَإِذَا سَتَرْتَهُ تَمَمْتَهُ، وَإِذَا عَجَّلْتَهُ هَنَأْتَهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ سَخَّفْتَهُ وَنَكَّدْتَهُ» (٤).

٦ أن تأتي متأخراً خيراً من أن لا تأتي، وأن تبذل المعروف وإن كان قليلا فهو نافع لاسيما في وقت الحاجة إليه فلذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَا تُحَقِّرَنَّ شَيْئًا مِنَ المَعْرُوفِ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَحَاكَ وَوَجْهَكَ مَبْسُوطٌ إِلَيْهِ» (٥).

١- الكافي: ج ٢، ص ١٨، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٥، ح ١٢٦٣٨.

٢- ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٩٣٦، ح ٢٦٧٩.

٣- ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٩٣٦، ح ٢٦٧٩.

٤- الكافي: ج ٤، ص ٣٠، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٧، ح ١٢٦٦٢.

٥- كنز الفوائد للكرامكي: ج ١، ص ٢١٢. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٨، ح ١٢٦٦٥.

٧ إذا أردت أن تعلم أنك مقبولاً- عند الله تعالى وأن معروفك سيجلب لك الثواب الجزيل، أنظر إلى موضعه فإذا أصاب معروفك مواضعه فهو لا شك من الأعمال المقبولة عند الله تعالى وهذا ما أراد الإمام الصادق عليه السلام قوله:

لما سئل عن علامه قبول العبد عند الله :

«عَلَامَةُ قَبُولِ الْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُصِيبَ بِمَعْرُوفِهِ مَوَاضِعَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ كَذَلِكَ» (١).

صفات أهل الفضل

ورد في مواقع متعددة من القرآن الكريم ما يشير إلى الأفضليه والتفاضل كما في قوله تعالى:

(انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) (٢).

وقوله تعالى:

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدَهُمْ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) (٣).

وقوله تعالى:

(وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ) (٤).

١- بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٤١٩، ح ٤٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٨، ح ١٢٦٦٧.

٢- سورة الإسراء، الآية: ٢١.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

٤- سورة الأنعام، الآية: ٨٦.

وما جاءت الآيات الكريمة إلا لتبين أن هناك رجحات لشخص على آخر هي سر التفاضل بين الأنبياء والمرسلين.

فالفضيله كما جاء فى اللغه هى الدرجه الرفيعه فى حسن الخلق(١).

وتفاضل القوم: تنافسوا فى الفضل أى فيما هو رفيع وشريف وعالٍ.

حث الأئمه الأطهار عليهم السلام على التحلى بالفضائل لما لها من آثار وفوائد عاليه وهذا ما نلمسه فى قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«فخر المرء بفضله لا بأصله»(٢).

ولكى نطلع على صفات أهل الفضل لابد من الوقوف على موجبات الفضيله التى تعد سلما للرفعه والعلو:

١ الإيثار الذى هو تقديم مصلحه الغير على مصلحه النفس يوجب الفضيله لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«من آثر على نفسه استحق اسم الفضيله»(٣).

٢ عدم العجب بالنفس وعدم الترفع على الآخر مما يجعل المرء فاضلا كما فى قول الإمام على عليه السلام:

«كفى بالمرء فضيله أن يُنقّص نفسه»(٤).

٣ الصفح والتسامح والعفو عند القدره صفات أهل الفضل كما ورد عنه عليه السلام:

«الفضل أنك إذا قدرت عفوت»(٥).

١- المعجم الوسيط: ص ٦٩٣.

٢- جامع أحاديث أهل البيت عليهم السلام، الشيخ هادى النجفى: ج ٨، ص ٤٧٥، ح ١٠٤٥٣.

٣- ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٨، ح ٤ منزله الإيثار.

٤- ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٤٣٣، ح ٣٢١٢ ما به فضيله الإنسان.

٥- المصدر السابق.

٤ الإحسان والابتداء به يقود إلى الفضل كما في قوله عليه السلام:

«الفضل مع الإحسان»(١).

٥ الورع والطاعة والانقياد لله تعالى تجسد التقوى في صاحبها فيكسب بذلك أن يكون من أهل الفضل كما في وصف أمير المؤمنين عليه السلام للمتقين:

«المتقون فيها هم أهل الفضائل: منطقتهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد»(٢).

وهناك كثير من الفضائل التي تصنع صاحبها بالفضيلة كالمروءة وبث المعروف والإحسان وأداء المفروضات والنوافل والابتعاد عن الشبهات وهذا ما أشارت إليه مجموعته من الأحاديث الشريفه تركناها للاختصار، ومن شاء الإطلاع عليها فليطلبها من مظانها(٣).

وما جاء عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بيّن منزله أهل الفضل ومقامهم في يوم القيامة كما بيّن الأعمال التي جعلتهم هكذا كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِذَا جُمِعَ الْخَلَائِقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ أَهْلُ الْفَضْلِ؟ فَيَقُومُ أَنَاسٌ وَهُمْ يَسِيرٌ فَيَنْطَلِقُونَ سِرَاعاً إِلَى الْجَنَّةِ، فَتَلْقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: إِنَّا نَرَاكُمْ سِرَاعاً إِلَى الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ الْفَضْلِ، فَيَقُولُونَ: مَا كَانَ فَضْلُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا إِذَا ظَلَمْنَا غَفَرْنَا، وَإِذَا أَسِيءَ إِلَيْنَا غَفَرْنَا، وَإِذَا جُهِلَ عَلَيْنَا حَلَمْنَا، فَيَقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ»(٤).

١- المصدر السابق.

٢- ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٤٣٣، ح ٣٢١٢ أفضل الفضائل.

٣- ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٢١٨ ٣٢١٩.

٤- تنبيه الخواطر: ج ١، ص ١٢٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٢١٩ ٣٢٢٠، ح ١٥٩٦٣.

ص: ١٩٧

الخطبه الرابعه: فى مكارم الأخلاق

اشاره

نص الخطبه

اشاره

(إِنَّ الْحِلْمَ زِينَةٌ، وَالْوَفَاءَ مُرُوءَةٌ، وَالصَّلَةَ نِعْمَةٌ، وَالِاسْتِكْبَارَ صَلْفٌ، وَالْعَجَلَةَ سَفَهٌ، وَالسَّفَهَ ضَعْفٌ، وَالْغُلُوَّ وَرُطَةً، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الدَّنَاءِ شَرًّا، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْفِسْقِ رَيْبَةٌ).

إن الأناه وضبط النفس وكظم الغضب حسن وجمال، والصدق بالوعد والعدد كمال الرجولة، والرحمه والتواصل وعدم الهجران منه وفضل من الله تعالى، والتعالى والتعاضم وعدم قبول الحق عجب وتكبر، والتسرع خفه وطيش وجهل، وهذه الخفه والطيش هى قله فطنه وضعف فؤاده، وتجاوز الحد والإفراط أمر يتعسر النجاه منه، والقعود مع الأراذل والاختلاط بهم سوء وفساد ومغالطه، والقعود مع أهل العصيان تهمه وظن وشك.

بحث أخلاقى

مكارم الأخلاق شيمه المؤمنين

منذ أن وطئ الإنسان بقدميه تراب هذه الأرض وطئها وهو مزودٌ بالأخلاق الفاضله وعارفٌ للأخلاق الفاسده ومأمورٌ من قبل الله تعالى بالتحلى بكل الفضائل لكى يصل إلى غايته التى خلق من أجلها ألا وهى عباده الله سبحانه وتعالى كما فى قوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (١).

فصارت مكارم الأخلاق من لوازم الحياه الصحيحه على الأرض ومن لوازم الأمم التي تنشأ الرفعه والطهاره، فأخذت الشرائع السماويه كمال الإنسان غايه لها وبدأ الأنبياء عليهم السلام بالإرشاد والتربيه والترقيه لهذه النفوس الجامحه التي تميل بطبعها للراحه الدعه، وتوالت الأنبياء عليهم السلام على قياده البشريه إلى الكمال حتى وصلت إلى خاتمها وسيد رسلها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي صرح بكلمته الخالده:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(١).

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«حَسُنُ الْخُلُقِ مِنْ أَفْضَلِ الْقِسْمِ وَأَحْسَنِ الشَّيْمِ»(٢).

ولكى نقف على معنى الأخلاق وحسنها وما يترتب عليها لابد من الحديث عن العنوانين المختلفه فى ذلك.

الخلق وعاء الدين

تقدم بيان علاقته الدين بالأخلاق الفاضله، وعرفنا حرص الأنبياء عليهم السلام على تزويد أممهم بالمكارم والسمو ولكى يتضح العنوان لابد من معرفه مفهومه فى اللغه والاصطلاح:

الخلق فى اللغه: حال للنفس راسخه تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجه إلى فكر أو رويه، ومجموعها أخلاق(٣).

الخلق فى الاصطلاح: سلوك يسلكه الإنسان فى ميدان الفضائل أو الرذائل

١- ميزان الحكمة: ج ١، ص ٨٠٤، ح ١١١١.

٢- غرر الحكم: ٤٨٤٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٣، ح ٥٠٠٠.

٣- المعجم الوسيط: ص ٢٥٢.

ويصنع صاحبه بالحسن أو القبح.

والسلوك أو الحال الذى يتصف به الإنسان له ثلاث مراتب:

المرتبه الأولى: هى الاتصاف بصفه على وجه السرعة وفقدانها بذات السرعة وهذا ما يسمى (بالحال) كما فى حمرة الخجل أو صفرة الوجل التى تحصل للمرء عند وجود السبب لها وترتفع بارتفاعه.

المرتبه الثانيه: هى الاتصاف بصفه ما ببطء وتكرار حتى ترسخ فى النفس إلى درجه (الملكه) فتصدر عن صاحبها بسهولة وسرعه دون تأمل أو رويه.

المرتبه الثالثه: هى اتصاف الإنسان بصفه وصلت إلى حد (الاتحاد) مع ذاته ولا تزول إلا بزوال الذات.

فالحاله الأولى لا يمكن أن نطلق عليها بأنها خلق لسرعه الاتصاف بها وسرعه زوالها، وأمّا الحاله الثانيه والثالثه هى المعنيه بذلك وهى التى يصدق عليها بأنها (خلق) فالاتصاف بالخلق الفاضل هو الدين أو من الدين وهذا ما أكده النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين يديه فقال: يا رسول الله، ما الدين؟ فقال:

حُسْنُ الْخُلُقِ.

ثُمَّ أَتَاهُ عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ: مَا الدِّينُ؟ فَقَالَ:

حُسْنُ الْخُلُقِ.

ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ شِمَالِهِ فَقَالَ: مَا الدِّينُ؟ فَقَالَ:

حُسْنُ الْخُلُقِ.

ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ وَرَائِهِ فَقَالَ: مَا الدِّينُ؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ:

أَمَا تَفْقَهُ؟! الدِّينُ هُوَ أَنْ لَا تَغْضَبَ»(١).

فلذا صار الخلق وعاءً ومكاناً مناسباً للدين وهذا ما اتصف به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي أفاض الله تعالى عليه نعمه النبوه وحباه بالوحي دون غيره لخلقه الرفيع الذي وصل إلى درجه أن ينال مدح الله تعالى وثناء المولى على العبد بقوله:

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٢).

مكارم الأخلاق فى نظر أهل البيت عليهم السلام

مكارم الأخلاق هبه يهديها الله تعالى لخلقه ترتفع بصاحبها إلى الدرجات العليا والمراتب الرفيعه، وهى درع واقية ضد الآثام والدنس فلذا أكثر أهل البيت عليهم السلام من الحث عليها بأنواعه الآتية:

١ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«عَلَيْكُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَنِي بِهَا، وَإِنَّ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنْ يَغْفُوَ الرَّجُلُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطَىٰ مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَأَنْ يَعُودَ مَنْ لَا يَعُودُهُ»(٣).

٢ وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ صِلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، فَحَسْبُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِخُلُقٍ مُتَّصِلٍ بِاللَّهِ»(٤).

١- تنبيه الخواطر: ص ٨٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٦، ح ٥٠٣٠.

٢- سورة القلم، الآية: ٤.

٣- أمالى الطوسى: ص ٤٧٨، ح ١٠٤٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨١ ١٠٨٢، ح ٥٠٦١ س.

٤- تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١٢٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٢، ح ٥٠٦٣.

٣ وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«فَهَبْ أَنَّهُ لَا ثَوَابَ يُرْجَى وَلَا عِقَابَ يُتَّقَى، أَفْتَرَّ هَدُونَ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؟!» (١).

٤ وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«ثَابِرُوا عَلَى أَفْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ» (٢).

وهناك الكثير من الأحاديث التي حثت البشرية على التحلى بهذه المكارم التي لا غنى عنها لعامل متبصر ولا لأمه تنشد الحياه الحقيقيه، ولكي يتضح الأمر ويسعى المرء لنيل هذه المكارم لا بد من الاطلاع عليها ومعرفتها، فلقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حديثان جمع فيهما أغلب مكارم الأخلاق وهما كما يلي:

١ قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَصَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَاثْمَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ؛ فَإِنْ كَانَتْ فِيكُمْ فَاخْمَدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا.

فَذَكَرَهَا عَشْرَةَ: الْيَقِينُ، وَالْقَنَاعَةُ، وَالصَّبْرُ، وَالشُّكْرُ، وَالْحِلْمُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَالسَّخَاءُ، وَالغَيْرَةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْمُرُوَّةُ» (٣).

٢ وعنه عليه السلام:

«الْمَكَامُ عَشْرٌ، فَإِنْ اسْتِطَعْتَ أَنْ تَكُونَ فِيكَ فَلْتَكُنْ، فَإِنَّهَا تَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَلَا تَكُونُ فِي وَلَدِهِ، وَتَكُونُ فِي وَلَدِهِ وَلَا تَكُونُ فِي أَبِيهِ، وَتَكُونُ فِي الْعَبْدِ وَلَا تَكُونُ فِي الْحُرِّ: صِدْقُ الْبَاسِ، وَصِدْقُ اللِّسَانِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةُ

١- غرر الحكم: ٦٢٧٨. ميزان الحكمه: ج ٣، ص ١٠٨١، ح ٥٠٦٠.

٢- غرر الحكم: ٤٧١٢. ميزان الحكمه: ج ٣، ص ١٠٧٩، ح ٥٠٤٦.

٣- أمالي الصدوق: ص ١٨٤، ح ٨. ميزان الحكمه: ج ٣، ص ١٠٨٠، ح ٥٠٥٢.

الرَّحِمِ، وإِقْرَاءِ الضَّيْفِ، وإِطْعَامِ السَّائِلِ، وَالْمُكَافَأَةِ عَلَى الصَّنَائِعِ، وَالتَّدْمِيمِ لِلجَارِ، وَالتَّدْمِيمِ لِلصَّاحِبِ، وَرَأْسُهُنَّ الْحَيَاءُ»(١).

وعند التأمل في هذين الحديتين نجد الإمام عليه السلام يحث على رفض الشك باطناً وظاهراً، والرضا بما قسم الله تعالى، والتحلى بعدم الجزع ونبذ الجزع ونبذ الشعور بالملل لاسيما في الطاعات، والعرفان بالجميل ومكافأه المنعم، والتحلى بضبط النفس عند الغضب، والعشره بالمعروف والتلبس بالآداب الجميله، والكرم والبذل ابتداءً أو عند السؤال، والحرص على الدين والمعروض والمقدسات، ورد العادى والثبات له، والفتوه والشيمه، وقول الحقيقه، والحفاظ على أمانات الناس وإرجاعها، والتواصل مع القربى، وإكرام الضيف وحسن الجوار، والخجل من الله تعالى ومن الناس عند الإقدام على ما يخذش الحياء.

كما أن هناك صفات أخرى عدّها الأئمه عليهم السلام من مكارم الأخلاق كالعفو عن الظالم، ومواساه الرجل أخاه في ماله، وذكر الله تعالى كثيراً.

نصائح

١ هناك تلازم بين الخلق الحسن والعقل، وبين الخلق السيئ والجهل وهذا ما يحث على طلب الالهى لبناء (كما هو فى الأصل)

العقل وكمال له لى يتصف صاحبه بالخلق الحسن فلذا نجد أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد على ذلك بقوله:

«الْخُلُقُ الْمَحْمُودُ مِنْ ثَمَارِ الْعَقْلِ، الْخُلُقُ الْمَذْمُومُ مِنْ ثَمَارِ الْجَهْلِ»(٢).

٢ إذا كانت صوره المؤمن جميله فليحافظ على جمالها بحسن الخلق، يقولون

١- الخصال: ص ٤٣١، ح ١١.

٢- غرر الحكم: ١٢٨٠ ١٢٨١. ميزان الحكمه: ج ٣، ص ١٠٧٢، ح ٤٩٩٣.

جميلاً في الظاهر والباطن كما ورد ذلك في سفينة البحار عن جرير بن عبد الله قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّكَ أَمْرٌ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ خَلْقَكَ فَأَحْسِنْ خُلُقَكَ» (١).

٣ إذا ادعى شخص الإيمان فانظر إلى ما يستند عليه هذا لإيمان فإن كان له خلق حسن فنعم السند وإلا فلا، وهذا أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِيمَانَ قَالَ: اللَّهُمَّ قَوِّنِي، فَقَوَّاهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ وَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْكُفْرَ قَالَ: اللَّهُمَّ قَوِّنِي، فَقَوَّاهُ بِالْبُخْلِ وَسُوءِ الْخُلُقِ» (٢).

٤ إذا رغبت في ثواب القائمين والصائمين عليك بالخلق الحسن لتنال درجاتهم وهذا ما أشار إليه نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بَلَّغَهُ اللَّهُ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» (٣).

٥ إذا ضعفت نفسك عن العبادة ولم تتوفر لك مستلزماتها كصحة البدن وعدم الغفلة والنشاط البدني والإقبال القلبي، ليس لك دواء لدائكك إلا حسن الخلق فلذا اسمع قول سيد المرسلين في ذلك إذ يقول:

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيُبْلَغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ وَشَرَفِ الْمَنَازِلِ، وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ» (٤).

٦ إذا أردت لميزانك أن يكون ثقيلاً يوم توضع الموازين عليك بالتحلى بالخلق الحسن، وهذا ما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ» (٥).

١- سفينة البحار: ج ١، ص ٤١٠. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٣، ح ٤٩٩٨.

٢- المحجبه البيضاء: ج ٥، ص ٩٠. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٢، ح ٤٩٨٦.

٣- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٧١، ح ٣٢٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٤، ح ٥٠٠٩.

٤- المحجبه البيضاء: ج ٥، ص ٩٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٤، ح ٥٠١٠.

٥- ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٤، ح ٥٠١٦. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٨٣، ح ١٧.

أَسْئَلُهُ مَهْمَهُ

السؤال الأول: ما هي الصفات التي اتصف بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكي ينال المدح الإلهي بقوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم)؟.

الجواب: كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الانقياد والطاعة والعبودية التامه لربه سبحانه، وهذا ما ذكره الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

«هو الإسلام» (٢).

وكان خلقه القرآن كما ذكر ذلك الحسن البصري وقبله عائشه.

السؤال الثاني: من هو الذي سيجلس قريبا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة ويكون محبوباً إليه؟

الجواب: هذا ما أجاب عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْلِسًا أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا وَأَشَدُّكُمْ تَوَاضُعًا» (٣).

السؤال الثالث: ما هو تفسير حسن الخلق؟

الجواب: ١ أن تكون متواضعا لطيفا ذا رفق ورحمه، وأن لا تتكلم إلا بما يرضى الله تعالى وليقع كلامك في قلوب مستمعك، وأن تعلق وجهك طلاقه وسماحه، فإن هذه الصفات هي التي يتجسد فيها حسن الخلق كما أخبر بذلك الإمام الصادق عليه السلام لما سُئِلَ عن حَدِّ حَسَنِ الْخُلُقِ قَالَ:

١- سورة القلم، الآية: ٤.

٢- معاني الأخبار: ص ١٨٨، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٥، ح ٥٠١٩.

٣- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٨٥، ح ٢٦.

«تَلِينُ جَانِبِكَ، وَتُطَيِّبُ كَلَامَكَ، وَتَلْقَى أَخَاكَ بِبِشْرِ حَسَنٍ» (١).

٢ الرضا بعطاء الله تعالى والقناعة به، وعدم الغضب والانفعال عند عدم الحصول على الدنيا، هكذا فسر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حسن الخلق بقوله:

«إِنَّمَا تَفْسِيرُ حُسْنِ الْخُلُقِ: مَا أَصَابَ الدُّنْيَا يَرْضَى، وَإِنْ لَمْ يَصِبْهُ لَمْ يَسْخَطْ» (٢).

٣ التنزه عن المعاصي وترك الانغماس فيها، والسعى في طلب الرزق الحلال الطيب، وإكرام الزوجه والأولاد أو من تجب عليك إعالته، هذا مما عدّه أمير المؤمنين من حسن الخلق بقوله:

«حُسْنُ الْخُلُقِ فِي ثَلَاثٍ: اجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ، وَطَلْبُ الْحَلَالِ، وَالتَّوَسُّعُ عَلَى الْعِيَالِ» (٣).

السؤال الرابع: ما هو المميز بين الفضائل والرذائل؟

الجواب: عدم الإفراط أو التفريط هو الذى يسبغ الأفعال والأقوال بالصيغه الحسنه، وبعكسه يقع القبح وتتشوه الصوره، ولا بأس أن نبين ذلك من خلال المثال:

إذا أردت أن تنفق فإن زاد عن حده فهو إسراف وإن قصر عن حده فهو بخل، وهكذا تجرى القاعده فى الأمور الأخرى، وخير ما يؤكد ذلك قول الإمام العسكرى عليه السلام إذ يقول:

«إِنَّ لِلشَّخَاءِ مِقْدَاراً فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ سِرْفٌ، وَلِلْحَزْمِ مِقْدَاراً فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ جُبْنٌ، وَلِلْاِقْتِصَادِ مِقْدَاراً فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ بُخْلٌ، وَلِلشَّجَاعَةِ مِقْدَاراً فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ تَهَوُّرٌ» (٤).

١- معانى الأخبار: ص ٢٥٣، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٦، ح ٥٠٢٧.

٢- كنز العمال: ٥٢٢٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٦، ح ٥٠٢٨.

٣- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٩٤، ح ٦٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٦، ح ٥٠٢٩.

٤- بحار الأنوار: ٦٩، ص ٤٠٧، ح ١١٥.

السؤال الخامس: كيف نحكم على من نعاشر؟

الجواب: ١ ينصح أمير المؤمنين عليه السلام من يريد أن يكون رأياً عن صاحبه أن ينظر إلى أفعاله وصفاته فإن وجد صفة جيدة فلينظر إلى الصفات الأخرى هل ستكون بجانبها وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِقَةٌ فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتِهَا» (١).

٢ إذا لمست بخلاً- وسوء خلق من صاحبك فاحكم ببعده عن الإيمان، وذلك ما صرح به رسول الإنسانية صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«خَصَلْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مَوْءِنٍ: الْبِخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ» (٢).

ثمرات حسن الخلق

إشارة

ما حثت الشرائع وما صدع الأنبياء عليهم السلام بحسن الخلق إلا لما فيه من فوائد جمه على مستوى الدنيا والآخرة، ولقد تقدم بيان ثماره في الآخرة في أحاديث متفرقة: كبلوغ صاحب الخلق الحسن درجة الصائمين والقائمين، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجلساً يوم القيامة، وثقل الميزان بالحسنات والثواب الجزيل.

وأما ثماره في الدنيا فهي كالاتي:

١ ينال صاحبه سعه في رزقه ويكثر أصدقاؤه كما قال ذلك الإمام على عليه السلام:

«حُسْنُ الْخُلُقِ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ، وَيُؤْنَسُ الرَّفَاقَ» (٣).

١- نهج البلاغه: الحكمة ٤٤٥. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٨، ح ٥١٢٣.

٢- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ٦، ص ٣٣٧. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٥، ح ٥٠٩٧.

٣- غرر الحكم: ٤٨٥٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٣، ح ٥٠٧٦.

٢ قالوا إن دار الظالم خراب، وأقول إن دار سيئ الخلق مثله، ولكن دار من حسن خلقه عامره بأهلها وبنائها، وعمر سيئ الخلق قصير مبتور، وعمر حسن الخلق طويل في طاعة الله تعالى، ولذا نجد الإمام الصادق عليه السلام يقول:

«إِنَّ الْبِرَّ وَحُسْنَ الْخُلُقِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ» (١).

٣ إذا سر العاقل أن يكون محبوبا ومحترما عند الناس، فما عليه إلا أن يكون ملتزما بحسن الخلق، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«حُسْنُ الْخُلُقِ يُثَبِّتُ الْمَوَدَّةَ» (٢).

سوء الخلق في نظر أهل البيت عليهم السلام

تقدم الكلام عن حسن الخلق ومكارمه في نظر أهل البيت عليهم السلام فكان كلاما يسر العقول ويشنف الأسماع ويقوى القلوب ويبعث على التنافس في المكارم، فحسن الخلق طيب يتعطر به المؤمنون، وتاج يتزين به العقلاء، ودرع يتوقى بها مجاهدوا النفوس، ووسيله يتقرب بها المتقربون، وجليبب يتجلبب به أهل الحياء، ودرجه يرتقى بها أهل العلو والرفعه، وفضل يمن به المحسنون، وعدل يحكم به الحاكمون، وبر يبذله أهل المعروف، ورضا تقنع به النفوس، واطمئنان تتحلى به القلوب، وأنس يأنس به الأصحاب.

وأما سوء الخلق! مرض يصيب الجاهلين، وتثانه يفر منها أهل الذوق، ودناءه للنفوس، وتسافل في الدرجات، وفساد للعمل الصالح، وقرين مانع للخير، ووحشه للأهل والأحباب، وحاجب عن التوبه، وغم لا ينجلى، وهم لا ينكشف، وعذاب لا يزول إلا بزوال صاحبه، ونكد للعيش، وبعد عن الله تعالى، وجفوه للدين، ومخالفه لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وترك لسيره المعصومين عليهم السلام وسبيل إلى النار.

١- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٩٥، ح ٧٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٣، ح ٥٠٧٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٤٨، ح ٧١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٤، ح ٥٠٨٠.

آثار سوء الخلق

إشارة

بعد هذا الوصف الذى وصف أهل البيت عليهم السلام فيه سوء الخلق نجد أنفسنا فى غنى عن ذكر آثاره ولكن ليطمئن قلب القارئ بذكر بعض أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام الذين حذروا من سوء الخلق وبيّنوا سوء عواقبه:

١ ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيُبْلَغُ مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ أَشْفَلَ دَرَكِ جَهَنَّمَ» (١).

٢ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْعَدِكُمْ مِنِّي شَبْهًا؟

قالوا: بلى يا رسول الله، قال:

الفاحشُ المُتَفَحِّشُ الِيدِيءُ، البَخِيلُ، المُخْتَالُ، الحَقُودُ، الحَسُودُ، القَاسِي القَلْبُ، البَعِيدُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ يُرْجَى، غَيْرُ المَأْمُونِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ يُتَّقَى» (٢).

٣ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«الْحُلُقُ السَّيِّئُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ» (٣).

٤ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ أَعْوَزَهُ الصَّدِيقُ وَالرَّفِيقُ» (٤).

وقال عليه السلام:

«مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ ضَاقَ رِزْقُهُ» (٥).

١- المحجّج البيضاء: ج ٥، ص ٩٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٦، ح ٥١٠١.

٢- الكافي: ج ٢، ٢٩١، ح ٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٦، ١٠٨٧، ح ٥١١٠.

٣- الكافي: ج ٢، ٣٢١، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٤، ح ٥٠٨٦.

٤- غرر الحکم: ٩١٨٧. میزان الحکمه: ج ٣، ص ١٠٨٦، ح ٥١٠٥.

٥- غرر الحکم: ٨٠٢٣. میزان الحکمه: ج ٣، ص ١٠٨٦، ح ٥١٠٦.

٥ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«سُوءُ الْخُلُقِ شَرُّ قَرِينٍ» (١).

وعنه عليه السلام:

«سُوءُ الْخُلُقِ نَكَدُ الْعَيْشِ وَعَذَابُ النَّفْسِ» (٢).

وقال عليه السلام أيضا:

«سُوءُ الْخُلُقِ يُوحِشُ النَّفْسَ، وَيَرْفَعُ الْأَنْسَ» (٣).

٦ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ» (٤).

الحلم

أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى صفة لا غنى عنها في الحياة الدنيا لاسيما عند معاشره اللؤماء والجاهلين، فهذه الصفة تظهر بتمامها في اسم الحلیم الذي هو من أسماء الله تعالى الحسنی، إلا أن تفسير هذه الصفة التي يتصف بها الله تعالى غير تفسيرها عندما يتصف بها العبد، ولكي يتضح الأمر بدرجة أكثر لا بد من التعرض لمعرفة مفهوم الحلم لغه واصطلاحا.

الحلم في اللغة: هو ترك العجلة، الصفح والستر، هو الأناه وضبط النفس، حُلْمٌ: تأني وسكن عند غضب أو مكروه مع قدره وقوه (٥).

- ١- غرر الحكم: ٥٥٦٧. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٥، ح ٥٠٨٩.
- ٢- غرر الحكم: ٥٦٣٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٥، ح ٥٠٩٠.
- ٣- غرر الحكم: ٥٦٤٠. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٥، ح ٥٠٩١.
- ٤- بحار الأنوار: ٧٨، ص ٢٤٦، ح ٦٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٦، ح ٥١٠٢.
- ٥- المعجم الوسيط: ص ١٩٤.

الحلم فى الاصطلاح: هو السيطرة على النفس عند هيجان الغضب وضبطها عن الانتقام مع القدره عليه دون أن يستلزم ذلك الذل والهوان.

وصف أهل البيت عليهم السلام الحلم بأنه من الفضائل التى يتجمل به صاحبه، ويتخذ منه واقياً من الإصابه بالبلايا والعواقب الوخيمه، بل هو من لوازم الإيمان وكمال العقول، وهو علامه الاتزان، وسبب تكوّن العشيره، ودلاله على عباده صاحبه، ووسيله لسيادته على غيره، وطريقه للانتصار على العدو، ورد للفسيه، ومدعاه للسلم.

بحث عقائدى

غضب وحلم الله تعالى

تقدم الكلام عن أن الحلم هو الأناه وضبط النفس والسكن عند الغضب، فلذا ورد فى الآيات الكريمه والأحاديث الشريفه ما يصرح بأن الله سبحانه يتصف بالحلم ويتسمى بالحليم كما فى قوله تعالى:

(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النَّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَيَتَذَكَّرُونَ هُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَغْرِمُوا عُقُودَهُ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (١).

وفى قوله تعالى:

(إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (٢).

١- سورة البقره، الآيه: ٢٣٥.

٢- سورة التغابن، الآيه: ١٧.

وهناك الكثير من الآيات الأخرى التي تصرح بذلك، كما ورد أيضا في الأحاديث الشريفة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من دعائه في يوم الأحزاب:

«إلهي أنت الحليم الذي لا يجهل» (١).

وورد أيضا عن الإمام الكاظم عليه السلام في صفة الله تعالى قوله:

«الحليم الذي لا يعجل» (٢).

ومما لا شك فيه أن الاتصاف بالحلم لا يأتي إلا بعد غضب يعترى الساكن فيهيح بسببه فيبادر إلى رد فعل عنيف أو يحاول ضبط نفسه والسيطره على سلوكه، فيلزم من ذلك حدوث تغير في حاله، ولكن لا تجرى هذه التغيرات في الله سبحانه لاستحاله قيام الحوادث وطريئها على ذاته سبحانه لأنه واجب الوجود، ولكي يتضح الأمر جليا لا بد من الوقوف على معنى الغضب الإلهي سواالحلم الإلهي.

قبل الاطلاع على معنى الغضب الإلهي لا بد أن نعرف أن الله تعالى يغضب على عباده العصاة كما ورد ذلك في كثير من الآيات الشريفة كما في قوله تعالى:

(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحِجْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحِجْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (٣).

وفي قوله تعالى:

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (٤).

١- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٩١، ص ٢١٢، ح ٧.

٢- موسوعه العقائد الإسلاميه، محمد الريشهري: ج ٤، ص ١٥٢، ح ٤٤٤٣.

٣- سوره آل عمران، الآية: ١١٢.

٤- سوره النساء، الآية: ٩٣.

وقوله تعالى:

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) (١).

وهناك الكثير من الآيات الأخرى التي تصرح بذلك فراجع.

ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤكد ذلك كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله رجل: أَجِبْ أَنْ أَكُونَ آمِنًا مِنْ سَخَطِ اللَّهِ قَالَ:

«لَا تَغْضَبْ عَلَى أَحَدٍ تَأْمَنُ غَضَبَ اللَّهِ وَسَخَطَهُ» (٢).

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن الغضب مذكور في التوراه أيضا كما في قوله عليه السلام:

«مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاهِ... يَا مُوسَى، أَمْسِكْ غَضَبَكَ عَمَّنْ مَلَكَتَكَ عَلَيْهِ، أَكُفَّ عَنْكَ غَضَبِي» (٣).

وما ذكره السيد المسيح عليه السلام يؤكد أن الأديان السماوية تشير إلى أن الله تعالى يغضب ويحل غضبه على من يستحقه كما في قوله عليه السلام:

(لَمَّا سَأَلَهُ الْحَوَارِيُّونَ: أَيُّ الْأَشْيَاءِ أَشَدُّ؟: أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ غَضَبُ اللَّهِ.

قالوا: فِيمَا يَتَّقَى غَضَبَ اللَّهِ؟، قَالَ: بَأَنْ لَا تَغْضَبُوا) (٤).

بعد أن عرفنا بموجب الآيات الكريمة والأحاديث الشريفه أن الله تعالى يغضب

١- سورة طه، الآية: ٨١.

٢- كنز العمال: ٤٤١٥٤. ميزان الحكمة: ج٧، ص ٣٠٠٩، ح ١٥٠٥٢.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٣٠٣، ح ٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٠٨، ح ١٥٠٥٠.

٤- مشكاة الأنوار: ص ٢١٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٠٨، ح ١٥٠٥١.

على من يستحق الغضب وينزل غضبه على ذلك العاصي المستحق لهذا الغضب وعرفنا من خلال الآيات التي تقدم ذكرها في ذكر صفه الحلم بأنه تعالى يتصف بالحلم ويصف نفسه سبحانه بالحليم، فبعد هذا صار من الضروري أن نعرف المعنى الحقيقي لغضب الله تعالى وحلمه على عباده فنقول:

عرف أهل اللغة الغضب بأنه: البغض وحب الانتقام من المبعوض (١).

وجاء في المعجم الوسيط، غضب عليه غضبا: سخط عليه وأراد الانتقام منه، الغضب: استجابته لانفعال تتميز بالميل إلى الاعتداء (٢).

الغضب فى الاصطلاح: هو هياج يعترى الإنسان يدفعه إلى رد فعل عنيف.

ولو تأملنا ما تقدم من معان للغضب لا نجد لها تصلح للانطباق على الغضب الإلهي لما فيها من فساد عقائدى فلم يبق لنا إلا أن نطرق باب أهل بيت العصمة عليهم السلام ليعرفونا المعنى الحقيقى لغضب الله تعالى.

لقد ورد من محاوره بين رجل يدعى (عمرو بن عبيد) والإمام الصادق عليه السلام فى ذلك وهى كالتى:

قال عمرو بن عبيد: أخبرنى (جعلت فداك) عن قوله جل ذكره:

(وَمَنْ يَخْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) (٣).

ما غضب الله؟

فقال أبو جعفر عليه السلام:

«غضب الله عقابه يا عمرو، ومن ظن أن الله يغيره شىء فقد كفر».

١- المنجد الأبجدى: ص ٧٣٧.

٢- المعجم الوسيط: ص ٦٥٤.

٣- سورة طه، الآية: ٨١.

وورد فى توحيد الصدوق: (أن أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا الحسن بن على السكرى، قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري، عن جعفر بن عماره، عن أبيه قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله أخبرنى عن الله عز وجل هل له رضا وسخط؟ فقال:

«نعم وليس ذلك على ما يوجد فى المخلوقين ولكن غضب الله عقابه، ورضاه ثوابه»(١).

وعند التأمل فى هذين الحديثين الشريفين يتضح لنا المعنى الحقيقى ل(غضب الله تعالى) وليس هو إلا عقابه أو عذابه وليس ثوره وهياجاً وتغييراً لاستحاله ذلك فى الذات الإلهيه.

وأما المعنى الحقيقى لحلم الله تعالى هو الغض عن معاصى العباد، وأنه لا يعجل فى مؤاخذتهم، بل يمهل ولا يهمل أى يرجئ العقوبه إلى حين آخر بحكمته، وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أوصى الله عز وجل إلى أخى العزيز.. لا تأمن مكرى حتى تدخل جنتى، فاهتر عزيز ييكى، فأوصى الله إليه لا تبك يا عزيز، فإن عصيتى بجهلك غفرت لك بحلمى، لأنى كريم لا أعجل بالعقوبه على عبادى وأنا أرحم الراحمين»(٢).

خلاصه الكلام: أن الغضب الإلهى هو العقاب والعذاب وليس هياجاً أو فوره دم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأما الحلم فهو تأخير العقوبه وإرجاؤها إلى حين وليس سكوناً وهدوءاً وضبط نفس لاستحاله اتصافه بذلك لأنه تعالى ليس محلاً لظروء الحوادث أو التغير.

١- كتاب التوحيد للصدوق: ص ١٧٠.

٢- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج ٢، ص ١٥١.

الحلم فى نظر أهل البيت عليهم السلام

إشاره

الحلم هذه الصفه التى لا يستغنى عنها العقلاء فسرهما أهل البيت عليهم السلام بأنها الربط الشديد لفوهه النفس لكى لا يخرج غضبها والسيطره والاستيلاء على القلب عندما تعصف به فوره الدم ولذلك قال الإمام الحسن عليه السلام وقد سئل عن الحلم:

«كظم الغيظ وملك النفس»^(١).

ويرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الحلم بأنه القدره على الاحتمال بقوله:

«كمال العلم الحلم، وكمال الحلم كثره الاحتمال والكظم»^(٢).

بل يدعو الإمام إلى أن يترجم الحليم حلمه إلى تجلد وسكوت كما فى قوله عليه السلام:

«الحلم كالصبر والصمت»^(٣).

ويشير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى زاويه أخرى ليعرف لنا الحلم بالعهده الهادئه التى يضطر إليها الإنسان عند ابتلائه بلثيم أو أحقق أو سيع العشره ولذا نجده يقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَيْسَ بِحَلِيمٍ مَنْ لَمْ يُعَاشِرْ بِالْمَعْرُوفِ مَنْ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَخْرَجًا»^(٤).

ويرى الإمام الباقر عليه السلام أن دفع الشر والضرر من أفراد الحلم الذى يحتاج عند الابتلاء بذلك كما فى قوله عليه السلام:

«لَيْسَ الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَتَّقِي أَحَدًا فِي مَكَانِ التَّقْوَى»^(٥).

١- تحف العقول لابن شعبه الحرانى: ص ٢٢٥.

٢- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج ٢، ص ٤١٢، ٢٩١٣.

٣- المصدر السابق.

٤- كنز العمال: ٥٨١٥. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩١٠، ح ٤٣٤٨.

٥- الكافى: ج ٨، ص ٥٥، ح ١٦. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩١٠، ح ٤٣٥٠.

آثار الحلم

لا شك أن لكل فضيله يتصف بها الإنسان من ثمرات دنيويه وأخروييه جزاءً لما اتصف به ومن تلك الفضائل فضيله الحلم التى تعود على صاحبها بثمرات لا غنى عنها لمن أراد الرفعه والموده كما يلى:

١ التحلى بالحلم يوجب السيادة والتقدم على الآخرين كما جاء ذلك على لسان أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«مَنْ حَلَّمَ سَادَ» (١).

٢ ومن ينشد السلامه والابتعاد عن الدخول فى الاختلافات التى توقع الضرر فليتصف بالحلم عند تعامله مع الآخرين كما دل على ذلك قول إمام الموحدين عليه السلام:

«السُّلْمُ ثَمْرُهُ الْحِلْمُ» (٢).

٣ إذا دخل المرء فى أزمه مع غيره إلى درجه العداة وكان راغبا فى الانتصار عليه فليتحلى بالحلم لينال مبتغاه كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«مَنْ حَلَّمَ عَنْ عَدُوِّهِ ظَفَرَ بِهِ» (٣).

٤ ومن أراد الأمان والاطمئنان فى الآخرة من غضب الله تعالى فليلتزم بالحلم عندما يغضب فى الدنيا وهذا ما أكده إمام المتقين عليه السلام بقوله:

«الْحِلْمُ عِنْدَ شِدَّةِ الْغَضَبِ يُؤْمِنُ غَضَبَ الْجَبَّارِ» (٤).

١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٠٨، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩٠٩، ح ٤٣٣٤.

٢- غرر الحكم: ٩٠١. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩٠٩، ح ٤٣٣٥.

٣- كثر الفوائد: ج ١، ص ٣١٩. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩٠٩، ح ٤٣٣٨.

٤- غرر الحكم: ١٧٧٦. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩١٠، ح ٤٣٤٦.

أَسْأَلُهُ مَهْمَهُ

السؤال: إذا كنت معتادا على الغضب ولم أستطع أن أملك نفسي فما هو العلاج؟

الجواب: ينصح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بتدريب النفس على الحلم حتى يصل صاحبها إلى الاتصاف بالحلم وهذا ما صرح به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ؛ فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ» (١).

السؤال: وصف القرآن الكريم إبراهيم بأنه حلیم في قوله تعالى:

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) (٢).

ووصف الله تعالى بأنه حلیم أيضا في قوله تعالى:

(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (٣).

فكيف يصح تسميه إبراهيم عليه السلام باسم من الأسماء الحسنى المختصة بالله تعالى؟

الجواب: ١ إن الله تعالى متصف بالحلم بمعنى تأخير العقوبة دون حدوث انفعال في ذاته المقدسه، بينما يتصف إبراهيم عليه السلام بالحلم بعد حدوث انفعال في ذاته.

٢ الله تعالى حلیم بالاستقلال دون تعلم أو تربيته تلقاهما من أحد، وأمّا إبراهيم عليه السلام فهو حلیم بتأديب الله تعالى له.

١- نهج البلاغه: الحكمة ٢٠٧. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩٠٧، ح ٤٣١٨.

٢- سورة هود، الآية: ٧٥.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

السؤال: كيف نميِّز بين الحليم والجبان؟

الجواب: إذا اقترن السكون وضبط النفس بالقدره على الرد والانتقام فصاحبه حليم وإذا فقد القدره على الرد فهو عجز وجبن وذل.

السؤال: ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (١).

فهل هناك علاقة بين العلم والحلم؟

الجواب: لا نستطيع أن نتصور عالماً لا يتحلى بالفضائل لاسيما بفضيله الحلم لما لهذه الفضيله من أهميه فى حياه العلماء الذين أخذوا على أنفسهم تعليم الجاهلين والصبر على إرشادهم وتحمل نزفهم وهذا لا يتم إلا بالتحلى بصفه الحلم، وما جاء عن أهل البيت عليهم السلام ما أكد هذا المعنى كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا جُمِعَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ» (٢).

وقول أمير المؤمنين عليه السلام الذى يشير إلى أن العلم لا يعطى فائده ترجى إلا- إذا ازدوج مع الحلم كما فى هذا الحديث الشريف:

«لَنْ يُتِمَّرَ الْعِلْمُ حَتَّى يُقَارَنَهُ الْحِلْمُ» (٣).

وأكد الإمام الباقر عليه السلام أن اللباس الذى يلبسه العلماء هو الحلم فلذلك يقول:

«الْحِلْمُ لِبَاسُ الْعَالِمِ، فَلَا تَعْرِينَنَّ مِنْهُ» (٤).

١- سورة النساء، الآية: ١٢.

٢- كنز العمال: ٥٨٢٩. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩١١، ح ٤٣٦٢.

٣- غرر الحكم: ص ٧٤١١. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩١١، ح ٤٣٥٨.

٤- الكافي: ج ٨، ص ٥٥، ح ١٦. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩١١، ح ٤٣٥٦.

الوفاء

الوفاء فضيله وعلامه تدل على أن صاحبها من أهل المعروف والرفعه والعلو لما فيها من آثار حميده فى الدنيا والآخرة، والاتصاف بالوفاء يتم عن نفس عزيزه تحترم عهودها وأقوالها وعقودها وشروطها، وهى لباس المؤمنين قبل غيرهم فلذا نجد القرآن الكريم فى آيات متعدده أكد على ضروره الاتصاف بالوفاء بل أمر بذلك كما فى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) (١).

وقوله تعالى:

(وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (٢).

ولكى يطلع القارئ الكريم على مفهوم الوفاء لابد من معرفه معنى الوفاء لغه واصطلاحاً:

الوفاء فى اللغه: وفى فلان نذره: آداه، وفى بعهده: عمل به، وفى فلانا حقه: أوفاه إياه (٣).

الوفاء فى الاصطلاح: هو حفظ العهد وعدم نقضه، والالتزام بالوعد وتحقيقه وامضاء العقود وعدم الرجوع فيها دون مسوغ.

إذن الوفاء وسيله لدرء صفه الغدر القبيحه، وعلامه على إيمان المؤمن، وردع

١- سورة المائده، الآية: ١.

٢- سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

٣- المعجم الوسيط: ص ١٠٤٧.

لدفع الازدراء والانتقاص، وجمال يزين الأخوة، ورفع بين الناس، وأحد الأسس الدينيه، وركن من الأركان الأخلاقيه، وعنوان للمودّه، وقرين للصدق.

لقد حثت الشريعة الإسلاميه على ضروره الوفاء بالعهد والعقد والشرط والوعد، وأشارت الأحاديث الشريفه إلى هذه الفضيله وسموها كما فى الأحاديث الآتية:

١ قال الإمام على عليه السلام:

«الكَرْمُ فَضْلٌ، الْوَفَاءُ نُبْلٌ» (١).

٢ وعنه عليه السلام:

«الْوَفَاءُ تَوْأَمُ الصِّدْقِ» (٢).

٣ وعنه عليه السلام:

«بِحُسْنِ الْوَفَاءِ يُعْرَفُ الْأَبْرَارُ» (٣).

وهناك بعض الأحاديث التى تشير إلى منزله صاحب هذه الفضيله كما فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَقْرَبُكُمْ عَلَيَّ مَنْ بَدَأَ فِي الْوَفَاءِ، وَأَدَّكُمْ لِلْأَمَانَةِ، وَأَوْفَاكُمْ بِالْعَهْدِ، وَأَحْسَنُكُمْ خُلُقًا، وَأَقْرَبُكُمْ مِنَ النَّاسِ» (٤).

وحدیث آخر یصرح أن الوفاء سببٌ فى جعل صاحبه من المصطفين عند الله تعالى وعند الناس كما فى قوله أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ أَحْسَنَ الْوَفَاءَ اشْتَحَقَّ الْأَصْطِفَاءَ» (٥).

١- غرر الحكم: ١٣. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٩٦، ح ٢٢٢٧٦.

٢- غرر الحكم: ٢٧١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٩٦، ح ٢٢٢٧٤.

٣- غرر الحكم: ٤٣٣١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٩٧، ح ٢٢٢٨١.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٩٤، ح ١٢. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٩٥، ٤٧٩٦، ح ٢٢٢٦٣.

٥- غرر الحكم: ٨٦٩٠. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٩٧، ح ٢٢٢٨٣.

سؤال مهم

السؤال: إذا لزم من الوفاء تفويت مصلحة ما، فهل يجوز لنا تركه؟

الجواب: لا يجوز ذلك أخلاقياً وفقهياً حسب ما ورد عن العلماء الأعلام.

وقفه

إشاره

أخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى لا يخلف الميعاد كما جاء في قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (١).

وقوله تعالى:

(رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (٢).

وسيفي لمن وعده بالثواب على عمله الصالح وهذا ما وهذا ما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلٍ ثَوَابًا فَهُوَ مُنْجِزُهُ لَهُ، وَمَنْ أَوْعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَابًا فَهُوَ فِيهِ بِالْخِيَارِ» (٣).

وأكد هذا القول أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«أَفِضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَارْغَبُوا فِيهَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ» (٤).

وما هذا الالتزام بتحقيق الوعد إلا وفاء لما وعدنا به، وفي هذه الآيات الكريمه والأحاديث الشريفه تربيه لنا على ضروره الوفاء بالوعد، إن الوعد دين في ذمه صاحبه،

١- سورة الرعد، الآية: ٣١.

٢- سورة آل عمران، الآية: ٩.

٣- التوحيد: ص ٤٠٦، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٣٤، ح ٢١٩٤٩.

٤- نهج البلاغه: الخطبه ١١٠. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٣٤، ح ٢١٩٥١.

وحتى يجب الوفاء به كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«العهده دين ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ثم أخلف ويل لمن وعد ثم أخلف».

وما هذا التشديد على الوفاء بالوعد إلا علامه على سمو ورفع الأخلاق الإسلاميه.

ولكى نرى عظمه الإسلام من خلال هذه الفضيله لابد أن نطلع على ما قاله أئمه المسلمين عليهم السلام بالحق فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يصور لنا حاله عند إعطائه وعداً لأحد الناس بقوله:

«ما بات لرجل عندي موعداً قط فبات يتململ على فراشه ليغدو بالظفر بحاجته، أشد من تمللى على فراشى حرصاً على الخروج إليه من دين عديته، وخوفاً من عائق يوجب الخلف؛ فإن خلف الوعد ليس من أخلاق الكرام»^(١).

ونردف قول أمير المؤمنين عليه السلام بقول الإمام الصادق عليه السلام الذى ينقل لنا ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جراء التزامه بوعد قطعه لرجل فيقول:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعد رجلاً إلى الصخره فقال: أنا لك ها هنا حتى تأتي، قال: فاشتدت الشمس عليه.

فقال له أصحابه: يا رسول الله، لو أنك تحولت إلى الظل! قال:

وعدته إلى ها هنا وإن لم يجرى كان منه المحشر»^(٢).

فيتضح مما تقدم ضروره الالتزام بالوعد والوفاء به حتى لو لحق بصاحبه الضرر.

١- غرر الحكم: ٩٦٩٢. ميزان الحكمه: ج ١١، ص ٤٧٣٥، ح ٢١٩٥٩.

٢- مكارم الأخلاق: ج ١، ص ٦٤، ح ٦٣. ميزان الحكمه: ج ١١، ص ٤٧٣٦، ح ٢١٩٧١.س.

نصيحه معصوميه

يعلم أهل بيت العصمه عليهم السلام أن بعض الناس قد يخلف الوعد ويترك الوفاء به اضطرارا دون إرادته بسبب عدم قدرته على إنجاز الوعد فلذا أكدوا على ترك الوعد عند العلم بعدم القدره على الوفاء به كما فى الأحاديث الآتية:

قال الإمام على عليه السلام:

«لَا تَعِدَنَّ عِدَّةً لَا تَثِقُ مِنْ نَفْسِكَ بِإِنجَازِهَا» (١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«لَا تَعِدَنَّ أَخَاكَ وَعِدًّا لَيْسَ فِي يَدِكَ وَفَاؤُهُ» (٢).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال لرجلٍ قالَ لَهُ: عِدْنِي :

«كَيْفَ أَعِدُّكَ وَأَنَا لِمَا لَا أَرْجُو أَرْجَى مِنْى لِمَا أَرْجُو!» (٣).

الاستكبار

اشاره

هذه الصفه من الصفات العجيبه إذ إنها رذيله من جهه وكمال من جهه أخرى، فهى رذيله بلحاظ العبد وكمال بلحاظ المولى جل وعلا، فالكبر رداء الله تعالى فلا يحق لغيره منزاعته رداءه والتشبه به، بل أن العبد بذاته الفقيره المحتاجه لا يليق به أن يكون مستكبرا، فإن فعل ذلك فهو ناشئ من جهله وحماقته، وهذا ما فعله إبليس فاستحق على أثره الطرد والتصغير كما فى قوله تعالى:

(قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) (٤).

١- غرر الحكم: ١٠٢٩٧. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٣٧، ح ٢١٩٧٣. سس

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٥٠، ح ٩٤. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٣٧، ح ٢١٩٧٤.

٣- كتاب الفقيه: ج ٣، ص ١٦٥، ح ٣٦١٠. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٣٧، ح ٢١٩٧٥.

٤- سورة الأعراف، الآية: ١٣.

ولذا لا بد من معرفه هذه الصفه الذهبيه لغه واصطلاحا:

استكبر فى اللغه: امتنع عن قبول الحق معانده وتكبرا، والكبر: العظمه والتجبر(١).

الاستكبار فى الاصطلاح: هو تعالى على الآخرين وإعطاء قدرٍ لنفسه فوق قدر الغير.

فالتكبر خلق إبليس الذى كان سببا فى طرده من رحمه الله تعالى، فلا يصح لعاقل أن يتصف بهذه الصفه الذميه لما لها من عاقبه وخيمه وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِيَّاكَ وَالْكِبْرَ؛ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ الذَّنُوبِ وَالْأَمُّ الْعُيُوبِ، وَهُوَ حِلْيَةُ إِبْلِيسَ»(٢).

وهذه الصفه الذميه لها آثار وخيمه ندرجها كما يلى:

١ التكبر يوجب ضياع الأعمال الصالحه كما فى قول سيد المتقين عليه السلام:

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ... عَنْ كَثِيرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ! فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟!»(٣).

٢ التكبر يوجب نقصان العقل كما فى قول الإمام الباقر عليه السلام:

«مَا دَخَلَ قَلْبَ امْرِئٍ شَيْءٌ مِنَ الْكِبْرِ إِلَّا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ مِثْلَ مَا دَخَلَهُ مِنْ ذَلِكَ، قَلَّ ذَلِكَ أَوْ كَثُرَ»(٤).

٣ عاقبه التكبر ويكتب صاحبه فى سجل الطغاه الظلمه كما فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

١- لسان العرب: ج ٥، ص ١٢٦.

٢- غرر الحكم: ٢٦٥٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٠٨، ح ١٧٢٠٦.

٣- نهج البلاغه: الخطبه ١٩٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٠٨، ح ١٧٢٠٨.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٨٦، ح ١٦٣. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٠٩، ح ١٧٢١٤.

«لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَتَكَبَّرُ وَيَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ، فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ» (١).

٤ يُبْعَدُ صَاحِبُهُ عَنِ دَارِ النِّعَمِ كَمَا جَاءَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«يَا أَبَا ذَرٍّ، مَنْ مَاتَ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ قَبْلَ ذَلِكَ» (٢).

فوائد

عند تأمل الأحاديث الشريفه التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام تظهر لنا بعض الفوائد العلميه فيما يرتبط بالتكبر وهي كما يلي:

١ إن التكبر صفة قد تصيب حتى الفقير المعدم إذا كان ذا قلب خالٍ من الخير كما صرح بذلك الإمام الصادق عليه السلام:

«الْكِبْرُ قَدْ يَكُونُ فِي شَرَارِ النَّاسِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ.. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، وَسُودَاءُ تَلْقَطُ السَّرِقِينَ، فَقِيلَ لَهَا: تَنَحِّيْ عَنِ طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: إِنَّ الطَّرِيقَ لَمَعْرُضٌ، فَهَمَّ بِهَا بَعْضُ الْقَوْمِ أَنْ يَتَنَاوَلَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: دَعُوها، فَإِنَّهَا جَبَّارَةٌ» (٣).

٢ قد يكون تباعد بعض الناس عن تباعد عنه تكبرا ولكن هناك من يتباعد عن هو متباعد عنه احتراماً لنفسه ورفعاً لها عن الابتذال كما أشار إليه الإمام على عليه السلام في قوله في صفة الممتقين :

١- كنز العمال: ٧٧٤٩. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٠٩، ح ١٧٢٢١.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٩٠، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥١١ ٣٥١٢، ح ١٧٢٣٣.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٢٠٩، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٠٨، ح ١٧٢١٣.

«بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظْمَةٍ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيْعَةٍ» (١).

٣ لم يسمح الله تعالى لأحد بالتكبر لأن الكبرياء لباسه وحده الذى لا يليق إلا به سبحانه كما فى قول إمام المتقين عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَ هُمَا حِمَىً وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ» (٢).

٤ إذا كان قلب المرء عارفا بالله تعالى ولكنه محبٌ للجمال فيتظاهر به فليس هذا من التكبر بشيء وهذا ما دل عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسِينًا وَنَعْلُهُ حَسِينَةً! قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ» (٣).

٥ إن للكبر ظاهراً وباطناً فأما الظاهر ما ظهر على الجوارح وأما الباطن ما كان فى قلبه أنه يرى نفسه فوق الغير.

٦ كل متكبر لا يتكبر إلا بسبب شعوره بالنقص كما دل على ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَا مِنْ رَجُلٍ تَكَبَّرَ أَوْ تَجَبَّرَ إِلَّا لِدَلِّهِ وَجَدَهَا فِي نَفْسِهِ» (٤).

١- نهج البلاغه: الخطبه ١٩٣. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥١٠، ح ١٧٢٢٢.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ١٩٢. شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١٣، ص ١٢٧. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥١٠، ح ١٧٢٢٧.

٣- الترغيب والترهيب: ج ٣، ص ٥٦٧، ح ٣١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥١٢، ح ١٧٢٣٤.

٤- الكافى: ج ٢، ص ٣١٢، ح ١٧. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥١٧، ح ١٧٢٦٢.

٧ من أراد معالجه هذه الصفه الذميمة فعليه أن ينظر إلى عظمه الله تعالى ويحقر نفسه أمام عظمه ربه بالطاعات والعبادات كما أرشد إلى ذلك الإمام الحسن عليه السلام بقوله:

«لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَاطَمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَوَاضَعَ عَمَّا، وَ(عِزًّا) الَّذِينَ يَعْرِفُونَ مَا جَلَالُ اللَّهِ أَنْ يَتَذَلَّلُوا (لَهُ)» (١).

٨ ومن معالجه الكبر ممارسه الحاجات باليد دون الاعتماد على خادم أو غلام أو أحد أفراد الأسره فإن ذلك مما يخرج الكبر من النفس وهذا ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«مَنْ حَلَبَ شَاتَهُ وَرَقَعَ قَمِيصَهُ وَخَصَفَ نَعْلَهُ وَوَاكَلَ خَادِمَهُ وَحَمَلَ مِنْ سُوْقِهِ، فَقَدْ بَرِيَ مِنَ الْكِبْرِ» (٢).

٩ إذا أردت العلو والرفعه فعليك بالتواضع هذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يَرْفَعُهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ اللَّهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعُهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ» (٣).

١٠ تذكر أن المتكبر لا يحشر كما يحشر الناس بل سيكون أصغر شيء حتى يسحق بأقدام أهل المحشر كما ورد ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يُحْشَرُ الْجَبَّارُونَ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ، يَطْوُهُمُ النَّاسُ لِهَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى» (٤).

١- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٠٤، ح ٣.

٢- كنز العمال: ١٧٩٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٢٠، ح ١٧٢٧٧.

٣- الترغيب والترهيب: ج ٣، ص ٥٦٠، ح ٦. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٢٣، ح ١٧٣٠٠.

٤- المحجبه البيضاء: ج ٦، ص ٢١٥. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٢٣، ح ١٧٣٠٢.

السفه

كل جميل فى باطنه يرغب أن يكون ذا ظاهر جميل أيضا فيسعى لنيل الفضائل ويجاهد نفسه ليتحلى بها، ومن هذه الفضائل التى يتمنى المرء التحلى بها الوقار والاتزان والتعقل وهذه الفضائل لا تجتمع مع السفه فى حال من الأحوال لاسيما إذا عرفنا أن السفه كما ورد فى كتب اللغه:

الخفه والطيش والجهل وعدم الحلم ورداءه الخلق(١).

وأما ما اصطلح عليه فالسفه: هو سلوك بعيد عن العقل والعلم والاحترام يسقط صاحبه من أعين الناس، فلذلك صار سببا فى نفره الأصدقاء والأحبه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَالسَّفَهَ؛ فَإِنَّهُ يُوحِشُ الرَّفَاقَ»(٢).

بل قد يكون مدعاه لثتم صاحبه وإلحاق الضرر به كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«السَّفَهُ مِفْتَاحُ السَّبَابِ»(٣).

وفى قول آخر:

«السَّفَهُ يَجْلِبُ الشَّرَّ»(٤).

بل للسفه آثار وخيمه تدعو العاقل للهروب من هذه الصفه القبيحه.

١- المعجم الوسيط: ص ٣٤٣. المنجد الأجدى: ص ٥٥٢.

٢- غرر الحكم: ٢٦٥٥. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٥٤، ح ٨٦٤٢.

٣- غرر الحكم: ٣١٣. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٥٤، ح ٨٦٤٣.

٤- غرر الحكم: ٨٣٤. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٥٤، ح ٨٦٤٤.

أَسْئَلُهُ مَهْمَهُ

السؤال: ما هو معنى السفه في نظر أهل البيت عليهم السلام؟.

الجواب: وصف أهل البيت عليهم السلام بعض الناس الذين يسلكون سلوكا مشينا من خلال معاشره الوضيع والدونى، أو من يرتكب جريمة شرب المسكر كما فى قول الإمامين الحسن والباقر عليهما السلام إذ يقول الإمام الحسن عليه السلام، لما سئل عن السفه:

«اتَّبَعَ الدُّنَاةَ وَمُصَاحَبَهُ الغَوَاةَ» (١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام فى قوله تعالى:

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ (٢).

«كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ المُسْكِرَ فَهُوَ سَفِيهٌ» (٣).

السؤال: ما هى علامه السفه؟.

الجواب: للسفيه علامات يعرف من خلالها وهى كما يلى:

١ يتجاوز على من هو أقل رتبه أو مقاما، وينقاد ويطيع لمن هو أعلى منه رتبه ومقاما كما فى قول الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ السَّفَهَ خُلِقَ لِئِيْمٍ، يَسْتَطِيْلُ عَلَى مَنْ (هُوَ) دُونَهُ، وَيَخْضَعُ لِمَنْ (هُوَ) فَوْقَهُ» (٤).

٢ السفه من يبذر الأموال ويجهل التصرف بها كما دل على ذلك قول الإمام أبى عبد الله عليه السلام عندما سأله سنان: وما السفه؟

١- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٠٤، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٥٥، ح ٨٦٥٣.

٢- سورة النساء، الآية: ٥.

٣- تفسير العياشى: ج ١، ص ٢٢٠، ح ٢٢. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٥٥، ح ٨٦٥٤.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٣٢٢، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٥٥، ح ٨٦٥٥.

فقال عليه السلام:

«الذِي يَشْتَرِي الدَّرْهَمَ بِأُضْعَافِهِ» (١).

السؤال: كيف نتعامل مع السفية؟

الجواب: هناك مجموعته إرشادات وآداب للتعامل مع السفية صدرت عن أهل البيت عليهم السلام وهي كالآتي:

١ قابل السفية بسعه الصدر وعدم الوقوع في الغضب كما قال الإمام علي عليه السلام:

«مَنْ غَاظَكَ بِقُبْحِ السَّفِيهِ عَلَيْكَ، فَغِظْهُ بِحُسْنِ الْحِلْمِ عَنْهُ» (٢).

٢ ترك الرد على مخاطبه السفية وترك العتب معه لما فيه من ضرر كبير، وهذا ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام:

«مَنْ عَدَلَ سَفِيهَاً فَقَدْ عَرَّضَ لِلسَّبِّ نَفْسَهُ» (٣).

بحث عقائدي

الغلو

الغلو انحراف عقائدي وزلل أخلاقي يذهب بصاحبه إلى حيث الابتعاد عن الإنصاف ومجانبه الحقيقة، بل يسلك بقلب من ابتلى به في طريق الدنس والقذاره ويسير بعقل المتوهم في طريق الاعوجاج والتعثر، فلذا نجد القرآن الكريم حذر أهل الكتاب من هذا البلاء الفاقر للعقل والدين بقوله تعالى:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا

١- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٨٢، ح ٧٣١. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٥٥، ح ٨٦٥٦.

٢- غرر الحكم: ٨٦٢٠. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٥٥، ح ٨٦٥٨.

٣- غرر الحكم: ٩١٧١. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٥٦، ح ٨٦٦٠.

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١).

أى لا تضعوا عيسى بن مريم فوق ما وضعه ربه ولا تصفوه بغير ما وصفه فإن فعلكم هذا خلاف الدين الذى أراد الله تعالى لكم، فجعلكم المسيح عليه السلام إلها يعبد مع الله تعالى هو عين الزبغ لاسيما وأنتم تعلمون أن المسيح عليه السلام بشر محتاج يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق فكيف يرتقى إلى الغنى المطلق وهذا المعنى أكدته القرآن الكريم بقوله تعالى:

(مِا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَمَّا يَاْمُرْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (٢).

الإمام الحسين عليه السلام يحذر من الغلو

وصف الإمام الحسين عليه السلام الغلو بأنه مشكله عويصه لا حل لها إلا بالتخلص من أسبابه فلذا نجده عليه السلام يقول:

«والغلو ورطه».

ولكى يتضح لنا معنى قول الإمام عليه السلام لا بد من معرفه مفهوم الغلو لغه واصطلاحا:

١- سورة النساء، الآية: ١٧١.

٢- سورة آل عمران، الآيتان: ٧٩ و ٨٠.

الغلو لغه: الزيادة والارتفاع ومجاوزه الحد، وغلو المرء في الدين تشدد وجاوز الحد وأفرط(١).

الغلو اصطلاحاً: تجاوز الحد الذى بينته الشريعة وفرضه العقل فى العقائد والتكاليف الدينيه.

فالغلو يجعل العقيدة فاسده ويخيب أمل صاحبه إذ يتوهم أنه ينال القرب الإلهي من خلال اعتقاده بهذه الطريقه، ولأن الاعتقاد أو التخلق بصفه ما لا بد أن يكون بعيداً عن الإفراط والتفريط جاءت الأحاديث الشريفه تترى لتبين انحراف المرء الذى يغالى فى عقيدته أو فى أخلاقه كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«رَجُلَانِ لَا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: صَاحِبُ سُلْطَانٍ عَسُوفٍ غَشُومٌ، وَغَالٍ فِي الدِّينِ مَارِقٌ»(٢).

ثم ركزت الأحاديث التى صدرت عن النبى وأهل بيته الكرام صلوات الله عليهم على الغلو كونه خروجاً عن الجاده المستقيمه والرأى الصائب، بل هو ابتعاد عن الإسلام كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَا نَصِيبَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ: الْغُلَاةُ وَالْقَدَرِيَّةُ»(٣).

الشيعة براء من الغلو

اتهم الكثيرون الشيعة بأنهم يغالون فى عقيدتهم بإمامه أهل البيت عليهم السلام وبدأوا بإطلاق الأحكام الجائره عليهم فتاره يصفونهم بالكفر وأخرى باليهود وثالثه بالشرك كما جاء ذلك فى بعض كتب القوم كقول:

١- المعجم الوسيط: ص ٦٦.

٢- بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٦٩، ح ١٣. ميزان الحكمه: ج ٧، ص ٣٠٤٢، ح ١٥٢٥٠.

٣- بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٧٠، ح ١٤. ميزان الحكمه: ج ٧، ص ٣٠٤٢، ح ١٥٢٥١.

الدكتور الشيعي (وأول هذه الفكره فكره الغلو نادى بها أصحاب حجر بن عدى الذين قتلوا صبيرا بسبب تكفيرهم للخليفه عثمان، وامتناعهم عن البراءه من الإمام على عليه السلام. ويقول صاحب الملل (والغلاه من الشيعة مذهبهم الحلول) (١).

إلا- أن الشيعة براء من ذلك، بل أنهم ملتزمون بأوامر أهل البيت عليهم السلام التي تنهى عن الغلو وتصف المغالين بالكفر كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام:

«الغلاه كفار والمفوضه مشركون...» (٢).

سؤال مهم

السؤال: هناك روايات فى كتب معينه تصوّر أمير المؤمنين عليه السلام بأنه يمارس دور الإله سبحانه كالتصوير فى الأرحام أو توزيع الأرزاق أو غير ذلك مما هو معروف بالصفات الأفعاليه، فما هو قولكم؟

الجواب: رد أهل البيت عليهم السلام على من يقول مثل ذلك القول بالأحاديث الآتية:

١ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يُقَرِّظُنِي بِمَا لَيْسَ لِي، وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَتَانِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي» (٣).

٢ عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«مَنْ تَجَاوَزَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْعُبُودِيَّةَ فَهُوَ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَمِنَ الضَّالِّينَ» (٤).

١- الملل والنحل، الشهرستاني: ج ١، ص ١٠٨.

٢- عيون أخبار الرضا للصدوق: ج ١، ص ٢١٩، ح ٤.

٣- بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٨٥، ح ٣٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٣، ح ١٥٢٥٦.

٤- بحار الأنوار: ج ٢٥، ح ٢٧٤، ح ٢٠. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٤، ح ١٥٢٦٥.

٣ وعن الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله أبو بصير، قال: عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه الصلاة والسلام: إنهم يقولون! قال عليه السلام:

«وما يقولون؟».

قلت: يقولون: يعلم قطر المطر، وعيدد النجوم وورق الشجر، ووزن ما في البحر، وعيدد التراب، فرفع يده إلى السماء وقال عليه السلام:

«سبحان الله سبحان الله، لا والله ما يعلم هذا إلا الله»^(١).

إلا أننا نرى أن فضل أهل البيت عليهم السلام لا يدانيه فضل بعد جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فلذلك قالوا بعض الأحاديث التي تخرج الإنسان عن حد الإفراط والتفريط كقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إياكم والغلو فينا، قولوا إنا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم»^(٢).

وقوله عليه السلام:

«لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى؛ فإنني بريء من الغالين»^(٣).

وقول الإمام المهدي عليه السلام لمحمد بن هلال الكرخي:

«يا محمد بن علي، تعالی الله عز وجل عما يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاءه في علمه، ولا في قدرته»^(٤).

هذا الحديث الشريف يؤكد عدم جواز القول بألوهية أهل البيت عليهم السلام أو أداء أفعال الله تعالى.

١- بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٩٤، ٥٢. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٥، ح ١٥٢٧١.

٢- الخصال: ص ٦١٤، ح ١٠. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٥، ح ١٥٢٦٧.

٣- بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٧٤، ح ٢٠. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٥، ح ١٥٢٦٨.

٤- بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٦٦، ح ٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٥، ح ١٥٢٧٣.

ورد ذكر هذه الدنيه فى الكتاب الكريم بأنها ارتكاب المنكر وفعل المحرمات وتجاوز الحدود وترك حكم الحق سبحانه وظلم العباد وإفساد البلاد وإنكار الكتب السماويه وعدم الإيمان بالأنبياء والرسل، ولكى نقف على بعض الآيات الكريمة التى ذكر فيها الفسق وصفا لعمل الحرام وذم الغاسقين لانحرافهم عن الشريعة الحقه فلا بد أن نبوب هذه الآيه الكريمة كالآتى:

١ ذكر الفسق وصفا لفعل الحرام كما فى قوله تعالى:

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمِمَّا أَهْلًا لِعَیْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمِتْرَدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمِمَّا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمِمَّا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَمَّا تَخَشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصِهِ غَيْرَ مْتَحِانٍ لَإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١).

٢ ذكر الفسق وصفا لآكلى اللحم غير المذكى كما فى قوله تعالى:

(وَلَسَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) (٢).

٣ ذكر الفسق وصفا للقدارات والنجاسات التى يجب التنزه عنها كما فى قوله تعالى:

(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا

١- سورة المائدة، الآية: ٣.

٢- سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمِ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١).

٤ ذكر الفسق وصفا للذين لم يؤمنوا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما فى قوله تعالى:

(وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ) (٢).

٥ ذكر الفسق وصفا للذين لم يحكموا بالشريعة الإسلاميه كما فى قوله تعالى:

(وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (٣).

٦ ذكر الفسق وصفا للمنافقين فى قوله تعالى:

(كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) (٤).

وقال الله عز وجل:

(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (٥).

٧ ذكر الفسق وصفا للذين لم يؤمنوا بالله ورسوله فى قوله تعالى:

١- سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.

٢- سورة البقره، الآية: ٩٩.

٣- سورة المائده، الآية: ٤٧.

٤- سورة التوبه، الآية: ٨.

٥- سورة التوبه، الآية: ٦٧.

(وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) (١).

وهناك الكثير من الآيات الكريمة التي يضيق بذكرها المقام تركناها للاختصار.

الفسق والفساق في نظر أهل البيت عليهم السلام

الحديث عن الفسق والفساقين في القرآن الكريم كثير بعدد الفاسقين في الأرض إلا أننا نريد أن نطلع على حديث العدل الثاني للقرآن ألا وهم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فلقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام بياناً لمفهوم الفسق وتوضيحاً لصفه الفاسق كما في قوله عليه السلام:

«وَمَعْنَى الْفِسْقِ: فَكُلُّ مَعْصِيَةٍ مِنَ الْمَعَاصِي الْكِبَارِ فَعَلَهَا فَاعِلٌ، أَوْ دَخَلَ فِيهَا دَاخِلٌ بِجَهَةِ اللَّذَّةِ وَالشَّهْوَةِ وَالشُّوقِ الْغَالِبِ، فَهُوَ فَسِقٌ وَفَاعِلُهُ فَاسِقٌ خَارِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِجَهَةِ الْفِسْقِ، فَإِنْ دَامَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَدْخُلَ فِي حَيْدِ التَّهَاؤُنِ وَالِاسْتِخْفَافِ، فَقَدْ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ بَتَّهَائُونِهِ وَاسْتِخْفَافِهِ كَافِرًا» (٢).

وورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قول يدل على الفاسق ويشير إليه، فهو الإنسان الذي يلهو بما حرم الله تعالى والذي يتعاطى الكلام المحرم كالغناء أو الخوض في الباطل، والذي يتجاوز حدود الله تعالى ويعتدى على عباده ظلماً وطغياناً، والذي يكيل التهم الباطلة لغيره كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَمَّا عَلَامَةُ الْفَاسِقِ فَأَرْبَعَةٌ: اللَّهْوُ وَاللَّغْوُ وَالْعُدْوَانُ وَالْبُهْتَانُ» (٣).

وحذر أمير المؤمنين عليه السلام من الانقياد والامتثال لأوامر المتكبرين وإن كانوا

١- سورة التوبة، الآية: ٨٤.

٢- بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٧٨، ح ٣١. ميزان الحكمه: ج ٨، ص ٣٢١٠، ح ١٥٩١٣.

٣- تحف العقول: ص ٢٢. ميزان الحكمه: ج ٨، ص ٣٢١١، ح ١٥٩١٤.

من ساده وقاده القوم لما فى ذلك من أثر سيئ كما فى قوله عليه السلام:

«أَلَا فَالْحَيْدَرُ الْحَيْدَرُ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبْرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكْبَرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ... فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أُسَاسِ الْعَصِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ... وَهُمْ أُسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ»(١).

ووصف الإمام على عليه السلام الفاسق بأنه يفعل الحرام برغبة ومحبه دون نفور وتردد بل يبقى ملازماً للحرام حتى يصيبه الوهن وتعطله الشيخوخه كما قال عليه السلام:

«آتَزُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا، وَتَرَكَوا صَافِيًا وَشَرِبُوا آجِنًا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلْفَهُ، وَبَسِيَ بِهِ وَوَافَقَهُ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ خِلَانَتُهُ»(٢).

آثار الفسق

عند تأمل الآيات الكريمة فى القرآن الكريم نقف على العواقب السيئه للفسق، وهى كما يلى:

١ الفسق يوجب هلاك الأمم وعذاب الدنيا قبل الآخرة كما فى قوله تعالى:

«وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا»(٣).

٢ الفسق يوجب الدخول فى جهنم كما فى قوله تعالى:

«وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَهُمْ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ»(٤).

١- نهج البلاغه: الخطبه ١٩٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٢١١، ح ١٥٩١٥.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ١٤٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٢١١، ح ١٥٩١٦.

٣- سورة الإسراء، الآية: ١٦.

٤- سورة السجده، الآية: ٢٠.

٣ الفسق يوجب العذاب الشديد الذى يجعل الطغاه والجبابره أذلاء كما فى قوله تعالى:

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) (١).

٤ الفسق يوجب سقوط العذاب من السماء على الفاسقين كما فى قوله تعالى:

(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (٢).

٥ الفسق يوجب عدم الثقة بصاحبه كما فى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (٣).

٦ الفسق يوجب الضلال وعدم الهدايه والايمان كما فى قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) (٤).

وقوله تعالى:

(ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْههَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ

١- سورة الأحقاف، الآية: ٢٠.

٢- سورة البقره، الآية: ٥٩.

٣- سورة الحجرات، الآية: ٦.

٤- سورة البقره، الآية: ٢٦.

وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١).

٧ الفسق يوجب عدم قبول الأعمال كما فى قوله تعالى:

(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) (٢).

٨ الفسق يوجب عدم رضى الله تعالى عن الفاسقين:

(يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (٣).

٩ يكون الفاسق بمنزله فرعون وقومه كما فى قوله تعالى:

(اسْمِعْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) (٤).

١٠ الفسق يوجب الخزى يوم القيامة كما فى قوله تعالى:

(مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ) (٥).

١١ الفسق يوجب زيغ القلوب وانحرافها عن الحق كما فى قوله تعالى:

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (٦).

١- سورة المائدة، الآية: ١٠٨.

٢- سورة التوبة، الآية: ٥٣.

٣- سورة التوبة، الآية: ٩٦.

٤- سورة القصص، الآية: ٣٢.

٥- سورة الحشر، الآية: ٥.

٦- سورة الصف، الآية: ٥.

ص: ٢٤٣

الخطبه الخامسه: وفيها يذم الدنيا ويحذر منها

اشاره

خطبها غداه اليوم الذى استشهد فيه، حمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال:

نص الخطبه

اشاره

(يا عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ، وَكُونُوا مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَيْدَرٍ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَوْ بَقِيَتْ عَلَى أَحَدٍ أَوْ بَقِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ لَكَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَحَقَّ بِالْبَقَاءِ، وَأَوْلَى بِالرِّضَاءِ، وَأَرْضَى بِالْقَضَاءِ؛ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الدُّنْيَا لِلْفَنَاءِ، فَجَدِيدُهَا بَالٍ، وَنَعِيمُهَا مُضْمَجِلٌّ، وَسُرُورُهَا مُكْفَهَرٌ، وَالْمَنْزِلُ تَلَعَةٌ، وَالدَّارُ قُلْعَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

المعنى العام

يا أيها الخاضعون والمنقادون والمملوكون لله تعالى، اخشوا الله تعالى، كونوا من الدنيا متيقظين ومحترزين، إن الدنيا لو دامت وثبتت لأحد أو دام وثبت عليها أحد لكانت مجموعه الأنبياء أحق من غيرهم بالدوام والخلود، وأجدر بالقبول والاختيار، وأشد قبولاً بالحكم، إلا أن الله تعالى صنع الدنيا وأبدعها للانتهاك والإبادة، فالحديث أو الطرى من الدنيا يصبح قديماً وعتيقاً ويعفى عليه الزمن، وطيب عيشها ورفاهيتها قليل متلاشٍ، وفرصها منقبض كالح لا يرى فيه أثر بشر ومكان النزول عميق مخيف والدار دار ارتحال وعدم استقرار، اتخذوا زاداً لمعادكم وأن أفضل الزاد هي خشية الله تعالى وطاعته، وبهذا الزاد تصلون إلى الفوز والنجاح.

بحث أخلاقي

ذم الدنيا

عندما نتأمل الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة نشعر بأن لسانها لسان ذم واستصغار، ونلمس في كثرتها شدة التحذير من الاغترار بها والانتماء في شهواتها والافتتان بزبرجدها، فهذه الدنيا لا تساوي عند الله تعالى جزءاً من مخلوق ضعيف كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو أنّ الدنيا كانت تعدلُ عند الله عَرَّ وجلَّ جناحَ بَعوضَةٍ ما سَقَى الكافرَ والفاجرَ مِنْهَا شَرْبَةً مِنْ ماءٍ»^(١).

فلذا يتوجب على العقلاء أن يحتقروا هذه الدنيا الدنية التي صارت ميداناً لمعصية المولى المنعم جل ذكره والتي قطع في حبها رأس نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام ورأس سيد شباب أهل الجنة عليه السلام فداروا به في البلدان، ولهذه الدنيا المذمومة مجموعه خصائص تميزها عن الدنيا المباحة التي لا ينالها لسان الذم والتحذير وهي كما يلي:

١ إذا كانت توجب الاغترار.

٢ إذا كانت توجب الخسران.

٣ إذا كانت توجب الخروج عن سلوك العقلاء.

٤ إذا كانت توجب عدم الصفاء والاستقرار.

٥ إذا كانت توجب الشر والباطل.

٦ إذا كانت توجب الذل والهوان.

١- أمالي الطوسي: ص ٥٣١، ح ١١٦٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٤، ح ٥٩٥٤.

وهناك الكثير من الخصائص أو الآثار السلبيه التي تمتاز بها الدنيا المذمومه فلذا جاءت الأحاديث الشريفه تترى لتبين سوء عاقبه من يتعلق بزخارفها وزبرجدها كما ورد عن أهل بيت العصمه عليهم السلام:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَأَوَّلُ كُلِّ ذَنْبٍ» (١).

وعن الإمام على عليه السلام أنه قال:

«إِنَّ الدُّنْيَا لَمُفْسِدَةٌ الدِّينِ وَمُسَلِّبَةُ الْيَقِينِ، وَإِنَّهَا لِرَأْسِ الْفِتَنِ وَأَصْلُ الْمِحَنِ» (٢).

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال:

«ما من عمل بعد معرفه الله عز وجل ومعرفه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من بغض الدنيا، فإن لذلك لشعبا كثيره، وللمعاصي شعب، فأول ما عُصِيَ اللهُ به الكبر معصيه إبليس حين:

(أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (٣).

ثم الحرص وهى معصيه آدم وحواء عليهما السلام حين قال الله عز وجل لهما:

(وَكُلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (٤).

فأخذوا ما لا حاجه بهما إليه، فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة، وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجه به إليه.

ثم الحسد وهى معصيه ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب

١- تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١٢٢. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٨٩٦، برقم ١٢٢١، حب الدنيا رأس كل خطيئه.

٢- غرر الحكم: ٤٨٧٠. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٨٩٦، برقم ١٢٢١، حب الدنيا رأس كل خطيئه.

٣- سورة البقره، الآية: ٣٤.

٤- سورة البقره، الآية: ٣٥.

النساء، وحب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو والثروه، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقالت الأنبياء والعلماء بعد معرفه ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئه، والدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونه»(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن أول ما عُصِيَ الله به ست: حب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الطعام، وحب النساء، وحب النوم، وحب الراحة»(٢).

أَسْئَلُهُ مَهْمَهُ

إِشَارُهُ

السؤال: هل أن بغض الدنيا يعنى عدم جواز التمتع بلذائذها؟

الجواب: كلا: إن بغض الدنيا يختص بالدنيا التي تكون سببا للوقوع في الحرام، وكذلك يعنى بغضا للذاتها التي حرمها الله تعالى وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة التاليه:

قال الله تبارك وتعالى:

(زُيِّنَ لِلذِّينِ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)(٣).

وقال سبحانه وتعالى:

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

١- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧، ص ١٩، ح ٩.

٢- المحاسن للبرقي: ج ١، ص ٢٩٥، ح ٤٥٩.

٣- سورة البقره، الآية: ٢١٢.

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١).

وقال عز وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (٢).

وقال تبارك وتعالى:

(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (٣).

وهناك الكثير من الآيات التي يستشعر منها ذم الدنيا.

السؤال: متى يجوز حب الدنيا؟

الجواب: عندما تكون وسيلة للقرب الإلهي، وتكون ميداناً للعمل الصالح، وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمة والروايات الآتية:

قال تعالى:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ

١- سورة آل عمران، الآية: ١٤.

٢- سورة النساء، الآية: ٩٤.

٣- سورة الأنعام، الآية: ٣٢.

بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (١).

٢ وردت أحاديث شريفه تؤكد أن الدنيا مزرعه الآخره كما فى قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدنيا مزرعة الآخرة» (٢).

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«بالدنيا تُحرزُ الآخرة» (٣).

إن الدنيا المبعوضه هى التى تمنع الإنسان عن بلوغ درجه الكمال وذلك من خلال حبها والتعلق بها إلى درجه نسيان الآخرة، وهذا ما ورد فى الأحاديث الشريفه الآتية:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّهُ مَا سَكَنَ حُبُّ الدُّنْيَا قَلْبَ عَبْدٍ إِلَّا التَّاطَفَ فِيهَا بِثَلَاثِ: شُغْلٍ لَا يَنْفَعُ عِنَاؤُهُ، وَفَقْرٍ لَا يُدْرِكُ غِنَاهُ، وَأَمَلٍ لَا يُنَالُ مُنْتَهَاهُ» (٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالدُّنْيَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِثَلَاثِ خِصَالٍ: هَمٌّ لَا يَفْنَى، وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُ، وَرَجَاءٌ لَا يُنَالُ» (٥).

وعن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام قال:

١- سورة النحل، الآيات: ٩٧ و٩٨ و٩٩.

٢- عوالى اللآلى: ج ١، ص ٢٦٧، ح ٦٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٣، ح ٥٧٤٧.

٣- نهج البلاغه: الخطبه ١٥٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٣، ح ٥٧٤٦.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٨٨، ح ٣٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٣، ح ٥٨٣٣.

٥- الكافى: ج ٢، ص ٣٢٠، ح ١٧. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٣، ح ٥٨٣١.

«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هِمَّتَهُ اشْتَدَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ فِرَاقِهَا» (١).

التمتع بلذائذ الدنيا ليس حراما إذا كان مما يصلح شأن العبد بل لا يعد حبا للدنيا بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَيْسَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا طَلَبُ مَا يُضْلِحُكَ» (٢).

ويظهر من الروايات الشريفة أن هناك شروطا تجعل التمتع بلذائذ الدنيا مقبولا عند أهل البيت عليهم السلام بدليل قول الإمام الكاظم عليه السلام:

«اجْعَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ حِطًّا مِنَ الدُّنْيَا بِإِعْطَائِهَا مَا تَشْتَهَى مِنَ الْحَلَالِ وَمَا لَا يَثْلِمُ الْمُرُوءَةَ وَمَا لَا سِرْفَ فِيهِ، وَاسْتَعِينُوا بِذَلِكَ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ رُؤْيَى: لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِدِينِهِ، أَوْ تَرَكَ دِينَهُ لِدُنْيَاهُ» (٣).

١ أن لا تتجاوز الضروره والحاجه، بدليل قول الإمام الكاظم عليه السلام:

«لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِدِينِهِ، أَوْ تَرَكَ دِينَهُ لِدُنْيَاهُ».

٢ أن لا تسبب ضررا لصاحبها أو لغيره، بدليل وصيه لقمان الحكيم لابنه:

(يَا بُنَيَّ، لَا تَدْخُلْ فِي الدُّنْيَا دُخُولًا يَضُرُّ بِأَخْرَجَتِكَ، وَلَا تَتْرُكْهَا تَرْكًا تَكُونُ كَلًّا عَلَى النَّاسِ) (٤).

السؤال: لماذا أكد أهل بيت العصمه عليهم السلام على ضروره ترك ما تتجاوز الحاجه من الدنيا؟

الجواب: لا يشك عاقل أن لنفسه عليه حقا ينبغي أن يعطيها إياه، فإذا أعطى

١- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٨١، ح ٣٤. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٣، ح ٥٨٣٥.

٢- كنز العمال: ٥٤٣٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٢، ح ٥٨٢٤.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٣٢١، ح ١٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٣١، ح ٦٠٠٢.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ١٢٤، ح ١١٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٣١، ح ٦٠٠٤.

نفسه حقها سلم من الدخول فى عنوان الظالمين بل دخل فى ريقه المنصفين ونجا من مكائد الشيطان، ولكى يتضح الأمر حليا نقف على أحاديث أهل البيت عليهم السلام ليعرفونا أسباب تأكيدهم على ذلك:

١ يؤكد أمير المؤمنين عليه السلام على أن ما زاد عن الحاجة فى هذه الدنيا ليس من نصيب صاحبه كما فى قوله عليه السلام لرجلٍ شكَا إليه الحاجة:

«اعلم أنّ كلَّ شىءٍ تُصِيبُهُ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ قُوَّتِكَ فَإِنَّمَا أَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ» (١).

٢ إن الاهتمام بتحصيل ما هو فائض عن الحاجة يؤدى إلى خسران العمر ودنو الأجل كما فى قول الإمام على عليه السلام:

«هؤلاءِ أنبياءُ الله وأصفياءُهُ تنزَّهوا عن الدنيا... ثُمَّ اقْتَصَصَ الصَّالِحُونَ آثَارَهُمْ... وَأَنْزَلُوا الدُّنْيَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَالْمِيتَةِ الَّتِي لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَشَبَّحَ مِنْهَا إِلَّا فِي حَالِ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا، وَأَكَلُوا مِنْهَا بِقَدْرِ مَا أَبْقَى لَهُمُ النَّفْسَ وَأَمْسَكَ الرُّوحَ، وَجَعَلُوهَا بِمَنْزِلَةِ الْجِيفَةِ الَّتِي اشْتَدَّ نَتْنُهَا، فَكُلُّ مَنْ مَرَّ بِهَا أَمْسَكَ عَلَى فِيهِ، فَهَمَّ يَتَبَلَّغُونَ بِأَدْنَى الْبَلَاغِ...» (٢).

٣ الاكتفاء بالضرورة مما ينجى من شدة العذاب كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فَرُّوا مِنْ فُضُولِ الدُّنْيَا كَمَا تَفَرُّونَ مِنَ الْحَرَامِ، وَهَوِّنُوا عَلَى أَنْفُسِكُمُ الدُّنْيَا كَمَا تَهَوَّنُونَ الْجِيفَةَ، وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ فُضُولِ الدُّنْيَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِكُمْ، تَنْجُوا مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ» (٣).

١- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٩٠، ح ٦١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٥، ح ٥٧٦٠.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ١١٠، ح ١٠٩، ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٦، ح ٥٧٦٩.

٣- مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٥٤، ح ١٣٤٩٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٧، ح ٥٧٧٥.

السؤال: ما هو المراد من الزهد في الدنيا؟

الجواب: قبل الخوض في جواب هذا السؤال الذى يصلح أن يكون كتابا خاصا بالزهد، لابد أن أوضح أمراً فى غاية الأهمية فأقول:

لا شك أننا نحب درجة الزاهدين ونتمنى منزلتهم فى الآخرة، وقد يبادر بعضنا للإتصاف بالزهد ولكن دون جدوى، لأن مجرد حب درجة الزاهدين وتمنيها لا يفى بالغرض بل لابد من مجاهدته النفس وتخليصها من علائق الدنيا وحبائلها قولاً وفعلاً، وأود أن أضيف أيضاً أن التكلم عن الزهد والزاهدين دون التلبس به عملياً أمر مخجل جداً إلا إذا قصدنا تحصيل الثواب من تذكير المؤمنين به وحثهم عليه من باب حب لغيرك ما تحب لنفسك.

بعد هذه المقدمة البسيطة والصادقة والصريحة نعطف البحث إلى معنى الزهد فى نظر أهل بيت العصمة والطهاره عليه السلام فأقول:

١ الزهد هو الثقة بالله تعالى والرغبة فى عطاياه كما ورد ذلك فى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْ تَقَّ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إِذَا أَنْتَ أَصَبْتَ بِهَا أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أَبْقَيْتَ لَكَ» (١).

٢ الزهد هو أن لا نتعامل مع مفردات الحياه الدنيا كما يتعامل معها أهل الدنيا فلا تفرح إلى درجة البطر بما ناله منها ولا نحزن إلى درجة الجزع لما فقدناه منها وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«الزُّهُدُ كُلُّهُ فِي كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

١- كثر العمال: ٦٠٥٩. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٥٦٧، ح ٧٧٠٣.

﴿لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (١).

فَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَىٰ الْمَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَهُوَ الزَّاهِدُ﴾ (٢).

٣ الزهد هو أن نعيش ذكر الموت دائماً، ولا- نغرق في الأمانى والطموحات التى تنسينا زيارة ملك الموت المفاجئه لنا، وأن نؤدى حقوق الله تعالى من خلال الابتعاد عن المعاصى وأداء الواجبات أما خوفاً أو طمعاً أو شكراً وهذا ما صرح به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قَصْرُ الْأَمَلِ، وَشُكْرُ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَالْوَرَعُ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ» (٣).

٤ الزهد هو التنزه عن حب الظهور والمدح، وعدم الانشغال عن الكمال وتركه النفس من أوساخ الدنيا وهجر كل ما هو لعب ولهو وزينه وتفاخر وتكاثر، وترفع عن الشهوات المحرمه وهذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«الزُّهْدُ مِفْتَاحُ بَابِ الْآخِرَةِ، وَالْبِرَاءَةُ مِنَ النَّارِ، وَهُوَ تَرْكُ كُلِّ شَيْءٍ يَشْغَلُكَ عَنِ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ تَأْسُفٍ عَلَىٰ فَوْتِهَا، وَلَا إِعْجَابٍ فِي تَرْكِهَا، وَلَا انْتِظَارٍ فَرَجٍ مِنْهَا، وَلَا طَلْبٍ مَحْمَدَةٍ عَلَيْهَا، وَلَا عَوْضٍ مِنْهَا، بَلْ تَرَىٰ فَوْتَهَا رَاحَةً وَكَوْنَهَا آفَةً، وَتَكُونُ أَيْدِيكَ هَارِبَةً مِنَ الْآفَةِ، مُعْتَصِمًا بِالرَّاحَةِ» (٤).

السؤال: ما هو مراد القرآن الكريم (اعلموا إنما الحياه الدنيا لهو ولعب وزينه وتفاخر بينكم)؟

١- سورة الحديد، الآية: ٢٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٧٠، ح ٢٧. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٥٦٦، ح ٧٦٩٥.

٣- تحف العقول: ص ٥٨. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٥٦٧، ح ٧٧٠٠.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣١٥، ح ٢٠.

الجواب: لا نريد أن نفسر هذه الآية الكريمة ولكن لنا أن نقول ما يلي:

إن الله تعالى حكيم خلق الخلق لغرض وهدف سام كما فى قوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (١).

فيعلم من هذه الآية الكريمة سر وجود الإنسان على هذه الأرض، إذ وجد الإنسان لكي يصل إلى كماله وقربه الإلهى وهذا لا يتم إلا من خلال ما شرعه الله تعالى من شرائع، ونهجه من مناهج، وسنه من سنن، فالالتزام بهذا كله يؤدي إلى الغاية السامية ويحقق الغرض الحكيم، فإذا اتضح هذا يتضح أن الابتعاد عن الشرائع والسنن والاشتغال بغيرها هو عين اللهو واللعب لخلوه من الغرض والنفع الحقيقي فيكون مثل المنشغل بأمر الدنيا كمثّل الطفل الذى يلعب مع أقرانه لمجرد التسليه واللعب ثم يرجع بعدها إلى بيته يبحث عما ينفعه من طعام وشراب ومأوى، فإذن يمكن أن نسمى الأفعال الخالية من الأغراض السامية والأهداف النبيلة لعباً، ونطلق على كل ما يشغلنا عما خلقنا لأجله بأنه لهو، ونعدّ ما نتظاهر به من صلاح وحب للخير دون أن يكون له وجود فى باطننا زينه، ويلزم من تبايننا فى الأحساب والأنساب والثروه والمناصب دون التقوى تفاخر لا قيمه له عند الله تعالى.

فلذا ينبغى للعقلاء أن يجعلوا لأفعالهم أغراضاً نبيلة ترضى الله تعالى وتقرّبهم إليه لكي لا ينطبق عليهم عنوان اللاعبين، وأن ينتبهوا إلى ذكر الله تعالى فلا يشغلهم تجاره ولا بيع ولا أولاد عن ذلك فيخرجوا عن مصداق أهل اللهو، وأن يطابق ظاهرهم باطنهم فى الصلاح فتكون زينتهم أخرويه وليست زينه دنيويه، وأن يتعدوا عن التعالى بالقشور كالأحساب والشهرة والمال والمناصب ويتحلوا بالتقوى فينالوا الكرامه الإلهيه.

السؤال: كيف نفسر عبادة الناس للدنيا وما هي صفات عبيد الدنيا؟

الجواب: الإنسان مفطور على الإسلام والتسليم والانقياد لله تعالى، فإذا صان فطرته وحفظها من الانحراف دامت سلامتها وظل عبداً صالحاً، وإذا تغيرت هذه الفطره بالأفكار السقيمة وعصفت بها وساوس الشيطان وغلبه الهوى صار صاحبها عبداً للدنيا دون الله تعالى ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَالدَّرْهَمَ فَهُوَ عَبْدُ الدُّنْيَا» (١).

وورد عنه أيضاً قوله عليه السلام:

«قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلَّهَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا» (٢).

وأما صفات عبيد الدنيا فقد جاء في حديث المعراج بيان ذلك:

(أهل الدنيا مَنْ كَثُرَ أَكْلُهُ وَضِحْكُهُ وَتَوَمُّهُ وَغَضْبُهُ، قَلِيلُ الرِّضَا، لَا يَعْتَدِرُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، وَلَا يَقْبَلُ مَعْدِرَةَ مَنْ اعْتَدَرَ إِلَيْهِ، كَسَلَانٌ عِنْدَ الطَّاعَةِ، شُجَاعٌ عِنْدَ المَعْصِيَةِ، أَمَلَةٌ بَعِيدٌ، وَأَجَلُهُ قَرِيبٌ، لَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ، قَلِيلُ المَنْفَعَةِ، كَثِيرُ الكَلَامِ، قَلِيلُ الخَوْفِ، كَثِيرُ الفَرَحِ عِنْدَ الطَّعَامِ.

وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا لَا يَشْكُرُونَ عِنْدَ الرِّخَاءِ، وَلَا يَصْبِرُونَ عِنْدَ البَلَاءِ، كَثِيرُ النَّاسِ عِنْدَهُمْ قَلِيلٌ، يَحْمَدُونَ أَنفُسَهُمْ بِمَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَدْعُونَ بِمَا لَيْسَ لَهُمْ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِمَا يَتَمَنَّوْنَ، وَيَذْكُرُونَ مَسَاوِيَ النَّاسِ وَيُخْفُونَ حَسَنَاتِهِمْ.

قال: يا ربِّ هَلْ يَكُونُ سِوَى هَذَا العَيْبِ فِي أَهْلِ الدُّنْيَا؟ قال: يا أحمدُ، إِنَّ عَيْبَ أَهْلِ الدُّنْيَا كَثِيرٌ، فِيهِمُ الجَهْلُ والحُمُوقُ، لَا يَتَوَاضَعُونَ لِمَنْ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ، وَهُمْ عِنْدَ

١- الخصال: ص ١١٣، ح ٩١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٠، ح ٥٩٢٦.

٢- نهج البلاغة: الخطبه ١٠٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٠، ح ٥٩٢٩.

أَنْفُسِهِمْ عُقْلًا وَعِنْدَ الْعَارِفِينَ حُمَقَاءً»(١).

السؤال: ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدنيا سجن المؤمن وجنه الكافر»(٢).

كيف صارت كذلك؟

الجواب: ذكر العلماء عدة أوجه لتفسير هذا الحديث الشريف وهي كما يلي:

عن المحدث الحر العاملي (عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«الدنيا سجن المؤمن وجنه الكافر».

وهذا الحديث مستفيض من طرق العامه والخاصه، والإشكال فيه: أن كثيراً من المؤمنين حالهم في الدنيا في نهايه الاستقامه والسعه؛ وكثيرت من الكفار حالهم في الدنيا في نهايه الضيق والعسر؛ ويمكن دفع هذا الإشكال بوجه.

الأول: إن المؤمن وإن كان حاله في الدنيا في سعه ويسر إلا أنه بالنسبه إلى حاله في الآخره ومحله فيها سجن في الدنيا والكافر بعكس ذلك، وهذا الجواب مروى عن أبي محمد الحسن عليه السلام حين اعترض عليه اليهودى فأجابه بهذا الجواب.

الثاني: أن يكون محمولاً على الأغلبه بالنسبه إلى جميع المؤمنين وجميع الكفار والبناء على الغالب جائز في سائر المقامات.

الثالث: إن المؤمن في الدنيا لما كان لم يزل في ملاحظه الطاعات والالتيان بالواجبات والمستحبات في جميع الأوقات وفي اجتناب المحرمات والمكروهات ولم يزل يتأمل في العواقب، ويتذكر النار والحساب والعقاب، فهو من حيث ملاحظه هذه الأمور وعدم مفارقتها لها في سجن.

١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٣، ح ٦. ميزان الحكمه: ج ٣، ص ١٢٢٠ ١٢٢١، ح ٥٩٣٠.

٢- دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي: ج ١، ص ٤٧.

والكافر لما كان دائماً في الانهماك في المعاصي واللذات ولا يخطر بباله جنه ولا نار ولا حساب ولا عقاب فالدنيا جنّه له.

الرابع: أن يكون المراد الدنيا سجن للمؤمن الكامل في الإيمان وجنه للكافر الكامل في الكفر، كما روى أن أشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمثل فالأمثل.

الخامس: أن يكون خبراً بمعنى الأمر أى ينبغي للمؤمن أن يجعل الدنيا على نفسه بمنزلة السجن كما أن المحبوس في السجن لا يريد تناول ما زاد على أقل الكفايه كسد الرمق وفكره مصروف إلى أسباب الخروج، وهذا المعنى فى بقيه الحديث لا يخلو عن بُعد، ويمكن أن يوجه بأنه بالنسبه إلى الكافر على وجه التهديد والوعيد كقوله تعالى:

(اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) (١).

أو المعنى: يحق للكافر أن يتخذ الدنيا جنه له فإنه ليس له فى الآخرة نصيب إلا العذاب والعقاب.

السادس: أن يكون المعنى أن المؤمن يعدّ الدنيا على نفسه سجناً فلا يرغب إليها ولا يميل إلى لذاتها ويخشى من غوائلها وإن كان متنعماً فيها ظاهراً والكافر بعكس ذلك) (٢).

ويمكن لنا أن نضيف وجهاً آخر بلحاظ الزمان إذ إن السجن يتصف بفترة زمنية معينة ثم تنتهى فيتحرر صاحبه من قيوده فكذلك الدنيا لا بد لها من نهايه فيتحرر صاحبها من وطأه شهواتها ولذائدها الفانيه فيذهب إلى دار لا لغو فيها ولا تأثيم، وإن كان كافراً فلا يغتر بجنته فهو خارج منها إلى الآخرة حيث العذاب والألم الشديد.

١- سورة فصلت، الآية: ٤٠.

٢- مصابيح الأنوار، السيد عبد الله شبر: ج ٢، ص ٢٣ ٢٤.

وردت الكثير من الأحاديث الشريفه التي تبين أن الدنيا ملعونه وذو عاقبه وخيمه إذا اتخذها الإنسان هماً دون الآخره وهى كما يلى:

١ عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَالزَّمَّ قَلْبُهُ أَرْبَعَ خِصَالٍ: هَمًّا لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ أَبَدًا، وَشُغْلًا لَا يَنْفَرِجُ مِنْهُ أَبَدًا، وَقَفْرًا لَا يَبْلُغُ غِنَاهُ أَبَدًا، وَأَمَلًا لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ أَبَدًا» (١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«مَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَشَتَّتْ أَمْرَهُ وَلَمْ يَنْلُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْغِنَى فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ أَمْرَهُ» (٢).

٢ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدنيا ملعونه وملعون من فيها، إلا ما ابتغى به وجه الله عز وجل» (٣).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«ألا إن الدنيا دارٌ لا يُسَلَّمُ منها إلا فيها (بالزهد)، ولا يُنَجى بشيءٍ كان لها، ابتلى الناس بها فتنه فما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه، وما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه وأقاموا فيه» (٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام فى زياره الحسين عليه السلام عند الوداع قال:

١- تنبيه الخواطر: ج ١، ص ١٣٠. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٢، ح ٥٩٤٢.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٣١٩، ح ١٥. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٢، ح ٥٩٣٩.

٣- كنز العمال: ٦٠٨٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٤، ح ٥٧٥٥.

٤- نهج البلاغه: الخطبه ٦٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٤، ح ٥٧٥٨.

«ولا تشغلني عن ذكرِكَ بِإِكْتَارِ عَلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا تُلهِينِي عَجَائِبُ بَهْجَتِهَا وَتَفْتِنِي زَهْرَاتُ زِينَتِهَا، وَلَا بِإِقْلَالِ يُضَيِّرُ بِعَمَلِي كَدُّهُ وَيَمْلَأُ صَدْرِي هَمُّهُ، أَعْطِنِي مِنْ ذَلِكَ غِنًى عَنِ أَشْرَارِ خَلْقِكَ، وَبِلَاغًا أَنَالُ بِهِ رِضَاكَ» (١).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«فَارْفِضِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يُعْمِي وَيُصِمُّ وَيُبْكِمُ وَيُذِلُّ الرَّقَابَ» (٢).

وعنه عليه السلام قال:

«حُبُّ الدُّنْيَا يُفْسِدُ الْعَقْلَ، وَيُصِمُّ (٣) الْقَلْبَ عَنِ سَمَاعِ الْحِكْمَةِ، وَيُوجِبُ أَلِيمَ الْعِقَابِ» (٤).

٣ حبها يورث البعد عن الله تعالى ويحرم القلب اللذات المعنوية كما جاء في حديث المعراج:

قال الله تبارك وتعالى: يا أحمدُ، لو صَيَّمْتَنِي الْعَبْدُ صَلَاةَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَيَصُومُ صِيَامَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَيَطْوِي عَنِ الطَّعَامِ مِثْلَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَبَسَ لِبَاسَ الْعَابِدِينَ، ثُمَّ أَرَى فِي قَلْبِهِ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا ذَرَّةً، أَوْ سَمِعَتْهَا، أَوْ رَأَتْهَا، أَوْ صَبَّهَا، أَوْ زِينَتَهَا، لَا يُجَاوِزُنِي فِي دَارِي، وَلَا نَزَعَنَنْ مِنْ قَلْبِهِ مَحَبَّتِي (وَلَأُظْلِمَنَّ قَلْبَهُ حَتَّى يَنْسَانِي، وَلَا أُذِقُهُ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِي) (٥).

٤ يحذر أهل البيت عليهم السلام العقلاء من الاغترار بالدنيا لما في ذلك من آثار وعواقب وخيمه كما في قوله عليه السلام:

١- بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٢٨١، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٤، ح ٥٧٥٩.

٢- الكافي: ج ٢، ص ١٣٦، ح ٢٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٢، ح ٥٨٢٦.

٣- في المصدر (وِيهِمْ) والصحيح ما أثبتناه كما في طبعه النجف وبيروت.

٤- غرر الحكم: ٤٨٧٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٢، ح ٥٨٢٧.

٥- مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٣٦، ح ١٣٤٤٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٤، ح ٥٨٤٥.

«أَحَدَرَكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَائِرُ شُخُوصٍ، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِسٌ» (١).

وعنه عليه السلام قال:

«احذروا الدنيا فإن في حلالها حساب (أ)، وفي حرامها عقاب (أ)، وأولها عناء، وآخرها فناء» (٢).

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أيضا:

«احذروا الدنيا الحذر كله، وضِعُوا عَنْكُمْ ثِقْلَ هُمُومِهَا لِمَا تَيَقَّنْتُمْ لَوْشَكِ زَوَالِهَا، وَكُونُوا أَسِيرًا مَا تَكُونُونَ فِيهَا، أَحَدَرَ مَا تَكُونُونَ لَهَا» (٣).

وهناك الكثير من الأحاديث في هذا الباب فراجع.

٥ للجهل آثار وخيمه تفسد الدنيا وتوجب عذاب الآخرة ومن هذه الآثار الاغترار بالدنيا كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا يُعَايَنُ مِنْ سُوءِ تَقَلُّبِهَا جَهْلٌ» (٤).

٦ يرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا من مسؤوليه الاغترار بها ويلقى اللوم على المغرور فيها بقوله:

«حَقًّا أَقُولُ: مَا الدُّنْيَا غَرَّتَكَ، وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَّتْ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ وَأَذْنَتَكَ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعُدُّكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْضِ (النَّقْصِ) فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تُكْذِبَكَ أَوْ تُغْرِكَ» (٥).

١- نهج البلاغه: الخطبه ١٩٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٠، ح ٥٨٦٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٣، ح ٨٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٠، ح ٥٨٦٩.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ١٠٩، ح ١٠٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٠، ح ٥٨٧٢.

٤- غرر الحكم: ٢٠٣٧. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٤، ح ٥٨٩٥.

٥- نهج البلاغه: الخطبه ٢٢٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٥، ح ٥٩٠٢.

٧ يرشد الإمام على عليه السلام أهل النظر الثاقب والنباهه والكياسه إلى ضروره التحلى بصفات الزاهدين عندما ينظرون إلى الدنيا فيقول:

«أَوْصِيَكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا... فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلَا تَعَجَّبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجَزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ، وَضَرَاءُهَا وَبُؤْسُهَا إِلَى نَفَادٍ (نفاذٍ)» (١).

٨ حَقَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الدُّنْيَا فَيَنْبَغِي الْاِقْتِدَاءُ بِهِ فِي رُؤْيَتِهِ الْحَكِيمَةِ لِنَدَاهِ الْقِدَارِهِ لِاسِيْمَا بَعْدَ الْاِطْلَاعِ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«يَا بَنَ جُنْدَبٍ، إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُجَاوِرَ الْجَلِيلَ فِي دَارِهِ وَتَسْكُنَ الْفِرْدَوْسَ فِي جِوَارِهِ فَلْتَهَنَّ عَلَيَّكَ الدُّنْيَا» (٢).

٩ نهى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن تعظيم الآخرين لما لديهم من مال أو جاه أو منصب طمعا فيما لا يهم بل لا بد أن يكون التوقير والتعظيم للتقوى والأخوه في الله تعالى فلذا ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ دُنْيَا وَأَحَبَّهُ لَطَمَعَ دُنْيَاهُ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ» (٣).

١٠ أكد أهل البيت عليهم السلام على الصبر عندما يصاب المرء بما يلاقيه من ألم الدنيا فإنه قد خور له في الآخرة وهذا ما يدل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ» (٤).

١- نهج البلاغه: الخطبه ٩٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٧، ح ٥٩١٥.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٨٢، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٥، ح ٥٩٦٤.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٦، ص ٣٦٠، ح ٣٠. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٦، ح ٥٩٦٥.

٤- غرر الحكم: ٩٧٩٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٧، ح ٥٩٨٣.

صور حواريه ومواعظ

خلق الله تعالى الخلق وهو غنى عن طاعتهم ومنيع عن ضرر معصيتهم لما يتصف به من صفات الألوهيه إلا أنه سبحانه لم يدع خلقه هملاً دون إرشاد وشريعته ومنهاج بل سن لهم السنن ونهج لهم المناهج ليصلوا إلى كمالهم، ومما أرشد إليه مدبر الأمور وخالق الخلق سبحانه أن نزهة في هذه الدنيا الدنيه ونرفض زخرفها ونبتعد عن زبرجها وهذا ما التزم به سادة الخلق وقاده العباد محمد وآله الأطهار صلوات الله عليهم وسلم تسليماً كثيراً الصورة الأولى فعندما نتأمل هذه الصورة الرائعة التي نقلها عمر بن الخطاب بقوله:

(استأذنت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخلت عليه في مشربه أم إبراهيم، وإنه لمضطجع على خصفه وإن بعضه على التراب وتحت رأسه وساده محشوة ليفاً، فسلمت عليه ثم جلست فقلت: يا رسول الله، أنت نبي الله وصي فوته وخيرته من خلقه، وكسرى وقيصر على سُرر الذهب وفُرش الديباج والحريز؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أولئك قوم عجلت طيباتهم وهي وشيكه الانقطاع، وإنما أخرت لنا طيباتنا» (١).

نجد عبراً ومواعظ تسر القلوب وتقر بها الأعين وهي كالاتي:

١ إن اضطجاع النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم (على خصفه) أي فراش من سعف النخيل دون أن يكون عليها شيء يحمي جسده الشريف من غظلتها دليل على تجسد التواضع في هذا الوجود المقدس، وبرهان على افتخار الزهد إذ صار لباساً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ وقول عمر (وإن بعضه على التراب...) يشير إلى علاقه المقدسين بأصلهم إذ

١- مجمع البيان: ج ٩، ص ١٣٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٨، ح ٥٩٩٠.

يرون أن أجسادهم من التراب وعلى التراب وإلى التراب رغم أن أرواحهم فى عليين، فلا- يرون ترفعا عن التراب ولا- يشعرون بالتقذر منه كما يفعل المتكبرون الجهله ذلك.

٣ وقوله (وتحت رأسه وساده محشوه ليفا) ألا- يدل ذلك على عدم استخدام النبى الأ-كرم صلى الله عليه وآله وسلم لولايته التكوينية فى مثل هذه الأمور التافهه؟ وإلا لو شاء لتصرف بهذه الوساده وجعلها من حرير وديباج دون تعب أو نصب إلا أنه آثر أن يعيش وفق الأسباب والمسببات، ولعله أراد أن يعطى رساله لعمر أو لغيره بأن الدنيا لا تستحق أن تكون هما نعيشه كل يوم، ولا تستحق أن يعصى الله تعالى لأجلها.

٤ وردّ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على عمر بقوله (أولئك قوم عجلت طبياتهم وهى وشيكه الانقطاع، وإنما أخرت لنا طبياتنا) فيه الكثير من الحكم والمواعظ:

منها: أن من أخذ نصيبه فى الدنيا ليس له نصيب فى الآخرة.

منها: أن العباد الصالحين لا يتأملوا من الدنيا راحه وسعاده لخلافتهم معها ولأنهم لم يتخذوها أمماً لهم كما أنها لم تعتبرهم أولادا لها.

منها: أن الدنيا بما فيها من اللذائذ والحلاوه لا بد أن تنتهى فى يوم ما فيلقى أولادها ما ينغصم ويذيقهم المراره بدل الحلاوه التى يتلذذون بها.

منها: أن الطيبات الفانيه ليست لذيده وإنما اللذه فى الطيبات الباقية.

الصوره الثانيه

فاطمه الزهراء عليها السلام وما أدراك ما فاطمه هى بضعه النبى المصطفى وروحه التى بين جنبيه وهى لحمه ودمه وجزء لا يتجزأ منه فلذا نجدها لا تختلف عن أبيها بصفه من صفاته، فلقد جاء عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه أنه قال:

رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ وَعَلَيْهَا كِسَاءٌ مِنْ أَجَلِّهِ الْإِبِلِ وَهِيَ تَطْحَنُ بِيَدَيْهَا وَتُرْضِعُ وَلَدَهَا، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

«يَا بِنْتَاهُ، تَعَجَّلِي مَرَارَةَ الدُّنْيَا بِحَلَاوَةِ الْآخِرَةِ».

فَقَالَتْ:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَائِهِ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى آيَاتِهِ».

فَأَنْزَلَ اللَّهُ:

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (١) (٢).

أرجو إعادة القراءة لهذه الرواية وأرجو أن تتصورها في خيالك لتدمع عيناك كما دمعت عين الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبعد تأمل هذه الصورة تخرج بالمواعظ التالية:

منها: فاطمة سيده نساء العالمين تلبس كساءً من أحلمه الإبل لتعطى رساله لكل النساء الواعيات أن لا يلهن وراء الأزياء والموديلات، وأن لا يكلفن أزواجهن فوق طاقتهم لكي يلبسن ما غلا ثمنه، فالبساطه فى العيش لا تعد نقصا كما لا يحق لأحد أن يسخر من صاحبه لاسيما فى مجتمع النساء.

منها: أن هذه السيدة الكبرى والصديقه الطاهره هى بنت سيد الكائنات وزوجه سيد الأوصياء وأم سيدى شباب أهل الجنه ومع ذلك تطحن بيديها لأسرتها وتعين بعلمها على شظف العيش، وتقول لنا لابد من التكافل بين الرجل والمرأه لتسير الحياه الزوجيه بهدوء وطمأنينه وسعاده، وتقول للنساء لا تبحتن عن الشأنيه مع أزواجكن

١- سورة الضحى، الآية: ٥.

٢- نور الثقلين: ج ٥، ص ٥٩٤، ح ١٠، أنظر أيضا: ص ٥٩٥، ح ١١. ميزان الحكمه: ج ٣، ص ١٢٢٨، ح ٥٩٩١.

طالما رضيتن بهم أزواجاً، فأنا بنت سيد الكائنات وخاتم الأنبياء والرسل ولا أستنكف من العمل في بيتي وخدمه أسرتي.

منها: عند رضاعتها ولدها ترشدنا إلى ضروره رضاعه الأم لولدها لما فى ذلك من فائده صحيه لهذا الوليد إذ إن حليب الأم يغذى الولد مادياً ومعنوياً، وتبين بأن هذه الرضاعه لهذا الطفل الصغير عمل صالح تنال الأم به ثواب الله عز وجل.

منها: قول رسول الله لايبنته (يا بنتاه تعجلى مراره الدنيا بحلاوه الآخره) لا يختلف عما بينه فى الصوره الأولى من أن الدنيا فانيه ومرارتها منتهيه والآخره باقيه وحلاوتها ولذتها دائمه.

منها: وقولها عليها السلام (يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه....) دليل على الرضا التام بعبء الله تعالى، وتصريح بأن هذه البساطه من العيش هى نعمه إلهيه تحتاج إلى شكر المنعم عليها، كما أنها أكدت على عدم جواز التبرم من هذه الحياه البسيطة.

الصورة الثالثة

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (عندما سأله يزيد بن سلام: لما سُميت الدنيا دُنيا؟ قال:

«لأنَّ الدنيا دُنِّيَّةٌ خُلِقَتْ مِنْ دُونِ الآخِرِهِ، وَلَوْ خُلِقَتْ مَعَ الآخِرِهِ لَمْ يَفْرَ أَهْلُهَا كَمَا لَا يَفْنَى أَهْلُ الآخِرِهِ».

قال: فأخبرني لِمَ سُمِّيَتِ الآخِرَةُ آخِرُهُ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لأنَّها متأخِّرةٌ تَجِيءُ من بعدِ الدنيا، لا توصفُ سِنينُها، ولا تُحصى أياؤها، ولا يموتُ سُكَّانُها» (١).

١- بحار الأنوار: ج ٥٧، ص ٣٥٦، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٢، ح ٥٧٤٠.

هذه الصورة تبين مرتبه الدنيا وكونها فانيه بحلوها أو بمرها فإذا كانت حلوه بحسب الظاهر فلا تبطر فيها فتكون سببا لدخولك النار، وإن كانت مره فاغتنم مرارتها لتكون سببا في دخولك الجنة.

الصورة الرابعة

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (عندما رأى جابر بن عبد الله، وقد تنفّس الصُّعداء فقال:

«يا جابرُ، عَلَامَ تَنْفُسُكَ؟ أَعَلَى الدُّنْيَا؟!».

فقال جابرُ: نعم، فقال له الإمام عليه السلام:

«يا جابرُ، مَلَأَ الدُّنْيَا سَبْعَهُ: المَأْكُولُ، والمَشْرُوبُ، والملبوسُ، والمَنكُوحُ والمَرَكُوبُ، والمَشْمُومُ، والمَسْمُوعُ.

فَأَلْعَدُّ المَأْكُولَاتِ العَسِيلُ وهو بَصَقٌ من دُبَابِهِ، وأخلى المشروباتِ الماءَ وكَفَى ياباَحَتِهِ وسِدِّ ياباَحَتِهِ عَلَيَّ وَجِهَ الأَرْضِ، وأعلى الملبوساتِ الدُّبَايُجُ وَهُوَ من لُعَابِ دُودِهِ، وأعلى المَنكُوحَاتِ النِّسَاءُ وهو مَبَالٌ في مَبَالٍ ومِثَالٌ لمِثَالٍ، وإِنَّمَا يُرَادُ أَحْسَنُ ما في المَرأهِ لِأَقْبَحِ ما فيها، وأعلى المَرَكُوبَاتِ الخَيْلُ وَهُوَ قِوَاتِلٌ، وأجَلُّ المَشْمُومَاتِ المِشْكُ وهو دَمٌ من سَيْرِهِ دَاتِهِ، وأجَلُّ المَسْمُوعَاتِ الغِنَاءُ والتَّرْتُّمُ وهو إِثْمٌ، فما هَذِهِ صِفَتُهُ لَمْ يَتَنَفَّسْ عَلَيَّ عَاقِلٌ».

قال جابر بن عبد الله: فو الله ما خطرت الدنيا بعدها على قلبي (١).

أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يوصل لنا رساله واضحه عن أصل لذائد هذه الدنيا التي يتنافس بل يتقاتل عليها أهلها، فأكد أن هذه اللذائد التي ترونها جميله فهي كخضراء الدمن في منبت السوء فلا يغتر أحد بها ولا يتهافت عاقل على نيلها.

١- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١١، ح ٦٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٩، ح ٥٨٦٣.

الصورة الخامسة

عن سويد بن غفلة قال: (دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بُويع بالخلافه وهو جالس على حصير صغير وليس في البيت غيره، فقلت: يا أمير المؤمنين، بيدك بيت المال ولست أرى في بيتك شيئاً مما يحتاج إليه البيت؟! فقال عليه السلام:

«يا بن غفلة، إن اللبيب لا يتأثت في دار الثقله، ولنا دار أمن قد نقلنا إليها خير متاعنا، وإننا عن قليل إليها صائرون» (١).

يا لها من صوره مليئه بالعبر والمواعظ، فإذا تأملها العاقل لا بد أن يرى ما يلي:

١ إن المنصب هو خدمه للناس وليس وسيله للثراء والرفاه والاستحواذ.

٢ الإمام عليه السلام لم يضع في البيت ما هو ضروري فضلا عن الكماليات.

٣ يتعامل الإمام عليه السلام مع الدنيا تحت عنوان (نجا المخفون) فلم يثقل نفسه بحطام الدنيا ولم يملأ بيته من زبرجدها.

٤ يشير بقوله (وإننا عن قليل إليها صائرون) إلى فناء الدنيا وقله مدتها.

بحث عقائدي

الرضا بقضاء الله تعالى

من نعم الله تعالى أن منحنا عقلا- نزن به الأشياء ونميز به بين الحق والباطل ونستدل من خلاله على الخير فنفعله وعلى الشر فتجتنبه، وبهذه النعمة الإلهية التي لا- تضاهيها نعمه إلا- الإيمان نعرف أن الله تعالى هو خالقنا ومدبر أمرنا ورحيم بنا أرحم من أمهاتنا بل أرحم من أنفسنا بأنفسنا، وهو الحكيم الذي لا خطأ ولا خلل في فعله، وهو العادل الذي لا يجورد في قضائه، المعصوم الذي لا يخطأ في تقديره، والعالم المحيط

١- بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣٢١، ح ٣٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٩، ح ٥٩٢٤.س

بكل شيء فلا يفوته شيء، يعلم بما ينفعنا وما يضرنا وما يصلحنا وما يفسدنا، والقادر المطلق الذى يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير، فإذا عرفنا ذلك وأيقنت به أنفسنا وأقرت به عقولنا لابد لنا من التسليم والانقياد له والتوكل عليه فى جميع ما يهمنا والرضا والقبول بكل ما يقضى ويقدر، إذ إن عدم الرضا بقضائه وقدره يدل على جهلنا وعدم معرفتنا به ونقصان توحيدنا.

أسئلة مهمه

إشاره

السؤال: ما هو الرضا الذى ينبغى أن نعيشه فى حياتنا؟

الجواب: الرضا: هو القبول بل التسليم والانقياد وعدم الاعتراض على ما يقضى سبحانه ويقدر.

السؤال: ما هى فوائد وثمرات الرضا؟

الجواب: للرضا مجموعه من الآثار والفوائد والثمرات وهى كما يلى:

١ يوجب القرب الإلهى كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ، فَإِنْ صَبَرَ اجْتَبَاهُ، وَإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ» (١).

٢ يوجب الأجر العظيم فى يوم لا ينفع فيه مال لا بنون وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أَعْطُوا اللَّهَ الرَّضَا مِنْ قُلُوبِكُمْ تَظَفَرُوا بِثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ فَقَرِكُمْ وَالْإِفْلَاسِ» (٢).

٣ يوجب القناعه والشعور بالكفايه كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

١- بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ١٤٢، ح ٢٦. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٦، ح ٧٣٠٦.

٢- مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٤١٢، ح ٢٣٣١. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٦، ١٤٧٧، ٧٣٠٧.

«مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَكْفِيهِ كَانَ أَيْسَرُ مَا فِيهَا يَكْفِيهِ» (١).

٤ يوجب استجابته الدعاء وتحقيق ما نتمنى كما ورد ذلك عن الإمام الحسن عليه السلام:

«أَنَا الضَّامِنُ لِمَنْ لَا يَهْجِسُ فِي قَلْبِهِ إِلَّا الرِّضَا أَنْ يَدْعُو اللَّهَ فَيَسْتَجَابَ لَهُ» (٢).

٥ يوجب الشعور بالغنى والتنزه عما فى أيدى الناس كما قال الإمام الصادق عليه السلام:

«ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ غَنِيًّا» (٣).

٦ يوجب الشعور بالاطمئنان والراحة كما ورد فى الحديث الشريف عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام:

«الرَّوْحُ وَالرَّاحَةُ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ فِي الشَّكِّ وَالسَّخَطِ» (٤).

٧ يمنع وقوع الحزن ويرفعه عن صاحبه كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام:

«مَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ، لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ» (٥).

وعنه عليه السلام أنه قال:

«الرِّضَا يَنْفِي الْحُزْنَ» (٦).

السؤال: ما هى الآثار السلبية والنتائج الوخيمة لعدم الرضا؟

- ١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٦٩، ح ٦. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٧، ح ٧٣١١.
- ٢- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٥٩، ح ٧٥. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٧، ح ٧٣٠٨.
- ٣- بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٣٦٨، ح ٤. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٧، ح ٧٣١٢.
- ٤- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٥٩، ح ٧٥. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٧، ح ٧٣١٦.
- ٥- نهج البلاغة: الحكمة ٣٤٩. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٨، ح ٧٣١٩.
- ٦- غرر الحكم: ٤١٠. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٨، ح ٧٣٢٠.

١ من لم يرض بما أعطاه الله تعالى وقع في فخ الشك ونسب الظلم إلى الله تعالى كما أكد ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«مَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، اتَّهَمَ اللَّهَ تَعَالَى فِي قَضَائِهِ» (١).

٢ يؤدي عدم الرضا إلى صيروره الأعمال هباء منثورا كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله:

«مَنْ رَضِيَ الْقَضَاءَ أَتَى عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَهُوَ مَأْجُورٌ وَمَنْ سَخِطَ الْقَضَاءَ أَتَى عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَأَحْبَطَ اللَّهُ أَجْرَهُ» (٢).

السؤال: هل أن الرضا يعنى ترك السعى فى الأسباب؟

الجواب: لا- يقول بذلك أحد بل أن القول على خلاف ذلك، إذ يحثنا الشرع على السعى والسبب فى الأسباب كما فى قوله تعالى:

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (٣).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ:

(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) (٤).

وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام صريح فى التسبب كما فى قوله عليه السلام:

١- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٠٢، ح ٣٣. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٨، ح ٧٣٢٤.

٢- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٣٩، ح ٢٦. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٨، ح ٧٣٢٥.

٣- سورة الملك، الآية: ١٥.

٤- سورة الكهف، الآية: ٨٤.

«أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ، فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا وَجَعَلَ لِكُلِّ سَبَبٍ شَرْحًا، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَرْحٍ عِلْمًا، وَجَعَلَ لِكُلِّ عِلْمٍ أَبًا نَاطِقًا، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ، ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ» (١).

فإذا عرفنا هذا يتبين لنا أن الرضا هو التسليم والقبول بكل ما يصيبنا بعد أن نؤدى تكليفنا الشرعى ألا وهو السعى فى الأسباب الشرعية المقبولة عند الله تعالى دون أسباب الشيطان، ولا شك فى الفرق بين سبل وأسباب الله تعالى وبين سبل وأسباب غيره المعوّجه المفضيه إلى عاقبه سيئه.

السؤال: كيف نميّز بين سبل الله تعالى وأسبابه وبين سبل وأسباب غيره؟

الجواب: هذا أمر بديهى لا لبس فيه، فكل ما هو موافق للشرع فهو سبب وسبيل إلهى وكل ما هو مخالف للشرع فهو غير ذلك.

السؤال: كيف نميّز أن المكروه الذى أصابنا من الله تعالى أو من غيره؟

الجواب: فى مقام الجواب عن هذا السؤال لابد من الوقوف على ما يأتى:

١ إذا أصابنا مكروه دون أن نتسبب به، كوقوع زلزال أو غيره من الكوارث فهو من الله تعالى ولا يريد به إلا نفعنا فلذا لا يحمد على مكروه سواه.

٢ إذا أصابنا مكروه بسبب جثناه، فهو منا والله تعالى برىء منه كما فى كثير من الأسباب التى تؤدى إلى عواقب وخيمه فلذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«سَبَبُ فَسَادِ الْيَقِينِ الطَّمَعُ» (٢).

وقال عليه السلام:

١- الكافى: ج ١، ص ١٨٣، ٧. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٦٥٢، ح ٨١٦٦.

٢- غرر الحكم: ٥٥١٣. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٦٥٢، ح ٨١٧٢.

«سَبَبُ فَسَادِ الْعَقْلِ الْهَوَى» (١).

وعنه عليه السلام:

«سَبَبُ الْفِتَنِ الْحَقْدُ» (٢).

وقال عليه السلام:

«سَبَبُ الشَّخْنَاءِ كَثْرَةُ الْمِرَاءِ» (٣).

وعنه عليه السلام أيضا:

«سَبَبُ الْفَقْرِ الْإِسْرَافُ» (٤).

وقال عليه السلام:

«سَبَبُ الْفِرْقَةِ الْإِخْتِلَافُ» (٥).

وقال عليه السلام أيضا:

«سَبَبُ الْفُجُورِ الْخَلْوَةُ» (٦).

وعنه عليه السلام:

«سَبَبُ زَوَالِ النَّعْمِ الْكُفْرَانُ» (٧).

وقال عليه السلام:

«سَبَبُ الْهَلَاكِ الشُّرْكُ» (٨).

١- غرر الحكم: ٥٥١٥. ميزان الحكمه: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٧٤.

٢- غرر الحكم: ٥٥٢٢. ميزان الحكمه: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٨١.

٣- غرر الحكم: ٥٥٢٤. ميزان الحكمه: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٨٣.

٤- غرر الحكم: ٥٥٢٩. ميزان الحكمه: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٨٨.

٥- غرر الحكم: ٥٥٣٠. ميزان الحكمه: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٨٩.

٦- غرر الحكم: ٥٥٣٢. ميزان الحكمه: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٩٢.

٧- غرر الحکم: ٥٥١٧. میزان الحکمه: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٧٦.

٨- غرر الحکم: ٥٥٤١. میزان الحکمه: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٩٨.

نصيحه يجب أن تسمعها

إذا ادعى أحد أنه عبد لله تعالى يجب أن يصدق المدعى بالتلبس بثوب العبودية وألا يلزم من دعواه الكذب والنفاق، وليعلم العبد أن المولى لا يريد له إلا -الخير ولا- راد لما يريد، وعليه أن يعرف أن السبل غير سبيل الله تعالى تؤدي إلى الفشل والتبع وعدم الاطمئنان بل قد تؤدي إلى ذل في الدنيا، وحبط الأعمال وحرمان الثواب ووقوع الخزي والعذاب في الآخرة، وهذا ما يمكن استنباطه من حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود تُرِيدُ وأُرِيدُ، ولا يكونُ إلا ما أُرِيدُ، فإن أسَلَمْتَ بما أُريدُ أعطيتُكَ ما تُرِيدُ، وإن لم تُسَلِّمْ لِمَا أُريدُ أُعَبِّتُكَ فيما تُرِيدُ، ثُمَّ لا يكونُ إلا ما أُريدُ»^(١).

التزود بالأعمال الصالحة

قرن الإيمان بالله تعالى وبأنبيائه ورسوله وملائكته واليوم الآخر بالعمل الصالح ولولا هذا العمل الصالح لما صح أن يقال للإيمان إيمان لأن الإيمان هو العمل قبل كل شيء وهذا ما أكدته المحاوره بين الإمام الصادق عليه السلام والزيبرى إذ سأله (عن أفضل الأعمال عند الله: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به، قلت: وما هو؟ قال عليه السلام:

«الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمالِ دَرَجَةً وأشرفُها مَنْزِلَةً وأسناها حَظًّا».

قال، قلت: ألا تُخبرُنِي عن الإيمان، أقولُ هوَ وعملٌ، أم قولُ بلا عملٍ؟ فقال عليه السلام:

١- التوحيد للصدوق: ص ٣٣٧. ميزان الحكمه: ج ٤، ص ١٤٧٨، ح ٧٣٢٧.

«الإيمانُ عَمَلٌ كُلُّهُ، والقَوْلُ بَعْضُ ذَلِكَ العَمَلِ» (١).

فمن هذا اتضح أن الإيمان والعمل متحدان لا ينفك أحدهما عن الآخر وإلا لفسدا وفقدا عنوانهما الحقيقي، وعند إحصاء وتأمل الآيات الكريمة التي ورد فيها الإيمان مقروناً بالعمل الصالح يظهر لنا مدى أهميه العمل الصالح ونتيقن أن الإيمان لا فائده فيه بل لا يتقوم إلا بالعمل الصالح، فلذا جاءت موعظه الإمام الحسين عليه السلام في خطبه:

«فتزودوا فإن خير الزاد التقوى».

وتتالت الأحاديث الشريفه التي تؤكد على أهميه القول الصالح وعلى دوره في حياه الإنسان وآخرته، إذ إن الإيمان والعمل الصالح بمثابة الجناحين اللذين يعرج بهما المؤمن إلى لقاء الله تعالى.

العمل مفتاح السعاده

كلنا ينشد السعاده ويعمل لنيلها، وكلنا يتمنى الحياه الطيبه الخاليه من الهم والغم والحزن، إلا أن ذلك لا ينال إلا بالعمل الصالح المقرون بالإيمان التام المبني على العلم والمعرفه، فمن رام الدرجات الرفيعه وحلم بالسعاده الدنيويه فليؤمن ويعمل صالحاً، ومن رغب بما عند الله تعالى من الرضا والرضوان والفوز بالجنان فليؤمن ويعمل صالحاً، وهذا ما أشارت إليه الآيه الكريمة في قوله تعالى:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٢).

١- الكافي: ج ٢، ص ٣٣، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٦، ح ١٤٣٢٨.

٢- سورة النحل، الآيه: ٩٧.

وصرحت به الآية الأخرى فى قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (١).

ولكى يتضح لنا كيف يكون العمل الصالح مفتاحا للسعادة لابد من الوقوف على آثاره الدنيوية والأخروية.

آثار وثمرات العمل الصالح فى الدنيا

إشاره

١ العمل الصالح يوجب الرفعه والدرجه الراقية التى تجعل صاحبها سيداً فى الدنيا والآخرة، كما أكد ذلك أمير المؤمنين بقوله:

«الشَّرَفُ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِحُسْنِ الْأَعْمَالِ، لَا بِحُسْنِ الْأَقْوَالِ» (٢).

٢ يصل بك العمل الصالح إلى هدفك السامى كما فى قول الإمام على عليه السلام:

«الْعِلْمُ يُرْشِدُكَ، وَالْعَمَلُ يَنْبُلُغُ بِكَ الْغَايَةَ» (٣).

٣ يوجب مدح الناس وثناءهم كما صرح بذلك سيد المتقين وأمير المؤمنين بقوله:

«إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرَى اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ» (٤).

٤ للعمل الصالح أثر صالح على عامله وعلى ذريته، وحفظ له ولمن حوله من الناس كما بين ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

١- سورة طه، الآية: ٧٥.

٢- غرر الحكم: ١٩٢٤. ميزان الحكمه: ج٧، ص ٢٨١٦، ح ١٤٢٦٠.

٣- غرر الحكم: ٢٠٦٠. ميزان الحكمه: ج٧، ص ٢٨١٦، ح ١٤٢٦١.

٤- نهج البلاغه: الكتاب ٥٣. ميزان الحكمه: ج٧، ص ٢٨١٧، ح ١٤٢٧٧.

«إِنَّ اللَّهَ يُضَيِّحُ بِصِيَالِحِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ وُلْدَهُ، وَوُلْدَ وُلْدِهِ، وَيَحْفَظُهُ فِي دُورِيَّتِهِ، وَدُورَاتِ حَوْلِهِ، فَلَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ اللَّهِ لِكِرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْغُلَامَيْنِ، فَقَالَ:

(وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) (١).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ شَكَرَ صَالِحَ أَبُوَيْهِمَا لَهُمَا؟! (٢).

٥ العمل الصالح يوجب القوة في البدن والنفس كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ يَعْمَلْ يَزِدُّ قُوَّةً، مَنْ يُقْصِرْ فِي الْعَمَلِ يَزِدُّ فَتْرَةً» (٣).

٦ العمل الصالح يؤدي أن يصلح الله دين العبد كما في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ» (٤).

آثار العمل الصالح في الآخرة

١ به ينال ما عند الله تعالى من الأجر كما في قول الإمام علي عليه السلام:

«بِالْعَمَلِ يَحْصُلُ الثَّوَابُ لَا بِالْكَسَلِ» (٥).

٢ من خلال العمل الصالح نشعر بقيمة العلم ونلمس فائدته وهذا ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

١- سورة الكهف، الآية: ٨٢.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٣٧، ح ٦٣. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٣٣، ح ١٤٣٧٠.

٣- غرر الحكم: ٧٩٩٠ ٧٩٩١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٧١٦، ح ١٤٢٥٩.

٤- نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٣. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٣٤، ح ١٤٣٨٠.

٥- غرر الحكم: ٤٢٩٥. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨١٦، ح ١٤٢٦٢.

«يُحْسِنِ الْعَمَلَ تُجْنِي ثَمَرَهُ الْعِلْمَ لَا يُحْسِنِ الْقَوْلَ» (١).

٣ يرفد صاحبه بالنعم الوفيره كما فى قول الإمام الصادق عليه السلام:

«اعملوا قليلاً تنعموا كثيراً» (٢).

٤ يوجب حب الله تعالى ومن أحب الله فلا خوف عليه ولا يحزن من شىء وهو ما ذكره الإمام زين العابدين بقوله:

«إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا، وَإِنَّ أَعْظَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَمَلًا أَغْظَمَكُمْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ رَغْبَةً».

٥ العمل الصالح يهيب لصاحبه المكان المريح والحياء الهنيئ كما ذكر ذلك الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«إِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَذْهَبُ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَمَهِّدُ لِصَاحِبِهِ كَمَا يَبْعَثُ الرَّجُلُ غُلَامَهُ فَيَفْرُشُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ:

(مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمَهِّدُونَ) (٣)» (٤).

٦ يرفد صاحبه بالثواب بعد وفاته وهذا ما أكدته الأحاديث الكثيره كقول النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«سَبَعُهُ أَشْيَابٌ يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ ثَوَائِبُهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ: رَجُلٌ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ حَفَرَ بَيْتًا، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ كَتَبَ مُصْحَفًا، أَوْ وَرَّثَ عِلْمًا، أَوْ خَلَّفَ وَلَدًا صَالِحًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ» (٥).

١- غرر الحكم: ٤٢٩٦. ميزان الحكمه: ج ٧، ص ٢٨١٧، ح ١٤٢٦٨.

٢- تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١٨٣. ميزان الحكمه: ج ٧، ص ٢٨١٧، ح ١٤٢٧٢.

٣- سورة الروم، الآية: ٤٤.

٤- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٨٥، ٤٦. ميزان الحكمه: ج ٧، ص ٢٨٢١، ح ١٤٢٨٦.

٥- تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١١٠. ميزان الحكمه: ج ٧، ص ٢٨٢١، ٢٨٢٢، ح ١٤٢٨٨.

نصائح

١ لا تنال الآخرة ولا ينجو العبد إلا بالعمل الصالح وإن كان ذا مال ومنصب كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثَةَ أَخْلَاءَ: مِنْهُمْ مَنْ يَمْتَعُهُ بِمَا سَأَلَهُ فَذَلِكَ مَالُهُ، وَمِنْهُمْ خَلِيلٌ يَنْطَلِقُ مَعَهُ حَتَّى يَلِجَ الْقَبْرَ وَلَا يُعْطِيهِ شَيْئًا وَلَا يَصْحَبُهُ بَعِيدَ ذَلِكَ فَأَوْلِيكَ قَرِيبُهُ، وَمِنْهُمْ خَلِيلٌ يَقُولُ: وَاللَّهِ أَنَا ذَاهِبٌ مَعَكَ حَيْثُ ذَهَبْتَ وَلَسْتُ مُفَارِقَكَ! فَذَلِكَ عَمَلُهُ، إِنْ كَانَ خَيْرًا وَإِنْ كَانَ شَرًّا» (١).

أو كان ذا نسب وحسب وهذا بعينه ما ذكره الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ (حَسَبُهُ)» (٢).

٢ ضروره الاستمرار على عمل الخير وإن كان قليلا لما في ذلك من أجر عظيم وفائده كبرى، هذا ما ذكرته الأحاديث الشريفه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«الْمُدَاوِمَةُ عَلَى الْعَمَلِ فِي اتِّبَاعِ الْآثَارِ وَالسُّنَنِ وَإِنْ قَلَّ، أَرْضَى اللَّهُ وَأَنْفَعُ عِنْدَهُ فِي الْعَاقِبَةِ مِنَ الْجِتِّهِادِ فِي الْبِدَعِ وَاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ» (٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«الْمُدَاوِمَةُ الْمُدَاوِمَةُ! فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِينَ غَايَةً إِلَّا الْمَوْتَ» (٤).

١- كثر العمال: ٤٢٧٥٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢١، ح ١٤٢٨٤.

٢- نهج البلاغه: الحكمة ٢٣، ٣٨٩. شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد المعتزلى: ج ١٨، ص ١٣٤. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨١٦، ح ١٤٢٦٣.

٣- الكافي: ج ٨، ص ٨، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٢، ح ١٤٢٩٣.

٤- مستدرک الوسائل: ج ١، ص ١٣٠، ح ١٧٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٢، ح ١٤٢٩٢.

وعن الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، وَإِنْ قَلَّ» (١).

٣ للمداومه على فعل الخير آثار حسنه يحتاجها الفرد والمجتمع هذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أَمَّا الْمِدَاوِمَةُ عَلَى الْخَيْرِ فَيَتَشَدَّعُ مِنْهُ: تَزُكُّ الصَّوَابِحُ، وَتَبْعِدُ مِنَ الطَّيِّشِ، وَتَتَحَرَّجُ، وَالْيَقِينُ، وَحُبُّ النَّجَاهِ، وَطَاعَةُ الرَّحْمَنِ، وَتَعْظِيمُ الْبُرْهَانِ، وَاجْتِنَابُ الشَّيْطَانِ، وَالْإِجَابَةُ لِلْعَدْلِ، وَقَوْلُ الْحَقِّ، فَهَذَا مَا أَصَابَ الْعَاقِلَ بِمِدَاوِمَةِ الْخَيْرِ» (٢).

٤ العمل الصالح القليل أفضل من العمل الكثير الذى لا تطيقه النفس وتمل منه القلوب فلذا أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك بقوله:

«إِنَّ النَّفْسَ مَلُولَةً، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا قَدَرُ الْمِيدَةِ، فَلْيَنْظُرْ مِنَ الْعِبَادَةِ مَا يُطِيقُ، ثُمَّ لِيُدَاوِمَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دِيمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ» (٣).

٥ انتبه إلى عملك وأحرص أن تكون له عاقبه حسنه ولذه دائمه، وهذا ما نهينا إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«شَتَانٌ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَوْوَتَتُهُ وَيَبْقَى أَجْرُهُ» (٤).

١- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢١٩، ح ٢٥. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٢، ح ١٤٢٩٥.

٢- تحف العقول: ص ١٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٤، ح ١٤٣٠٦.

٣- كنز العمال: ٥٣١٢. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٤، ح ١٤٣٠٧.

٤- نهج البلاغه: الحكمة ١٢١. شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٨، ص ٣١٠. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٣٤، ح ١٤٣٧٥.

أَسْئَلُهُ مَهْمَهُ

السؤال: لم نرى أن الجزاء على العمل أكبر وأضخم من العمل؟

الجواب: هناك بحث فى بيان مدى الترابط بين العمل والجزاء وملخصه:

قبل بيان هذا الترابط لابد من توضيح السؤال أو الإشكال الوارد على العدل الإلهى ثم يتسنى لنا الجواب عنه.

الإشكال: إن الجزاء الأخرى فى مقام العقاب لا يتناسب مع الذنب الذى يصدر عن العبد وهذا يدل على عدم عدل الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، فمثلاً:

لو عبث إنسان فى طريق العامه وأحدث فيه ما يعيبه لابد له من عقوبه جزاءً لما فعل، إلا- أن هذه العقوبه خروج عن العدالة ومخالفه لها.

وهكذا لو صدرت عن الإنسان غيبه مثلاً فمات دون أن يتوب عنها لابد أن تكون لها عقوبه ولكن هذه العقوبه لابد أن تتناسب مع الفعل الحرام، إلا أننا نرى أن عقوبه فاعل الغيبه هى أن يكون طعاما لكلاب النار، أليس هذه العقوبه قاسيه وشديده، ومن هذا المنطلق نرى أن العقوبه لا تناسب الذنب وهذا ما يخالف العدل الإلهى؟

الجواب: ورد الجواب عند أهل الاختصاص من خلال هذه المقدمات وهى كما يلى:

١ إن الآخرة عالم لا يشبه عالم الدنيا فى كثير من قوانينه، وعلى سبيل المثال:

ألف: فى عالم الدنيا يحصل التغيير والانتقال من مرحله إلى أخرى كالإنسان يبدأ طفلاً رضيعاً ثم يكون صبياً ثم يصبح شاباً ثم يعرّج على الكهولة فالشيخوخه، أمّا فى عالم الآخرة لا طفوله ولا كهوله ولا شيخوخه بل لا موت ولا فناء.

باء: هذا العالم هو عالم الزراعة والآخرة عالم الحصاد وتحصيل الثمار، أى أن العمل هنا دون حساب، وهناك الحساب والجزاء فقط، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَإِنَّ عَدَا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ» (١).

جيم: فى هذا العالم تستطيع أن تصحح الخطأ وتتوب عن الذنوب أما فى الآخرة ليس لك الحق فى ذلك.

٢ إننا نؤمن أن ما يفعله الإنسان هنا هو الذى يحدد نوع المصير هناك وهذا ما أكده رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الأحاديث الشريفه التى لو تأملها المنصف يجد الجواب على سؤاله والحل لإشكاله وهى كما يلى:

جاء فى حديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«لَمَّا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فى لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ شَاهِدْتُ مَلَائِكَةً يَبْنُونَ بُيُوتًا: بَعْضٌ مِنْ ذَهَبٍ وَآخَرٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَأَخْيَانًا يَتَوَقَّفُونَ عَنِ الْعَمَلِ، فَسَأَلْتُهُمْ لِمَاذَا تَعْمَلُونَ أَخْيَانًا وَتَقِفُونَ عَنِ الْعَمَلِ أَخْيَانًا؟ فَأَجَابُوا، حَتَّى تَصِلْنَا إِمْدَادَاتُ صَاحِبِ الْبِنَاءِ.

فسألت وما تقصدون بالإمدادات؟ قالوا: ذكّر المؤمن فى الدنيا قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

ففى كل وقت يقول نحن بنى وفى كل وقت يتوقف نحن أيضا نتوقف» (٢).

وجاء فى حديث آخر عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم:

«كُلُّ مَنْ يَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ يُغْرِسُ اللَّهُ لَهُ فى الْجَنَّةِ شَجْرَةً، وَكُلُّ مَنْ يَقُولُ الْحَمْدُ

١- موسوعه الإمام على بن أبى طالب عليه السلام فى الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري: ج ٤، ص ١٢٢، ح ١٣٥١.

٢- وسائل الشيعة: ج ٤، ص ١٢٠٨. العدل الإلهي، الشهيد مرتضى المطهري: ص ٢٥٤.

لِلَّهِ يُعْرِسُ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ، وَكُلُّ مَنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُعْرِسُ لَهُ اللَّهُ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ، وَكُلُّ مَنْ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ يُعْرِسُ اللَّهُ لَهُ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: إِذَنْ أَشْجَارُنَا فِي الْجَنَّةِ كَثِيرَةٌ، فَأَجَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

نَعَمْ، وَلَكِنْ حَازِرُوا أَنْ تَبْعَثُوا إِلَيْهَا نَارًا تُحْرِقُهَا عَنْ بَكْرِهِ أَبِيهَا، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) (١) (٢).

مما تقدم نخلص إلى جواب وهو أن الأعمال تتجسم في الآخرة وكما يدل على ذلك قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

وقوله تعالى:

(وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) (٣).

وهناك إضافة إلى ما تقدم من الجزاء هو أثر للعمل فلا يقال لماذا لا يتناسب الأثر مع العمل القبيح فمثلا: لو شرب رجل سما في خمس دقائق وبسهوله ودون أن يؤدي أحدا فإنه يموت فلا يقال لماذا مات؟

١- سورة محمد، الآية: ٣٣.

٢- العدل الإلهي للشهيد مرتضى المطهرى: ص ٢٥٤.

٣- سورة الكهف، الآية: ٤٩.

وإذا زنى أحد وأصيب بمرض زهري مدى حياته فلا يقال لماذا لا يوجد تناسب بين الفعل الذى لم يستغرق إلا ساعه وبين نتیجه الفعل التى امتدت طوال عمر الفاعل، فإن هذه آثار لتلك الأعمال وهكذا فى الآخره فإن للأفعال آثارا لا تناسب الفعل.

السؤال: ما هى العوامل التى تساعد على قبول الأعمال؟

الجواب: ذكرت الأحاديث الشريفه خصصاً كثيراً ينبغى أن يتصف بها العامل لكى يقبل عمله وهى كما يلى:

١ التقوى: ينبغى أن يتصف العامل بالتقوى والتلبس بالطاعات لأن الله تعالى لا يتقبل إلا من المتقين كما فى قوله تعالى:

(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (١).

وأكد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى وصيته للصحابى الجليل أبى ذر رضى الله عنه على أن التقوى سبب فى قبول العمل وإن كان قليلاً:

«يا أبا ذر، كُنْ بِالْعَمَلِ بِالتَّقْوَى أَشَدَّ اهْتِمَاماً مِنْكَ بِالْعَمَلِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ عَمَلٌ بِالتَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقْبَلُ عَمَلٌ يُتَقَبَّلُ؟! يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (٢).

٢ العقل: هو الملاك الذى يمتاز به المكلف عن غيره والميزان الذى توزن به الأمور، والقوه التى تدرك بها العلوم والأشياء فلذا ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام:

«قَلِيلُ الْعَمَلِ مِنَ الْعَاقِلِ مَقْبُولٌ مُضَاعَفٌ، وَكَثِيرُ الْعَمَلِ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَالْجَهْلِ مَرْدُودٌ» (٣).

١- سورة المائدة، الآية: ٢٧.

٢- مكارم الأخلاق: ج ٢، ص ٣٧٥، ح ٢٦٦١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٧، ح ١٤٣٣٣.

٣- تحف العقول: ص ٣٨٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٧، ح ١٤٣٣٤.

٣ الإخلاص: كل عمل لا يتصف بالإخلاص فهو رياء ومردود على صاحبه لأنه لم يرد به وجه الله تعالى يكله إلى من عمل له فإذا كان عمله لسمعه بين الناس أو تحصيل فائده منهم فليأخذ أجره ممن عمل له وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِنَّكَ لَنْ يَتَقَبَلَ مِنْ عَمَلِكَ إِلَّا مَا أَخْلَصْتَ فِيهِ» (١).

السؤال: ما هي الموانع التي تمنع قبول الأعمال؟

الجواب: تقدم ذكر العوامل التي تساعد على قبول الأعمال والآب أن نحذر المؤمنين من موانع قبول الأعمال وهي كما يلي:

١ عدم الاتصاف بالورع عن المعاصي وافتقار العامل للخلق الحسن الذي يعاشر به الناس وسرعه الانفعال والغضب هي ما تمنع قبول الأعمال كما في قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«ثَلَاثٌ مَرْنُ لَمْ تَكُنْ فِيهِ لَمْ يَقُمْ لَهُ عَمَلٌ: وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخُلُقٌ يُدَارِي بِهِ النَّاسَ، وَحِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ الْجَاهِلِ» (٢).

٢ الاختلال في العقائد وانكار أصول الدين سبب مهم في منع قبول العمل، سوء الخلق مع الوالدين والتقصير معهما حاجبا لمنع العمل، والخيانة والهروب عند الجهاد مانع ثالث بمنع قبول الأعمال كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ثَلَاثَةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الرَّحْفِ» (٣).

١- غرر الحكم: ٣٧٨٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٨، ح ١٤٣٣٥.

٢- الخصال: ص ١٢٥، ح ١٢١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٨، ح ١٤٣٣٧.

٣- كثر العمال: ٤٣٨٢٤، ٤٣٩٣٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٨، ح ١٤٣٤١.

٣ إطلاق اللسان فيما حرم الله تعالى من الغيبة والنميمة والفحش بالقول والبذاءه والغناء وقذف المؤمنين وهجائهم والسخرية والاستهزاء بهم وغير ذلك من زلات اللسان لهو من أكبر الموانع لقبول العمل بل هو ينسف العمل نسفا كما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما عمِلَ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ لِسَانَهُ» (١).

وكما فى قول الإمام الصادق عليه السلام لعَبَاد بن كثير البصرى الصوفى:

«وَيَحْكُ يَا عَبَادُ! عَرَّكَ أَنْ عَفَّ بَطْنُكَ وَفَرَّجَكَ؟! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ» (٢).

اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ شَيْئًا حَتَّى تَقُولَ قَوْلًا عَدْلًا» (٣).

٤ إخفاء الحقد والضغائن فى القلب على المؤمنين سبب آخر يمنع قبول الأعمال كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُؤْمِنٍ عَمَلًا وَهُوَ مُضْمِرٌ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ سُوءًا» (٤).

٥ الاستمرار على المعصية بإصرار يعد من الكبائر التى لا يقبل معها أى طاعه كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لَا وَاللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ طَاعَتِهِ عَلَى الْإِصْرَارِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِيهِ» (٥).

السؤال: كيف نشخص العمل السيئ عند إلتباس الحق بالباطل؟

١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٨٥. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٨، ح ١٤٣٤٢.

٢- سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ و ٧١.

٣- الكافي: ج ٨، ص ١٠٧، ح ٨١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٩، ح ١٤٣٤٣.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٣٦١، ح ٨. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٩، ح ١٤٣٤٧.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٩، ح ١٤٣٤٦.

لاشك أن الأعمال الصالحة معروفة وواضحة وكذلك الأعمال السيئة إلا أن هناك ميزانا نوزن به العمل نعرف من خلاله قبح العمل أو حسنه، ويمكن تلخيص ذلك من خلال هذه النقاط المهمه:

١ إذا كان العمل مخجلاً يستحي منه فهو قبيح، كما هو في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«اِحْذَرُ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ، وَيُشْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ» (١).

٢ إذا كان العمل يدعو للاعتذار فهو قبيح، كما ورد في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«اِحْذَرُ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَذَرَ مِنْهُ» (٢).

٣ إذا كان العمل مما ينكره صاحبه فهو قبيح، حيث قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَكُلَّ عَمَلٍ إِذَا ذَكَرَ لِصَاحِبِهِ أَنْكَرَهُ» (٣).

٤ إذا كان العمل سبياً في تفرق الناس عنك أو يحط من مقامك، أو يوقع عليك ضرراً في الدنيا وإثماً في الآخرة، حيث ورد في قول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَكُلَّ عَمَلٍ يُنْفَرُ عَنْكَ حُرّاً، أَوْ يُذَلُّ لَكَ قَدْرًا، يَجْلِبُ عَلَيْكَ شَرًّا، أَوْ تَحْمِلُ بِهِ إِلَى الْقِيَامَةِ وَزُرًّا» (٤).

١- نهج البلاغه: الكتاب ٦٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٩، ح ١٤٣٥٦.

٢- ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٩، ح ١٤٣٥٧.

٣- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٦٩، ح ١٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٩، ح ١٤٣٥٨.

٤- غرر الحكم: ٢٧٢٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٣١، ح ١٤٣٥٩.

نصائح ضروريه

دأب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام على إسداء النصائح إلى المؤمنين وإرشاد الأمة إلى طريق السعادة الدنيوية والأخروية، ومما يدخل تحت هذا العنوان ما ورد عنهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) من أحاديث تعد من نعم الله تعالى علينا وهي كما يلي:

١ أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالتمسك بالعلم واتخاذها في كل عمل يريدون عمله كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لابن مسعود:

«يَا بْنَ مَسْعُودٍ، إِذَا عَمِلْتَ عَمَلًا فَأَعْمَلْ بِعِلْمٍ وَعَقْلٍ، وَإِيَّاكَ وَأَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا بَغَيْرِ تَدْبِيرٍ وَعِلْمٍ؛ فَإِنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزْلُهُ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) (١)» (٢).

٢ على كل من يعمل عملاً لا بد أن يضع نصب عينيه الثواب والعقاب لكي تستقيم أعماله وتكون عند الله تعالى مرضيه مقبولة كما أكد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«اعْمَلْ عَمَلًا مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَجَازِيهِ بِإِسَاءَتِهِ وَإِحْسَانِهِ» (٣).

١- سورة النحل، الآية: ٩٢.

٢- مكارم الأخلاق: ج ٣، ص ٣٦١، ح ٢٦٦٠. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٣١، ح ١٤٣٦٠.

٣- غرر الحكم: ٢٣٥٢. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٣١، ح ١٤٣٦١.

الخطبه السادسه: وفيها يُذكر بفضائل أهل البيت عليهم السلام ويأمر باتّباعهم

اشاره

حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي فقال:

نص الخطبه

اشاره

(نَحْنُ حِزْبُ اللَّهِ الْغَالِبُونَ، وَعِزَّتُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْأَقْرَبُونَ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ الطَّيِّبُونَ، وَأَحَدُ الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ جَعَلْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثَانِي كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الَّذِي فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَالْمَعْوَلُ عَلَيْنَا فِي تَفْسِيرِهِ، لَا يُبْطِئُنَا تَأْوِيلُهُ، بَلْ نَتَّبِعُ حَقَائِقَهُ، فَأَطِيعُونَا فَإِنَّ طَاعَتَنَا مَفْرُوضَةٌ، أَنْ كَانَتْ بَطَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَفْرُوضَةً، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (١).

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَفَتَنَتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) (٢).

وَأَحَدُكُمْ الْإِضْغَاءَ إِلَى هَتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَتَكُونُوا

١- سورة النساء، الآية: ٥٩.

٢- سورة النساء، الآية: ٨٣.

كَأُولِيَانِهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ:

(لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ) (١).

فَتَلْقَوْنَ لِلسُّيُوفِ ضَرْبًا، وَلِلرِّمَاحِ وَرِدًا، وَلِلْعُمُدِ حَطْمًا، وَلِلسَّهَامِ غَرَضًا، ثُمَّ لَا يُقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا).

(نَحْنُ حِزْبُ اللَّهِ الْغَالِبُونَ، وَعِزَّتُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَيِّمُ الْأَقْرَبُونَ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ الطَّيِّبُونَ، وَأَخِذُوا الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ جَعَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَيِّمُ ثَانِي كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الَّذِي فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَالْمَعْوَلُ عَلَيْنَا فِي تَفْسِيرِهِ، لَا يُبْطِئُنَا تَأْوِيلُهُ، بَلْ نَتَّبِعُ حَقَائِقَهُ، فَأَطِيعُونَا فَإِنَّ طَاعَتَنَا مَفْرُوضَةٌ، أَنْ كَانَتْ بَطَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَفْرُوضَةً، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ).

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...).

يشير بضمير الجمع إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويعرفهم بأنهم الجماعة القوية الصلبة القاهرة والفائز التي ترتبط بالله تعالى، ونسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعشيرته الأقربون، وأهل بيته الأذكى الطاهرون أو أحد الشيين

العظيمين النفيسين الذين جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجبهة المقابلة للقرآن الكريم، هذا الكتاب الذى فيه بيان أجزاء كل شىء، لا يأتيه الباطل أى لا يقع منه ما يخالف الحق أو ما يخالف الصحيح من أمامه أو من وراء ظهره، والمعتمد علينا فى توضيح وشرح القرآن الكريم، ولا- يتأخر علينا إرجاعه إلى أصله وحقيقته وباطنه، بل نطلب خالصه وكنهه، فانقادوا لنا فإن الانقياد لنا أمر واجب من الله تعالى، لأن طاعتنا ملازمه ومصاحبه لطاعه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله عز وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (١).

(وَأَحْذَرُوا الْبَصَغَاءَ إِلَى هَتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَتَكُونُوا كَأَوْلِيَاءِهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ:

(لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ) (٢).

فَتَلْقَوْنَ لِلسُّيُوفِ ضَرْبًا، وَلِلرَّمَاكِ وَرِدًا، وَلِلْعُمَيْدِ حَطْمًا، وَلِلسَّهَامِ غَرَضًا، ثُمَّ لَا يَقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا).

وأخوفكم من الاستماع إلى صياح الشيطان بكم فإنه لكم عدو ظاهر، فإذا استمتعتم إلى هتوفه ستكونوا كأتباعه فتطرحون للسيف الصوارم لتصيبكم، وتكونون مكانا لدخول الرماح، مكانا لتحطم وتكسر الأعمدة، وهدفا لرمى السهام، ثم بعد ذلك لا يرضى عنكم إذا لم تكونوا مؤمنين قبل هذا اليوم أو أنكم مؤمنون غير عاملين بالخير والمعروف.

١- سورة النساء، الآية: ٥٩.

٢- سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

فضل أهل البيت عليهم السلام

تختلف مقامات البشر ورتبهم تبعاً لاختلاف ذواتهم من حيث الخصائص والصفات الذاتية والمؤهلات النفسية، وحيث إن بعض هذه الصفات والمؤهلات ما هو ظاهر فيعرف بها صاحبها، وبعضها منها يبقى باطنا فلا يحيط بها إلا خالقها سبحانه، ولذا صار المدح دليلاً على مقام الممدوح وعلو رتبته، والذم دليلاً على دنو رتبته وتسافله، إلا أننا نواجه سؤالاً مهماً في طرحنا هذا وهو: مَنْ له الحق في تقييم البشر وإعطائهم الرتبة التي تناسب خصائصهم ومؤهلاتهم؟ ومن البديهي أن يكون الجواب كالاتي:

أن من له القدره على معرفه الخصائص والمؤهلات معرفه تامه دون الوقوع في الاشتباه أو الالتباس هو صاحب الحق في تقييم هؤلاء، وهذا لا ينطبق إلا على المعصوم في الرؤيا والتقييم، وهذا لا يكون إلا ممن له إحاطه تامه بهؤلاء البشر وهو ليس إلا خالقهم سبحانه بناء على أن العله عالمه بمعلولها.

فإذا تبين أن الله تعالى هو من له الحق في تقييم خلقه يلزم منه أن ما صدر من مدح إلهي في حق فرد أو مجموعه هو المعيار في تقديم وتفضيل هذا الفرد أو هذه المجموعه على غيرهم وهذا ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى:

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (١).

فهو مدح إلهي صريح لفرد من أفراد البشر وهو الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم كما مدح غيره من الأنبياء في آيات كثيرة، وقوله تعالى:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (٢).

١- سورة القلم، الآية: ٤.

٢- سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

هو أيضا مدح صريح لمجموعه من الأفراد وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا صار لأهل بيت العصمة عليهم السلام فضل على غيرهم فضلهم الله تعالى به، وهناك أحاديث كثيرة وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، فنقف عليها ليتضح فضلهم وحقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الناس.

فضلهم فى القرآن الكريم

وردت الآيات الكريمة الكثيره التى تبين فضل أهل البيت عليهم السلام عن طريق مصادر أهل السنه وهى كما يلى:

١ آيه تبين طهاره وعصمه أهل البيت عليهم السلام كما فى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ورد فى صحيح مسلم (فى كتاب فضائل الصحابه، فى باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنده عن صفيه بنت شيبه قالت:

قالت عائشه: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غداه وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن على فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمه فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم قال:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (١).

١- فضائل الخمسه: ج ١، ص ٢٧٠. (أقول) ورواه الحاكم أيضا فى مستدرک الصحيحين: ج ٣، ص ١٤٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ورواه البيهقى أيضا فى سننه: ج ٢، ص ١٤٩. ورواه ابن جرير أيضا فى تفسيره: ج ٢٢، ص ٥، عن عائشه. وذكره السيوطى أيضا فى الدر المنثور فى تفسير آيه التطهير فى سوره الأحزاب وقال: أخرجه ابن أبى شيبه وأحمد وابن أبى حاتم، وذكره الزمخشرى فى الكشاف فى تفسير آيه المباهله بمناسبه وهكذا الفخر الرازى، وقال: واعلم أن هذه الروايه كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث (انتهى).

وجاء فى سنن الترمذى (روى بسنده عن عمرو بن أبى سلمه ريبب النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (١).

فى بيت أم سلمه فدعا فاطمه وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلى عليه السلام خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

قالت أم سلمه: وأنا معهم يا نبى الله؟ قال:

«أنت على مكانك وأنت على خير» (٢).

٢ آيه المباهله التى تبين عصمه أهل البيت عليهم السلام على النصارى فضلا عن الأمة الإسلاميه كما فى قوله تعالى:

(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مِمَّا حَرَّمَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَعَلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٣).

ورد فى سنن الترمذى (روى بسنده عن عامر بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه، قال: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ آيَةَ (ندع أبناءنا وأبنائك) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله

١- سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

٢- فضائل الخمسه: ج ١، ص ٢٧١. سنن الترمذى: ج ٢، ص ٢٠٩. (أقول) ورواه أيضا فى: ج ٢، ص ٣٠٨، ثم قال: وفى الباب عن أم سلمه ومعقل بن يسار وأبى الحمراء وأنس. ورواه الطحاوى أيضا فى مشكل الآثار: ج ١، ص ٣٣٥. ورواه ابن الأثير الجزرى أيضا فى أسد الغابه: ج ٢، ص ١٢. ورواه ابن جرير الطبرى أيضا فى تفسيره: ج ٢٢، ص ٧٦، وقال عم أم سلمه.

٣- سورة آل عمران، الآية: ٦١.

وسلم علياً وفاطمه وحسناً وحسيناً فقال:

«اللهم هؤلاء أهلي» (١).

وروى الزمخشري في الكشاف والفخر الرازي في تفسيره الكبير، في ذيل تفسير آيه المباهله في سورة آل عمران، والشبلنجي في نور الأبصار واللفظ للأخير قال:

قال المفسرون: لَمَّا قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهله قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غداً فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح؟ قال: لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبى مرسل ولئن فعلتم ذلك لنهلكن (وفي روايه) قال لهم: والله ما لآعن قوم قط نبياً إلا هلكوا عن آخرهم، فإن أبيتم إلا-الإقامه على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فودعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد احتضن الحسن عليه السلام وأخذ بيد الحسين عليه السلام وفاطمه عليها السلام تمشي خلفه، وعلى عليه السلام يمشى خلفها، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول لهم:

«إذا دعوت فأمنوا».

فلما رأهم أسقف نجران قال: يا معشر النصارى إنى لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نباهلك وأن نتركك على دينك وتتركنا على ديننا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فإن أبيتم المباهله فأسلموا يكن لكم ما للمسلم وعليكم ما عليهم»

١- فضائل الخمسة: ج ١، ص ٢٩١. سنن الترمذى: ج ٢، ص ١٦٦. (أقول) ورواه الحاكم أيضا في مستدرک الصحيحين: ج ٣، ص ١٥٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ورواه البيهقى أيضا في سننه: ج ٧، ص ٦٣.

فأبوا ذلك فقال:

«إني أنا بذككم».

فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقه ولكننا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا، وأن تؤدى إليك فى كل سنه ألفى حله، ألفاً فى صفر وألفاً فى رجب (قال: وزاد فى روايه) وثلاثاً وثلاثين درعاً عاديه وثلاثه وثلاثين بغيراً وأربعه وثلاثين فرساً غازيه فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك، وقال:

«والذى نفسى بيده إن العذاب تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قرده وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر، وما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا».

(قال) أخرجه الخازن وغيره(١).

٣ سورة هل أتى تبين مقام ورتبه أهل البيت عليهم السلام عند ربهم كما فى:

(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)(٢).

ورد فى أسد الغابه لابن الأثير الجزرى (فى ترجمه فضه النوبيه، روى بسنده عن مجاهد، عن ابن عباس قال: فى قوله تعالى:

(يُوفُونَ بِاللَّذْرِ وَيَحَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)(٣).

قال: مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما جد هما رسول الله صلى الله

١- فضائل الخمسه: ج ١، ص ٢٩١ ٢٩٢. نور الأبصار، الشبلنجى: ص ١٠٠.

٢- سورة الإنسان، الآيتان: ٨ و ٩.

٣- سورة الإنسان، الآيتان: ٧ و ٨.

عليه وآله وسلم وعادهما عامه العرب، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت علي ولدك نذراً، فقال علي عليه السلام:

«إن برئاً مما بهما صمت لله عزّ وجل ثلاثة أيام شكراً».

وقالت فاطمه عليها السلام كذلك، وقالت جاريه يقال لها فضه نوبيه إن برئاً سيداي صمت لله عزّ وجل شكراً فألب الغلامان العافيه وليس عند آل محمد قليل ولا كثير.

فانطلق علي عليه السلام إلى شمعون الخيري فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير فجاء بها فوضعها فقامت فاطمه عليها السلام إلى صاع فطحته واختبزه وصى علي عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من أولاد المسلمين أطعموني أطعمكم الله عزّ وجل علي موائد الجنة، فسمعه علي عليه السلام فأمرهم فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء.

فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمه عليها السلام إلى صاع وخبزه وصى علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم يتيم فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد يتيم بالباب من أولاد المهاجرين استشهد والدي أطعموني فأعطوه الطعام فمكثوا يومين لم يذوقوا إلا الماء.

فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمه عليها السلام إلى الصاع الباقي فطحته واختبزه فصى علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت النبوه تأسرونا وتشدوننا ولا تطعموننا، أطعموني فإني أسير فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأى ما

بهم من الجوع فأنزل الله تعالى:

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)).

ثم قال: أخرجها أبو موسى (٢).

وذكر الواحدى فى أسباب النزول (فى بيان نزول قوله تعالى:

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا).

فى سورة هل أتى قال: قال عطاء عن ابن عباس، وذلك أن على بن أبى طالب عليه السلام نوبه آجر نفسه يسقى نخلاً بشيء من شعير ليله حتى أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً لياًكلوه يقال له الحريره فلما تم إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثانى فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأله فأطعموه إياه، ثم عمل الثلث الباقي فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه وطووا، يومهم ذلك، فأنزلت فيه هذه الآية (٣).

١- سورة الإنسان، الآيات: ١ إلى ٩.

٢- فضائل الخمسه للسيد مرتضى الفيروز آبادى: ص ٣٠١ ٣٠٢. أسد الغابه لابن أثير: ج ٥، ص ٥٣٠.

٣- فضائل الخمسه للسيد مرتضى الفيروز آبادى: ج ١، ص ٣٠٢ ٣٠٣. أسباب النزول، الواحدى: ص ٣٣١. (أقول) وذكره المحب الطبرى أيضاً فى الرياض النضرة: ج ٢، ص ٢٢٧، وقال فيه: يقال له الحريره دقيق بلا دهن وقال: هذا قول الحسن وقتاده إن الأسير كان من المشركين، وقال سعيد ابن جبیر: الأسير المحبوس من أهل القبله. وذكره أيضا فى ذخائره: ص ١٠٢.

٤ آيه الموده التي دعا الله تعالى فيها الأمة الإسلاميه إلى محبه واحترام أهل البيت عليهم السلام، يفهم من هذه الآيه الكريمه ما لهؤلاء الأطهار عليهم السلام من منزله عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) (١).

ورد في تفسير ابن جرير الطبرى:

(روى بسنده عن أبي إسحاق قال: سألت عمره بن شعيب عن قول الله عز وجل:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ).

قال: قربى النبي صلى الله عليه وآله وسلم) (٢).

ورد عن السيوطى فى الدر المنثور (وأخرج ابن مردويه من طريق ابن المبارك عن ابن عباس فى قوله: (إلا الموده فى القربى) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«تحفظونى فى قرابتى» (٣).

ورد أيضا عن السيوطى فى الدر المنثور (وأخرج أبو نعيم والديلمى عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«(لا أسألكم عليه أجراً إلا الموده فى القربى) أن تحفظونى فى أهل بيتى وتودوهم بى» (٤).

١- سورة الشورى، الآيه: ٢٣.

٢- فضائل الخمسه، السيد مرتضى الفيروز آبادى: ج ١، ص ٣٠٦. تفسير الطبرى: ج ٢٥، ص ١٧.

٣- فضائل الخمسه، السيد مرتضى الفيروز آبادى: ج ١، ص ٣٠٧. الدر المنثور للسيوطى.

٤- المصدر السابق.

فضلهم عليهم السلام فى السنه النبويه

بعد أن بينا فضلهم عليهم السلام فى القرآن الكريم عن طريق مصادر أهل السنه صار من المناسب أن نقرن ذلك الذى بينا بيان ما جاء فى فضلهم عليهم السلام على لسان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعن ذات الطريق ليكون حجه لنا على غيرنا وهو كالاتى:

١ حديث الثقلين الذى يصرح بفضل أهل البيت عليهم السلام ودورهم فى قياده الأمه ويبين حاجتها لهم كحاجتها لكتاب الله تعالى كما ورد ذلك فى سنن الترمذى:

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْدَرِ كُوفِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضَيْلٍ، قَالَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَالْأَعْمَشُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مِمَّا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعِيدَى أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخِرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا».

قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ (١).

٢ وما ذكره صاحب مستدرک الصحيحين فيه بيان أن أهل البيت عليهم السلام هم المراجع الذى ترجع إليه الأمه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وهم الذين يرفعون الاختلاف الذى يقع فيها:

(عن سليمان الأعمش قال: ثنا حبيب بن أبى ثابت، عن أبى الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجه الوداع ونزل

غدير خم أمر بدوحات فقمين، فقال:

«كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى، وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض» (١).

٣ الروايات التي تذكر أن نسب أهل البيت عليهم السلام وحسبهم فوق كل نسب وحسب وأفضل من كل نسب وحسب في الدنيا والآخرة كثيرة نذكر منها:

جاس في الجامع الصغير للسيوطي:

«كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري» (٢).

وجاء في مسند أحمد: (عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنِ الْمِسْوَرِ قَالَ: بَعَثَ حَسَنُ بْنُ حَسَنِ إِلَى الْمِسْوَرِ يَخْطُبُ بِنْتًا لَهُ قَالَ لَهُ تُوَافِينِي فِي الْعَتَمَةِ فَلَقِيَهُ فَحَمِدَ اللَّهُ الْمِسْوَرُ فَقَالَ مَا مِنْ سَبَبٍ وَلَا نَسَبٍ وَلَا صِهْرٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَسَبِكُمْ وَصِهْرِكُمْ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«فَاطِمَةُ شُجْنَةٌ مِنِّي يَبْشُطُنِي مَا بَسَطَهَا وَيَقْبِضُنِي مَا قَبَضَهَا وَإِنَّهُ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَنْسَابُ وَالْأَسْبَابُ إِلَّا نَسَبِي وَسَبَبِي».

وَتَحْتَكُ ابْنَتُهَا وَلَوْ زَوَّجْتُكَ قَبَضَهَا ذَلِكَ فَذَهَبَ عَاذِرًا لَهُ» (٣).

٤ هناك روايات متفرقة تشير إلى فضائل متعددة يقف المرء مذهولا أمامها وهي كالآتي:

١- المستدرک علی الصحیحین للنیسابوری: ج ١٠، ص ٣٧٧، ح ٤٥٥٣، وج ١١، ص ١٨، ح ٤٦٩٤، باختلاف بسيط (إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله، وأهل بيتي، وإنما لن يفترقا حتى يردا على الحوض).

٢- الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ٦٣٦١.

٣- مسند أحمد بن حنبل: ج ٣٨، ص ٣٩٢، ح ١٨١٦٧.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا أيها الناس إني فرط لكم وإنكم واردون عليّ الحوضَ حوضَ أعرص ما بين صنعاء وبصرى فيه عدد النجوم قدحان من فضه وإني سائلكم حين تردون على عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به ولا تزلوا ولا تبدلوا عترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

الطبراني ، وأبو نعيم فى الحليه ، والخطيب عن أبى الطفيل عن حذيفه بن أسيد(١).

وجاء فى مسند أحمد بن حنبل: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصِيبٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ شَدَّادِ أَبِي عَمَّارٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى وَائِلَةَ بِنِ الْأَسَدِ قَع وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَذَكَرُوا عَلِيًّا فَلَمَّا قَامُوا قَالَ لِي أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ بَلَى قَالَ أَتَيْتُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَسْأَلُهَا عَنْ عَلِيٍّ قَالَتْ:

«تَوَجَّهَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِهِ حَتَّى دَخَلَ فَأَذْنَى عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ فَأَجْلَسَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجْلَسَ حَسَيْنًا وَحَسَيْنًا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخِذِهِ ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ أَوْ قَالَ كِسَاءً ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)(٢).

وَقَالَ:

١- الجامع الكبير للسيوطى: ج ١، ص ٢٦٧٨٨، ح ٦٧٧.

٢- سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

«اللَّهُمَّ هُوَ لِأَهْلِ بَيْتِي وَأَهْلِ بَيْتِي أَحَقُّ» (١).

نكتفى بهذا المقدار لعلمنا أنه كاف لكل ذى لب، علما أن هناك فضائل لا يحيط بها أحد من الناس إلا الراسخون فى العلم.

بحث عقائدى

العدل الثانى

الحديث عن القرآن والوقوف على حقائقه وبواطنه لا يتسنى إلا للمعصوم الذى سده الله تعالى ليكون حجه على الناس، وهذا أمر لا جدال فيه كما فى القرآن الكريم من غرائب وعجائب وعلوم وحكم عبر وأمثال محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وبلاغه وبيان وفصاحه وتحدى وانتصار وغيب وشهود وأدب وأخلاق وعقائد وسنن، ولخص كل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه للقرآن عندما قال:

«ترد على أحدهم القضية فى حكم من الأحكام، فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره، فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاء بذلك عند الإمام الذى استقضاهم، فيصوب آراءهم جميعا وإلهم واحد، ونبههم واحد، وكتابهم واحد. فأمرهم الله بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه، أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول:

(مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (٢).

١- مسند أحمد بن حنبل: ج ٣٤، ص ٣٥٠، ح ١٦٣٧٤.

٢- سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

وفيه تبيان كل شيء، وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً، وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه وتعالى:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(١).

وإن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق»(٢).

ولابد أن يكون القرآن الكريم هكذا لكي يصلح أن يكون منهجاً للبشر إلى الكمال والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

ولكي نسلط الضوء على وصف القرآن الكريم لابد أن نطلع على أقوال محمد وآل محمد صلوات الله عليهم في وصف كتاب الله العظيم:

١ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قيل له: أُمَّتُكَ سَتُفْتَنُ: ما المَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ، قال:

«كِتَابُ اللَّهِ الْعَزِيزُ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، مَنْ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ»(٣).

٢ عن أمير المؤمنين عليه السلام في صفة القرآن قال:

«جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لَطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظَلَمَةٌ»(٤).

وعنه عليه السلام أيضاً:

«اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يُعْشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يَضِلُّ،

١- سورة النساء، الآية: ٨٢.

٢- نهج البلاغه، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ج ١، ص ٥٤ ٥٥، ح ١٨.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦، ح ١١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٢٥، ح ١٦٤١١.

٤- نهج البلاغه: الخطبه ١٩٨. شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٩٩. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٢٥، ح ١٦٤١٢.

والمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وما جالسَ هذا القرآنَ أحدٌ إلَّا قامَ عنهُ بزيادِهِ أو نُقصانٍ، زيادِهِ في هُدًى، أو نُقصانٍ من عَمَى» (١).

٣ عن الإمام الحسن عليه السلام قال:

«إنَّ هذا القرآنَ فيه مصابيحُ النُّورِ وشِفاءُ الصُّدُورِ، فَلْيَجْلُ جالٍ بِضَوِّهِ، ولْيَلْجِمِ الصِّفَةَ قَلْبُهُ فَإِنَّ التَّفَكِيرَ حَيَاةُ القَلْبِ البَصِيرِ كما يَمْشِي المُسْتَنِيرُ في الظُّلُماتِ بالنُّورِ» (٢).

٤ عن الإمام الصادق عليه السلام لما سُئل: ما بال القرآن لا يزدادُ على النَّشرِ والدَّرْسِ إلَّا غَضاضَةً؟ قال:

«لأنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَجْعَلْهُ لِرَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ، وَلَا لِناسٍ دُونَ ناسٍ، فَهُوَ في كُلِّ زَمَانٍ جَدِيدٌ، وَعِنْدَ كُلِّ قَوْمٍ غَضٌّ إلى يَوْمِ القِيامَةِ» (٣).

٥ عن الإمام الرضا عليه السلام في صفه القرآن قال:

«هُوَ حَبِيبُ اللهِ المَتِينِ، وَعُرْوَةُ الوُثْقَى، وَطَرِيقَةُ المَثَلِ، المُؤدِّي إلى الجَنَّةِ، والمُنْجِي مِنَ النَّارِ، لَا يَخْلُقُ على الأَزمَنِه، وَلَا يَغِثُ على الأَلْيَسَنِه، لأنَّهُ لَمْ يُجْعَلْ لِرَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ، يَلْ جُعِلَ دَلِيلَ البُرْهَانِ، والحُجَّةَ على كُلِّ إنسانٍ، لَا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (٤).

بعد أن عرفنا وصف القرآن عن أهله صار تأكيد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على التمسك به هادياً ولازماً للأمة التي تبغى النجاه في الدنيا والسعادة في الآخرة.

١- نهج البلاغه: الخطبه ١٧٦. شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٨. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٢٥ ٣٣٢٦، ح ١٦٤١٣.

٢- كشف الغمّة: ج ٢، ص ١٩٩. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٢٩ ٣٣٣٠، ح ١٦٤٣٨.

٣- بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ١٥، ح ٨ و ٩. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٢٨، ح ١٦٤٣٥.

٤- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ١٣٠، ح ٩. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٢٩، ح ١٦٤٣٦.

ولكى نصل إلى معرفه من له القدره على فهم القرآن الكريم لابد أن نقف على حقيقتهم:

١ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«ما أنزل الله عزَّ وجلَّ آيَةً إِلَّا لَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَكُلُّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَكُلُّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ» (١).

٢ عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال:

«كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الْعِبَارَةِ، وَالْإِشَارَةِ، وَاللِّطَائِفِ، وَالْحَقَائِقِ، فَالْعِبَارَةُ لِلْعَوَامِّ، وَالْإِشَارَةُ لِلْخَوَاصِّ، وَاللِّطَائِفُ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَالْحَقَائِقُ لِلْأَنْبِيَاءِ» (٢).

٣ عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْنَاً، وَلِلْبَطْنِ بَطْنَاً، وَلَهُ ظَهْرٌ، وَلِلظَّهْرِ ظَهْرٌ... وَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، إِنَّ الْآيَةَ لَتَكُونُ أَوَّلَهَا فِي شَيْءٍ وَآخِرُهَا فِي شَيْءٍ، وَهُوَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ يَنْصَرِفُ عَلَى وُجُوهِ» (٣).

وبعد معرفه حقيقته اتضح لنا نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله الطاهرين عليهم السلام عن تفسير القرآن الكريم بالفهم الخاص والرأى والجهل كما فى قولهم (صلوات الله عليهم).

١ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: مَا آمَنَ بِي مَنْ فَسَّرَ بِرَأْيِهِ كَلَامِي» (٤).

١- كنز العمال: ٢٤٦١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٤٩، ح ١٦٥٧٠.

٢- بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ٢٠، ح ١٨. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٤٩، ح ١٦٥٧١.

٣- بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ٩٥، ح ٤٨. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٤٩، ح ١٦٥٧٢.

٤- بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ١٠٧، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٤٩، ح ١٦٥٧٥.

٢ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بَعْضَ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعْهُ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١).

٣ عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ» (٢).

٤ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَكْثَرُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي رَجُلٌ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ يَضَعُهُ عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهِ» (٣).

٥ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ لَمْ يُؤْجِزْ، وَإِنْ أَخْطَأَ كَانَ إِثْمُهُ عَلَيْهِ» (٤).

٦ قال الإمام الباقر عليه السلام لِقَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ:

«يَا قَتَادَةُ، أَنْتَ فَقِيهُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ؟».

فقال: هَكَذَا يَزْعُمُونَ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«بَلَّغْنِي أَنَّكَ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ».

قَالَ لَهُ قَتَادَةُ: نَعَمْ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«يَعْلَمُ تَفْسِيرَهُ أَمْ بِجَهْلٍ؟».

قال: لا، يَعْلَمُ إِلَى أَنْ قَالَ:

«يَا قَتَادَةُ إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوِّطَ بِهِ» (٥).

١- كنز العمال: ٢٩٥٨. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٤٩، ح ١٦٥٧٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ١١١، ح ٢٠. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٥٠، ح ١٦٥٧٨.

٣- منية المرید: ص ٣٦٩. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٥٠، ح ١٦٥٨٠.

٤- بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ١١٠، ح ١١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٤٩، ح ١٦٥٧٦.

٥- الكافي: ج ٨، ص ٣١١، ح ٤٨٥. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٥٠، ح ١٦٥٨٢.

وبما تقدم من هذه الروايات الشريفة نصل إلى أن القرآن الكريم أهلاً بينونه كما أمرهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس أولئك إلا- عتره النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يتقدمهم أبوهم أمير المؤمنين عليه السلام، وبمجرد الوقوف على قول أمير المؤمنين عليه السلام في حق القرآن الكريم يتضح صدق دعوانا أن علياً وأولاده هم القادرون على حمل القرآن الكريم وفهمه ومعرفته فيقول أمير المؤمنين:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَقْسَامٍ، كُلُّ مِنْهَا شَافٍ كَافٍ، وَهِيَ: أَمْرٌ، وَزَجْرٌ، وَتَرْغِيبٌ، وَتَرْهِيْبٌ، وَجَدَلٌ، وَمَثَلٌ، وَفَقْصٌ.

وَفِي الْقُرْآنِ نَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَمُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ، وَعَزَائِمٌ وَرُخَصٌ، وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَفَرَائِضٌ وَأَحْكَامٌ، وَمُنْقَطِعٌ وَمَعطوفٌ، وَمُنْقَطِعٌ غَيْرُ مَعطوفٍ، وَحَرْفٌ مَكَانَ حَرْفٍ.

وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ خَاصٌّ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ عَامٌّ مُحْتَمِلُ الْعُمُومِ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ وَاحِدٌ وَمَعْنَاهُ جَمْعٌ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ جَمْعٌ وَمَعْنَاهُ وَاحِدٌ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ مَاضٍ وَمَعْنَاهُ مُسْتَقْبَلٌ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ عَلَى الْحَبْرِ وَمَعْنَاهُ حِكَايَةُ عَن قَوْمٍ آخَرَ، وَمِنْهُ مَا هُوَ بَاقٍ مُحَرَّفٌ عَن جِهَتِهِ، وَمِنْهُ مَا هُوَ عَلَى خِلَافٍ تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ فِي تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ قَبْلَ تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ بَعْدَ تَنْزِيلِهِ.

وَمِنْهُ آيَاتٌ بَعْضُهَا فِي سُورَةٍ وَتَمَامُهَا فِي سُورَةٍ أُخْرَى، وَمِنْهُ آيَاتٌ نَصِيْفُهَا مَنْسُوخٌ وَنَصِيْفُهَا مَثْرُوكٌ عَلَى حَالِهِ، وَمِنْهُ آيَاتٌ مُخْتَلَفَةٌ اللَّفْظُ مُتَّفَقَةٌ الْمَعْنَى، وَمِنْهُ آيَاتٌ مُتَّفَقَةٌ اللَّفْظُ مُخْتَلَفَةٌ الْمَعْنَى، وَمِنْهُ آيَاتٌ فِيهَا رُخْصَةٌ وَإِطْلَاقٌ بَعِيدٌ الْعَزِيمَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُؤَخِّدَ بِرُخْصَةٍ كَمَا يُؤَخِّدُ بِعَزَائِمِهِ.

وَمِنْهُ رُخْصَةٌ صَاحِبِهَا فِيهَا بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ أَحَدٌ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهَا، وَمِنْهُ رُخْصَةٌ

ظَاهِرُهَا خِلَافٌ بَاطِنُهَا يُعْمَلُ بِظَاهِرِهَا عِنْدَ التَّقِيَّةِ وَلَا يُعْمَلُ بِبَاطِنِهَا مَعَ التَّقِيَّةِ، وَمِنْهُ مُخَاطَبَةُ لِقَوْمٍ وَالْمَعْنَى لِأَخْرَيْنَ، وَمِنْهُ مُخَاطَبَةُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَمَعْنَاهُ وَقَعَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَمِنْهُ لَا يُعْرَفُ تَحْرِيمُهُ إِلَّا بِتَحْلِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأَلَّفَهُ وَتَنْزِيلُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْنَى مَا أَنْزَلَ فِيهِ.

وَمِنْهُ رَدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَاحْتِجَاجٌ عَلَى جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّنَادِقَةِ وَالذَّهْرِيَّةِ وَالشَّنَوِيَّةِ وَالْقَدْرِيَّةِ وَالْمُجَبَّرَةِ وَعَبْدِهِ الْأَوْثَانَ وَعَبْدِهِ النَّيْرَانَ، وَمِنْهُ احْتِجَاجٌ عَلَى النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَمِنْهُ الرَّدُّ عَلَى الْيَهُودِ، وَمِنْهُ الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ وَأَنَّ الْكُفْرَ كَذَلِكَ، وَمِنْهُ رَدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَقَبْلَ الْقِيَامَةِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ» (١).

فالابتعاد عن أمير المؤمنين عليه السلام وعتره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في فهم القرآن الكريم يقود إلى الهلاك وهذا ما صرح به الإمام على عليه السلام لما سئل عن تفسير المحكم والمتشابه من كتاب الله عز وجل:

«أَمَّا الْمُحْكَمُ الَّذِي لَمْ يَنْسَخْهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ) (٢).

وَأَمَّا هَلَمَّكَ النَّاسُ فِي الْمُتَشَابِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقِفُوا عَلَى مَعْنَاهُ وَلَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَتَهُ، فَوَضَّعُوا لَهُ تَأْوِيلَاتٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ بِآرَائِهِمْ وَاسْتَعْنُوا بِذَلِكَ عَنْ مَسْأَلَةِ الْأَوْصِيَاءِ... .

وَأَمَّا الْمُتَشَابِهُ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ الَّذِي انْحَرَفَ مِنْهُ، مَتَّفِقُ اللَّفْظِ مُخْتَلِفُ الْمَعْنَى، مِثْلُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

١- بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٥١ ٣٣٥٢، ح ١٦٥٨٨

٢- سورة آل عمران، الآية: ٧.

(يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) (١).

فَنَسَبَ الضَّلَالَةَ إِلَى نَفْسِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَهَذَا ضَلَالُهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ بِفِعْلِهِمْ، وَنَسَبَهُ إِلَى الْكُفَّارِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَنَسَبَهُ إِلَى الْأَضْنَامِ فِي آيَةٍ أُخْرَى (٢).

ولكى نخلص إلى وجوب الابتعاد عن الضلال والهلاك علينا التمسك بعتره النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم العدل الثاني للقرآن الكريم كما جاء ذلك في حديث الثقلين الذي رواه جمع كبير من الصحابة.

وتأكيدا لصحة الحديث عند شيعة أهل البيت عليهم السلام نذكر الحديث من مصادر أهل السنه وهي كما يلي:

١ صحيح الترمذى

٢٩٨٠ عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (٣).

٢ القاموس المحيط

ومنه الحديث:

«إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي» (٤).

١- سورة المدثر، الآية: ٣١.

٢- بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١١، أنظر تمام الكلام. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٥٢ ٣٣٥٣، ح ١٦٥٨٩.

٣- صحيح الترمذى: ج ٣، ص ٢٢٧، ح ٢٩٨٠.

٤- القاموس المحيط للفيروز آبادى: ج ٣، ص ٦٣.

٣ مسند أحمد

١٠٧٠٧ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ طَلْحَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ عَنِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

إِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أَدْعَى فَأَجِيبَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِترتي كِتَابَ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِترتي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ فَانظُرُونِي بِمَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا» (١).

٤ الطبقات الكبرى لابن سعد

أخبرنا هاشم بن القاسم الكنانى، أخبرنا محمد بن طلحة عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدرى عن النبى، صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«إِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أَدْعَى فَأَجِيبَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي، كِتَابَ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِترتي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا» (٢).

٥ المعجم الكبير للطبرانى

٤٩٦٩ حدثنا محمد بن حيان المازنى حدثنا كثير بن يحيى ثنا أبو كثير بن يحيى ثنا أبو عوانه وسعيد بن عبد الكريم بن سليط الحنفى عن الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن عمرو بن واثله عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقامت ثم قال فقال:

١- مسند أحمد بن حنبل: ج ٢٢، ص ٢٥٢، ح ١٠٧٠٧.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٢، ص ١٩٤.

«كأنى قد دعيت فأجبت إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تحلفونى فيهما؟ فانهما لن يفترا حتى يردا على على الحوض».

ثم قال:

«إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن».

ثم أخذ بيد علي فقال:

«من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فقلت لزيد: أنت سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان فى الدوحات أحد إلا قد راه بعينه وسمعه بأذنيه(١).

٦ جامع الأصول

٦٧٠٨ يزيد بن حيان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، وسمعت حديثه، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، قال: يا ابن أخي، فما حدثتكم فاقبلوا، ومالا فلا تكلفوني، ثم قال:

قام رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يوما فينا خطيبا بماء يُدعى: حُما، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال:

«أما بعد، ألا- أيها الناس، إنما أنا بشر، يُوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به».

فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه، ثم قال:

«وأهل بيتي، أُذَكِّرُكُمْ الله في أهل بيتي، أُذَكِّرُكُمْ الله في أهل بيتي، (أذَكِّرُكُمْ الله في أهل بيتي)».

فقال له حصين: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نَسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نَسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمُ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

زاد في روايه «كتابُ الله، فيه الهدى والنور، مَنْ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهَدْيِ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ» (١).

٧ مسند عبد بن حميد

٢٦٧ عن يزيد بن حيان، قال: سمعت زيد بن أرقم، يقول: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه، وإنى تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به».

فحث على كتاب الله، ورغَّب فيه، ثم قال:

«وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي ثلاث مرات».

فقال حصين: يا زيد، ومن أهل بيته؟ أليست نساؤه من أهل بيته؟

قال: بلى، إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.

قال: ومن هم؟ قال: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس.

قال: كل هؤلاء حرم الصدقه؟ قال: نعم(١).

٨ الدر المنثور

وأخرج أحمد عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله عز وجل جبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي وأهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»(٢).

٩ الجامع الصغير

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أما بعد ألا- أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي».

١٠ مصنف ابن أبي شيبة

٣٠٠٨١ حدثنا زكريا قال حدثنا عطيه عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض»(٣).

١- مسند عبد بن حميد: ج ١، ص ٢٨٦، ح ٢٦٧.

٢- الدر المنثور للسيوطي: ج ٢، ص ٤٠١.

٣- مصنف ابن أبي شيبة: ج ٦، ص ١٣٣، ح ٣٠٠٨١.

١١ المستدرک علی الصحیحین

٤٥٥٣ حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم الحنظلي، ثنا أبو قلابه عبد الملك بن محمد الرقاشي، ثنا يحيى بن حماد، وحدثني أبو بكر محمد بن بالويه، وأبو بكر أحمد بن جعفر البزار قالاً: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا يحيى بن حماد، ثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادي، ثنا خلف بن سالم المخرمي، ثنا يحيى بن حماد، ثنا أبو عوانه، عن سليمان الأعمش قال: ثنا حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال:

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجه الوداع ونزل غدیر خم أمر بدوحات فقم، فقال:

«كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى، وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض» (١) (٢).

١٢ كتاب السنه

١٣٣٥ (حدثنا أبو مسعود الرازي، حدثنا زيد بن عوف، حدثنا أبو عوانه، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال:

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجه الوداع كان بغدير خم، قال:

«كأني قد دعيت فأجبت، وإني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، وإن الله مولاى، وأنا ولي المؤمنين».

١- الحوض: نهر الكوثر.

٢- المستدرک علی الصحیحین للحاكم النيسابورى: ج ١٠، ص ٣٧٧، ح ٤٥٥٣.

ثم أخذ بيد علي رضي الله عنهما، فقال:

«من كنت وليه فعلي وليه (١)».

فقال: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: ما كان في الركاب إلا قد سمعه بأذنيه ورآه بعينه.

قال الأعمش: فحدثنا عطيه، عن أبي سعيد، بمثل ذلك (٢).

١٣ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

١٤٩٦٢ (عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإني لئن يتفرقا حتى يردا على الحوض».

رواه الطبراني في الأوسط وفي إسناده رجال مختلف فيهم (٣).

الجامع الصغير بشرح المناوي

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم».

بعد موتي.

«خليفتي».

١- الولي والمولى: من المشترك اللفظي الذي يطلق على عده معان منها الرّب، والسيد والمنعم، والمعق، والناصر، والمحِب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمعق، والمنعم عليه وكل من ولي أمراً أو قام به فهو وليه ومولاه.

٢- السنه لابن أبي عاصم: ج ٤، ص ٧٢، ح ١٣٣٥.

٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: ج ٩، ص ٢٥٧، ح ١٤٩٦٢.

زاد فى روايه، أحدهما أكبر من الآخر.

«كتاب الله».

القرآن.

«جبل».

أى هو جبل.

«ممدود ما».

زائده.

«بين السماء والأرض».

قيل أراد به عهده وقيل أراد به السبب الموصل لرضاه.

«وعترتى».

بمثناه فوقيه.

«أهل بيتى».

تفصيل بعد إجمال بدلاً أو بياناً وهم أصحاب الكساء يعنى أن علمتم بالقرآن واهتديتم بهدى عترتى العلماء لم تضلوا.

«وإنهما لن يفترقا».

أى الكتاب والعتره.

«حتى يردا على الحوض».

الكوثر يوم القيامة وقيل أراد به بعترته العلماء العاملين لأنهم الذين لا يفارقون القرآن أما نحو جاهل وعالم مخلط فلا وإنما ينظر للأصل والعنصر عند التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل فكما أن كتاب الله فيه الناسخ والمنسوخ المرتفع الحكم فكذا ترتفع القدوه بالمخدولين منهم.

فيض القدير

٢٤٣١ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم».

بعد وفاتي.

«خليفتي».

زاد في روايه أحدهما أكبر من الآخر وفي روايه بدل خليفتيين ثقلين سماهما به لعظم شأنهما.

«كتاب الله».

القرآن.

«حبل».

أى هو حبل.

«ممدود ما بين السماء والأرض».

قيل أراد به عهده وقيل السبب الموصل إلى رضاه.

«وعترتي».

بمثناه فوقيه.

«أهل بيتي».

تفصيل بعد إجمال بدلا أو بيانا وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وقيل من حرمت عليه الزكاه ورجحه القرطبي يعنى إن ائتمرتم بأوامر كتابه وانتهيتم بنواهييه واهتديتم بهدى عترتى واقتديتم بسيرتهم اهتديتم فلم تضلوا.

قال القرطبي: وهذه الوصيه وهذا التأكيد العظيم يقتضى وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم وجوب الفروض

المؤكدہ التي لا عذر لأحد في التخلف

عنها هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبأنهم جزء منه فإنهم أصوله التي نشأ عنها وفروعه التي نشأوا عنه كما قال:

«فاطمه بضعه منى».

ومع ذلك فقابل بنو أميه عظيم هذه الحقوق بالمخالفة والعقوق فسفكوا من أهل البيت دماءهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم وخربوا ديارهم وجحدوا شرفهم وفضلهم واستباحوا سبهم ولعنهم فخالفوا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فى وصيته وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته فوا خجلهم إذا وقفوا بين يديه ويا فضيحتهم يوم يعرضون عليه:

«وإنهما».

أى والحال أنهما وفى روايه أن اللطيف أخبرنى أنهما.

«لن يفترقا».

أى الكتاب والعترة أى يستمرا متلازمين.

«حتى يردا على الحوض».

أى الكوثر يوم القيامة.

زاد فى روايه كهاتين وأشار بأصبعيه وفى هذا مع قوله أولا إنى تارك فيكم تلويح بل تصريح بأنهما كتوأمين خلفهما ووصى أمته بحسن معاملتهما وإيثار حقهما على أنفسهما واستمساك بهما فى الدين أما الكتاب فلأنه معدن العلوم الدينيه والأسرار والحكم الشرعيه وكنوز الحقائق وخفايا الدقائق وأما العترة فلأن العنصر إذا طاب أعان على فهم الدين فطيب العنصر يؤدى إلى حسن الأخلاق ومحاسنها تؤدى إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته(١).

رواه حديث الثقلين (الصحابه)

- ١ أمير المؤمنين عليه السلام.
- ٢ الحسن السبط عليه السلام.
- ٣ أبو ذر الغفارى.
- ٤ سلمان الفارسى.
- ٥ جابر بن عبد الله الأنصارى.
- ٦ أبو الهيثم بن التيهان.
- ٧ حذيفه بن اليمان.
- ٨ حذيفه بن أسيد.
- ٩ أبو سعيد الخدرى.
- ١٠ خزيمه بن ثابت.
- ١١ عبد الرحمن بن عون.
- ١٢ طلحه.
- ١٣ أبو هريره.
- ١٤ سعد بن أبى وقاص.
- ١٥ أبو أيوب الأنصارى.
- ١٦ عمرو بن العاص.
- ١٧ فاطمه الزهراء عليها السلام.
- ١٨ أم سلمه أم المؤمنين.

١٩ زید بن ثابت.

٢٠ أم هانئ بنت أبي طالب.

رواه حديث الثقلين (التابعين)

- ١ سعيد بن مسروق الثوري.
- ٢ سليمان بن مهران الأعمش.
- ٣ محمد بن إسحاق، صاحب السيره.
- ٤ محمد بن سعد، صاحب الطبقات.
- ٥ أبو بكر بن أبي شيبة، صاحب المصنف.
- ٦ ابن راهويه، صاحب المسند.
- ٧ أحمد بن حنبل، صاحب المسند.
- ٨ عبد بن حميد، صاحب المسند.
- ٩ مسلم بن الحجاج، صاحب الصحيح.
- ١٠ ابن ماجه القزويني، صاحب السنن.
- ١١ أبو داود السجستاني، صاحب السنن.
- ١٢ الترمذي، صاحب السنن.
- ١٣ ابن أبي عاصم، صاحب كتاب السنه.
- ١٤ أبو بكر البزاز، صاحب المسند.
- ١٥ النسائي، صاحب السنن.
- ١٦ أبو يعلى الموصلي، صاحب المسند.
- ١٧ محمد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ والتفسير.
- ١٨ أبو القاسم الطبراني، صاحب المعاجم.

- ١٩ أبو الحسن الدارقطني البغدادي.
- ٢٠ الحاكم النيسابوري، صاحب المستدرک.
- ٢١ أبو نعيم الإصفهاني.
- ٢٢ أبو بكر البيهقي، صاحب السنن.
- ٢٣ ابن عبد البر، صاحب الاستيعاب.
- ٢٤ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.
- ٢٥ محيي السنه البغوي، مصابيح السنه.
- ٢٦ رزين العبدري، الجمع بين الصحاح الستة.
- ٢٧ القاضي عياض، كتاب الشفاء.
- ٢٨ ابن عساكر الدمشقي، تاريخ دمشق.
- ٢٩ ابن الأثير الجزري، أسد الغابه.
- ٣٠ الفخر الرازي، التفسير الكبير.
- ٣١ الضياء المقدسي، كتاب المختاره.
- ٣٢ أبو بكر زكريا النووي، صاحب شرح صحيح مسلم.
- ٣٣ أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال.
- ٣٤ شمس الدين الذهبي، صاحب تاريخ الإسلام ميزان الاعتدال.
- ٣٥ ابن كثير الدمشقي، التاريخ والتفسير.
- ٣٦ نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد.
- ٣٧ جلال الدين السيوطي، صاحب الدر المنثور.

٣٨ شهاب الدين القسطلاني، رثا البخاري.

٣٩ شمس الدين الصالحي الدمشقي.

٤٠ ابن حجر العسقلاني.

٤١ ابن طولوان الدمشقي.

٤٢ ابن حجر المكي، صاحب الصواعق.

٤٣ صاحب كنز العمال.

٤٤ علي القاري الهروي، الأوقات في شرح المكان.

٤٥ المناوي، الجامع.

١٤٦ لجلي، السيره.

٤٧ دحلان، صاحب السيره.

٤٨ منصور على ناصف، صاحب التاج.

٤٩ النبھاني.

٥٠ المبارك، شارح صحيح الترمذي.

طاعه الشيطان

اشاره

قوله عليه السلام:

(وَأَحْذَرُكُمْ الْإِضْغَاءَ إِلَى هَتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، فَتَكُونُوا كَأَوْلِيائِهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ).

(لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ) (١).

فَتَلْقَوْنَ لِلشَّيْطَانِ ضَرْبًا، وَلِلرَّمَاكِ وَرَدًا، وَلِلْعَمِيدِ حَطْمًا، وَلِلسَّهَامِ غَرَضًا، ثُمَّ لَا يَقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا).

لا يحتاج المؤمن إلى بيان عداوة الشيطان ولا يحتاج إلى معرفه طرق النجاه منه بعد أن صرح القرآن الكريم بذلك ما فى قوله تعالى:

(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (١).

وقوله تعالى:

(قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (٢).

وقوله تعالى:

(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (٣).

ولكن لا- بأس فى التذكير بعداوه الشيطان والتحذير من حباله لاسيما إذا عرفنا أن لإبليس طرقا خفيه ومكائدا كثيرة وأفخاها متعدده يصطاد بها من يغفل عنه، ولكى نقف على تحذيرات أهل البيت عليهم السلام ونواهيهم عن اتباع الشيطان لابد من ذكر ما ورد عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين):

١ ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يبين أن الشيطان عدو لا صلح معه ولا هدنه حينما يعظ ابن مسعود يقول:

١- سورة فاطر، الآية: ٦.

٢- سورة يوسف، الآية: ٥.

٣- سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

«يا بن مسعود، اتَّخِذِ الشَّيْطَانَ عَدُوًّا؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

«إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ» (١) «(٢)».

٢ وحذر أمير المؤمنين عليه السلام من الشيطان لما له من قدره على اقتحام قلوب المؤمنين:

«اخْذَرُوا عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا» (٣).

٣ جاء عن الإمام الصادق عليه السلام ما يؤكد أن للشيطان أفاعلاً ومكائداً كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَقَدْ نَصَبَ إبليسُ حَبَائِلَهُ فِي دَارِ الْغُرُورِ، فَمَا يَقْصِدُ فِيهَا إِلَّا أَوْلِيَاءَنَا» (٤).

٤ حذر أمير المؤمنين عليه السلام من فتن الشيطان دونك من خلال بيان هذه الفتن:

«الْفِتْنُ ثَلَاثٌ: حُبُّ النِّسَاءِ وَهُوَ سَيْفُ الشَّيْطَانِ، وَشُرْبُ الخَمْرِ وَهُوَ فُخُّ الشَّيْطَانِ، وَحُبُّ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَهُوَ سَهْمُ الشَّيْطَانِ» (٥).

٥ ولشده تأثير الشيطان على الإنسان يعلمنا الإمام السجاد عليه السلام في مناجاته كيف ندعو الله تعالى لينجيننا منه كما في قوله عليه السلام:

«إِلَهِي أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوًّا يُضِلُّنِي، وَشَيْطَانًا يُغْوِينِي، قَدْ مَلَأَ بِالْوَسْوَاسِ صَدْرِي، وَأَحَاطَتْ هَوَاجِسُهُ بِقَلْبِي، يُعَاضِدُ لِي الْهَوَى، وَيُرِيِّنُ لِي حُبَّ الدُّنْيَا، وَيَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ الطَّاعَةِ وَالزُّلْفَى» (٦).

١- سورة فاطر، الآية: ٦.

٢- مكارم الأخلاق: ج ٢، ٢٣٥٤، ح ٢٦٦٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩١٩، ١٩٢٠، ح ٩٣٦٩.

٣- غرر الحكم: ٢٦٢٣. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٠، ح ٩٣٧١.

٤- تحف العقول: ص ٣٠١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٠، ح ٩٣٧٥.

٥- كنز العمال: ٣٠٨٨٣. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢١، ح ٩٣٧٦.

٦- بحار الأنوار: ج ٩٤، ص ١٤٣، ح ٢١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٠، ح ٩٣٧٢.

بعد أن عرفنا مكائد الشيطان وحبائله وفتنه صار لزاماً علينا مجاهدته هذا المخلوق الذى لا هم له إلا إيقاعنا فى معصية الله تعالى، وهذا ما أكدته الإمام الكاظم عليه السلام بقوله لَمَّا سُئِلَ عَنْ أَوْجِبِ الْأَعْدَاءِ مُجَاهِدَهُ:

«أَقْرَبُهُمْ إِلَيْكَ وَأَعْدَاهُمْ لَكَ... وَمَنْ يُحَرِّضُ أَعْدَاءَكَ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِبْلِيسُ»^(١).

فعدم الابتعاد عن الشيطان يوجب الوقوع فى معصية الله تعالى بل يوجب الوقوع فى شرك الطاعة وهذا الشرك هو أحد أنواع الشرك الذى قالت عنه الآية الكريمة:

(إِنَّ الشُّرَكَاءَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)^(٢).

ولنوضح الأمر نقول: إن الأوامر تصدر من الله تعالى أو من قبل أنبيائه ورسله وأوليائه فلذلك قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(٣).

وهذه الأوامر لا شك أنها تصب فى مصلحة الإنسان فى الدنيا وتكسبه الجنان فى الآخرة، إلا أن هناك طرفاً آخر يصدر أوامراً مخالفه للأوامر الإلهية بل يزين ويسؤل لنا لنطيعه فى هذه الأوامر ألا وهو إبليس، فإن أطعناه فى أوامره هذه وأطعنا الله تعالى فى أوامر أخرى تكون قد أشركنا فى طاعة الله تعالى أمراً آخر وخرجنا عن عنوان التوحيد فى الطاعة فلذا الحذر الحذر من الوقوع فى الشرك، وهذا لا يتم إلا من خلال مخالفته الشيطان والابتعاد عن المقدمات التى تفضى إلى معصية الله تعالى فضلاً عن نفس المعصية والتمسك بأوامر الله تعالى ونواهيها.

١- تحف العقول: ص ٣٩٩. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٠، ح ٩٣٧٠.

٢- سورة لقمان، الآية: ١٣.

٣- سورة النساء، الآية: ٥٩.

آثار طاعه الشيطان

لكل عمل أثر وضعى أو غير وضعى، وهكذا طاعه الشيطان فإن لها آثاراً وخيمه وضعيه أو غير وضعيه كما فى الزنا (على سبيل المثال) الذى يقع فيه الإنسان نتيجة وسوسه الشيطان وتزيينه للزانى والزانيه، نلاحظ أن الأثر الوضعى هو فساد الحرث والنسل والسقوط عن أعين الناس وغيرها من الآثار الوخيمه وأما الأثر الشرعى فهو الجلد لغير المحصن والرجم للمحصن وغير ذلك من الأمثله التى لها آثار وضعيه أو شرعيه أو غير ذلك.

ولكى يتضح الأمر جلياً لابد من التأمل فيما ورد عن أهل بيت الحكمة والعصمه عليهم السلام.

قبل أن أشير إلى آثار طاعه الشيطان التى وردت فى الروايات أريد أن أخص ذلك فى هذه العبارة المستقاه من الآيات والروايات الأ- وهى (أن طاعه الشيطان توجب سخط الرحمن ودخول النيران فى الآخره، وضنك العيش وعدم راحه القلب والشقاء فى الدنيا) وباختصار أكثر (طاعه الشيطان شقاء الدنيا والآخره) ولكى نؤكد هذا المعنى لا بأس بالاطلاع على الآيات والروايات التى أشارت إليه وهى كما يلى:

١ قوله تعالى:

(يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (١).

يبين لنا ما حصل لأبويننا رغم أنهما لم يطيعوه فى معصيه، إذ إنهما خالفا الأمر الإرشادى الذى أمرهما الله تعالى به إلا أن طاعه الشيطان أخرجتهما عن الجنة وما فيها

من روح وريحان إلى دنيا الألم والعذاب والكد والتعب.

٢ قوله تعالى:

(وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ
السَّعِيرِ) (١).

يوضح أن اتباع الشيطان يوصل إلى الضلال بل الهلاك في عذاب جهنم في الدنيا والآخرة.

٣ قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَمَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتَهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٢).

يؤكد على أن الشيطان لا يريد للإنسان إلا أن يعيش قبيحا نجسا بعيداً عن كل ألوان الطهارة والحسن والجمال.

٤ قوله تعالى:

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (٣).

تشير هذه الآية الكريمة إلى خذلان الشيطان للإنسان الذي وقع في إغرائه، وتصرح بأن طاعته قد تؤدي إلى الخروج عن الدين في بعض الأحيان.

١- سورة الحج، الآيتان: ٣ و ٤.

٢- سورة النور، الآية: ٢١.

٣- سورة الحشر، الآية: ١٦.

٥ طاعه الشيطان توجب الوقوع فى الزلل والخوض فى الباطل، بل تلغى شخصيه المؤمن ويحل إبليس بدلا عنها فى أفعالها وأقوالها وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام فى ذمّ أتباع الشيطان:

«اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لَأْمَرِهِمْ مَلَكَاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً، فَابْضَ وَفَرَّخَ فى صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فى حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَزَكَبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الخَطَلَ، فِعْمَلٌ مَّنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فى سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ!» (١).

٦ طاعه إبليس توجب الوقوع فى الجرائم والكبائر حتى تصل إلى درجة الكفر كما فى قول الإمام على عليه السلام:

«إِنَّ رَجُلًا- كَانَ يَتَعَبَّدُ فى صَوْمِيعِهِ، وَإِنَّ امْرَأَةً كَانَ لَهَا إِخْوَةٌ فَعَرَضَ لَهَا شَيْءٌ فَأَتَتْهُ بِهَا، فَزَيَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: أَقْتُلْهَا فَإِنَّهُمْ إِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكَ أَفْتَضَّ حَتَّى، فَقَتَلَهَا وَدَفَنَهَا، فَجَاوَوْهُ فَأَخَذُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: إِنِّى أَنَا الذِّى زَيَّنْتُ لَكَ فَاسْجُدْ لى سَجْدَةً أَنْجِيكَ، فَسَجَدَ لَهُ، فَذَلِكُ قَوْلُهُ:

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (٢)» (٣).

٧ طاعه إبليس توجب الاتصاف بكل رذيله كالتكبر والحسد والبغى كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

١- نهج البلاغه: الخطبه ٧. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٢، ح ٩٣٨١.

٢- سوره الحشر، الآيه: ١٦.

٣- الدر المنثور: ج ٨، ص ١١٦. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٢، ١٩٢٣، ح ٩٣٨٣.

«يَقُولُ إِبْلِيسُ لِحُنُودِهِ: أَلْقُوا بَيْنَهُمُ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ؛ فَإِنَّهُمَا يَغْدِلَانِ عِنْدَ اللَّهِ الشُّرُكَ» (١).

٨ أخطر ما يقع فيه الإنسان بعد طاعته للشيطان هو نسيان ربه ثم الوقوع في الخسران المبين كما في قوله تعالى:

(اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (٢).

٩ اتباع الشيطان يوجب ضروره التابع من أوليائه وحزبه فينالهم الخوف كما في قوله تعالى:

(إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٣).

أَسْأَلُهُ مَهْمَهُ

السؤال: ما مقدار حدود سلطه الشيطان على الإنسان؟

الجواب: ليس للشيطان سلطه أكثر من التزيين والتسويل والوسوسه والنزغ، أى لا يجبر الإنسان على ارتكاب المعاصى ولا يسلبه الاختيار فى الأفعال وهذا ما جاء فى لسان الآيات والأحاديث التاليه:

١ آيه تشير إلى النزغ أى الإغراء بين الناس وحمل بعضهم على بعض كما فى قوله تعالى:

(وَإِذَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٤).

١- الكافي: ج ٢، ص ٣٢٧، ح ٢. ميزان الحكمه: ج ٥، ص ١٩٢٧، ح ٩٣٩٣.

٢- سوره المجادله، الآيه: ١٩.

٣- سوره آل عمران، الآيه: ١٧٥.

٤- سوره الأعراف، الآيه: ٢٠٠.

٢ آيه تشير إلى إظهار القبيح حسنا فيتصوره الإنسان نفعاً فيقع فيه كما في قوله تعالى:

(وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَزَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (١).

٣ آيه تشير إلى الوسوسة وأثرها القبيح كما في قوله تعالى:

(إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) (٢).

٤ آيه تشير إلى التسويل كما في قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ) (٣).

السؤال: ما هي الوسائل التي يتخذها الشيطان لإيقاع الإنسان في المعاصي أو الكفر؟

الجواب: الوسائل كثيرة وقد ذكر منها أمير المؤمنين عليه السلام ثلاث فتن هي بمثابة أصول الفتن ليفتن بها الإنسان فيقع في معصية الله تعالى:

«الْفِتْنُ ثَلَاثٌ: حُبُّ النِّسَاءِ وَهُوَ سَيْفُ الشَّيْطَانِ، وَشُرْبُ الخَمْرِ وَهُوَ فُحُّ الشَّيْطَانِ، وَحُبُّ الدِّينَارِ والدَّرْهَمِ وَهُوَ سَهْمُ الشَّيْطَانِ» (٤).

السؤال: ما هو ردنا على الذي يلقي باللوم على الشيطان عند وقوعه في المعصية؟

١- سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

٢- سورة طه، الآية: ١٢.

٣- سورة محمد، الآية: ٢٥.

٤- كنز العمال: ٣٠٨٨٣. ميزان الحكمه: ج ٥، ص ١٩٢١، ح ٩٣٧٦.

الجواب: إن إلقاء اللوم على الشيطان هو هروب من المسؤولية وعدم الاعتراف بالتقصير، لما تقدم من أن إبليس ليس له إلا التزيين والوسوسة دون الإجبار على الفعل كما أن الشيطان يتبرأ من فعل الإنسان السيئ ويلقى باللائمة عليه كما في قوله تعالى:

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعِدَ الْحَقُّ وَعَوَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١).

ورد أمير المؤمنين عليه السلام على من يلعن الشيطان الذي أوقعه في المعاصي بقوله:

«لَا تَسِبَّنْ إبليسَ (الشَّيْطَانَ) فِي الْعَلَنِ وَأَنْتَ صَدِيقُهُ فِي السِّرِّ» (٢).

السؤال: ما هو ردنا على من يقول أن شيطانه تغلب عليه فأوقعه في المعصية؟

الجواب: هذا تبرير يدل على التنصل من المسؤولية ودفع التقصير عن النفس حيث إن الشيطان لا قدره له على المؤمن القوى لسببين هما:

ألف. ضعف كيد الشيطان كما في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (٣).

١- سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

٢- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ٢٠، ص ٣٢٩، ح ٧٦٧.

٣- سورة النساء، الآية: ١.

باء. إن المؤمن القوى هو الذى يجاهد الشيطان فينتصر عليه، وأمّا من يضعف أمام الشيطان ويستسلم له لا يعد من المؤمنين الأقوياء (والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف) ولذلك ينصحنا الإمام الكاظم عليه السلام فى وصيته لهشام:

«فَلَهُ (أى لإبليس) فَلْتَشْتَدَّ عِدَاوَتَكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَصْبَرَ عَلَى مَجَاهَدَتِهِ لِهَلَكَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَبْرِكَ لِمَجَاهَدَتِهِ؛ فَإِنَّهُ أضعفُ مِنْكَ رُكْنًا فى قُوَّتِهِ، وَأقلُّ مِنْكَ ضَرَرًا فى كَثْرَةِ شَرِّهِ، إِذَا أَنْتَ اعْتَصَمْتَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيتَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (١).

وفى روايه عن الإمام الكاظم عليه السلام لما سُئِلَ عن أوجب الأعداء مجاهده قال:

«أَقْرَبُهُمْ إِلَيْكَ وَأَعْدَاؤُهُمْ لَكَ... وَمَنْ يُحَرِّضُ أَعْدَاءَكَ عَلَيْكَ، وَهُوَ إبليس» (٢).

السؤال: لماذا ترك الله تعالى الشيطان يعبث بعباده؟

الجواب: نعم أن هذه الدنيا هى دار امتحان واختبار ولكى يتحقق الثواب والعقاب فلا بد من فتنه يفتتن بها المؤمن لكى يستحق أحد الأمرين من الثواب أو العقاب وهذا هو عين العدل الإلهى كما فى قوله تعالى:

(وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) (٣).

السؤال: ما هى الطريقة المثلى للتخلص من فتن الشيطان؟

١- تحف العقول: ص ٤٠٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٥، ح ٩٣٨٧.

٢- تحف العقول: ص ٣٩٩. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٠، ح ٩٣٧٠.

٣- سورة سبأ، الآية: ٢١.

الجواب: الأمر واضح لكل ذى لب وهو أن الالتجاء إلى الله تعالى والتمسك بحبله والاستعاذه به خير الطرق المنجيه من الشيطان الرجيم كما فى قوله تعالى:

(وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) (١).

وقوله تعالى:

(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (٢).

وقوله تعالى:

(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنَّى وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِىْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (٣).

وقوله تعالى:

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٤).

وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«أَحْمَدُ اللَّهِ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ (مَزَاجِرِهِ)، وَالْاِعْتِصَامُ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ» (٥).

السؤال: من هو الذى ينجو من إبليس؟

الجواب: لا ينجو منه إلا العباد الذين يخشون الله تعالى ويعبدونه كأنما يرونه وهذا ما أشار إليه قوله تعالى:

١- سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧ و٩٨.

٢- سورة النحل، الآية: ٩٨.

٣- سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

٤- سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

٥- نهج البلاغه: الخطبه ١٥١.

(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (١).

وقوله تعالى:

(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) (٢).

وهذه العباده التي يجب أن يتصف بها من يريد النجاه من إبليس بينها الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«قال إبليس: خَمْسَةٌ (أشياء) لَيْسَ لِي فِيهِنَّ حِيلَةٌ وَسَائِرُ النَّاسِ فِي قَبْضَتِي: مَنْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ عَنْ نَبِيِّ صَادِقِهِ وَاتَّكَلَّ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَمَنْ كَثُرَ تَسْبِيحُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَمَنْ رَضِيَ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ بِمَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجْزَعْ عَلَى الْمُصِيبَةِ حِينَ تُصِيبُهُ، وَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ وَلَمْ يَهْتَمَّ لِرِزْقِهِ» (٣).

وكما أشار الإمام الباقر عليه السلام إلى ضروره الخوف من الله تعالى خوفا حقيقيا بقوله:

«تَحَرَّزْ مِنْ إِبْلِيسَ بِالْخَوْفِ الصَّادِقِ» (٤).

وهناك طريقه سهله يتبعها العبد ليسلم من براثن إبليس أشار إليها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«أَكْثَرُ الدُّعَاءِ تَسْلَمُ مِنْ سَوْرَةِ الشَّيْطَانِ» (٥).

السؤال: إذا لم يكن لإبليس سلطاناً على الذين آمنوا كما تصرح به الآية الكريمة:

١- سورة النحل، الآية: ٩٩.

٢- سورة الحجر، الآية: ٤٢.

٣- الخصال: ص ٢٨٥، ح ٣٧. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٨، ح ٩٤٠١.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٦٤، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٨، ح ٩٤٠٢.

٥- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٩، ح ٦٤. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٨، ح ٩٤٠٣.

إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (١).

كيف نفسر تعرض بعض المؤمنين لأضرار إبليس؟

الجواب:

إن سلطه إبليس محصوره بالجانب المادى أى لا يستطيع أن يلحق الضرر إلا بالجانب الماديه من الإنسان دون الجنبه المعنويه، أى أن دينه وعقائده مصونه من قبل الله سبحانه وتعالى وهذا ما يصرح به الإمام الصادق عليه السلام:

«يُسَلِّطُ وَاللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ عَلَى بَدَنِهِ وَلَا يُسَلِّطُ عَلَى دِينِهِ، قَدْ سُلِّطَ عَلَى أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَوَّهَ خَلْقَهُ وَلَمْ يُسَلِّطْ عَلَى دِينِهِ» (٢).

وقفه تأمل

أمرنا الله سبحانه أن نتدبر القرآن الكريم لكى نقف على روائعه الأديبه وحقائقه العلميه وبواطنه وأسراره الغيبيه، وبما أننا غير معصومين من الخطأ أو الاشتباه لابد أن نستعين بمن هو معصوم من ذلك لكى يدلنا على ما هو صائب وصحيح، ولذا عند تأملنا وتدبرنا لقوله تعالى:

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٣).

لابد أن نستعين بقول الإمام الصادق عليه السلام لنقف على حدود سلطان الشيطان على الإنسان فيقول الإمام عليه السلام:

«يُسَلِّطُ وَاللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ عَلَى بَدَنِهِ وَلَا يُسَلِّطُ عَلَى دِينِهِ، قَدْ سُلِّطَ عَلَى أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَوَّهَ خَلْقَهُ وَلَمْ يُسَلِّطْ عَلَى دِينِهِ».

١- سورة النحل، الآية: ٩٩.

٢- الكافي: ج ٨، ص ٢٨٨، ح ٤٣٣. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٩، ح ٩٤٠٥.

٣- سورة الحجر، الآية: ٤٢.

وبعد معرفه حدود سلطه الشيطان يتضح لنا أن الشيطان لا يتسلط إلا على الجانب المادى للمؤمن بإذن الله تعالى لحكمه يريدھا سبحانه، وأما الجانب المعنوى لا يصل إليه إبليس.

فلذا أقول:... الخ.

إن العباد على رتب متفاوتة فى العبودية فمنهم من هو خطأ ومنهم من هو معصوم، والمعصومون فضل بعضهم على بعض كما فى قوله تعالى:

(وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) (١).

فلا سلطه لإبليس على المعصومين مطلقا، كما لا سلطه له إلا على بعض العباد الذين اتبعوه باختيارهم، فزاد فى غوايتهم بتسلطه عليهم فصاروا أتباعا له بل صار بعضهم من جنده الذين يستخدمهم لإغواء الناس، وهناك شرح مفصل موكول إلى كتب التفسير فراجع.

ص: ٣٤١

الخطبه السابعه

اشاره

وفيها يصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويوبخ معاوية، ويستنكر عليه ظلمه، ويدحض أباطيله، ويحذره سوء منقلبه.

نص الخطبه

اشاره

(أما بعد، يا معاوية! فلن يؤدّي الفائل وإن أطنب في صمّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جميع أجزاء، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعيد رسول الله من إيجاز الصفه والتكبر عن استبلاغ البيعه، وهيهات هيهات يا معاوية! فصح الصبح فحمة الدجى وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجهفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بيدلت لى حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظّه الأوفر، ونصيبه الأكمّل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسيته لأمه محمد، تريد أن توهم الناس فى يزيد، كأنك تصف محبوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتوت به بعلم خاص وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرايه الكلاب المهارشه عند

التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول.

فما أغناك أن تلقى الله جور هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية، فوالله ما برحت تُقدّر باطلاً في جور، وحقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم متهود، ولات حين مناص، ورأيتك عرضت بنا بعيد هذا الأمر، ومنعنا عن آباءنا، ولقد لعمر الله أورثنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولادة، وجئت لنا بما حججتم به القائم عند موت الرسول، فأدعن للحجج بذلك، وردة الإيمان إلى النصف، فركبتم الأعاليل، وفعلتم الأفاعيل، وقلتم: كان ويكون، حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولى الأبصار، وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأميره له، وقد كان ذلك، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصيحه الرسول وبيعته له، وما صار لعمرو يومئذ حتى أنف القوم امرته، وكرهوا تقديمه، وعيدوا عليه أفعاله فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري.

فكيف تحتحج بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكاد الأحوال وأولها بالمجمع عليه من الصواب؟ أم كيف صاحبت بصاحب تابع وحولك من لا يؤمن في صحبته، ولا يعتمد في دينه وقرايته، وتتخطأهم إلى مسرف مفتون، تريد أن تلبس الناس شبهه يسعد بها الباقي في دنياه، وتشقى بها في آخرتك، إن هذا لهو الخسران المبين، وأستغفر الله لي ولكم).

المعنى العام

(أما بعد، يا معاوية! فلن يؤدى القائل وإن أطنب في صفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جميع أجزاء، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعيد رسول الله من إيجاز الصفه والتكبر عن استبلاغ البيعه، وهيئات هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى وبهرت الشمس أنوار الشرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجهفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بيدلت لمدى حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظهُ الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسيته لأمه محمد، تريد أن توهم الناس فى يزيد، كأنك تصف محبوباً، أو تتعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استئثاره الكلاب المهارشه عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهى، تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول).

أما بعد: أمر يقال فى الخطبه.

يا معاوية: اسم لكلبه عوت، فلن يوصل الواصف وإن بالغ وأكثر فى نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جزءاً من صفاته، وقد علمت وعرفت ما سترت به يزيد من اختصار النعت والتنى عن إيصال البيعه، هيئات هيهات يا معاوية، كشف الصبح سواد الليل وظلمته، وأضاءت الشمس أنوار المصابيح، ولقد رجحت حتى جاوزت الحد، وخصصت نفسك دون غيرك حتى أوقعت الضرر الشديد يغيرك، وحرمت حتى حرصت أن لا تنفق، وظلمت حتى تعديت الحدود، وما أعطيت لصاحب حق حقه وحصته حتى أخذ الشيطان نصيبه الأكبر، وحصته الأكثر وعرفت ما ذكرته

عن يزيد من كماله وقابليته وإدارته وتدييره لأمه محمد، تريد أن تشبه على الناس في يزيد، كأنك تنعت شخصا غير ظاهر، أو تصف غير حاضر، أو تخبر عن شخص أحطته بعلم خاص وقد أظهر يزيد من نفسه على مكانه عقله وقوه رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من تتبعه الكلاب المقاتله عند التهييج، والحمام التي تسابق مثيلاتها، والجواري ذوات الدفوف والطبول وأنواع اللهب، تجده جديراً بذلك، واترك محاوله تجميله وإظهاره بالمظهر اللائق للخلافه.

(فَمَا أَغْنَاكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ جَوْرَ هَذَا الْخُلُقِ بِأَكْثَرِ مِمَّا أَنْتَ لَاقِيهِ، فَوَ اللَّهُ مَا بَرِحْتَ تُصَدِّرُ بَاطِلًا فِي جَوْرٍ، وَحَقًّا فِي ظُلْمٍ، حَتَّى مَلَأْتَ الْأَسْقِيَةَ، وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا غَمُضَةٌ، فَتَقْدِمَ عَلَى عَمَلٍ مَحْفُوظٍ فِي يَوْمٍ مَسِيٍّ مُهُودٍ، وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ، وَرَأَيْتُكَ عَرَضْتَ بِنَا بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ، وَمَنْعَتْنَا عَنْ آبَائِنَا، وَلَقَدْ لَعَمْرُ اللَّهِ أَوْرَثْنَا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وِلَادَةً، وَجِئْتَ لَنَا بِهَا مَا حَجَّجْتُمْ بِهِ الْقَائِمَ عِنْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ، فَأَذَعَنَ لِلْحُجَّةِ بِذَلِكَ، وَرَدَّهَ الْإِيمَانَ إِلَى النُّصْفِ، فَرَكِبْتُمْ الْأَعَالِيلَ، وَفَعَلْتُمْ الْأَفَاعِيلَ، وَقُلْتُمْ: كَانَ وَيَكُونُ، حَتَّى أَتَاكَ الْأَمْرُ يَا مُعَاوِيَةَ مِنْ طَرِيقٍ كَانَ قَصْدُهَا لِعَيْرِكَ، فَهَنَّاكَ فَاعْتَبِرُوا يَا أَوْلَى الْأَبْصَارِ، وَذَكَرْتَ قِيَادَةَ الرَّجُلِ الْقَوْمَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَيِّمَ وَتَأْمِيرَهُ لَهُ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلِعَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ يَوْمَئِذٍ فَضِيلَةٌ بِضِيحِهِ الرَّسُولِ وَيَبْعَثُهُ لَهُ، وَمَا صَارَ لِعَمْرٍو يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَنْفَ الْقَوْمِ إِمْرَتَهُ، وَكَرَهُوا تَقْدِيمَهُ، وَعِيدُوا عَلَيْهِ أفعالَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَيِّمَ: لَا جَرَمَ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَا يَعْمَلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ غَيْرِي).

وَأنت غنى عن أن تلقى الله تعالى بظلم هذه الأمة أكثر مما أنت فيه من الظلم، فيقسم الإمام عليه السلام بالله تعالى ويقول إنك ظللت تُهَيء ما هو غير صحيح أصلا في ميل عن العدل، وغيظا شديدا في ظلم، حتى ملأت آواني السقى كناية عن أكل

الحرام، وما يفصلك عن الموت إلا انطباق الجفن، فتأتى يوم القيامة مع عملك المحفوظ والموثق، ولا ملجأ ولا مفر حينئذ من قباحه الأعمال، ويخاطب الإمام عليه السلام معاويه قائلاً: إنك ظهرت بنا أى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماذا قال؟ ومع ذلك حجبنا عن وراثه أبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى نسبنا إليه ولاده فسمانا أبنيه.

صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

لا- يمكن للقلم أن يوصف كمال وجمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يمكن للعقل أن يدرك مقام ورتبه من كان قاب قوسين أو أدنى من ربه، لقد وصفه القرآن الكريم بصفه لا يحاط بها ولا يجدها أحد فقال عز من قائل:

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (١).

إلا أننا لا نستغنى عن ذكر كمال وجمال وجلال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خلال ذكر ما ورد فى حقه من الآيات الكريمه والروايات الشريفه وباختصار شديد لما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حضور وظهور ووضوح وبيان:

الآيات الكريمه

١- أیه كريمه تؤكد أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو سفير الله تعالى وواسطه فيضه كما فى قوله تعالى:

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ

الرَّزَّاعَ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا(١).

٢ آية أخرى تبين صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم التي فضل بها على غيره من البشر كما فى قوله تعالى:

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)(٢).

٣ آية ثالثة ترشد إلى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ليس إلهًا، بل هو بشر ركب فيه الغرائز والشهوات والعقل والروح إلا أنه رسمى وارتفع حتى صار حبيبا لربه وخليلا لخالقه عز وجل كما ورد ذلك فى قوله تعالى:

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنْمِا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)(٣).

٤ آية رابعة تشير إلى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم له من المؤهلات بما جعله شاهداً على الناس مطلعاً على أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، ثم مارس دوراً آخرأً ألا وهو دور من يدخل السرور على قلب البشر ودور من يزرع الخوف فى ذلك القلب فقالت الآية:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)(٤).

٥ آية خامسة دلت وأيدت على أن هذا الوجود المقدس الذى اسمه (محمد)

١- سورة الفتح، الآية: ٢٩.

٢- سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

٣- سورة الكهف، الآية: ١١٠.

٤- سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

صلى الله عليه وآله وسلم هو الداعى بالحق إلى الله تعالى بدليل قوله (بإذنه) وهو النور الذى يستعان به فى ظلمات الجهل والشرك والكفر فقالت:

(وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) (١).

وهناك آيات كثيرة لا يسمح المقام بذكرها.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصف نفسه

١ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

أنا أشبهه الناس بآدم، وإبراهيم أشبهه الناس بى خلقه وخلقه، وسيمانى الله من فوق عرشه عشرة أسماء، ويين الله وصى، وبشرنى على لسان كل رسول بعثه الله إلى قومه، وسيمانى ونشر فى التوراه اسمى، وبث ذكرى فى أهل التوراه والإنجيل، وعلمنى كتابه، وزفغنى فى سيمائه، وشق لى اسماً من أسمائه، فسيمانى مُحَمَّدًا وهو مُحَمَّدٌ، وأخرجنى فى خير قرن من أمتى، وجعل اسمى فى التوراه أحياناً (٢)، فبالتوحيد حرّم أجساد أمتى على النار.

وسيمانى فى الإنجيل أحمد، فأنا مُحَمَّدٌ فى أهل السماء، وجعل أمتى الحامدين، وجعل اسمى فى الزبور ماحى، محا الله عز وجل بى من الأرض عبادة الأوثان، وجعل اسمى فى القرآن مُحَمَّدًا، فأنا مُحَمَّدٌ فى جميع القيامة (٣) فى فصل القضاء، لا يشفع أحد غيرى.

١- سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.

٢- قال شارح الشفاء للقاضى عياض: أحياناً بضم الهمزة، وفتح المهملة، وسكون التحتية، فдал مهملة، وقيل: بفتح الهمزة، وسكون المهملة، وفتح التحتية، قال: سُميت أحياناً لأنى أحياناً بأمتى عن نار جهنم، أى أعدل بهم، انتهى. بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٩٣، ح ٢٧.

٣- فى معانى الأخبار: ص ٥٠، ح ١، جميع أهل القيامة.

وَسَمَّانِي فِي الْقِيَامَةِ حَاشِرًا، يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَسَمَّانِي الْمَوْقِفَ، أَوْقِفُ النَّاسَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسَمَّانِي الْعَاقِبَ، أَنَا عَقِبُ النَّبِيِّينَ لَيْسَ بَعْدِي رَسُولٌ، وَجَعَلَنِي رَسُولَ الرَّحْمَةِ وَرَسُولَ التَّوْبَةِ وَرَسُولَ الْمَلَاحِمِ وَالْمُقْتَفَى (١)، قَفِيْتُ النَّبِيِّينَ جَمَاعَةً، وَأَنَا الْمُقِيمُ الْكَامِلُ الْجَامِعُ.

وَمَنْ عَلَى رَبِّي وَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ أَرْسَلْتُ كُلَّ رَسُولٍ إِلَى أُمَّتِهِ بِلِسَانِهَا، وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ مِنْ خَلْقِي، وَنَصَّيْتُكَ بِالرُّعْبِ الَّذِي لَمْ أَنْصُرْ بِهِ أَحَدًا، وَأَخْلَلْتُ لَكَ الْغَنِيمَةَ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ، وَأَعْطَيْتُكَ لَكَ وَلَا أُمَّتِكَ كَنْزًا مِنْ كُنُوزِ عَزْشَى: فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَخَاتِمَةَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَجَعَلْتُ لِمَكَ وَلَا أُمَّتِكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا مَسْجِدًا وَتُرَابَهَا طَهُورًا، وَأَعْطَيْتُ لَكَ وَلَا أُمَّتِكَ التَّكْبِيرَ، وَقَرَنْتَ ذِكْرَكَ بِذِكْرِي حَيْثِي لِأَنَّ يَذْكُرُنِي أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا ذَكَرَكَ مَعِي ذِكْرِي، فَطُوبَى لِمَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَا أُمَّتِكَ (٢).

٢ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله يهودى عن وجه تسميته بمحمد وأحمد وأبى القاسم وبشير ونذير وداع قال:

«أَمَا مُحَمَّدٌ فَإِنِّي مَحْمُودٌ فِي الْأَرْضِ، وَأَمَا أَحْمَدُ فَإِنِّي مَحْمُودٌ فِي السَّمَاءِ، وَأَمَا أَبُو الْقَاسِمِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَفْسِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قِسْمَةَ النَّارِ؛ فَمَنْ كَفَرَ بِي مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَفِي النَّارِ، وَيَفْسِمُ قِسْمَةَ الْجَنَّةِ؛ فَمَنْ آمَنَ بِي وَأَقَرَّ بِبُيُوتِي فَفِي الْجَنَّةِ.

وَأَمَا الدَّاعِي فَإِنِّي أَدْعُو النَّاسَ إِلَى دِينِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَا النَّذِيرُ فَإِنِّي أَنْذِرُ بِالنَّارِ مَنْ عَصَانِي، وَأَمَا الْبَشِيرُ فَإِنِّي أُبَشِّرُ بِالْجَنَّةِ مَنْ أَطَاعَنِي (٣).

١- فى معانى الأخبار: ص ٥٠، ح ١، المقفى.

٢- علل الشرائع: ص ١٢٧، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤١٩٨ ٤١٩٩، ح ١٩٧٤١.

٣- معانى الأخبار: ص ٥٢، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤١٩٩، ح ١٩٧٤٢.

٣ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنا أديب الله وَعَلِيٌّ أديبِي» (١).

وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هَلْ عَبَدْتَ وَتَنَا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: فَهَلْ شَرِبْتَ خَمْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ كَفَرُوا وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ» (٢).

فلا يسعني أن أعلق على ما ورد عنه في نفسه الكريمه صلى الله عليه وآله وسلم.

أمير المؤمنين عليه السلام

إشاره

وصف أمير المؤمنين أخاه صلى الله عليه وآله وسلم وصفا يدل على جمال الظاهر بقوله:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَيْضَ اللَّوْنِ مُشْرَبًا حُمْرَةً، أَدْعَجَ الْعَيْنِ، سَبَطَ الشَّعْرَ، كَثَّ اللَّحْيَةَ، سَهَلَ الْخَدَّ، ذَا وَفْرَةٍ، دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ، كَانَ عُنُقَهُ إِبْرِيْقُ فِضَّةٍ، لَهُ شَعْرٌ مِنْ لَبَّتِهِ إِلَى شُرَّتِهِ يَجْرِي كَالْقَضِيبِ، لَيْسَ فِي بَطْنِهِ وَلَا صَدْرِهِ شَعْرٌ غَيْرُهُ، شَتْنُ الْكَفِّ وَالْقَدَمِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحِدِرُ مِنْ صَيْبٍ، وَإِذَا قَامَ كَأَنَّمَا يَنْقَلِعُ مِنْ صَيْخُرٍ، إِذَا التَفَتَ، التَفَتَ جَمِيعًا، كَانَ عَرَقَهُ فِي وَجْهِهِ اللَّوْلُو، وَلِرِيحِ عَرَقِهِ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ، وَلَا بِالْعَاجِزِ وَلَا اللَّثِيمِ، لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» (٣).

١- مكارم الأخلاق: ج ١، ص ٥١، ح ١٩. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٢٢١، ح ١٩٧٨٦.

٢- كنز العمال: ٣٥٤٣٩. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٢٢٤، ح ١٩٨١٨.

٣- الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٤١٠. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٢٢٤، ح ١٩٨٢١.

ووصفه وصفا آخر يدل على كمال الباطن بقوله عليه السلام:

«طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى (أَمْضَى) مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ ذَلِكُ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبِ عُمِي، وَأَذَانِ صُمَّ، وَالسِّنِّ بِكُمْ، مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْعَقْلِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرِ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ» (١).

بعض کمالاته

١ ذكر صاحب المناقب بعضاً من کمالات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْمَبْعُوثِ مَوْصُوفًا بِعِشْرِينَ خِصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْأَنْبِيَاءِ، لَوْ انْفَرَدَ بِأَحَدٍ بِأَحَدِهَا لَدَلَّ عَلَى جَلَالِهِ، فَكَيْفَ مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ؟! كَانَ نَبِيًّا أَمِينًا، صَادِقًا، حَازِقًا، أَصِيلًا، نَبِيلًا، مَكِينًا، فَصِيحًا، نَصِيحًا، عَاقِلًا، فَاضِلًا، عَابِدًا، زَاهِدًا، سَخِيًّا، كَمِيًّا، قَانِعًا، مُتَوَاضِعًا، حَلِيمًا، رَحِيمًا، غَيُورًا، صَبُورًا، مُوَافِقًا، مُرَافِقًا، لَمْ يُخَالِطْ مُنْجَمًا وَلَا كَاهِنًا، وَلَا عَيَافًا) (٢).

٢ ذكر صاحب الطبقات الكبرى عن عائشه لما سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ:

(كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَخَابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ) (٣).

-
- ١- نهج البلاغه: الخطبه ١٠٨. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٢٢٨، ح ١٩٨٣٥. ذكر السيد عبد الله شير في كتابه (الأخلاق) ووصفا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مأخوذا من لسان الحديث فمن أراد المزيد فليراجع، ص ٢٢ ٢٥.
- ٢- المناقب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ١٢٣. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٢٤٥، ح ١٩٨٩٧.
- ٣- الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٣٦٥. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٢٤٥، ح ١٩٨٩٩.

٣ ذكر صاحب الغارات عن إبراهيم بن محمد من ولدِ علي عليه السلام قال:

(كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا نَعَتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«هُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، أَجْوَدُ النَّاسِ كَفَاً، وَأَجْرَأُ النَّاسِ صِدْرًا، وَأَصِيدُقُ النَّاسِ لَهَجَةً وَأَوْفَى النَّاسِ ذِمَّةً، وَالْيَنِيهِمُ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً، (مَنْ رَأَاهُ بَدِيهَةً هَابَةً، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعَتُهُ: لَمْ أَرَقَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ)» (١).

معاويه

(أَمَّا بَعْدُ، يَا مُعَاوِيَةَ! فَلَنْ يُؤَدِّيَ الْقَائِلُ وَإِنْ أَطْنَبَ فِي صِدْقِهِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَمِيعِ جُزْءٍ، وَقَدْ فَهَمْتُ مَا لَبَسَتْ بِهِ الْخَلْفَ بَعِيدَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ إِجْزَالِ الصَّفَةِ وَالتَّنْكَبِ عَنِ اسْتِبْلَاحِ النِّيْعَةِ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا مُعَاوِيَةَ! فَصَحَّ الصُّبْحُ فَخَمَهُ الدُّجَى وَبَهَرَتِ الشَّمْسُ أَنْوَارَ الشُّرُجِ، وَلَقَدْ فَضَّلْتَ حَتَّى أَفْرَطْتَ، وَاسْتَأْثَرْتَ حَتَّى أَجْحَفْتَ، وَمَنْعْتَ حَتَّى بَخَلْتَ، وَجُرْتَ حَتَّى جَاوَزْتَ، مَا بَيَذَلْتَ لِذِي حَقٍّ مِنْ أَتَمِّ حَقِّهِ بِنَصِيبٍ حَتَّى أَخَذَ الشَّيْطَانُ حَظَّهُ الْأَوْفَرَ، وَنَصَبِيهِ الْأَكْمَلَ، وَفَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَهُ عَنْ يَزِيدَ مِنْ اكْتِمَالِهِ وَسِيَاسَتِهِ لِأَمِّهِ مُحَمَّدٍ، تُرِيدُ أَنْ تُوْهِمَ النَّاسَ فِي يَزِيدَ، كَأَنَّكَ تَصِفُ مَحْجُوبًا، أَوْ تَنْعُتُ غَائِبًا، أَوْ تُخْبِرُ عَمَّا كَانَ مِمَّا اخْتَوَيْتَهُ بِعِلْمٍ خَاصٍّ وَقَدْ دَلَّ يَزِيدَ مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مَوْجِعِ رَأْيِهِ، فَخُذْ لِيَزِيدَ فِيمَا أَخَذَ بِهِ مِنْ اسْتِغْرَائِهِ الْكِلَابِ الْمُهَارِشَةَ عِنْدَ التَّحَارُشِ، وَالْحَمَامِ السَّبْقِ لِاتِّرَابِهِنَّ، وَالْقَيْنَاتِ ذَوَاتِ الْمَعَارِيفِ، وَضُرُوبِ الْمَلَاهِي، تَجِدُهُ نَاصِرًا، وَدَعَّ عَنْكَ مَا تُحَاوِلُ).

قبل الخوض في شخصيه معاويه لا بأس أن نشير إلى بعض العوامل المحيطه بهذه

١- الغارات: ج ١، ص ٣٦٤. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٢٤٦، ح ١٩٩٠٣.

الشخصيه التي شقت الأمه شقتين، شق بقى ثابتا مرابطا على الحق صابرا على إيذاء أصحاب الباطل، مستيقظا لألاعيبهم ومكائدهم، وشق انطلت عليه تلك الحيل والألاعيب فانساق وراء الباطل رغم وضوحه وترك الحق الذي لا ريب فيه.

ومن العوامل التي كان لها الأثر الكبير فى صنع هذه الشخصيه القبيحه ما يلى:

أولا: العامل التربوى

إشاره

ورث معاويه من أبيه أبى سفيان الحقد والعداء للإسلام الذى أطاح بعروش المشركين وسياده الجاهليه الأولى، وورث من أمه هند التحريض والدعوه إلى قتل النبى وبنى هاشم بل إلى قتل جميع المسلمين، ونشأ معاويه بين أحضان أسره رجالها جردوا سيوفهم وألبوا الرجال على قتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونساؤها حملت الحطب ودقت الدفوف للتحريض والمحاربه لنبى الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ونهجه.

ولكى نضع الأمور جليه بين يدى القارئ الكريم لابد أن نعرض بعض الصور القبيحه لأسره معاويه التي كان لها الأثر الأكبر على نشأته:

قال أبو سفيان: (يا بنى أميه تلاقفوها تلقف الكره، فو الذى يحلف به أبو سفيان ما من جنه ولا نار).

انطلق أبو سفيان إلى قبر سيد الشهداء حمزه، فركله برجله وقال: يا أبا عماره، إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيف أمس فى يد غلماننا يتلعبون به(١).

هند

يكفيها عارا أنها آكله الأكباد، والمحرضه على الإسلام.

أم جميل

هي حمالة الحطب التي لعنها القرآن الكريم وبقيت ملعونه إلى يوم يبعثون.

الحكم بن أبي العاص

يقول حويطب في حديث له مع مروان بن الحكم: (والله لقد همت بالإسلام غير مره، كل ذلك يعوقني أبوك يقول: تضع شرفك، وتدع دين آباءك لدين محدث وتصيرنا بعار).

أبو جهل

يقول:

(تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، حتى إذا تجانبا على الركب، وكنا كفرسى رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه)(١).

عتبه والوليد

قتلا بسيف الإسلام وتركنا هندا ناقمه حاقدته على الإسلام وعلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: العامل الاقتصادي

كان للعامل الاقتصادي السقيم دور في بناء شخصيه معاويه إذ كانت الحياه الاقتصاديه قائمه على الربا والغزو الاستغلال، فللربا دور كبير في سياده بعض الأسر القرشيه والتي منها أسره معاويه.

١- تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج١٣، ص١٢٥. الدر المنثور للسيوطي: ج٤، ص١٨٧.

فلذا جاء فى التاريخ (أن معاويه باع سقايه من ذهب أو فضه بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن مثل هذا، إلا مثلاً بمثل، فقال معاويه: ما أرى بمثل هذا بأساً، فاستاء أبو الدرداء من جراءته على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورده لحكم من أحكام الإسلام، فاندفع يقول: من يعذرني من معاويه أنا أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخبرني عن رأيه، لا ساكتك بأرض أنت بها، ثم ترك الشام وانصرف إلى يثرب)(١).

ثالثاً: العامل الأخلاقى

إشارة

من العوامل الرئيسيه فى تكوين شخصيه الإنسان هو العامل الأخلاقى، فلقد كانت الحياه الأخلاقيه فى العصر الجاهلى لاسيما فى مكة فى غايه السوء والابتعاد عن الطهاره والفضيله لانتشار المنكر والفحشاء وتعاطى الخمر وإباحه الزنى والعدوان والظلم وإلى غير ذلك من الفساد مما لا يخفى على أحد، وفى هذه الأجواء نشأ معاويه فى أسرته لا تتورع عن مثل هذه الأمور كما هو مشهور عن أبى سفيان فى تعاطيه الزنا مع سمييه أم زياد وغيرها بل أن هناك روايات تاريخيه تشير إلى زنا هند أم معاويه، وهذا مما لا يخفى على قارئ منصف للتاريخ(٢).

بعد هذا العرض الذى قدمناه بين يدي القارئ الكريم والذى تظهر من خلاله خسه هذه الشخصيه الفاسده التى غيرت الإسلام وشوّهت صورته الناصعه نرغب فى بيان رأى سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى لكى نزداد بصيره فى شخصيه معاويه.

١- حياه الإمام الحسن عليه السلام: ج ٢، ص ١٥٠. بحار الأنوار: ج ٣٤، ص ٣٨٣. السنن الكبرى للبيهقى: ج ٥، ص ٢٨٠.

٢- معاويه أمام محكمه الجزاء، الشيخ مهدي القريشى: ص ٢٤٣.

القول القاصم

لا يختلف اثنان في كون محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يشك امرء في أن هذا الرسول الكريم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، فقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو قول الله سبحانه وتعالى وحكمه حكم الله تعالى ومدحه وذمه هو مدح الله تعالى وذمه، ومن نال ذمًا من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لا شك في هلاكه وخلوده في نار جهنم، ولكي نقف على رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله في معاوية نطلع على ما يلي:

١ رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان مقبلاً على حمار، ومعاوية يقوده، ويزيد ابنه يسوقه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لعن الله القائد والراكب والسائق»^(١).

٢ أقبلت امرأه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرادت الترويج بمعاوية فنهاها صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك وقال لها:

«إنه صعلوك»^(٢).

٣ قال صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه:

«إنه يطلع من هذا الفج رجل يحشر على غير ملتي، فتشوق إليه المسلمون، وإذا بمعاوية قد طلع منه»^(٣).

٤ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على معاوية وابن العاص فقال:

«اللهم اركسهم في الفتنة ركساء، اللهم دعهم إلى النار دعاً»^(٤).

١- معاوية أمام محكمه الجزاء، الشيخ مهدي القرشي: ص ١٨. تاريخ الطبري: ج ١١، ص ٣٥٧.

٢- تاريخ الخميس: ج ٢، ص ٢٩٦.

٣- تاريخ الطبري: ج ١١، ص ٣٥٧.

٤- معاوية أمام محكمه الجزاء، الشيخ مهدي القرشي: ص ١٨. وقعه صفين: ص ٢٤٦. مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ٤٢١.

٥ وهناك قول مشهور للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فيه:

«إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه» (١).

إلا- أن، أهل التحريف والوضع حرّفوا الحديث إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنه مأمون أمين) ولا شك في سخافه هذا التحريف وما أسهل الرد عليهم وهو كما يلي:

ألف: إن شخصيه معاوية ومساوئها تكذب أنه أمين مأمون.

باء: محاربتة لأمر المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام تكذب هذا الحديث.

جيم: لا يوجد داع أو مناسبة لكي يمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاوية، كما أن هناك من الصحابه من هو مأمون حقا وأمين صدقا وقد خطب في الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأبي ذر أو عمار ولم يقل في حقهما شيئا من ذلك.

دال: كيف يناقض قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعضه بعضا، لقد تقدم ذم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاوية وهو ذم لا يقبل التغيير، فكيف يغير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قوله فيمتدح معاوية؟

تدليس معاوية

قول الإمام الحسين عليه السلام:

«تريد أن توهم الناس في يزيد، كأتك تصف محجوبا، أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كان مما احتوته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقراء الكلاب المهارشه عند التحارش، والحمام السبق لأثرايهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهى، تجده ناصرا، ودع

١- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٣٣، ص ١٨٧. شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد المعتزلى: ج ٤، ص ٣٢.

عَنْكَ مَا تُحَاوِلُ».

يدل دلاله صريحه على تدليس معاويه بإظهار يزيد بمظهر حسن لكي ينال بذلك رضا الناس ومن ثم ينتزع بيعتهم له، إلا أن هذا التدليس لا يرفع من مقام يزيد شيئاً لما فى يزيد من خصال قبيحه ورتائل يندى منها جبين الإنسانية وهذا ما ورد فى قول الإمام الحسين عليه السلام إذ يقول:

«وَقَدْ دَلَّ يَزِيدٌ مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مَوْجِعِ رَأْيِهِ، فَخُذْ لِيَزِيدَ فِيمَا أَخَذَ بِهِ مِنْ اسْتِثْقَائِهِ الْكِلَابَ الْمُهَارِشَةَ عِنْدَ التَّحَارُشِ، وَالْحَمَامِ السَّبْقِ لِأَثْرَابِهِنَّ، وَالْقَيْنَاتِ ذَوَاتِ الْمَعَارِفِ، وَضُرُوبِ الْمَلَاهِي، تَجِدُهُ نَاصِراً، وَدَعَّ عَنْكَ مَا تُحَاوِلُ».

يا لها من صفعه شديده على فم معاويه الذى أراد تزكيه يزيد وتزويقه، ويا له من قطع لسان لكل من تسول له نفسه أن يمتدح الفاسقين الظلمه يدلس على الناس حقيقتهم وقذارتهم.

عمرو بن العاص

أراد معاويه أن يرفع من عمرو بن العاص ويعطيه شأنًا فالتجأ إلى ذكر صحبته مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيعتهم له، إلا أن الإمام عليه السلام قطع عليه الطريق بذكر ما حصل من شكوى ضد هذا الوزغ فجاء رد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سريعاً إذ قال للأنصار:

«لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيرى».

ولكى نرفد القارئ الكريم بحقيقه عمرو بن العاص لابد أن نطلع على هذه الشخصيه الانتهازيه المتذبذبه حسب مصالحها ومنافعها من خلال هذه الصور:

١ هذه الروايه التاريخيه تبين أن عمرو بن العاص يبحث عن الدنيا وحب الظهور ولا يريد أن يكون أحد المسلمين بل يرى نفسه فوق ذلك.

(وقال جويريه بن أسماء: حدثني عبد الوهاب بن يحيى بن عبد الله بن الزبير: ثنا أشياخنا أن الفتنة وقعت، وما رجل من قريش له نباهه أعمى فيها من عمرو بن العاص، وقال: ما زال معتصماً بمكة ليس في شيء مما فيه الناس، حتى كانت وقعه الجمل، فلما فرغت بعث إلى ولديه عبد الله ومحمد، فقال: إني قد رأيت رأياً، ولستما باللذين ترداني عن رأبي، ولكن أشيرا عليّ، إني رأيت العرب صاروا عيرين يضطربان، وأنا طارح نفسي بين جداري مكة، ولست أَرْضَى بهذه المنزلة، فإلى أي الفريقين أعمد؟ قال عبد الله: إن كنت لا بد فاعلا فإلى عليّ، قال: إني إن أتيت عليّاً قال: إنما أنت رجل من المسلمين، وإن أتيت معاوية يخلطني بنفسه، ويشركني في أمره فأتي معاوية) (١).

٢ هذه الرواية فيها تصريح من عمرو بحب الدنيا والمصالح الخاصة.

(ثم إنَّ عمراً قال: يا معاوية، أحرقت كبدي بقصصك، أترى أنا خالفنا علياً لفضل منا عليه، لا والله، إن هي إلا الدنيا نتكالب عليها، وأيم الله لتقطعن لي قطعه من دنياك، أو لأنا بذنك، قال: فأعطاه مصر، يعطى أهلها عطاءهم، وما بقي فله) (٢).

٣ حوار يكشف خباثه عمرو بن العاص ودوره في فتنة عثمان.

(قال جويريه بن أسماء أن عمرواً قال لابن عباس: يا بني هاشم، أما والله لقد تقلدتم لقتل عثمان قرم الإماء العوارك، أطمعتم فساق أهل العراق في عتبه، وأجزرتموه مراق أهل مصر، وآوئتم قتلته، فقال ابن عباس: إنما تكلم لمعاوية، وإنما تكلم عن رأيك، وإن أحق الناس أن لا يتكلم في أمر عثمان لأنتما، أما أنت يا معاوية، فزينت له ما كان يصنع، حتى إذا حُصر طلب منك نصرك، فأبطأت عنه، وأحببت قتله وتربصت

١- تاريخ الإسلام، الذهبي: ج ٢، ص ٢٦٧.

٢- المصدر السابق.

به، وأتت أنت يا عمرو، فأضربت المدينة عليه، وهربت إلى فلسطين تسأل عن أبنائه، فلما أتاك قتله أضافتك عداوه علي أن لحقت بمعاوليه، فبعث دينك منه بمصر، فقال معاويه: حسبك يرحمك الله، عرضني لك عمرو، وعرض نفسه(١).

٤ تصريحه بأنه من العصاة الذين ماتوا بأوزارهم:

(قال الزهري: عن حميد بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو أن أباه قال حين احتضر: اللهم أمرت بأمر ونهيت عن أمور، تركنا كثيراً مما أمرت، ووقعنا في كثير مما نهيت)(٢).

٥ عاقبه عمرو بن العاص سيئه كبدايته وهذا ما يظهر الحوار التالي:

(قال الطحاوي: ثنا المزني: سمعت الشافعي يقول: دخل ابن عباس على عمرو بن العاص وهو مريض، فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وقد أصلحت من دنياي قليلاً، وأفسدت من ديني كثيراً، فلو كان ما أصلحت هو ما أفسدت لفزت، ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت)(٣).

٦ عمرو ينجو بكشف عورته أمام سيد أهل الحياء والمعروف أمير المؤمنين عليه السلام.

(فلما سمع عمرو شعره قال: والله لو علمت أنني أموت ألف موتة لبارزت علياً في أول ما ألقاه، فلما بارزه طعنه علي فصرعه، واتقاه عمرو بعورته، فانصرف علي عنه.

وقال علي حين بدت له عورة عمرو فصرف وجهه عنه(٤):

١- تاريخ الإسلام، الذهبي: ج ٢، ص ٢٦٨.

٢- تاريخ الإسلام، الذهبي: ج ٢، ص ٢٦٩.

٣- تاريخ الإسلام، الذهبي: ج ٢، ص ٢٦٩.

٤- وقعه صفين، نصير بن مزاحم المنقري: ص ٤٢٤.

ضربى ثبى الأبطال فى المشاغِب (١)

ضربُ الغلامِ البطلِ المُلاعِبِ

أين الضراب فى العجاجِ الثائبِ

حين احمرارِ الحدقِ الثواقِبِ

بالسيفِ فى تهتهه الكتابِ (٢)

والصبرِ فيه الحمدُ للعواقِبِ

وهناك الكثير من الصور القبيحة التى تبين شخصيه عمرو بن العاص تركناها للاختصار.

عاقبه الظالمين

اشاره

قول الإمام الحسين عليه السلام:

(فَمَا أَغْنَاكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ جَوْرَ هَذَا الْخَلْقِ بِأَكْثَرِ مِمَّا أَنْتَ لَاتِيهِ، فَوَ اللَّهُ مَا بَرِحْتَ تُقَدِّرُ بَاطِلًا فِي جَوْرِ، وَحَقًّا فِي ظُلْمٍ، حَتَّى مَلَأْتَ الْأَسْقِيَةَ، وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا عَمَضَةٌ، فَتَقْدِمَ عَلَى عَمَلٍ مَحْفُوظٍ فِي يَوْمٍ مَسِيَّهُودٍ، وَلَا تَ حِينَ مَنَاصٍ، وَرَأَيْتُكَ عَرَضْتَ بِنَا بَعِيدَ هَذَا الْأَمْرِ، وَمَنْعَتْنَا عَنْ آبَائِنَا، وَلَقَدْ لَعَمْرُ اللَّهِ أَوْرَثْنَا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وِلَادَةً، وَجِئْتَ لَنَا بِمَا حَجَجْتُمْ بِهِ الْقَائِمَ عِنْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ، فَأَذَعَنَ لِلْحُجَّةِ بِذَلِكَ، وَرَدَّهُ الْإِيمَانَ إِلَى النُّصْفِ، فَرَكِبْتُمْ الْأَعَالِيلَ، وَفَعَلْتُمْ الْأَفَاعِيلَ، وَقُلْتُمْ: كَانَ وَيَكُونُ، حَتَّى أَتَاكَ الْأَمْرُ يَا مُعَاوِيَةَ مِنْ طَرِيقٍ كَانَ قَصْدُهَا لِغَيْرِكَ، فَهَذَا فَاعْتَبِرُوا يَا أَوْلَى الْأَبْصَارِ، وَذَكَرْتَ قِيَادَةَ الرَّجُلِ الْقَوْمَ بِعَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَأْمِيرَهُ لَهُ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلِعَمْرٍو بَنِ الْعَاصِ يَوْمَئِذٍ فَضِيلَةٌ بِصِيْحْبِهِ الرَّسُولِ وَيَبْعَتِهِ لَهُ، وَمَا صَارَ لِعَمْرٍو يَوْمَئِذٍ

١- الثبه: الجماعه، والعصبه من الفرسان. وثبى: هى تبين جمع ثبه، مع الجمع الملحق بالسالم، كمزين وعضين، وحذفت النون للإضافه: وفى الأصل: (ضرب ثبا)، والوجه ما أثبت.

٢- التهتهه: مصدر قولهم تهتهه فى الشىء بالبناء للمفعول: أى ردد فيه، وقد تكون: (نهتهه) بنونين، وهو الكف والزجر.

حَتَّىٰ أَنْفَ الْقَوْمِ إِمْرَتُهُ، وَكَرَهُوا تَقْدِيمَهُ، وَعَدُّوا عَلَيْهِ أَفْعَالَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَا جَرَمَ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَا يَعْمَلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ غَيْرِي.

فَكَيْفَ تَحْتَجُّجُ بِالْمَنْسُوحِ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ فِي أَوْكَادِ الْأَحْوَالِ (الأحكام) وَأَوْلَاهَا بِالْمُجْمَعِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّوَابِ؟ أَمْ كَيْفَ صَاحَبَتْ بِصَاحِبٍ تَابِعٍ وَحَوْلُكَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ فِي ضِعْبِ حَبَّتَيْهِ، وَلَا يُعْتَمِدُ فِي دِينِهِ وَقَرَائِنِهِ، وَتَتَخَطَّاهُمْ إِلَى مُسِيرٍ مَفْتُونٍ، تُرِيدُ أَنْ تَلْبَسَ النَّاسَ شُبُهَةً يَسْعُدُ بِهَا الْبَاقِي فِي دُنْيَاهُ، وَتَشْقَى بِهَا فِي آخِرَتِكَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ).

الظلم كلمه واضحه المفهوم والمعنى نظريا وعمليا لكثره من يتعاطها ولكثره وقوعها يوميا، فلذا لا حازه لنا في بيان معناها إلا أننا لا بد أن نبين عاقبه الظلم وعاقبه الظالمين من خلال الآيات الكريمة والروايات الشريفه الآتيه:

١ قوله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَرَّاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (١).

يشير إلى أن الظالم لا ينال شيئا من هدى الله تعالى وتوفيقاته بل يبقى في عماه وغيه.

٢ قوله تعالى:

(وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (٢).

١- سورة البقره، الآيه: ٢٥٨.

٢- سورة آل عمران، الآيه: ٥٧.

يشير إلى أن الظالمين حرموا من محبه الله تعالى الذى بيده كل شىء ومنه الخير الحقيقى والفوز الصادق.

٣ قوله تعالى:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (١).

يشير بصراحه إلى عاقبه الظالمين التى هى الخسران المبين وإن كانوا بحسب الظاهر فائزين.

٤ قوله تعالى:

(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) (٢).

يشير إلى أن الظالمين فى شقاق بعيد.

٥ قوله تعالى:

(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَ كِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُصِّى الْأَمْرَ وَاسْتَوْتِ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (٣).

آثار الظلم فى الدنيا

ورد فى الروايات والأحاديث الشريفه ما يشير إلى آثار الظلم وما يحل بالظالمين فى الحياه الدنيا قبل الحياه الآخره نذكر منها ما يلى:

١ الظلم يوجب الخسران وضياع الجهد سدى لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

١- سورة الأنعام الآية: ٢١.

٢- سورة الحج، الآية: ٥٣.

٣- سورة هود، الآية: ٤٤.

«الظُّلْمُ فِي الدُّنْيَا بَوَارٌ، وَفِي الآخِرَةِ دَمَارٌ» (١).

٢ الظلم يؤدي إلى الانزلاق إلى الهاوية والوقوع في الباطل ويزيل العطاء الإلهي ويقضي على الأمم مهما كانت قويه وشديده كما في قول الإمام علي عليه السلام:

«الظُّلْمُ يُزِلُّ الْقَدَمَ، وَيَسْلُبُ النَّعْمَ وَيُهْلِكُ الْأُمَّمَ» (٢).

٣ الظلم يؤدي إلى مقت الناس وكراهيتهم ولعنتهم لأيام الظالم ولياليه كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَالظُّلْمَ؛ فَمَنْ ظَلَمَ كَرِهَتْ أَيَّامُهُ» (٣).

٤ يؤدي الظلم إلى فساد القلوب وقساوتها كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ؛ فَإِنَّهُ يُخْرِبُ قُلُوبَكُمْ» (٤).

٥ يوجب الظلم ارتفاع النعم ونزول النقم بالظالم فلا يهنأ ولا يستقر كما ورد ذلك في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامِهِ عَلَى ظُلْمٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعِيوَهُ الْمُضْطَّهِدِينَ (المُظْلَمِينَ)، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ» (٥).

٦ يؤدي إلى قصر العمر وسرعه الموت كما صرح بذلك سيد المتقين عليه السلام بقوله:

١- غرر الحكم: ١٧٠٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٤، ح ١١٣٧٤.

٢- غرر الحكم: ١٧٣٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٤، ح ١١٣٧٥.

٣- غرر الحكم: ٢٦٣٨. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٥، ح ١١٣٨٨.

٤- كنز العمال: ٧٦٣٩. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٦، ح ١١٣٩٢.

٥- نهج البلاغه: الكتاب ٥٢. غرر الحكم: ٧٥٢٣. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٦، ح ١١٣٩٥.

«مَنْ ظَلَمَ قِصَمَ عُمُرِهِ» (١).

٧ الظلم يكون مرآه عاكسه لعيوب الظالم فيفتضح عند تتبع عيوبه وهذا ما أكده الإمام على عليه السلام بقوله:

«إِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُوتِغَانِ الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلْلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ» (٢).

٨ الظلم يوجب لعنه الله تعالى للظالم فى حالات عباده الظالم على وجه الخصوص كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ: يَا أَخَا الْمُرْسَلِينَ، يَا أَخَا الْمُنْذِرِينَ، أَنْذِرْ قَوْمَكَ أَنْ لَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بِيوتِي إِلَّا بِقُلُوبِ سَلِيمَةٍ وَالسَّيِّئِينَ صَادِقَةٍ، وَأَيْدٍ نَقِيَّةٍ، وَفُرُوجٍ طَاهِرَةٍ، وَلَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بِيوتِي وَلَا أَحَدٍ مِنْ عِبَادِي عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ظُلَامَةً فَإِنِّي أَلْعَنُهُ مَا دَامَ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيَّ يُصَلِّي حَتَّى يَرُدَّ تِلْكَ الظُّلَامَةَ إِلَى أَهْلِهَا» (٣).

آثار الظلم فى الآخرة

١ إذا حشر الله تعالى عباده سيحشر منهم على نورهم وفى نورهم فيبصرون فلا يكونوا من العمى، وهناك من يحشر فى ظلمه لا يرى الحقيقه فلذا حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الظلم لأنه يؤدى إلى العمى والظلمه فقال لِرَجُلٍ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّوْرِ:

«اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّهُ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٤).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

١- غرر الحكم: ٧٩٤٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٦، ح ١١٣٩٦.

٢- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١٧، ص ١٢.

٣- كنز العمال: ٤٣٦٠٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٤٣ ٢٣٤٤، ح ١١٤٤٣.

٤- الكافى: ج ٢، ص ٣٣٢، ح ١١. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٧، ح ١١٤٠٦.

«لَا تَظْلِمُ أَحَدًا، تُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّورِ» (١).

٢ عند الحساب ووضع الموازين ونشر الصحف تظهر ثلاث حالات من الظلم، ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم يغفر وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقول:

«الدَّوَابُّ عِنْدَ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: دِيْوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيْوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيْوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، فَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَالشُّرْكُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (٢).

وَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، مِنْ صَوْمٍ يَوْمَ تَرَكَهُ، أَوْ صِيْلَةٍ تَرَكَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ» (٣).

٣ يؤكد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن ظلم الناس له عاقبه وخيمه لا يتحملها الإنسان كما جاء ذلك عنه عليه السلام بقوله:

أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَزَاءً بِالْمُدَى، وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيْطِ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْعَرُ ذَلِكَ مَعَهُ» (٤).

١- الكافي: ج ٢، ص ٣٣٢، ح ١١. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٧، ح ١١٤٠٩.

٢- سورة المائدة، الآية: ٧٢.

٣- ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٩، ح ١١٤١٤. مسند أحمد: ج ٦، ص ٢٤٠. مستدرک الحاكم: ج ٤، ص ٥٧٦.

٤- ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٩، ح ٢٣٤٠. نهج البلاغة: ج ٢، ص ٩٥. مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ١٠٤.

٤ يعيش الظالم يوم القيامة حسره شديده وندامه مره تصل إلى حد أنه يعبر عنها بفعل حسي كما ورد ذلك في قوله تعالى:

(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) (١).

وأكدّه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«للظالمِ عداءٌ يكفيه عضةً يديه» (٢).

١- سورة الفرقان، الآية: ٢٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٣٩٧، ح ١٨. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٤٤، ح ١١٤٤٦.

المحتويات

مقدمه الشعبه الدراسات والبحوث

مقدمه المؤلف

الخطبه الأولى فى التوحيد

نص الخطبه

المعنى العام

التحذير من الفكر المنحرف

الشبه بين المارقين وبين الكافرين

ما هو التشبيه؟

التشبيه محال عقلاً

التشبيه لا يصح ولا يجوز فى القرآن الكريم

التشبيه لا يجوز ولا يصح نقلاً فى السنه النبويه

هل أن الله تعالى شىء؟

السميع البصير اسمان من أسمائه تعالى

الوصفان فى القرآن الكريم

السميع

البصير

الوصفان فى حديث أهل البيت عليهم السلام

السميع

سمعه لا كسمعنا

البصير

هل هما من صفات الذات؟

ص: ٣٧٠

فى السمع

البصر

سؤال مهم

ألف

باء

لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار

امتناع الرؤيه

الآيات الكريمه

الأحاديث الشريفه

الرؤيه القليه

ما هو سبب شبهه الرؤيه؟

معنى الإدراك الإلهى

وهو اللطيف الخبير

اللطيف

الخبير

استخلص الوجدانيه والجبروت

معنى الجبروت

المشيئه والإراداه

حقيقه الإراده الإلهيه

أسئله مهمه فى الإراده

قدره الله تعالى

ألف: دليل الفطره

باء: دليل النظام فى الخلقه

جيم: قدره المخلوق دليل على قدره الخالق

أسئله فى القدره

(وهو الواحد الصمد)

معنى الواحد

معنى الصمد

التصور والتصديق

الوهميات

الخطبه الثانيه: وفيها يوصى بتقوى الله، وينذر من عقابه

نص الخطبه

المعنى العام

بحث أخلاقي

التقوى ميزان القرب الإلهي

آثار التقوى فى الدنيا

آثار التقوى فى الآخره

التقوى ضروره لابد منها

رفع التوهم

مسأله: منزله المتقين وصفاتهم

الطرق الموصله إلى التقوى

ما يمنع التقوى

أسئله مهمه

بحث أخلاقي

النصيحه علامه المحب

النصيحه لمن؟

فوائد

لا تنسى نفسك

أسئله مهمه

وقفه وتأمل

بحث عقائدى

الحياه البرزخيه

أحوال البرزخ

أسئله مهمه

تذكير

ص: ٣٧٢

الخطبه الثالثه: فى مكارم الأخلاق

نص الخطبه

المعنى العام

بحث أخلاقى

صنع المعروف

لمن يبذل المعروف؟

إشكال وتوجيه

آثار فعل المعروف

الآثار فى الآخره

فوائد

صفات أهل الفضل

الخطبه الرابعه: فى مكارم الأخلاق

نص الخطبه

بحث أخلاقى

مكارم الأخلاق شيمه المؤمنين

الخلق وعاء الدين

مكارم الأخلاق فى نظر أهل البيت عليهم السلام

نصائح

أسئله مهمه

ص: ٣٧٣

سوء الخلق فى نظر أهل البيت عليهم السلام

آثار سوء الخلق

الحلم

بحث عقائدى

غضب وحلم الله تعالى

الحلم فى نظر أهل البيت عليهم السلام

آثار الحلم

أسئله مهمه

الوفاء

سؤال مهم

وقفه

نصيحه معصوميه

الاستكبار

فوائد

السفه

أسئله مهمه

بحث عقائدى

الغلو

الإمام الحسين عليه السلام يحذر من الغلو

الشيعة براء من الغلو

سؤال مهم

بحث أخلاقي

الفسق

الفسق والفاسق في نظر أهل البيت عليهم السلام

آثار الفسق

الخطبه الخامسه: وفيها يذمّ الدّنيا ويحدّر منها

نص الخطبه

المعنى العام

بحث أخلاقي

ذم الدنيا

أسئله مهمه

نصيحه معصوميه

صور حواريه ومواعظ

الصوره الثانيه

الصوره الثالثه

الصوره الرابعه

الصوره الخامسه

بحث عقائدى

الرضا بقضاء الله تعالى

أسئله مهمه

نصيحه يجب أن تسمعها

التزود بالأعمال الصالحه

العمل مفتاح السعاده

آثار وثمرات العمل الصالح فى الدنيا

آثار العمل الصالح في الآخرة

نصائح

أسئله مهمه

نصائح ضروريه

الخطبه السادسه: وفيها يُذكَرُ بفضائل أهل البيت عليهم السلام ويأمر بتابعهم

نص الخطبه

فضل أهل البيت عليهم السلام

فضلهم في القرآن الكريم

فضلهم عليهم السلام في السنه النبويه

بحث عقائدى

العدل الثانى

١ صحيح الترمذى

٢ القاموس المحيط

٣ مسند أحمد

٤ الطبقات الكبرى لابن سعد

٥ المعجم الكبير للطبرانى

٦ جامع الأصول

٧ مسند عبد بن حميد

٨ الدر المنثور

٩ الجامع الصغير

١٠ مصنف ابن أبى شيبه

١١ المستدرک على الصحيحين

١٢ كتاب السنه

١٣ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

الجامع الصغير بشرح المناوى

فيض القدير

رواه حديث الثقلين (الصحابه)

رواه حديث الثقلين (التابعين)

طاعه الشيطان

آثار طاعه الشيطان

أسئله مهمه

وقفه تأمل

ص: ٣٧٦

الخطبه السابعه

نص الخطبه

المعنى العام

صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

الآيات الكريمه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصف نفسه

أمير المؤمنين عليه السلام

بعض كمالاته

معاويه

أولاً: العامل التربوى

هند

أم جميل

الحكم بن أبى العاص

أبو جهل

عتبه والوليد

ثانياً: العامل الاقتصادى

ثالثاً: العامل الأخلاقى

القول القاصم

تدليس معاويه

عمرو بن العاص

عاقبه الظالمين

آثار الظلم فى الدنيا

آثار الظلم فى الآخرة

الجزء الثاني

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

ومضات السبط

البعد العقائدى والأخلاقى

فى خطب الإمام الحسين عليه السلام

تأليف الشيخ على الفتلاوى

الجزء الثانى

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسه

وحده الدراسات التخصصيه فى الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

ص: ٤

الطبعه الأولى

١٤٣٣هـ ٢٠١٢م

جميع الحقوق محفوظه

للعته الحسينيه المقدسه

العراق: كربلاء المقدسه العته الحسينيه المقدسه

قسم الشؤون الفكرية والثقافية هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

ص: ٥

الخطبه الثامنه: خطبها في مكّه لما عزم على الخروج إلى العراق

اشاره

وفيها يعنى نفسه:

نص الخطبه

اشاره

(الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، حُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَحَطُّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاهِ، وَمَا أَوْلَهْنِي إِلَى أَشْيَافِي اشْتِيَاقُ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَخَيْرٌ لِي مَضِيرٌ أَنَا لِأَقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تُقَطِّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاءَ، فَيَمْلَأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشًا جَوْفَاءَ وَأَجْرِبَةً سَيْغَبِي، لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ حُطَّ بِالْقَلَمِ، رَضِيَ اللَّهُ رِضَانًا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلَائِهِ وَيُؤَفِّقُنَا أَجْرَ الصَّابِرِينَ، لَنْ تَشِدَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لُحْمَتُهُ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ، تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ وَيُنْجِزُ بِهِمْ وَعْدَهُ، مَنْ كَانَ بَاذِلًا فِينَا مُهْجَتُهُ، وَمَوْطِنًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسُهُ، فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

المعنى العام

الثناء لله تعالى والشكر كما يريد هو سبحانه، ولا طاقه ولا قدره إلا بالله تعالى، وترحم الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، رسم علامه أى أن الموت فرض على بنى آدم كما ثبت أثر القلاده على عنق الفتاه، إشاره إلى حتميه الموت، وما أشوقنى وأشد حنيننا إلى آبائى ومن تقدمنى منهم، وشوقى هذا شوق وحنين النبى

يعقوب لولده يوسف عليهما السلام، وانتقى لى مقتل أنا لاقية باختياري، وإني أعلم أن عظامى ومفاصلى وأجزائى تقطعها الذئاب التى تسكن الصحارى المقفره بين النواويس وكربلاء، فيملأن منى بطونا خاليه وأوعيه جائعه تعب من الجوع، لا فرصه ولا مفر عن يوم كتب بالقلم، قبول الله تعالى متوقف على رضانا أهل البيت عليهم السلام، نتحمل اختبار الله تعالى وامتحانه لنا فيعطينا أجر الصابرين، لن تنفرد ولن تخالف قرابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهى معه فى جنه الخلد يفرح بها، ثم يخاطب الناس فيقول من وطن نفسه على أن وجود بنفسه ودمه ليلقى الله تعالى فليأت معنا فإننى مسافر فى الصباح إن شاء الله.

بحث عقائدى أخلاقى

حتميه الموت ووصفه

قوله عليه السلام:

«حُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطِّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاهِ... الخ».

الموت: هو مفارقة الروح البدن فيبقى الإنسان جثه هامده وهو أمر حتمى لا مفر منه كما فى قوله تعالى:

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (١).

وأكد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بأقواله:

«لِكُلِّ حَيٍّ مَوْتُ» (٢).

١- سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

٢- غرر الحكم: ٧٢٨٦. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩٠٦، ح ١٩٠٥٣.

وقال عليه السلام:

«الْمَوْتُ أَوَّلُ عَذَلِ الْآخِرَةِ» (١).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث:

«بِالْمَوْتِ تُحْتَمُّ الدُّنْيَا» (٢).

وعنه عليه السلام:

«الْمَوْتُ بَابُ الْآخِرَةِ» (٣).

وبعد أن صرحت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بحقيقة الموت وكونه أمراً لا شك فيه ولا مفر منه لا يسعنى إلا أن أعرض المراحل التى يمر بها الإنسان حتى يصل إلى نهايه خروج الروح، فأقول:

ذكرت الآيات الكريمة أن الذى يتوفى الأنفس هو ملك ياذن الله تعالى وأمره كما فى قوله تعالى:

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (٤).

وهذه الآية تشير إلى ملك الموت عزرائيل فى حين أن هناك آيات أخرى تشير إلى أن الذى يتوفى هم مجموعه من الملائكة كما فى قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥).

١- غرر الحكم: ١٤٣٥. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩٠٦، ح ١٩٠٥٤.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ١٥٦. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩٠٦، ح ١٩٠٥٥.

٣- غرر الحكم: ٣١٩. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩٠٦، ح ١٩٠٥٦.

٤- سوره السجده، الآية: ١١.

٥- سوره النحل، الآية: ٢٨.

وقوله تعالى:

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (١).

وسواء كان الذى يتوفى الناس هو ملك الموت أو أعوانه لا يخرج هذا الأمر عن أمر الله تعالى وإذنه بدليل قوله تعالى:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٢).

ولكى لا نقع فى التباس وشبهه لابد من بيان الأمر التالى:

إن الآيات التى أشارت إلى أن الذى يتوفى الناس هو ملك الموت أو الملائكة الذين هم أعوان لذلك الملك كما يقول الإمام الصادق عليه السلام فى بيان الآيات:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ لِمَلِكِ الْمَوْتِ أَعْوَانًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَقْبِضُونَ الْأَرْوَاحَ، بِمَنْزِلِهِ صَاحِبِ الشَّرْطِ لَهُ أَعْوَانٌ مِنَ الْإِنْسِ وَيَبْعَثُهُمْ فِي حَوَائِجِهِ فَتَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَيَتَوَفَّاهُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ مَا يَقْبِضُ هُوَ، وَيَتَوَفَّاهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَلِكِ الْمَوْتِ» (٣).

إنما يقومون بهذا العمل امتثالاً لأمر الله سبحانه الذى تنزه عن مباشره هذا الأمر بنفسه كما جاء ذلك عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

١- سورة النحل، الآية: ٣٢.

٢- سورة الزمر، الآية: ٤٢.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٣٦، ح ٣٦٨. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩٢٠، ح ١٩١٣٤.

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) (١).

(يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ) (٢).

(تَوَفَّنَاهُ رُسُلَنَا) (٣).

(تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) (٤).

(تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) (٥).

فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَجَلٌ وَأَعْظَمٌ مِنْ أَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، وَفِعْلُ رُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ فِعْلُهُ، لِأَنَّهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ... فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ تَوَلَّى قَبْضَ رُوحِهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ تَوَلَّى قَبْضَ رُوحِهِ مَلَائِكَةُ النَّقْمَةِ، وَلِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَالنَّقْمَةِ يَصِيدُونَ عَنْ أَمْرِهِ، وَفِعْلُهُمْ فِعْلُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتُونَهُ مَنَسُوبٌ إِلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ فِعْلُهُمْ فِعْلَ مَلَكِ الْمَوْتِ، فَفِعْلَ مَلَكِ الْمَوْتِ فِعْلُ اللَّهِ، لِأَنَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ عَلَى يَدِ مَنْ يَشَاءُ» (٦).

فلذا يتضح مما تقدم أن الذي يتوفى حقيقه هو الله تعالى ولا يشترك معه أحد من خلقه وما يفعله ملك الموت أو الملائكة هو في طول قدره الله تعالى أى أن الله تعالى هو الذى أقدر ملك الموت وأذن له وأمره بذلك ولا استقلاله لملك الموت أو الملائكة فى ذلك.

١- سورة الزمر، الآية: ٤٢.

٢- سورة السجده، الآية: ١١.

٣- سورة الأنعام، الآية: ٦١.

٤- سورة النحل، الآية: ٣٢.

٥- سورة النحل، الآية: ٢٨.

٦- بحار الأنوار: ج ٦، ص ١٤٠، ح ١.

وبعد هذه الإشارة العقائديه نعرج على بيان صورته ملك الموت وسكرات الموت التي يمر بها المرء فلقد جاء في الروايات أن لملك الموت صورته رهيبه عند قبض روح الفاجر كما ورد ذلك في كتاب السيد عبد الله شبر إذ يقول:

في جامع الأخبار (قال إبراهيم الخليل عليه السلام لملك الموت عليه السلام:

«هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر؟».

قال ملك الموت عليه السلام:

«لا تطيق ذلك».

قال:

بلى.

قال:

«فأعرض عني».

فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود، قائم الشعر، متنن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان، فغشى على إبراهيم ثم أفاق.

فقال:

«لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورته وجهك لكان حسبه»^(١).

وهناك صورته من سكرات الموت ونزوله بالإنسان يصورها لنا الإمام العسكري عليه السلام عندما قيل له:

صف لنا الموت، قال عليه السلام:

«للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس بطيبه وينقطع التعب والألم كله عنه، وللكافر كلسع الأفاعى ولدغ العقارب أو أشد».

قيل: فإن قوماً يقولون إنه أشد من نشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض، ورضخ بالأحجار، وتدوير قطب الأرحيه على الأحداق؟، قال عليه السلام:

«كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا- ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ فذلكم الذى هو أشد من هذا إلا من عذاب الآخرة فإنه أشد من عذاب الدنيا».

قيل: فما بالنار كافرأً يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يحدث ويضحك ويتكلم، وفي المؤمنين أيضاً من يكون كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسى عند سكرات الموت هذه الشدائد؟، فقال:

«ما كان من راحه للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شديده فتمحيصه من ذنوبه، ليرد الآخرة نقياً نظيفاً مستحقاً لثواب الأبد، لا مانع له من دونه، وما كان من سهوله هناك على الكافر فليوفى أجر حسناته فى الدنيا ليرد الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداءً عذاب الله له بعد نفاذ حسناته، وذلك لأن الله عدل لا يجور»(١).

وهناك وصف آخر يقف له شعر رأس العاقل ويطير لبه ويتلثم لسانه وهو ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام:

(ورد فى نهج البلاغه:

«لا- ينزجر من الله بزاجر، ولا- يتعظ منه بواعظ، وهو يرى المأخوذين على الغره حيث لا إقاله ولا رجعه، كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون، فغير

١- تسليه الفؤاد، السيد عبد الله شبر: ص ٤٣. بحار الأنوار: ج ٦، ص ١٥٢، نقلا عن العيون.

موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكره الموت وحسره الفوت، ففترت لها أطرافهم، وتغيرت لها ألوانهم، ثم ازداد الموت فيهم ولو جأ فحيل بين أحدهم وبين منطقته، وأنه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه على صحه من عقله وبقاء من لبه، ويفكر فيم أفنى عمره؟ وفيم أذهب دهره؟ ويتذكر أموالاً- جمعها أغمض في مطالبها وأخذها من مصراحتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون بها، فيكون المهناً لغيره والعبء على ظهره، والمرء قد غلقت رهونه بها، يعرض يده ندامه على ما اصحر له عند الموت من أمره؛ ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره، ويتمنى أن الذي كان يغطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه، فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانه سمعه، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه، يردد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجح كلامهم، ثم ازداد الموت التياطاً فقبض بصره كما قبض سمعه، وخرجت الروح من جسده فصار جيفه بين أهله، قد أوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه، لا يسعد باكياً ولا يجيب داعياً؛ ثم حملوه إلى مخط الأرض وأسلموه فيه إلى عمله؛ وانقطعوا عن زورته حتى إذا بلغ الكتاب أجله»(١).

بحث عقائدي

الإمام عليه السلام مخير في قتله

الأجل أو الموت يقين لا شك فيه يطرد الإنسان ويلحقه أينما يحل ولو في بروج مشيده، قال الله تبارك وتعالى:

(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ)(٢).

١- تسليه الفؤاد، السيد عبد الله شبر: ص ٤٨ ٤٩. نهج البلاغه: ج ١، ص ٢١١، الخطبه ١٠٥.

٢- سورة النساء، الآية: ٧٨.

ومما يطرده الموت الرسول أو الإمام رغم علاقته الوطيدة بالله تعالى بدليل قوله تعالى:

(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (١).

وقوله تعالى:

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (٢).

فلذا نعتقد أن للرسول أجلاً وللإمام أجلاً لا يخطيه وهذا ما تؤكد الروايات الكثيره والتي منها وصيه أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن إذ يقول:

«اعْلَمْ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وَأَنْتَ فِي قَلْعَةٍ وَدَارٍ بُلُغَةٍ وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنْتَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا يَفُوتُهُ طَائِبُهُ، وَلَا يُدْبِدُ أَنْتَهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ» (٣).

وكذلك الإمام الحسين عليه السلام له أجل لا بد أن يلاقيه، إلا أننا نعتقد أن الإمام الحسين عليه السلام قد ادخر الله تعالى له درجه عنده لن ينالها إلا بالشهاده وهذا ما ورد عن جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول له:

«بأبي أنت، كأني أراك مرملاً بدمك بين عصابه من هذه الأمه، يرجون شفاعتي، ما لهم عند الله من خلاق، يا بني إنك قادم على أبيك وأمك وأخيك، وهم مشتاقون إليك، وإن لك في الجنه درجات لا تنالها إلا بالشهاده» (٤).

فيظهر من قوله هذا أن له أجلاً ولكن قد يكون موتاً بالسم أو قد يكون قتلاً في

١- سورة الزمر، الآية: ٣٠.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

٣- نهج البلاغه: الكتاب ٣١. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩١١، ح ١٩٠٧٩.

٤- الأمالى للشيخ الصدوق: ص ٢١٦ ٢١٧.

سبيل الله تعالى فلذا خيره الله تعالى بين أن يصحى فى سبيله فىنال درجته التى ادخرها له وبين أن يموت مسموماً بناء على قولهم عليهم السلام:

«ما منّا إلا مسموم أو مقتول»(١).

فاختار المصرع الذى يريده الله تعالى ويحبه، وهذا الاختيار يدفع الشبهه القائله بأن الإمام لا يعلم موته وكيفيته ومكانه أو زمانه، ولأن الإمام عليه السلام سيد شباب أهل الجنة ومحبوب لله تعالى أخبره الله تعالى على لسان جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه المرتضى عليه السلام أنه سيقتل فى كربلاء إذا كان يريد ما يحبه الله تعالى له.

بحث عقائدى

علم الإمام عليه السلام

قال الإمام الحسين عليه السلام:

«كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تُقَطَّعُهَا عَسَلَانُ الْفَلَوَاتِ بَيْنَ النَّوَابِيسِ وَكَرْبَلَاءَ، فَيَمْلَأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشًا جَوْفَاءَ وَأَجْرِبَةً سَيْغَبِي، لَا مَحِيصَ عَن يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رَضِيَ اللَّهُ رِضَانًا أَهْلُ الْبَيْتِ، نَضَبُوا عَلَيَّ بِلَائِهِ وَيُوفِّينَا أَجْرَ الصَّابِرِينَ، لَنْ تَشَدَّ عَن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِحِمَّتِهِ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ، تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ وَيُنْجِزُ بِهِمْ وَعْدَهُ، مَنْ كَانَ بَاذِلًا فِينَا مُهْجَتَهُ، وَمُوطَّنًا عَلَيَّ لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسَهُ، فَلْيُرْحَلْ مَعَنَا فَإِنِّي رَاحِلٌ مُضْبِحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى».

لكى لا نصاب بالدهشه، ولا نقع فى المغالاه، ولكى تتضح الحقائق وتعرف المواقع لابد من الإشاره إلى مفهوم الإمامه والوقوف على معناها الحقيقى، ولا يتم هذا إلا من خلال التأمل فى أحاديث أهل البيت عليهم السلام الذين عرفونا الإمامه بأحلى صورها وأكمل معانيها وصرحوا بضروره الإيمان بها.

١- كفايه الأثر، الخراز القمى: ص ٢٢٧. بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج ٢٧، ص ٢١٧، ح ١٩.

ملاحظه مهمه: تركنا التعرض إلى الروايات التي تتحدث عن رتبة الإمامه، ووجوب معرفه الإمام، ودور الإمام فى الأرض، ودعوه كل أمه بإمامهم، وفائده معرفه الإمام وضرر عدم معرفته، وشرائط الإمامه وخصائص الإمام وغير ذلك مما يتضمن الكثير من المواضيع لكى لا- يخرج البحث عن عنوانه وهو علم الإمام بالرغم من أن كل هذه المواضيع ذات صلة من بعيد أو قريب بالموضوع الذى نحن بصدده.

١ ورد عنهم عليهم السلام ما يوافق العقل إذ يقولون أن من العدل الإلهى أن لا- يدع الله تعالى الناس فى حيره من أمرهم بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا بد من هاد يهديهم لما يريد الله تعالى ولا بد من عالم يعرف الناس الحق من الباطل ولا بد من حجه لله على الناس لكى لا يكون لأحد حجه على الله تعالى ونكون الحجه البالغه له عز وجل، وهذا المعنى نجده فى قول الإمام الصادق عليه السلام إذ يقول:

«إِنَّا لَمَّا أَثْبُنَا أَنَّ لَنَا خَالِقًا صَانِعًا مُتَعَالِيًا عَنَّا وَعَنَ، جَمِيعَ مَا خَلَقَ... ثُمَّ ثَبَّتَ ذَلِكَ فِي كُلِّ ذَهْرٍ وَزَمَانٍ مِمَّا أَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ، لِكَيْ لَا تَخْلُوَ أَرْضُ اللَّهِ مِنْ حُجَّهِ يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِهِ وَجَوَازِ عِدَالَتِهِ» (١).

وعنه عليه السلام:

«إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو إِلَّا وَفِيهَا إِمَامٌ، كَيْمَا إِنْ زَادَ الْمُؤْمِنُونَ شَيْئًا رَدَّهْمُ، وَإِنْ نَقَصُوا شَيْئًا أَتَمَّهُ لَهُمْ» (٢).

١- الكافى: ج ١، ص ١٦٨، ح ١. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥١، ح ٨٠٤.

٢- الكافى: ج ١، ص ١، ص ١٧٨، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥١، ح ٨٠٥.

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَدْعِ الْأَرْضَ بِغَيْرِ عَالِمٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يُعْرِفِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ» (١).

٢ وهناك تصريح ورد عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيه أن الإمام لا بد أن يكون عالماً لكي يرجع إليه الناس فيعلم الحلال والحرام دون الوقوع في الخطأ، ولا بد أن يكون هذا الإمام العالم مستغنياً عن الناس في هذا الأمر:

«إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُتْرَكُ إِلَّا بِعَالِمٍ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى النَّاسِ، يَعْلَمُ الْحَرَامَ وَالْحَلَالَ» (٢).

وهناك الكثير من الروايات التي تشير إلى ضروره وجود الإمام تطلب من مصادرها.

٣ عرف أهل البيت عليهم السلام الإمامه بأنها من تمام الدين كما في قول الإمام الرضا عليه السلام:

«وَأَنْزَلَ فِي حِجَّهِ الْوَدَاعِ وَهِيَ آخِرُ عُمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...)» (٣).

وَأَمْرُ الْإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ» (٤).

وهي القاعده التي يستند عليها الإسلام الحقيقي كما في قوله عليه السلام:

«إِنَّ الْإِمَامَةَ أَسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي وَفَرْعُهُ السَّامِي» (٥).

١- الكافي: ج ١، ص ١٧٨، ح ٥. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥١، ح ٨٠٦.

٢- بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٥٠، ح ١٠٠.

٣- سورة المائدة، الآية: ٣.

٤- نور الثقلين: ج ١، ص ٥٨٩، ح ٣٣. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٤٦، ح ٧٨١.

٥- الدر المنثور: ج ٣، ص ١٩. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٤٧، ح ٧٨٤.

ولكى نطلع على حقيقه الإمامه لتأمل حديث الإمام الرضا عليه السلام فيما أراد أن يرحل من نيسابور إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا:

(يا بن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث نستفيده منك وكان قد قعد في العماريه فاطلع رأسه وقال:

«سمعت أبي موسى بن جعفر يقول سمعت أبي جعفر بن محمد يقول سمعت أبي محمد بن علي يقول سمعت أبي علي بن الحسين يقول سمعت أبي الحسين بن علي يقول سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول سمعت جبرئيل يقول سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي».

فلما مرت الراحله نادى عليه السلام :

«بشروطها وأنا من شروطها»(١).

وبعد الوقوف على هذا المعنى الرفيع للإمامه الذي صوره الإمام الرضا عليه السلام لنا نستطيع أن نقول: يجب أن يكون الإمام ذا علم واسع لا يعلو عليه إلا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بدليل قول الإمام الرضا عليه السلام:

«إِنَّ الْعَبِيدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأُمُورِ عِبَادِهِ شَرَّحَ صِدْرَهُ لِذَلِكَ، وَأَوْدَعَ قَلْبَهُ يَنْبِيعَ الْحِكْمَةِ، وَأَلْهَمَهُ الْعِلْمَ الْإِهَامًا، فَلَمْ يَعْى بَعْدَهُ بِجَوَابٍ وَلَا يَخِيرُ فِيهِ عَنِ الصَّوَابِ»(٢).

وهذه باقه من الروايات التي تتحدث عن علم الإمام وسعته وهي مما يوافق العقل والحكمه:

عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

-
- ١- عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج ١، ص ١٤٤، ح ٤.
 - ٢- الكافي: ج ١، ص ٢٠٢، ح ١. ميزان الحكمه: ج ١، ص ١٧٧، ح ٩٤٨.

«لَا يَحْمِلُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا أَهْلُ الصَّبْرِ وَالْبَصْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْأَمْرِ» (١).

وقال الإمام الرضا عليه السلام في صفة الإمام:

«مَضَطَّلِعٌ بِالْإِمَامَةِ، عَالِمٌ بِالسِّيَاسَةِ» (٢).

وجاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«يَخْتِاجُ الْإِمَامُ إِلَى قَلْبِ عَقُولٍ، وَلِسَانِ قَوْلٍ، وَجَنَانٍ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ صَوُولٍ» (٣).

وعنه عليه السلام أيضا في وصف الأئمة:

«عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلًا وَعَايَاهُ وَرِعَايَاهُ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ، فَإِنَّ زُوَاهَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ» (٤).

وجاء عنه عليه السلام أيضا:

«إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِأَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَقْرَبُهَا مِنَ الرَّسُولِ وَأَعْلَمُهَا بِالْكِتَابِ وَأَفْقَهُهَا فِي الدِّينِ، أَوْلَاهَا إِسْلَامًا وَأَفْضَلُهَا جِهَادًا وَأَشَدُّهَا بِمَا تَحْمِلُهُ الْأُئِمَّةُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ اضْطِرَاعًا» (٥).

وعن الإمام الحسين عليه السلام في كتابه إلى أهل الكوفة قال:

«فَلَعَمْرِي، مَا الْإِمَامُ إِلَّا الْحَاكِمُ بِالْكِتَابِ، الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ، الدَّائِنُ بِدِينِ الْحَقِّ، الْحَابِسُ نَفْسَهُ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ» (٦).

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

١- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ٧، ص ٣٦. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٧، ص ٨٤٦.

٢- الكافي: ج ١، ص ٢٠٢، ح ١. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١، ص ١٥٧، ح ٨٤٧.

٣- غرر الحكم: ١١٠١٠. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٧، ح ٨٤٨.

٤- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٣، ص ٣١٧. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٧، ح ٨٤٩.

٥- نهج البلاغه: ج ٣، ص ٢١٠. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٨، ح ٨٥٤.

٦- الإرشاد: ج ٢، ص ٣٩. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٨، ح ٨٥٦.

«لِلْإِمَامِ عِلْمَاتٌ: (أَنْ) يَكُونَ أَعْلَمَ النَّاسِ، وَأَحْكَمَ النَّاسِ، وَأَتْقَى النَّاسِ، وَأَحْلَمَ النَّاسِ، وَأَشَجَعَ النَّاسِ، وَأَسِيخَى النَّاسِ، وَأَعْبَدَ النَّاسِ» (١).

وجاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ، فَإِنْ شَغِبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتَبَ، فَإِنْ أَبِي قَوْلِيلَ» (٢).

وعنه عليه السلام:

«الْإِمَامُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْإِمَامَةِ لَهُ عِلْمَاتٌ، فَمِنْهَا: أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، لَا يَزِلُّ فِي الْفُتْيَا وَلَا يُخْطِئُ فِي الْجَوَابِ، وَلَا يَسْهَوُ وَلَا يَنْسَى، وَلَا يَلْهُو بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِحَلَالِ اللَّهِ وَحَرَامِهِ وَضُرُوبِ أَحْكَامِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ، (فِيحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ) وَيَسْتَعْنِي عَنْهُمْ» (٣).

وجاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«كِبَارُ حُدُودِ وَلَايَةِ الْإِمَامِ الْمَفْرُوضِ الطَّاعَةِ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الْخَطَا وَالزَّلَلِ وَالْعَمْدِ، وَمِنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، لَا يَزِلُّ وَلَا يُخْطِئُ، وَلَا يَلْهُو بِشَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَوْبِقَةِ لِلدِّينِ، وَلَا بِشَيْءٍ مِنَ الْمَلَاهِي، وَأَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسِ بِحَلَالِ اللَّهِ وَحَرَامِهِ، وَفَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ وَأَحْكَامِهِ، مُسْتَعْنٍ عَنِ جَمِيعِ الْعَالَمِ، وَغَيْرُهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ أَسْخَى النَّاسِ وَأَشَجَعُ النَّاسِ» (٤).

١- معاني الأخبار: ص ١٠٢، ح ٤. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٨، ح ٨٥٧.

٢- نهج البلاغة: ج ٩، ص ٣٢٨. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٨، ح ٨٥٩.

٣- بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ١٦٤. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٨، ح ٨٦١.

٤- بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٨٩، ح ٣٩. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٩، ح ٨٦٢.

سؤال مهم

السؤال: سلمنا أن الإمام يجب أن يكون ذا علم واسع ولكن ما دليلكم على انطباق ذلك على أهل البيت بما فيهم الإمام الحسين عليه السلام؟

الجواب: يتلخص الجواب فيما يلي:

١ الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق أهل البيت عليهم السلام كحديث الثقلين وحديث السفينه وغيرها من الأحاديث فراجع.

٢ ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أهل البيت عليهم السلام هم العدل وبهم يقام العدل وتؤلف القلوب إذ يقول وهو يصفُ لعلِّي عليه السلام أهل الفِتنَةِ:

يَعْمَهُونَ فِيهَا إِلَى أَنْ يُدْرِكَهُمْ الْعَدْلُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْعَدْلُ مِنَّا أَمْ مِنْ غَيْرِنَا؟ فَقَالَ: بَلْ مِنَّا، بِنَا يَفْتَحُ اللَّهُ، وَبِنَا يَخْتِمُ، وَبِنَا أَلْفَ اللَّهِ بَيْنَ الْقُلُوبِ بَعْدَ الشُّرُوكِ» (١).

٣ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يدل على أن علياً هو الحجة لله تعالى على الناس وهذا لا يتم إلا لمن كان ذا علم ومعرفة وحكمه، ولكي نطلع على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلنستمع إليه:

ألف: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَهَّدَ إِلَيَّ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَهْدًا، قُلْتُ: يَا رَبِّ بَيْنَهُ لِي.

قَالَ: اسْمَعْ، قُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ، قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا رَأْيُهُ الْهُدَى وَإِمَامُ أَوْلِيَائِي وَنورُ مَنْ

أطاعني، وَهُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْزَمْتُهَا الْمُتَّقِينَ، مَنْ أَحَبَّهُ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَطَاعَهُ أَطَاعَنِي» (١).

في هذا الحديث يشير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن علياً يهدى غيره وهذا لا يكون إلا لمن كان ذا علم ومعرفة.

باء: لا يصح من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل له خليفه جاهلاً بأمر الدين والدنيا، وحيث إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم معصوم من الزلل جعل علياً خليفه من بعده لعلمه أن علياً ذو علم ومعرفة واسعه ويصلح لأن يكون خليفته ووزيره ووصيه كما ورد ذلك عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ أَخِي وَوَصِيَّ وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِ عَلِيٍّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ، يَقْضَى دِينِي، وَيُنْجِزُ مَوْعِدِي يَا بَنِي هَاشِمٍ» (٢).

جيم: ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن علياً عليه السلام حائز على علم نبوي لا يضاويه أحد في ذلك كما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول:

«أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ» (٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم مشيراً إلى عليٍّ عليه السلام:

«أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِهِ مِنْ بَابِهِ» (٤).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا» (٥).

١- نور الثقلين: ج ٥، ص ٧٣، ح ٧٤. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٨١، ح ٩٦١.

٢- أمالي الطوسي: ص ٦٠٢، ح ١٢٤٤. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٨١، ح ٩٦٣.

٣- كنز العمال: ٣٢٨٩٠. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٨٥، ح ٩٨٤.

٤- كنز العمال: ٣٢٩٧٩. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٨٥، ح ٩٨٥.

٥- كنز العمال: ٣٢٨٨٩. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٨٥، ح ٩٨٧.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«عَلِيٌّ بَابُ عِلْمِي، وَمُبَيِّنٌ لَأُمَّتِي مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، مِنْ بَعْدِي» (١).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَعْلَمُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» (٢).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«يَا عَلِيُّ أَنْتَ..... وَارثُ عِلْمِي» (٣).

٤ إن أمير المؤمنين عليه السلام ذا العلم الأكثر والحكمة التي لا يقاس بها أحد أوصى إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام ليقوم مقامه وأوصى الإمام الحسن عليه السلام إلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام ليقوم مقامه في هداية الأمة وتعريف الحق من الباطل وتعليمها الحلال والحرام، وما يدل على هذا أولاً: الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول:

«ابنای هذان إمامان قاما أو قعدا» (٤).

ثانياً: ما ورد في وصيه أمير المؤمنين عليه السلام في الكافي عن سليم بن قيس قال:

«شَهِدْتُ وَصِيَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَوْصَى إِلَى ابْنَيْهِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَشْهَدَ عَلِيَّ وَصِيَّةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُحَمَّدًا وَجَمِيعَ وُلْدِهِ وَرُؤَسَاءِ شِيعَتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ وَالسَّلَاحَ» (٥).

١- كنز العمال: ٣٢٩٨١. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٨٥، ح ٩٨٨.

٢- كنز العمال: ٣٢٩٧٧. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٨٦، ح ٩٨٩.

٣- ينابيع المودة: ج ١، ص ٣٩٧، ح ١٧. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٨٦، ح ٩٩٢.

٤- الإرشاد للشيخ المفيد: ج ٢، ص ٣١.

٥- الكافي: ج ١، ص ٢٩٧، ح ١. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٠٦، ح ١١١٩.

ثالثاً: ما ورد في وصيه الإمام الحسن عليه السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام:

«إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَعْدَ وَفَاةِ نَفْسِي وَمُفَارَقَةِ رُوحِي جِسْمِي، إِمَامٌ مِنْ بَعْدِي، وَعِنْدَ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ فِي الْكِتَابِ، وَرِاثَهُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَضَافَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فِي وَرَائِهِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ خَيْرُهُ خَلْقِهِ، فَاصْبِرُوا مِنْكُمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَاصْتَارَ مُحَمَّدٌ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاصْتَارَنِي عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْإِمَامَةِ، وَاصْتَارَتْ أَنَا الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» (١).

فورث الإمام الحسين عليه السلام علمه عن جده وأبيه لكي يمارس دور حجه الله تعالى على الناس، وهو يعلم مقتله ومقتل أهل بيته بل يعلم الزمان والمكان لهذا القتل إذ يقول: (ولم تكد أم سلمة أن تنتظر نبوءه السماء تخبرها بقتل الحسين عليه السلام، ولم تصطر أن يأتيها عزمه على السفر الطويل الذي لا لقاء بعده، حتى أجهشت بالبكاء، وتوسلت إليه بالعدول قائلة:

لا- تحزني بخروجك إلى العراق، فإنني سمعت جدك رسول الله يقول: يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء، وعندى تربتك في قاروره دفعها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الحسين عليه السلام:

١- الكافي: ج ١، ص ٣٠١، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢١٠، ح ١١٢٦.

«يا أمّاه، وأنا أعلم أنّي مقتول مذبوح ظلماً وعدواناً، وقد شاء عزّ وجلّ أن يرى حرمي ورهطى مشرّدين، وأطفالي مذبحين مأسورين مقتيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا».

قالت أمّ سلمه: واعجباً، فأنتي تذهب وأنت مقتول؟! قال عليه السلام:

«يا أمّاه، إنّ لم أذهب اليوم ذهبت غداً، وإن لم أذهب في غد ذهبت بعد غد، وما من الموت والله بدّ، وإنّي لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، والساعة التي أقتل فيها، والحفرة التي أدفن فيها، كما أعرفك، وأنظر إليها كما أنظر إليك، وإن أحببت يا أمّاه أن أريك مضجعي ومكان أصحابي».

فطلبت منه ذلك، فأراها تربه أصحابه، ثم أعطاهما من تلك التربه، وأمرها أن تحتفظ بها في قاروره، فإذا رأتها تفور دماً تيقنت قتله! وفي اليوم العاشر بعد الظهر نظرت إلى القاروره فإذا هي تفور دماً(١).

صفات الأنصار

إشارة

(مَنْ كَانَ بِإِذِلَّةٍ فِينَا مُهْجَتُهُ، وَمَوْطِنًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسُهُ، فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

الحديث عن أنصار الإمام الحسين عليه السلام هو حديث عن أفضل الأنصار رتبة وأسماءهم مقاماً لا لأنهم قتلوا في سبيل الله تعالى بل لأنهم قتلوا في مقطع زمني قل فيه الناصر وتهافت فيه الناس على الدنيا ولأنهم كانوا غرباء لا يخالطهم أحد ولا يوافقهم على نهجهم من ذلك الجمع فرد يخاف الله تعالى، ولقد امتاز أنصار الإمام الحسين عليه السلام دون غيرهم من الأنصار بأنهم كانوا يعلمون بشهادتهم ومتيقنين من عدم بقائهم في الحياه ومع ذلك ذهبوا مع إمامهم موطنين أنفسهم على لقاء الله تعالى، متدرعين بالقلوب فوق الدروع مستبشرين بما ادخر الله تعالى لهم يتسابقون على الشهاده، ويوصى بعضهم بعضاً بإمامهم عليه السلام يتمنون لو أن لهم أكثر من جسد وروح ليبذلوا ذلك في سبيل الدفاع عن إمام صادق اليقين وعن دين سفكت من أجله الدماء وبذلت المهج وسهرت العيون وتعبت الأجساد.

١- أنصار الحسين عليه السلام الثورة والثوار، السيد محمد علي الحلو: ص ٤٣.

ولكى تتضح صورته هؤلاء الأبطال نستشهد بقول الإمام الحسين عليه السلام في حقهم إذ يقول:

«والله ما رأيت أصحاباً كأصحابي».

يقسم الإمام بالله تعالى وهو لا يقول كذبا ولا يقسم باطلاً ولا ينطق عاطفه ولا يلقى الكلام جزافاً لكونه الإمام المعصوم الذي جعله الله تعالى حجه على الناس بعد أبيه وأخيه، فبين الإمام الحسين عليه السلام رتبة هؤلاء الأصحاب رغم علمه بأصحاب جده المصطفى وأبيه المرتضى وأخيه المجتبي، وما قال ما قال إلا لأنه رأى أصحاباً باعوا الدنيا بشراء الآخرة، وبذلوا المهج لنجاه الدين، وفارقوا الأحبه من الأهل والولد لنيل رضا المحبوب الحقيقي، وعانقوا الرمال كعناقهم للحوار العين، وتوضأوا بالدماء لأداء الصلاة، وصافحوا السيوف بوجوه مستبشرة، وجابهوا السهام بنحور مشرقه وأرواح ثابتة وأقدام راسخه.

أنصار الإمام الحسين عليه السلام يعنى الشهامه والعلو والرفعه والسمو، ونفوس طاهره وأجساد مطهره وقلوب خاشعه وعيون دامعه، وضمائر حيّه وأفكار سليمه وإيمان قوى وجأش رابط وثبات دائم وعزيمه قويه وفروسيه وصدق وإخلاص ووفاء وإيثار وسخاء ومولاه وبراهه، وبصر وبصيره، وتواضع وشرف وزهد وعباده، فهم السابقون السابقون، أنصار الإمام الحسين عليه السلام وصفهم العدو قبل الصديق (بأنهم أهل البصائر وفرسان المصير).

فيقول: (صاح عمرو بن الحجاج بأصحابه: أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصير، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحد منكم إلا قتلوه على قتلهم، والله! لو لم ترموهم إلا بالحجاره لقتلتموهم) (١).

١- أنصار الحسين عليه السلام الثوره والثوار، السيد محمد على الحلو: ص ٤٨.

ووصفهم الإمام المعصوم بأنهم أصحاب الأقدام الثابتة على الصدق والإخلاص بقوله:

«اللهم ثبت لى قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام»^(١).

فهم الأبرار الأخيار الذين جاء وصفهم على لسان إمامهم الحسين عليه السلام إذ يقول:

«فإنى لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابى، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتى».

فهو بهذا الوصف ينفى أن يكون مثل أصحابه أصحاب لا فى الماضى أو الحاضر ولا حتى فى المستقبل.

أنصار الإمام الحسين عليه السلام ضربوا مثلاً فى الشجاعه لا يرقى إليه أحد فلذا يقول أحد الأعداء: (عضضت بالجنبدل، أنك لو شهدت ما شهدنا لفلعت ما فعلنا، ثارت علينا عصابه أيديها على مقابض سيوفها، كالأسود الضاربه، تحطم الفرسان يمينا وشمالاً، تلقى نفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب بالمال، ولا يحول حائل بينها وبين المنيه أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لآتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنا فاعلين، لا أم لك)^(٢).

وكان، كما قال إمامهم الحسين عليه السلام بأنهم وطنوا أنفسهم على بذل المهج وقتل الأنفس ويظهر هذا من خلال خطبهم التى أدلوا بها بين يدي سيد الشهداء عليه السلام وهى كالتى:

١- زياره عاشورا: ذكر السجده بعد الزياره.

٢- أنصار الحسين عليه السلام الثوره والثوار، السيد محمد على الحلو: ص ٥٠ ٥١.

١ العباس عليه السلام

قال العباس عليه السلام ممثلاً آل علي من إخوته وبنى أخيه:

(لِمَ نَفَعَلْ ذَلِكَ؟ لِنَبْقَى بَعْدَكَ؟! لَا أَرَانَا اللَّهَ ذَلِكَ أَبَدًا).

ويلتفت الحسين عليه السلام إلى بنى عقيل قائلاً:

«حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنت لكم».

فقالوا:

فَمَاذَا يَقُولُ النَّاسُ لَنَا، وَمَاذَا نَقُولُ لَهُمْ؟ إِنَّا تَرَكْنَا شَيْخَانَا وَكَبِيرَنَا وَسَيِّدَنَا وَإِمَامَنَا وَابْنَ بِنْتِ نَبِيِّنَا، لَمْ نَزَمْ مَعَهُ بِسَيِّئِهِمْ، وَلَمْ نَطْعَنْ مَعَهُ بِرُؤْمِهِمْ، وَلَمْ نَضْرِبْ مَعَهُ بِسَيْفٍ، لَا - وَاللَّهِ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ لَا - نُفَارِقُكَ أَبَدًا، وَلَكِنَّا نَقِيكَ بِأَنْفُسِنَا حَتَّى نُقْتَلَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَنَرِدَ مَوْرِدَكَ، فَفَتِّحْ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ (١).

٢ سعيد بن عبد الله الحنفى رضى الله عنه

قال سعيد بن عبد الله الحنفى: (لا - نُخْلِيكَ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَا قَدْ حَفِظْنَا غَيْبَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيكَ، وَاللَّهُ! لَوْ عَلِمْتَ أَنِّي أَقْتُلُ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُحْرَقُ، ثُمَّ أُذْرَى، يَفْعَلُ بِي ذَلِكَ سَبْعِينَ مَرَّةً مَا فَارَقْتُكَ حَتَّى أَلْقَى حَمَامِي دُونَكَ، فَكَيْفَ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ قَتْلُهُ وَاحِدَةً، ثُمَّ الْكِرَامَةَ الَّتِي لَا انْقِضَاءَ لَهَا أَبَدًا) (٢).

٣ زهير بن القين رضى الله عنه

ويجيبه زهير بن القين بمثل ذلك قائلاً: (والله! لو ددت أني قُتلت، ثُمَّ نُشِرت، ثُمَّ قُتلت حَتَّى أَقْتَلَ عَلَى هَذِهِ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَأَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ بِذَلِكَ الْقَتْلَ عَن نَفْسِكَ وَعَن أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ).

١- المصدر السابق: ص ٥٥ ٥٦.

٢- المصدر السابق: ص ٥٥.

وقام زهير يسمعه جميع أصحابه، ومن حضر من أهل بيت الحسين عليه السلام فقال:

لَقَدْ سَمِعْنَا يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ مَقَالَتَكَ، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بَاقِيَةً وَكُنَّا فِيهَا مُخَلَّدِينَ لَا تُزْنَا النَّهْضَ مَعَكَ عَلَى الإِقَامَةِ فِيهَا(١).

٤ برير رضى الله عنه

وشيخ قراء الكوفه وفتيها ينبرى هاتفاً على بصيره من أمره وأمر أصحابه:

(يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ بِكَ عَلَيْنَا أَنْ نُقَاتِلَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَتَقَطَّعَ فِيكَ أَعْضَاؤُنَا، ثُمَّ يَكُونُ جُدُّكَ شَفِيعَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٢).

١- المصدر السابق: ص ٥٧.

٢- أنصار الحسين عليه السلام الثوره والثوار، السيد محمد على الحلو: ص ٥٧ ٥٨.

الخطبه التاسعه: خطبها عند مسيره إلى كربلاء وفيها يذم الدنيا ويحذر منها

اشاره

نص الخطبه

اشاره

(إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صَيْبَابُهُ كَصَيْبَابِهِ الْإِنَاءِ، وَخَسِيسُ عَيْشِ كَالْمَرْعَى الْوَيْبِلِ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُتْنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحَقَّقًا فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا.

إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ لَعِقُّ عَلَى السِّنْتِهِمْ، يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَائِشُهُمْ، فَإِذَا مُحْصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ).

المعنى العام

اشاره

يشير الإمام عليه السلام إلى الدنيا بأنها لم تبقى على حالها السابق من تعظيم وتقدير واحترام أهل البيت عليه السلام أو من آداب وسلوك أهلها فيما بينهم، فإنها تبدلت وتغير حالها السابق وظهرت بمظهر آخر، وذهب خيرها ومعروفها، فلم يبق إلا قليلا كما يبقى في إناء الماء، وقليل تافه كالمرعى الوخيم، ألا- ترون أن الحق لا يفعل به وأن المخالف والمغاير للصحيح لا يترك ولا ينهى فاعله، ليحب المؤمن لقاء الله وهو على صواب وحسن فعل وإيمان قلب، فإننى لا أرى الموت إلا راحة وسروراً، ولا الحياه مع الظالمين إلا ضجراً وسئماً.

(إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ لَعَقُّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحُوطُونَ مَا دَرَّتْ مَعَائِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ).

يؤكد الإمام عليه السلام أن غير المؤمنين من الناس يعبدون الدنيا بما فيها من مال ونساء وجاه وهوى وشهوات وأما الدين والإيمان ليس إلا- لحسه على الألسن ليس لها قرار ودوام يحفظونها ما كثرت وتيسرت أرزاقهم فإذا امتحنوا بالامتحان ترك الدين وتهافت من تلبس به.

سبب خروج الإمام عليه السلام

لا يشك عاقل في أن خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق هو وفق الموازين الشرعية وضمن الإطار الإنساني والديني، ولا- يحكم منصف بأن حركة الإمام عليه السلام تاركاً موطنه ومرايح طفولته من أجل الدنيا وإصابه المناصب والاستيلاء على الحكم، وعند تصفحنا لسيره الإمام عليه السلام وقراءه التاريخ بعين مجردة من التعصب والحق والنفس الطائفي نلمس بوضوح دوافع خروج الإمام عليه السلام ونقف على سببه الجوهرى.

ولكى يطلع القارئ الكريم على السبب الرئيسى لخروج الإمام عليه السلام لابد من قراءه النصوص التاريخيه التي ذكرت الأحداث في المدينة بعد وفاه معاوية، والاطلاع على الأجواء السياسيه التي أحاطت بالإمام عليه السلام، والتأمل في خطبته الشريفه كرد وحوار تحاور به الإمام عليه السلام مع الصور السياسيه المختلفه:

١ فى الفتوح: ج ٢، ص ٧٧ ٧٨: (وأقبل عبدالله بن الزبير على الحسين بن على، فقلا: يا أبا عبد الله، إن هذه ساعه لم يكن الوليد بن عتبه يجلس فيها للناس، وإنى قد أنكرت ذلك، وبعته فى هذه الساعه إلينا، ودعاءه إيانا بمثل هذا الوقت، أترى فى أى أمر طلبنا؟

فقال له الحسين:

«إذن أخبرك أيا بكر، إنى أظن بأن معاويه قد مات، وذلك أنى رأيت البارحة فى منامى كأن منبر معاويه منكوس، ورأيتُ داره تشتعل ناراً، فأولتُ ذلك فى نفسه أنه مات».

فقال له ابن الزبير: فاعلم يا بن على أن ذلك كذلك، فما ترى أن تصنع إن دعيت إلى بيعه يزيد أبا عبد الله؟

قال:

«أصنع، أنى لا أبايع أبداً، لأن الأمر إنما كان لى من بعد أخى الحسن، فصنع معاويه ما صنع، وحلف لأخى الحسن أنه لا يجعل الخلافه لأحد من بعده من ولده، وأن يردها إالى إن كنت حياً، فإن كان معاويه قد خرج من دنياه، ولم يف لى، ولا لأخى الحسن بما كان ضمن، فقد والله أتانا ما لا قوام لنا به، أنظر أبا بكر أنى أبايع ليزيد، يزيد رجل فاسق معلن بالفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ويبغض بقيه آل الرسول؟ لا والله لا يكون ذلك أبداً»^(١).

٢ وفى روايه أخرى: أقبل الحسين على الوليد بن عتبه وقال:

«أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوه ومعدن الرساله ومختلف الملائكه ومحل الرحمه، وبنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب خمر، قاتل النفس المحرّمه، معلن بالفسق، ومثلى لا- يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أيننا أحق بالخلافه والبيعه»^(٢).

١- النهضه الحسينيه للسيد محمد حسن ترحينى العاملى: ص ١٣٧، برقم ٢.

٢- النهضه الحسينيه للترحينى: ص ١٤٤.

٣ وفي روايه أخرى:

في الفتوح: ج ٢، ص ٨٤ ٨٥: (فخرج الحسنى بن على من منزله ذات ليله، وأتى إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:

«السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمه، أنا فرخك وسبطاً في الخلف الذى خلفت على أمّتك كذا في المصدر، وفي مقتل الحسين للخوارزمي: ج ١، ص ١٨٦؛ وسبطك والثقل الذى خلفته في أمّتك فاشهد عليهم يا نبى الله، إنهم قد خذلونى وضيعونى، وإنهم لم يحفظونى، وهذه شكواى إليك، حتى ألقاك صلى الله عليك وسلم».

ثم وثب قائماً، وصف قدميه، ولم يزل راکعاً وساجداً.

وأرسل الوليد بن عتبه إلى منزل الحسين لينظر هل خرج من المدينه أم لا، فلم يصبه فى منزله، فقال: الحمد لله الذى لم يطالبنى الله عزّ وجل بدمه، وظنّ أنه خرج من المدينه.

ورجع الحسين إلى منزله مع الصبح، فلما كانت الليله الثانيه خرج إلى القبر أيضاً فصلّى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول:

«اللهم إنّ هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت محمد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم وإنى أحب المعروفه وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلاله والإكرام بحق هذا القبر ومنّ فيه إلا ما اخترت من أمرى هذا ما هو لك رضا».

ثم جعل الحسين يبكى، حتى إذا كان فى بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعه، فرأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أقبل فى كبكبه من الملائكه عن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه، حتى ضمّ الحسين إلى صدره، وقبّل بين

عينيه، وقال:

«يا بُنَيَّ، يا حسين، كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بأرض كرب وبلاء، من عصايه من أمتي، وأنت في ذلك عطشان لا تُسقى، وظمآن لا تُروى، وهم في ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنا لهم الله شفاعتي يوم القيامة، فما لهم عند الله من خلاق، حبيبي يا حسين إن أباك وأمك قد قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة».

فجعل الحسين ينظر في منامه إلى جده صلى الله عليه وآله وسلم، ويسمع كلامه وهو يقول:

«يا جداه، لا حاجه لى فى الرجوع إلى الدنيا أبداً، فخذنى إليك، واجعلنى معك إلى منزلتك».

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا حسين، إنّه لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا، حتى ترزق الشهاده، وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فأنت وأبوك وأخوك وعمك، وهم أبيك، تحشرون يوم القيامة فى زمرة واحده حتى تدخلوا الجنة».

فانتبه الحسين من نوعه فزعاً مذعوراً، فقصّ على أهل بيته، وبنى عبد المطلب، فلم يكن ذلك اليوم فى شرق ولا غرب أشدّ غمّاً من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا أكثر منه باكياً وباكيه (١).

٤ وفى روايه أخرى: (ثم دعا الحسين بدواه وبيضاء، وكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أوصى به الحسين بن على بن أبى طالب لأخيه محمد، المعروفه بابن الحنفية، ولد على بن أبى طالب.

إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، سورة الحج آية: ٧ وأناى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاح والصدّ للاح في أمّه جدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن أمر بالمعروفه وأنهى عن المنكر، وأسير بسيره جدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وسيره أبى على بن أبى طالب، وسيره الخلفاء الراشدين المهديين، فمن قبلنى بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ علىّ هذا أصبر، حتى يقضى الله بينى وبين القوم بالحق، ويحكم بينى وبينهم، وهو خى الحاكمين»(١).

٥ وجاء فى روايه أخرى:

(وفى مدينه المعاجز للسيد هاشم البحرانى: ج ٢، ص ٢٧٤ ٢٨٥، عن ثاقب المناقب عن الباقر عليه السلام:

«لما أراد الحسين عليه السلام الخروج إلى العراق بعثت إليه أم سلمه، وهى كانت تربيّه، وكان أحبّ الناس إليها، وكان أرقّ الناس لها، وكانت تربيّه الحسين عندها فى قاروره، دفعها إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: يا بنىّ إلى أين تريد أن تخرج؟ فقال لها: يا أمّاه، أريد أن أخرج إلى العراق، ثم قال: ولمّ ذاك يا أمّاه؟

قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يقتل الحسين بالعراق، وعندى تربتك فى قاروره مختومه، ودفها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: يا أمّاه والله إنى لمقتول، وإنى لا أفزّ من القدر المقدور، والقضاء لله المحتوم،

والأمر الواجب من الله تعالى»(١).

بعد التأمل في هذه الروايات التاريخيه يظهر السبب الجوهرى لخروج الإمام الحسين عليه السلام وهو ما يلي:

١ سبب خروجه بحسب الظاهر هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح في أمه جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ورفض الظلم والظالمين وهذا ما يظهر من الروايتين الأولى والثانيه، ومن وصيته لأخيه محمد بن الحنفية، وهذا السبب مدخل للسبب الثاني.

٢ السبب الجوهرى هو الامتثال لما يريد الله تعالى له من المنزله الرفيعه والدرجه العاليه والتي لا تحصل إلاّ بخروجه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر والشهاده فى سبيل ذلك بدليل أن الإمام عليه السلام قد أخبر عن اختياره فى موته وأنه مخير فى مقتله فاختر ما أراد الله تعالى له.

وصف أهل الدنيا

تقدم الحديث عن الدنيا وأنواعها وعن التحذير منها والافتتان بزبارجها والأنهار بزخرفها، وتعرضنا إلى آثار حبتها وخطر التعلق بها وغير ذلك من الأبحاث، إلا أننا لم نتعرض إلى ذكر صفات عبيدها وأهلها، ولكى نؤكد صحه تسميه أهلها بعبيدها لابد من التأمل فى أحاديث أهل بيت العصمه لئرى وصفهم عليهم السلام لأهلها ونعتهم لمحبيها:

١ يرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن من يحب المال لذاته هو عبد محض للدنيا كما فى قوله عليه السلام:

«مَنْ أَحَبَّ الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ فَهُوَ عَبْدُ الدُّنْيَا»(٢).

١- النهضه الحسينيه للترحينى: ص ١٨٠ ١٨١.

٢- الخصال: ص ١١٣، ح ٩١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٠، ح ٥٩٢٦.

٢ ويرى الإمام الحسين عليه السلام أن الإنسان محب للدنيا ولا خير في ذلك إذا فاق حبه للدنيا حبه للدين فهذا مما لا يرضاه الله تعالى ورسوله والأئمة الطاهرون، كما أنه يرى أن المرء المحب للدنيا إذا تعرض للاختبار والابتلاء ينسى دينه ويبقى حريصا على دنياه فيتنازل عن شعارته ومدعياته الدينيه ويقع فريسه الحرص على الدنيا كما ورد ذلك في قوله عليه السلام:

«إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينُ لَعِيقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحْوِطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَائِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ» (١).

ومن هذه الروايات الشريفه نستشف مدى تعلق الإنسان ذى الإيمان الضعيف فضلا عن الكافر بهذه الدنيا الدينيه فيصل بتعلقه هذا إلى درجه أن يكون عبدا للدنيا ومؤثرا لها على دينه.

وهناك روايات أخرى توصف لنا هؤلاء العبيد لكى لا- نقع فيما وقعوا ولا نصل إلى ما وصلوا إليه، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يصف لنا عبد الدنيا بأنه فاقد العقل ميت القلب، ولهان حيران أسرته شهواته واستخفته ملذاته فيقول:

«قَدْ حَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلَهَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا» (٢).

وجاء عن حديث المعراج أن الإنسان الذى يخرج عن التوازن فى أكله ونومه ولهوه هو من عبيد الدنيا، والإنسان الذى لا حلم له ولا قناعه لديه فهو من أولادها وعبيدها، والإنسان الذى يتصف بالجرأه الوقحه والاعتداء على الناس دون أن يشعر بالخجل من ذلك هو من سجنائها، والإنسان الذى يتصف باللؤم وعدم النشاط فى

١- تحف العقول: ص ٢٤٥. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٩، ح ٥٩٢٥.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ١٠٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٠، ح ٥٩٢٩.

طاعه الله تعالى هو ممن تلبس بحبها، ولكي لا نكرر ما جاء في الحديث نعرض لكم حديث المعراج بنصه الواضح لتطلعوا على صفات عبيد الدنيا وأهلها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أهل الدنيا من كثر أكله وضحكه ونومه وغضبه، قليل الرضا، لا يعتذر إلى من أساء إليه، ولا يقبل مغدرة من اعتذر إليه، كشلان عند الطاعة، شجاع عند المعصية، أمله بعيد، وأجله قريب، لا يحاسب نفسه، قليل المنفعة، كثير الكلام، قليل الخوف، كثير الفرح عند الطعام.

وإن أهيل الدنيا لا يشكرون عند الرخاء، ولا يصبرون عند البلاء، كثير الناس عندهم قليل، يحمدون أنفسهم بما لا يفعلون، ويدعون بما ليس لهم، ويتكلمون بما يتمنون، ويدكرون مساوي الناس ويخفون حسناتهم.

قال: يا رب، هيل يكون سوى هذا العيب في أهيل الدنيا؟ قال: يا أحميد، إن عيب أهيل الدنيا كثير، فيهم الجهل والحمق، لا يتواضعون لمن يتعلمون منه، وهم عند أنفسهم عقلاء وعند العارفين حمقاء» (١).

سعادته في الموت

(فإني لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً).

قد يندهش المرء لأول وهله من عنواننا هذا ويستفهم كيف تتواجد السعادة في الموت الذي يفر منه أغلب الناس؟ وكيف يكون الموت الذي هو من وسائل الرعب وسيله للسعادة؟ وكيف يصير ما هو مرحلوا؟ ولكي يتضح الجواب على هذه الأسئلة وغيرها لابد من التعرض إلى ذكر روايات وأحاديث أهل العصمة والطهارة في هذا الأمر لتتعرف على نظرهم الشريف في تفسير الموت بالسعادة.

١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٣، ح ٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٠، ١٢٢١، ح ٥٩٣٠.

إلا أننا قبل التعرض إلى ذكر هذه الروايات والأحاديث نقول:

إن اليقين بأن الموت أمر حتمي يقود إلى الاستعداد له والتهيأ لما يليه، وأن تفسير الموت بأنه انتقال من دار فانية إلى دار باقية يدفعنا إلى التزود بالزاد الذى نحتاج إليه فى تلك الدار، وأن تفسيرنا للموت بأنه اغتسال وتنظف من قذاره هذه الدنيا، وتحرر من قيود شهواتها، وإخراج من سجنها يشعرنا بالتوق إليه والانتظار لمجيئه بقلب مطمئن ونفس مستقره.

وأن معرفتنا للموت بأنه لقاء الله تعالى ورسله وأنبيائه والأئمة الطاهرين، تجعلنا نشاق إلى ذلك اللقاء ومنتظره بلهفه.

ففى هذا تكمن السعادة، والآن لابد أن نستعرض الروايات والأحاديث الشريفه التى تشير إلى تفسير الموت، وكونه فى نفع المؤمن:

الروايات التى تفسر الموت

١ قال الإمام عليه السلام وقد سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ الْمَوْتِ:

«عَلَى الْخَيْرِ سَيَقُطُّمُ، هُوَ أَحَدٌ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ يَرِدُ عَلَيْهِ: إِمَّا بِشَارِهِ بِنَعِيمِ الْأَبَدِ، وَإِمَّا بِشَارِهِ بِعَذَابِ الْأَبَدِ، وَإِمَّا تَحْزِينٌ وَتَهْوِيلٌ وَأَمْرٌ (ه) مُبْتَهَمٌ، لَا يَدْرِي مِنْ أَى الْفِرْقِ هُوَ...» (١).

٢ عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال:

«أَعْظَمُ سُرُورٍ يَرِدُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ نُقِلُوا عَنْ دَارِ النَّكَدِ إِلَى نَعِيمِ الْأَبَدِ، وَأَعْظَمُ ثُبُورٍ يَرِدُ عَلَى الْكَافِرِينَ إِذْ نُقِلُوا عَنْ جَنَّتِهِمْ إِلَى نَارٍ لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْفَدُ» (٢).

١- معانى الأخبار: ص ٢٨٨، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩١٣، ح ١٩١٠٤.

٢- معانى الأخبار: ص ٢٨٨، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩١٣، ح ١٩١٠٥.

٣ قال الإمام زين العابدين عليه السلام لما سُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ:

«لِلْمُؤْمِنِ كَنْزُ ثِيَابٍ وَسِيَّحُهُ قَمَلُهُ، وَفَكَ قِيُودٌ وَأَغْلَالٌ ثَقِيلَةٌ، وَالْأَسْبَابُ تَبْدَالٌ بِأَفْخَرِ الثِّيَابِ وَأَطْيَبِهَا رَوَائِحُ، وَأَوْطَأَ الْمَرَائِبِ، وَأَنْسِ الْمَنَازِلِ؛ وَلِلْكَافِرِ كَخْلَعِ ثِيَابٍ فَاحِرَةٍ وَالنَّقْلِ عَنْ مَنَازِلِ أُنَيْسَةٍ، وَالْأَسْبَابُ بِأَوْسَخِ الثِّيَابِ وَأَخْشَنِهَا، وَأَوْحَشِ الْمَنَازِلِ، وَأَعْظَمِ الْعَذَابِ» (١).

٤ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«لِلْمُؤْمِنِ كَأَطْيَبِ رِيحٍ يَشْمُهُ فَيَنْعَسُ لِطَيْبِهِ وَيَنْقَطِعُ التَّعَبُ وَالْأَلَمُ كُلُّهُ عَنْهُ، وَلِلْكَافِرِ كَلَشَعِ الْأَفَاعِي وَلَدَغِ الْعَقَابِ أَوْ أَشَدًّا» (٢).

قيل: فَإِنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ: إِنَّهُ أَشَدُّ مِنْ نَشْرِ بِالْمَنَاشِيرِ، وَقَرْضٍ بِالْمَقَارِيضِ، وَرَضَخٍ بِالْأَحْجَارِ، وَتَدْوِيرِ قُطْبِ الْأَرْحِيهِ عَلَى الْأَحْدَاقِ! قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«كَذَلِكَ هُوَ عَلَى بَعْضِ الْكَافِرِينَ وَالْفَاجِرِينَ...» (٣).

٥ عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في عِيَادِهِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ:

«كَيْفَ تَجِدُكَ؟»

قال: لَقِيتُ الْمَوْتَ بَعْدَكَ! يُرِيدُ مَا لَقِيَهُ مِنْ شِدَّةِ مَرَضِهِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«كَيْفَ لَقِيتَهُ؟»

فقال: أَلَيْمًا شَدِيدًا، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«مَا لَقِيتَهُ، إِنَّمَا لَقِيتَ مَا يُنْدِرُكَ بِهِ وَيُعْرِفُكَ بَعْضَ حَالِهِ...» (٤).

١- معاني الأخبار: ص ٢٨٩، ح ٤. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩١٤، ح ١٩١٠٧.

٢- معاني الأخبار: ص ٢٨٧.

٣- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٧٤، ح ٩. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩١٤، ح ١٩١٠٩.

٤- معاني الأخبار: ص ٢٨٩، ح ٧. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩١٥، ح ١٩١١١.

٦ قال الإمام الجواد عليه السلام لَمَّا سُئِلَ عَنْ عِلَّةِ كَرَاهِيَةِ الْمَوْتِ:

«لَأَنَّهُمْ جَهِلُوهُ فَكَرِهُوهُ، وَلَوْ عَرَفُوهُ وَكَانُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَحْبُوهُ، وَلَعَلِمُوا أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا».

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا بَالُ الصَّبِيِّ وَالْمَجْنُونِ يَمْتَنِعُ مِنَ الدَّوَاءِ الْمُنْقَى لِبَدَنِهِ وَالنَّافِي لِلْأَلَمِ عَنْهُ؟».

قال: لِجَهْلِهِمْ بِنَفْعِ الدَّوَاءِ. قال عليه السلام:

وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا إِنَّ مَنْ اسْتَعَدَّ لِلْمَوْتِ حَقَّ الاستعدادِ فَهُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْ هَذَا الدَّوَاءِ لِهَذَا الْمُتَعَالِجِ، أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ عَرَفُوا مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ الْمَوْتُ مِنَ النَّعِيمِ لاسْتَدْعَوْهُ وَأَحْبَوْهُ أَشَدَّ مَا يَسْتَدْعَى الْعَاقِلُ الْحَازِمُ لِدَفْعِ الْآفَاتِ وَاجْتِنَابِ السَّلَامَاتِ» (١).

الروايات التي تصف موت المؤمن

١ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ أَشَدَّ شَيْعَتِنَا لَنَا حُبًّا يَكُونُ خُرُوجُ نَفْسِهِ كَشُرْبِ أَحَدِكُمْ فِي يَوْمِ الصَّيْفِ الْمَاءَ الْبَارِدَ الَّذِي تَنْتَقِعُ بِهِ الْقُلُوبُ، وَإِنَّ سَائِرَهُمْ لَيَمُوتُ كَمَا يُعْبِطُ أَحَدُكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ كَأَقْرَبِّ مَا كَانَتْ عَيْنُهُ بِمَوْتِهِ» (٢).

٢ جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث المعراج:

«وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ فِي حَالِهِ الْمَوْتِ يَقُومُ عَلَى رَأْسِهِ مَلَائِكَةٌ، بِيَدِ كُلِّ مَلِكٍ كَأْسٌ مِنْ مَاءِ الْكَوْثَرِ وَكَأْسٌ مِنَ الْخَمْرِ يَشِيْقُونَ رُوحَهُ حَتَّى تَذْهَبَ

١- (معاني الأخبار: ص ٢٩٠، ح ٨. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩١٥، ح ١٩١١٢).

٢- بحار الأنوار: ج ٦، ص ١٦٢، ح ٣٠. ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٣٩١٧، ح ١٩١١٩.

سَكَرْتُهُ وَمَرَّارَتُهُ، وَيُبَشِّرُونَهُ بِالْبِشَارَةِ الْعُظْمَى وَيَقُولُونَ لَهُ: طَبِيتَ وَطَابَ مَثْوَاكَ، إِنَّكَ تَقْدِمُ عَلَى الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ» (١).

٣ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«أَوَّلُ مَا يُبَشِّرُ بِهِ الْمُؤْمِنُ: رَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ، وَأَوَّلُ مَا يُبَشِّرُ بِهِ الْمُؤْمِنُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَبَشِّرْ وَلِيَّ اللَّهِ بِرِضَاةٍ وَالْجَنَّةِ! قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لِمَنْ شِيعَكَ، وَاسْتَجَابَ لِمَنْ اسْتَغْفَرَ لَكَ، وَقَبِلَ مَنْ شَهِدَ لَكَ» (٢).

٤ وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«الْمَوْتُ رِيحَانَةُ الْمُؤْمِنِ» (٣).

٥ وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ» (٤).

بعد هذه الباقية العطره من الروايات والأحاديث الشريفه اتضح لنا أن سعادته المؤمن في الموت، وأن روحه وريحانه وأمنه وأمانه، واستقراره واطمئنانه في الموت.

المتظاهرون بالدين

(إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ لَعَقُّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحْوِطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَائِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ).

هذا المقطع الشريف من خطبه الإمام الحسين عليه السلام يصور لنا الفريق الذى يتظاهر بالدين ويطلق الشعارات وينادى بالاستقامه والانقياد لله تعالى، فإذا تعرض

١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٧، ح ٦، أنظر تمام الحديث. ميزان الحكمه: ج ٩، ص ٣٩١٧، ح ١٩١٢٠.

٢- كنز العمال: ٤٢٣٥٥. ميزان الحكمه: ج ٩، ص ٣٩١٧، ح ١٩١٢١.

٣- كنز العمال: ٤٢١٣٦. ميزان الحكمه: ج ٩، ص ٣٩١٧، ح ١٩١٢٢.

٤- كنز العمال: ٤٢١١٠. ميزان الحكمه: ج ٩، ص ٣٩١٧، ح ١٩١٢٣.

للاختبار فى طاعه ما نراه يتكاسل أو يتهرب مبررا ذلك بتبريرات كثيره، وإذا فتن بمعصيه ما سرعان ما يسقط فيها متناسيا الورع والتقوى، يخالف قوله عمله ويأمر الناس بالبر وينسى نفسه.

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس من التلبس بالدين لتحصيل الدنيا، فيظهرون بصوره المؤمنين الخائفين الذين إذا تكلموا أحبهم الناس فيقول:

«وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَجْتَلِبُونَ الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّالِّينَ مِنَ الْإِيمَانِ، كَلَامُهُمْ أَهْلِي مِنَ الْعَسَلِ وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذُّنَابِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَبِي يَعْتَرُونَ؟!» (١).

كما صرح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بكلام يوضح هؤلاء المرئين فيقول:

«وَمِنْهُمْ أَيْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ وَأَتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ» (٢).

ولذا حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس على الحفاظ على الدين وأمرهم أن يقووه بأموالهم وأنفسهم كما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنْ عَرَضَ لَكَ بَلَاءٌ فَاجْعَلْ مَالَكَ دُونَ دِمِّكَ، فَإِنْ تَجَاوَزَكَ الْبَلَاءُ فَاجْعَلْ مَالَكَ وَدَمَكَ دُونَ دِينِكَ، فَإِنَّ الْمَسْلُوبَ مِنْ سَيْلِبِ مَنْ سَلِبَ دِينُهُ، وَالْمَخْرُوبَ مَنْ خَرِبَ دِينُهُ» (٣).

١- أعلام الدين: ص ٢٩٢. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٣٧١، ح ٦٧٧٦.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ٣٢. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ٣١٧١، ح ٦٧٧٧.

٣- كنز العمال: ٤٣٦٠١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٧٢، ح ٦٢٤٣.

ويظهر من الآيات الكريمة الأحاديث والروايات الشريفة أن الذين يؤثرون الدنيا على الدين ستكون عاقبتهم وخيمه كما ورد ذلك في قوله تعالى:

(الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْقَوْهُم نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) (١).

وقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إِيَّاكُمْ وَالتَّهَاوُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ مَنْ تَهَاوَنَ بِأَمْرِ اللَّهِ أَهَانَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

١- سورة الأعراف، الآية: ٥١.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٧، ح ٣.

ص: ٤٩

الخطبه العاشره

اشاره

وفيها يعظ الناس، ويهديهم من ضلالتهم، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويصف فيها السلطان الجائر، خطبها بالبيضة، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

نص الخطبه

اشاره

(أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحَرَمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِشَيْئِهِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُعَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ.

أَلَا- وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَطَّلُوا الْجِدُودَ، وَاسْتَبَأْتُوا بِالْفِئَةِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ، وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيْرِي لِقْرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَدْ أَتَيْتَنِي كُتُبُكُمْ، وَقَدِمَتْ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ بِيَعْتِكُمْ؛ أَنْكُمْ لَا تُسَلِّمُونِي وَلَا تَخَذُلُونِي، فَإِنْ تَمَمْتُمْ عَلَيَّ بِيَعْتِكُمْ تُصِيبُوا رُشْدَكُمْ.

فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلکم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبيكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

المعنى العام

(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسِيحًا تَحَلَّى لِحُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُعَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ).

يتعرض الإمام عليه السلام لبيان التزامه بنهج جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وذلك من خلال الاحتجاج بحديثه الشريف حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم من رأى حاكماً ظالماً أجاز ارتكاب الحرام وانتهاك الحرمات والمقدسات، وناقضا ونابذا لميثاق الله تعالى ومعاكسا لشريعته رسول الله، ويتعامل مع عباد الله تعالى بما حرم الله تعالى، ومن لم يتصد له بقول أو فعل ويمنعه من ذلك ليتحول إلى المعروف استحق أن يكون معه يوم القيامة.

(أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكَوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَطَّلُوا الْحَيْدُودَ، وَاسْتَبَأْتُوا بِالْفَنَاءِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ، وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيْرِي لِقْرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَدْ أَتَيْتَنِي كُتُبُكُمْ، وَقَدِمْتُمْ عَلَيَّ رُسُلَكُمْ بِيَعْتِكُمْ؛ أَنْكُمْ لَا تُسَلِّمُونِي وَلَا تَحْدُلُونِي، فَإِنْ تَمَمْتُمْ عَلَيَّ بِيَعْتِكُمْ تُصِيبُوا رُشْدَكُمْ).

ويشير الإمام عليه السلام إلى بنى أمية ومن لف لفهم أنهم من عبده الشيطان فانقادوا له وتركوا عبادة الله تعالى ذى الرحمة الواسعة، وأعلنوا ما هو نتن وقذر وتركوا العمل بحدود الله تعالى، واختصوا بالغنيمه والخراج، وأجازوا كل ما هو ممنوع من قبل الشريعة، ومنعوا كل ما هو مباح ومرخص، وأنا أول من ردع هؤلاء وحولهم إلى ما هو صواب، قد جاءتنى رسائلكم، ودخلت على رسلكم ببيعتكم أنكم لا تدفعونى منقادا ولا تتركون نصرتى وعونى، فإن أنجزتم بيعتكم نلتم وأدر كتم هداكم وتوفيقكم.

(فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلکم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخالقتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

يعرف الإمام عليه السلام نفسه ونسبه لكي يلقي الحجة عليهم، ويؤكد أنه لا يمتاز عليهم ولا يتركهم ويواسيهم بنفسه وأهله، ويقول لهم إنى لكم قدوه ومثل، وإن لم تعلموا هذا ونكثتم ميشاقكم، ونزعتم بيعتي من رقابكم، فلعمري للقسم ما هذه الفعلة بجديده عليكم أو بأمر مجهول حيث لكم في ذلك سابقه، إذ فعلتم هذا النكث بأمر المؤمنين على بن أبي طالب أبي وبالحسن بن علي وأخي وبمسلم بن عقيل ابن عمي، والجاهل أو المخدوع من انخدع بكم أو غفل عنكم، فنصيبكم أخطأتم وحصتكم أذهبتم، ومن نقض فإنما ينقض على نفسه حيث سيأخذ به يوم القيامة، وسيعوضني الله تعالى بغيركم ويرفع حاجتي إليكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجهاد في سبيل الله تعالى

إشارة

الجهاد: كلمه مأخوذه من (الجهد) أى التعب والمشقه أو من (الجهد) أى بذل الوسع والطاقة، ومن خلال مزج المعنيين يكون المعنى التام للجهاد: بذل الوسع والطاقة وتحمل التعب والمشقه فى سبيل إعلاء كلمه الله تعالى وحفظ رايه الإسلام والدفاع عن الحق والعدل.

لقد حث الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على التمسك بهذا الفرض الكريم

الذى يعد من الأسس التى بنى عليها الإسلام كما فى الآيات الكريمة التالية:

١ قال الله عز وجل:

(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبُكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)(١).

٢ قال تبارك وتعالى:

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِندًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي كُنْتُمْ تُبْعَثُونَ بِهَا وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(٢).

٣ قال الله سبحانه وتعالى:

(فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لِمَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا)(٣).

١- سورة الحج، الآية: ٧٨.

٢- سورة التوبة، الآية: ١١١.

٣- سورة النساء، الآيتان: ٧٤ و٧٥.

٤ قال الله تبارك وتعالى:

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (١).

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) (٢).

وما ورد من الحث على الجهاد فى الروايات والأحاديث نذكر منها:

١ قال الإمام على عليه السلام:

«إِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ، وَجَنَّةُ الْوَثِيقَةِ» (٣).

٢ وعنه عليه السلام قال:

«الْجِهَادُ عِمَادُ الدِّينِ، وَمِنْهَاجُ السُّعْدَاءِ» (٤).

٣ عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«الْجِهَادُ أَفْضَلُ الْأَشْيَاءِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ» (٥).

٤ قال الإمام على عليه السلام:

١- سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

٢- سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

٣- نهج البلاغة: الخطبة ٢٧. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٢٦٦٥.

٤- غرر الحكم: ١٣٤٦. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٢٦٦٦.

٥- مشكاة الأنوار: ١٥٤. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٢٦٦٨.

«إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ الْجِهَادَ وَعَظَّمَهُ وَجَعَلَهُ نَصْرَهُ وَنَاصِرَهُ، وَاللَّهُ، مَا صَلَحَتْ دُنْيَا وَلَا دِينٌ إِلَّا بِهِ» (١).

٥ وعنه عليه السلام:

«إِنَّ الْجِهَادَ أَشْرَفُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ قِوَامُ الدِّينِ، وَالْأَجْرُ فِيهِ عَظِيمٌ مَعَ الْعِزَّةِ وَالْمَنْعَةِ، وَهُوَ الْكِرَّةُ، فِيهِ الْحَسَنَاتُ وَالْبُشْرَى بِالْجَنَّةِ بَعْدَ الشَّهَادَةِ» (٢).

٦ جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام:

«الْجِهَادُ وَاجِبٌ مَعَ إِمَامٍ عَادِلٍ» (٣).

ومن خلال بعض الآيات الكريمة وبعض الروايات الشريفة يظهر أن للجهاد أنواعاً متعددة وهي كما يلي:

الأول: جهاد النفس

وهو محاربه وقتال الهوى والاستيلاء والسيطره على الشهوات والرغبات وجعلها تصب في مضمار الحق والرخص التي رخص بها الله تعالى لعباده لكي يصل بنفسه إلى القرب الإلهي.

ولهذا أرشدتنا الآيات الكريمة كما في قوله تعالى:

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) (٤).

إلى ضروره الالتزام بالطاعه ونبذ المعصيه ومصارعه الهوى، كما أكدت الروايات الشريفة على هذا المعنى وورد في الأحاديث الشريفة التاليه:

١- وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٩، ح ١٥. ميزان الحكمه: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٢٦٧١.

٢- نور الثقلين: ج ١، ص ٤٠٨، ح ٤٢٩. ميزان الحكمه: ج ٢، ص ٥٨٥، ح ٢٦٧٥.

٣- وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٣٥، ح ٩. ميزان الحكمه: ج ٢، ص ٥٨٥، ح ٢٦٧٨.

٤- سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ و ٤١.

١ قال الإمام على عليه السلام:

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ سَرِيَّةً، فَلَمَّا رَجَعُوا قَالَ: مَرْحَبًا بِقَوْمٍ قَضُوا الْجِهَادَ الْأَصْغَرَ وَبَقِيَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ.

قِيلَ: (يا رَسُولَ اللَّهِ، وما الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؟ قَالَ:

جِهَادُ النَّفْسِ)»(١).

٢ وقال عليه السلام:

«أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ»(٢).

٣ ورد في مستدرک الوسائل عن فقه الرضا عليه السلام قال:

نَزَوَى أَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى بَعْضَ أَصْحَابِهِ مُنْصَرِفًا مِنْ بَعْثٍ كَانَ بَعَثَهُ، فِيهِ وَقَدْ أَنْصَرَفَ بِشَعْنِهِ وَعُبارِ سَفَرِهِ، وَسِلَاحُهُ (عَلَيْهِ) يُرِيدُ مَنْزِلَهُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

انصرفت من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.

فقيل له: أوجهاً فوق الجهاد بالسيف؟

قال:

نعم، جهاد المرء نفسه»(٣).

٤ عن الإمام على عليه السلام:

«أَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى، وَفِطَامُهَا عَنِ لَذَاتِ الدُّنْيَا»(٤).

١- معاني الأخبار: ص ١٦٠، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٥٩٦، ح ٢٧٤٢.

٢- المصدر السابق.

٣- مستدرک الوسائل: ج ١١، ص ١٤٠، ح ١٢٦٥١. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٥٩٦، ح ٢٧٤٣.

٤- غرر الحکم: ٣٢٣٢. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٥٩٦، ح ٢٧٤٤.

٥ وعنه عليه السلام:

«غَايَةُ الْمُجَاهَدَةِ أَنْ يُجَاهِدَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ» (١).

ومن بعد التأمل في هذه الروايات الشريفه يظهر لنا:

ألف: أن سقوط الألم على البدن عند الاشتباك مع العدو أخف وطأه من الألم الناتج عن محاربه الهوى.

باء: أن محاربه الهوى وقاتل النفس الأماره بالسوء حاله مستمره لا نهايه لها إلا بالخروج من رتبه النفس الأماره إلى رتبه النفس المطمئنه فلذا يعيش صاحبها ألماً دائماً وهذا ما يؤكد حديث المعراج الشريف في صفه أهل الخير وأهل الآخره:

«يَمُوتُ النَّاسُ مَرَّةً، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً مِنْ مُجَاهَدَةِ أَنْفُسِهِمْ وَمُخَالَفَةِ هَوَاهُمْ وَالشَّيْطَانِ الَّذِي يَجْرِي فِي عُرُوقِهِمْ» (٢).

فهذا الحديث يشير أيضا إلى أن الموت والقتال مع النفس متكرر لا ينتهى بمره واحد فيرتاح صاحبها بعدها بل هو فى ألم وصراع دائم.

جيم: أن ثواب وأجر مجاهد النفس أكثر من ثواب وأجر المجاهد فى ميدان المعركه وهذا ما أكدته الروايات السابقه فى المقاطع (فقيل له: أو جهاد فوق الجهاد بالسيف؟ قال:

«نَعَمْ، جِهَادُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ».

وقول أمير المؤمنين عليه السلام فى الروايه السابقه:

«أَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى...».

١- غرر الحكم: ٦٣٧٠. ميزان الحكمه: ج ٢، ص ٥٩٦، ح ٢٧٤٦.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٤، ح ٦. ميزان الحكمه: ج ٢، ص ٥٩٨، ح ٢٧٥٦.

الثانى: جهاد وقنال الكفار المشركين

مجاهده ومحاربه عبده الأوثان الذين يشركون مع الله إلها آخرًا، والملحدين الذين لا يؤمنون بوجود الله تعالى لكى تكون كلمه الله تعالى هى العليا ولكى لا يعبد إلا هو سبحانه حقيقه العباده، وهذا ما أكدته الآيات الكريمه حيث قال تعالى:

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) (١).

(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (٢).

ولكن قبل أن يقع السيف بين هؤلاء وبين المسلمين لابد من توجيه الدعوه لهم للدخول فى الإسلام الذى يكفل لهم ولغيرهم سعادته الدنيا والآخرة بالحكمه والموعظه الحسنه وإفحامهم بالحجه البالغه حتى يصلوا إلى معرفه الحق، فإن أبوا بعد ذلك إلا جحوداً وجب قتالهم وجهادهم حتى يسلموا أو يستسلموا فيرى الإمام العادل والحاكم الشرعى وولى الأمر رأيه فيهم حسب ما تقتضيه المصلحه الإسلاميه وهذا متروك الخوض فيه إلى كتب الفقه.

الثالث: جهاد وقنال أهل الكتاب

يطلق على اليهود والنصارى والمجوس والصابئه بأنهم أهل الكتاب، ولا- يجب قتالهم ومجاهدتهم إلا- إذا حاربوا الإسلام والمسلمين أو الذين لا يلتزمون بدمه وعهد مع المسلمين الذين يعيشون معهم وهذا ما تشير إليه الآيه الشريفه:

١- سورة الأنفال، الآيه: ٣٩.

٢- سورة التوبه، الآيه: ٣٦.

(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (١).

فيلزم من هذا الحكم الإلهي مقاتله هؤلاء إلى أن يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية لدوله الإسلام ويلتزموا مع المسلمين بعهد وذمه، وهذا الأمر يترك تفصيله إلى كتب الفقه أيضا لضيق المقام ولخروجه عن البحث.

الرابع: الجهاد دفاعاً عن الإسلام والمسلمين

وهذا هو الجهاد الدفاعي الذي يختلف عما سبق من الأنواع أو أنه يجب على كافة المسلمين الذين تتعرض بلادهم لعدوان من قبل الكفار أو المرتدين الذين يريدون النيل من بيضه الإسلام وطمس أصول الدين وانتهاك فروعه ومنع شعائره وطقوسه وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«... وَإِنْ خَافَ عَلَى بَيْضِهِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ قَاتِلًا، فَيَكُونُ قِتَالُهُ لِنَفْسِهِ لَيْسَ لِلسَّيْطَانِ لِأَنَّ فِي دُرُوسِ الْإِسْلَامِ دُرُوسِ ذِكْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» (٢).

الخامس: جهاد وقتال أهل البغي

وهؤلاء الذين يجب جهادهم هم الذين يخرجون على نظام الحكم الإسلامي الصحيح ويحاربون الحاكم الإسلامي العادل للإطاحة به لتحقيق أغراضهم الشخصية وأهدافهم الدنيوية، أو لفرض اجتهاداتهم وآرائهم الخاصة على الحاكم. ولكي يتضح الأمر جليا سنتعرض لبيان من يجب جهادهم وقتالهم.

١- سورة التوبة، الآية: ٢٩.

٢- وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج ١١، ص ٢٠، ح ٢.

الفئات الباغية التي يجب جهادها

الفئة الأولى

يجب جهاد وقتال كل من يبغى على الحاكم الإسلامى العادل الذى يحكم بما أنزل الله سبحانه، والذين يعملون ضد نظام الحكم الإسلامى الصحيح لأغراض شخصيه وأهداف دنيويه كما حصل ذلك مع أمير المؤمنين عليه السلام عندما خرج عليه طلحه والزبير وعائشه فى معركة الجمل، ومعاويه فى صفين والخوارج فى النهروان.

الفئة الثانية

هى الفئة التى تأبى الصلح والالتزام بالحكم الشرعى، ويكون ذلك فى حالة اقتتال فئتين من المسلمين بسبب الخلافات فيتدخل الحاكم الشرعى أو المسلمون للإصلاح فتأبى إحدى الفئتين ذلك، فتستخدم القوه لفرض موقفها أو رأيها.

الفئة الثالثة

بغى الحاكم على الأئمه والاستبداد برأيه وفرض الباطل والمنكر عليها بالقوه والقهر، فيجب مقاتله هذا الباغى ومنعه من الظلم والعدوان والفسق والفجور وهذا ما قام به الإمام الحسين عليه السلام مع يزيد الفاسق فى واقعه كربلاء.

وبعد هذا العرض الموجز اتضح لنا مدى أهميه هذا الفرض الإسلامى ودوره فى رفع كلمه الله تعالى وجعلها العليا ودحض كلمه الباطل وجعلها السفلى.

صفات أتباع الشيطان

منذ أن خلق الله تعالى الخليقه حذر من الاغترار بمخادع الشيطان ومكره وبيّن عداوه الشيطان وحسده للإنسان، وتكبره عليه وهذا ما توضحه الآيات الكريمة التى تسرد لنا أسباب تكبر إبليس وحسده وانتقامه من الإنسان وإيقاعه فى المعاصى كما فى

قوله تعالى:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَمَّا بَيَّنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصَصَ فَمَنْ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ(١).

إلا أن هذا التحذير لم يلق الأذن الصاغيه عند كثير من البشر فلذا نجدهم سقطوا في براثن الشيطان ومكائده وتلوثوا بالمعاصي والذنوب وهذا ما أكدته الآيات الكريمة التاليه:

١ آيه تشير إلى وقوع البشر فى الزلل كما فى قوله تعالى:

(فَازَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَاخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٢).

١- سورة الأعراف، الآيات: ١١ إلى ٢٢.

٢- سورة البقره، الآيه: ٣٦.

٢ آيه تشير إلى اغترار البشر بتسويل الشيطان فوقعوا في الرده كما في قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ) (١).

٣ آيه تشير إلى تزيين الشيطان للإنسان أعماله السيئه فابتعد بسبب ذلك عن الطريق الصحيح كما في قوله تعالى:

(وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) (٢).

٤ آيه تشير إلى سيطره الشيطان على عقول بعض الناس إلى درجه أنهم نسوا ربهم الذى خلقهم وأنهم عليهم كما في قوله تعالى:

(اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (٣).

فصار هؤلاء من حزب الشيطان وأتباعه الذين اتصفوا بصفات قبيحه ذكرها القرآن الكريم وأهل بيت العصمه عليهم السلام فى أحاديثهم الشريفه نذكر منها:

١ اتصف هؤلاء بأنهم شركاء الشيطان فى أفعاله القبيحه إذ قاموا بتطبيق ما أمرهم به من سلوكيات قدره وأقوال بذيئه فاحشه ونظرات خائفه، فلذا يذمهم أمير المؤمنين عليه السلام فيقول:

«اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكًا، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي

١- سورة محمد، الآية: ٢٥.

٢- سورة النمل، الآية: ٢٤.

٣- سورة المجادله، الآية: ١٩.

صُدُّوهُمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَوَكَّبَ بِهِمُ الزَّلَّلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الخَطَلَ، فِعْلٌ، مَنْ قَدَّ شَرِكُهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ! (١).

٢ اتصف أتباع الشيطان بالترف الباطل المذموم الذي يبعد صاحبه عن الله تعالى وهو لا يشعر بقبحه ما يفعل لما أصابه من الشيطان بل تحول هذا المترف إلى شيطان من شياطين الإنس كما أكد ذلك قول الإمام علي عليه السلام في كتابه إلى معاوية إذ يقول:

«فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَاخِذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمْلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالْدَّمِ» (٢).

٣ اتصف أتباع الشيطان باتباع الهوى والابتعاد عن العقل والبصيره والانكباب على الدنيا ونسيان ذكر الله تعالى وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعِ الفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ... فَهَذَاكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الحُسْنَى» (٣).

٤ اتصف أتباع الشيطان بأنهم يجادلون بجهل ومكابره كما في قوله تعالى:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ» (٤).

٥ اتصف أتباع الشيطان بأنهم يروجون للفحشاء ويأمرون بالمنكر كما في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ

١- نهج البلاغه: الخطبه ٧. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٢، ح ٩٣٨١.

٢- نهج البلاغه: الكتاب ١٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٢، ح ٩٣٨٢.

٣- نهج البلاغه: الخطبه ٥٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٩، ح ٩٤٠٦.

٤- سورة الحج، الآية: ٣.

بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١).

ولكى نجمع صفاتهم فنقول: أتباع الشيطان هم أهل الرذائل والمنكرات.

لماذا يعرّف الإمام عليه السلام نفسه؟

قوله عليه السلام:

(فأنا الحسين بن عليّ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسليمتي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكنم في أسوة).

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام مجهولاً عند سامعيه، ولم يكن بحاجة إلى أن يذكر أباه وأمه عند تعريفه نفسه إنما فعل ذلك لحكمه هو أدرى بها، ولكننا نستطيع أن نفهم من تعريفه هذا ما يلي:

١ ذكر الإمام عليه السلام اسمه الشريف لما له من منزله في الأمة الإسلامية أسسها جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بأقواله الشريفه:

«حسين مني وأنا من حسين».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة».

وغيرها من الأحاديث الشريفه التي ركزت مقام ورتبه الإمام عليه السلام في نفوس المسلمين، ولعله أراد تذكير الأمة بمنزلته وإلقاء الحجة عليها لكي لا تجرأ على

التعدى عليه أو لكى لا تخذله عند مجابهه الظالمين.

٢ عزّف الإمام نفسه بأنه ابن على وفاطمه عليهما السلام ليكون ذلك دافع يدفع الأُمه لنصرته، ويمنعها من خذلانه أو حربته، إذ إن لعلى عليه السلام حقاً على الأُمه الإسلاميه التى اهدتت بدين المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والذي صرح بدوره بأن أحد أسباب قيام هذا الدين هو سيف على عليه السلام وجهاده وصبره بدليل القول المشهور الذى نودى به فى معركة أحد: (لا فتى إلا على ولا سيف إلا ذو الفقار).

كما أن لعلى عليه السلام أدواراً كثيره فى الدفاع عن الدين فكريا وعمليا ولهذا ينبغى بالأُمه أن ترد هذا الجميل من خلال حفظ المرء فى ولده، وهذا أيضا يجرى فى سبب ذكر السيده فاطمه الزهراء عليها السلام بأنها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى بَلغ وأخبر الأُمه بأن أجره على الرساله هو موده القربى واحترام وتوقير على وفاطمه عليهما السلام، وإدخال السرور عليهما بنصره الإمام الحسين عليه السلام هو جزء من الموده المطلوبه.

٣ أراد الإمام الحسين عليه السلام بتعريفه هذا أن يبين للأُمه أن منزلتى هذه ورتبتى ومقامى فداء للإسلام فلا يجوز للأُمه أن تتردد فى الدفاع عن الإسلام من خلال نصرتى ومعاونتى على مجاهده الحاكم الجائر الباغى عليهم.

٤ أراد الإمام الحسين عليه السلام بقوله: (نفسى مع أنفسكم، وأهلى مع أهلكم...)، أن يقول إننى لم أطلب تعريض نفسى وأهلى إلى الضرر المحتمل، لأن هذا مخالف للشرع إلا إذا كان فى سبيل الله تعالى، إذ إن طالب الدنيا يحرص على سلامته وسلامه أهله لكى يتمتع بمتاعها، وهذا ليس هو هدف الإمام عليه السلام.

٥ وقوله عليه السلام (فلکم فى أسوه...)، تأكيد على مراد الإمام عليه السلام

الذى هو إقامه الحق وبسط العدل، وهذا لا يتم إلا بالتضحية بالغالى والنفيس ولا يدعو لهذا إلا من وطن نفسه على التضحية وبادر إليها قبل غيره بناء على القاعده الأخلاقية التى أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام:

«من أراد أن يكون معلما للناس فليبدأ بتعليم نفسه قبل غيره».

نقض العهد

(وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ، وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتِي مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، فَلَعَمْرِي مَيَاهِي لَكُمْ بُنُكْرٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَابْنِ عَمِّي مُسْلِمٍ، وَالْمَعْرُورِ مِنْ أَعْتَرَّ بِكُمْ، فَحَظَّكُمْ أخطأتم، وَنَصَيْبِكُمْ ضَيَعْتُمْ، وَمَيْنَ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَسَيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ).

ورد ذكر الوفاء بالعهد فى القرآن الكريم وجاء بعنوان صفة لعباد الله تعالى الصالحين كما فى قوله تعالى:

(وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا)(١).

كما ذكرت آيات أخرى العهد بمفردات تدل معناها عليه كما فى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)(٢).

أو قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ

١- سورة البقره، الآية: ١٧٧.

٢- سورة المائدة، الآية: ١.

مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١).

ولقد أكد ذلك الإمام الصادق عليه السلام (لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (٢).

بقوله: «العهود» (٣).

ووردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة تحث على وجوب الالتزام بالعهد كما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» (٤).

وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث آخر:

«حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ» (٥).

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الالتزام بالعهد والوفاء به فهو مما يقرب العبد إلى ربه ومما يُنجى يوم القيامة، وأما نقض العهد فيؤدى إلى عاقبه وخيمه فى الدنيا والآخرة كما فى قوله عليه السلام:

«إِنَّ الْعُهُودَ قَلَائِدُ فِي الْأَعْنَاقِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ نَقَضَهَا خَذَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِهَا خَاصَمَتَهُ إِلَى الَّذِي أَكَّدَهَا وَأَخَذَ خَلْقَهُ بِحِفْظِهَا» (٦).

١- سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

٢- سورة المائدة، الآية: ١.

٣- تفسير العياشى: ج ١، ص ٢٨٩، ح ٥. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٤٨، ح ١٤٤١٠.

٤- نوادر الراوندى: ص ٥. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٥٠، ح ١٤٤٢٤.

٥- كنز العمال: ١٠٩٣٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٥٠، ح ١٤٤٢٥.

٦- غرر الحكم: ٣٦٥٠. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٤٨، ح ١٤٤١٧.

وعهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى العامل على مصر مالك الأشتر مشهور ولا ينسى، فلقد ذكر فيه وجوب الوفاء بقوله: (فُحِطْ
عهدك بالوفاء.... الخ)، وحيث إن العهد يتجسد في العقد والذمه بين شخص وآخر نجد أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد على
ذلك بقوله:

«وإن عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِدُوِّكَ عَقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطَّ عَهْدُكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً
دُونَ مَا أُعْطِيتَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً مِمَّا تَفَرَّقَ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشْتَّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ
بِالْعُهُودِ.

وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ، فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلَا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ، وَلَا
تَخْتَلِنَنَّ عِدُوَّكَ» (١).

فإن لنقض العهد عواقب سيئه في الدنيا وهي السقوط في الذلة والخسران أمام الأعداء كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم:

«إِذَا نَقَضُوا الْعَهْدَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عِدْوَهُمْ» (٢).

وعواقب وخيمه في الآخرة وهي أن يكون خصماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة فيخضم كما في قوله صلى الله
عليه وآله وسلم:

«أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَفَضَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

١- نهج البلاغة: الكتاب ٥٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٧، ص ١٠٦. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٤٩، ح ١٤٤١٩.

٢- بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ٤٦، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٤٩، ح ١٤٤٢٠.

٣- كنز العمال: ١٠٩٢٤. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٤٩، ح ١٤٤٢٢.

وعهد الله تعالى أولى بالوفاء وأولى بالصيانة من أى شىء آخر فلذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ذم لمن لم يحن عهد الله تعالى ولم يف به كما فى قوله عليه السلام:

«ما أيقن بالله من لم يزع عهوده وذمته» (١).

وكذلك جاء على لسان أمير المؤمنين عليه السلام مدح لمن وفى بعهده أو أن هذا الوفاء من الخصال الجيده والفضائل الرشیده كما صرح به فى قوله:

«واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك» (٢).

ولأذن الوفاء بالعهد من القيم الأخلاقية العاليه والفضائل العظيمة صار لا بد من الدفاع عنها وإلا استحق من لم يدافع عنها اللوم والذم كما استحقه بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما فى قوله عليه السلام:

«وقد تروون عهود الله منقوضه، فلا تغضبون، وأنتم لتقض ذمم آبائكم تأنفون!» (٣).

وفى هذا الحديث حث على الوفاء بالعهد حتى لغير المسلمين بل حتى لمن كان عاصياً فاجراً.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن رخصه: أداء الأمانه إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين» (٤).

١- غرر الحكم: ٩٥٧٧. ميزان الحكمه: ج٧، ص ٢٨٥٠، ح ١٤٤٢٨. فى مستدرک الوسائل (وذمته): ج ١١، ص ٢٠١.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ٧٢. ميزان الحكمه: ج٧، ص ٢٨٥٠، ح ١٤٤٢٩.

٣- نهج البلاغه: الخطبه ١٠٦. ميزان الحكمه: ج٧، ص ٢٨٥١، ح ١٤٤٣١.

٤- بحار الأنوار: ج٧٤، ص ٥٦، ح ١٥. ميزان الحكمه: ج ١١، ص ٤٨٨٥، ح ٢٢٦٨٢.

الخطبه الحاديه عشره: وفيها يصف فضائل أهل البيت، ويذكر حقهم، ويذمّ بنى أميّه

اشاره

لَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ أَمَرَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنْ يَتَهَيَّؤُوا لِلرَّحِيلِ ففعلوا، ثم أمر مناديه فنادى بالعصر وأقام، فاستقام الحسين عليه السلام فصلى بالقوم ثم سلم وانصرف إليهم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

نص الخطبه

اشاره

(أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ يَكُنْ أَرْضَى لَكُمْ، وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، وَأَوْلَى بِوَلَايَةِ هَذَا الْأَمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ، وَالسَّيِّئِينَ فِيكُمْ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ؛ وَإِنْ أُبَيِّتُمْ إِلَّا كَرِهَيْتُمْ لَنَا وَالْجَهْلَ بِحَقِّنَا، فَكَانَ رَأْيُكُمْ الْآنَ غَيْرَ مَا أَتَيْتَنِي بِهِ كُتُبُكُمْ وَقَدِمْتُمْ بِهِ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ، انصَرَفْتُ عَنْكُمْ).

المعنى العام

أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ تَخَافُوا اللَّهَ وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ يَكُنْ أَرْضَى لَكُمْ مَرْضِيَا لَكُمْ مِنْكُمْ مَرْضِيَا لَكُمْ تَعَالَى، فَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَحَقُّ مِنْ يَمْلِكُ هَذَا الْأَمْرَ وَيَقُومُ بِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ لِحَقِّ غَيْرِهِمْ، وَالْحَاكِمِينَ فِيكُمْ بِالظُّلْمِ وَالتَّجَاوُزِ، وَإِنْ رَفَضْتُمْ إِلَّا كَرِهْنَا وَتَرَكْنَا حَقَّنَا عَمَدًا، فَكَانَ رَأْيُكُمْ الْآنَ غَيْرَ مَا جَاءَتْ بِهِ رِسَائِلُكُمْ وَرَسُلُكُمْ، ذَهَبَتْ عَنْكُمْ.

ولايه أهل البيت عليهم السلام

إشاره

قوله عليه السلام:

(وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، وَأَوْلَىٰ بِوَلَايَةِ هَذَا الْأَمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ...).

ولايه أهل البيت عليهم السلام ركن من أركان الإسلام الخمسه بل هي أهم الأركان وأعظمها لما فيها من طاعه الله تعالى وامثال لأوامر رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فلذا جاء في القرآن الكريم:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (١).

ففي هذه الآيه الكريمه بيان منزله أولى الأمر وبيان رتبه طاعتهم وضروره الحاجه إليهم، فمن أراد طاعه الله تعالى ورسوله فعليه بطاعه أولى الأمر الذين عصمهم الله تعالى من الزلل وطهرهم من الدنس وسما بهم عن سفساف الأمور وجعلهم الأمناء على وصيه والحافظين لدينه والسائرين بنهجه والمقيمين لسننه والعاملين بشرعه، وليس لهذا الوصف مصداق إلا محمد وآل محمد عليهم أفضل الصلاه والسلام.

وهذا ما أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عندما سأله الصحابي الجليل جابر الأنصاري:

فقد ورد في تفسير نور الثقلين (عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضى الله عنه:

لَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ).

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَرَفْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَمَنْ أُولُو الْأَمْرِ الَّذِينَ قَرَنَ اللَّهُ طَاعَتَهُمْ بِطَاعَتِكَ؟

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«هُمْ خُلَفَائِي يَا جَابِرُ، وَأَيْمَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِي، أَوْلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ الْحَسَنُ، ثُمَّ الْحُسَيْنُ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفُ فِي التَّوْرَةِ بِالْبَاقِرِ، وَسُدْرُكُهُ يَا جَابِرُ فَإِذَا لَقِيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، ثُمَّ الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، ثُمَّ سَيِّدِي وَكَئِي حُجَّهَ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ وَبَقِيَّتُهُ فِي عِبَادِهِ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، ذَاكَ الَّذِي يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ عَلَى يَدَيْهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، ذَاكَ الَّذِي يَغِيبُ عَنْ شِيعَتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ غَيْبَةً لَا يَثْبُتُ فِيهَا عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ إِلَّا مَنْ ائْتَمَرَ اللَّهُ قَلْبُهُ لِلْإِيمَانِ».

قَالَ جَابِرٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلْ يَنْتَفِعُ الشَّيْعَةُ بِهِ فِي غَيْبَتِهِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِي وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالنَّبُوَّةِ، إِنَّهُمْ يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَيَسْتَضِيئونَ بِنُورِ وَلَايَتِهِ فِي غَيْبَتِهِ كَانْتِفَاعِ النَّاسِ بِالشَّمْسِ وَإِنْ تَجَلَّاهَا السَّحَابُ، يَا جَابِرُ، هَذَا مِنْ مَكْنُونِ سِرِّ اللَّهِ وَمَخْزُونِ عِلْمِهِ فَارْتَمِهِ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ» (١).

وللإحاطة بهذا الموضوع أي (ولايه أهل البيت عليهم السلام) لابد أن يصاغ على صيغة الأسئلة والأجوبة لكي يسهل على القارئ الكريم الإلهام به وستعرض إلى هذا الموضوع كالاتي:

السؤال الأول: ما هو مفهوم الولاية؟

١- تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٤٩٩، ح ٣٣١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٩٨ ٤٨٩٩، ح ٢٢٧٦٧.

الجواب: الولاية لغه: الولاية بالكسر: السلطان، والولاية: التُّصره، يقال: هم على ولاية أى مجتمعون فى النصره(١)، هذه الهيمنه والسلطه والحاكميه، وللتوسع راجع مصادر اللغه.

الولاية اصطلاحاً: هى أن تكون للمعصوم السلطه والحاكميه على من يتولى عليه، وله حق الطاعه على أتباعه.

السؤال الثانى: ما هو مفهوم الولاية التشريعيه والولاية التكوينيّه؟

الجواب: الولاية التشريعيه هى حق التشريع وتفتين الأحكام كما أرادها الله تعالى لعباده.

الولاية التكوينيّه: قدره الولي على تسخير الممكنات والتصرف فيها بإذن الله تعالى بما تحتاجه حجيّه الولي على غيره.

صفات الحاكم النموذجي

إن للحاكم النموذجي صفاتٍ ينبغى الاتصاف بها لكي يستطيع أن يسوس البلاد ويقود العباد ذكرها أهل الاختصاص فى محلها سنعرض لها لاحقاً، إلا أننا لا بد أن نشير إلى أمر مهم فى شخصيه الحاكم ألا وهو تقوى الحاكم وزهده فى الرئاسة وابتعاده عن طلب العلوّ والرفعه وحرصه على عماره الآخره وصلاحها وهذا ما يؤكده قوله تعالى:

(تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)(٢).

فكل حاكم يطلب الرئاسة لغرض الدنيا لا يكون أميناً ولا صادقاً وهو ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام:

١- الصحاح للجوهري: ج ٦، ص ٢٥٣٠.

٢- سورة القصص، الآية: ٨٣.

«إِنَّ شِرَارَكُمْ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوْطَأَ عَقْبُهُ، إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ كَذَّابٍ أَوْ عَاجِزِ الرَّأْيِ» (١).

كما صرح فى حديث آخر فقال: (ولا لملوك وفاء) كما ورد فى قوله عليه السلام:

«خَمْسُ هُنَّ كَمَا أَقُولُ: لَيْسَتْ لِخَيْلٍ رَاحَةٌ، وَلَا لِحَسُودٍ لَذَّةٌ، وَلَا لِمُلُوكٍ وَفَاءٌ، وَلَا لِكَذَّابٍ مُرُوءَةٌ، وَلَا يَسُودُ سَفِيهٌ» (٢).

إذن يظهر مما تقدم أن طالب الرئاسة للدنيا لا يصلح أن يقود العباد إلى ما فيه صلاحهم ولا يستطيع أن يسوس البلاد بما ينفع الناس، وذلك لحرصه على مصالحه الخاصة ومصالح حاشيته التى تحمى منصبه من الطامعين أذ المعارضين، فيلجأ إلى الظلم والاعتداء على من يعارضه، ويحارب من يرفضه ويبغضه، ولذا قال الإمام الحسين عليه السلام: (والسائرين فيكم بالجور والعدوان).

فإذن لابد للناس من حاكم مؤمن يتصف بصفات القيادة والحكمه الناجحه.

الدين والحكمه

إذا كان تعريف الدين: هو نظام أو قانون شرعه الله تعالى ليكفل للناس سعادته الدنيا والآخرة، لابد حينئذ أن تسير الحياه وفق القانون الذى شرعه الله تعالى وللأسباب التاليه:

١ إن المشرع هو خالق الخلق والعالم بما ينفعهم وما يضرهم.

٢ إن المشرع معصوم من الخطأ فلا يحتمل فى تشريعه خلل أو نقص أو اضطراب أو تناقض أو جهل بالمصالح والمفاسد.

١- الخصال: ص ٣٣٠، ح ٢٧. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٣٥٩، ح ٦٧١٦.

٢- الخصال: ص ٢٧١، ح ١٠. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٣٦٠، ح ٦٧٢٩.

٣ إن المشرع حكيم مطلق وعالم مطلق وقادر مطلق وجواد مطلق، فلا بد أن يكون عادلاً ومحسناً ورحيماً بخلقه الذين شرع لهم شرعه.

٤ إن المشرع غنى مطلق لا يحتاج من وراء حكمه حاجه تسد نقصاً أو تزيد كمالاً.

٥ إن المشرع له الصفات العليا والأسماء الحسنی.

فإذا عرفنا صفات المشرع لابد لنا من التسليم لشرعه الذى شرعه لنا والالتزام بقانونه وحكمه لکی نصل إلى سعادته الدنيا والآخرة، وهذا لا يتم إلا من خلال تطبيق شرعه ودينه الذى ارتضاه لنا.

وفى خلاف ذلك سنقع فى ظلم وعدوان واضطراب وفوضى ونكون مصداقاً لقوله تعالى:

(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (١).

وقوله تعالى:

(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (٢).

وقوله تعالى:

(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (٣).

فتبين مما تقدم أن الحاكم النموذجى هو الذى يحكم بما أنزل الله تعالى لکی يصل بالناس إلى سعادته الدنيا والآخرة.

١- سورة المائدة، الآية: ٤٤.

٢- سورة المائدة، الآية: ٤٥.

٣- سورة المائدة، الآية: ٤٧.

المعصوم هو الحاكم النموذجي

خلق الله تعالى الناس لغايه عاليه ألا وهي القرب الإلهي الذي تعبر عنه الآيه الكريمه بالعباده كما فى قوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (١).

وبما أن هذه الكلمه (العباده) تعنى الإيمان والعمل الصالح، أى المعرفه والتطبيق أو العقل النظرى والعقل العملى كما يسمونها أهل الحكمه، صار لازماً فى العدل الإلهي أن يخلق الله تعالى إنساناً له القدره على قياده الناس إلى هذا الكمال وهذا ما نراه متجسداً فى بعث الأنبياء وإرسال الرسل الذين يمارسون دور الخلافه الإلهيه ودور القدوه والأسوه كما تشير إليه الآيات الكريمه:

قال الله تبارك وتعالى:

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٢). (يا داوود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فأحكّم بين الناس بالحقّ ولا تتبع الهوى فيضئلك عن سبيل الله إن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم الحسّاب) (٣). (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) (٤). (لقد كان لكم فىهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد) (٥).

١- سورة الذاريات، الآيه: ٥٦.

٢- سورة البقره، الآيه: ٣٠.

٣- سورة ص، الآيه: ٢٦.

٤- سورة الأحزاب، الآيه: ٢١.

٥- سورة الممتحنه، الآيه: ٦.

ويتبين من الآيات السابقة أن هذا الخليفة هو خليفة الله تعالى في الأرض ولا يمكن أن يكون خليفة إلهيا دون أن يكون معصوماً لعدم انطباق العنوان على المعنون إذن لابد من عصمته واتصافه بصفات كماله لا يرتقى إليها مخلوق ولا يقاس بصاحبها أحد، ولكي يستطيع هذا الخليفة أن يحكم بين الناس بالعدل وأن يمارس دور الأسوة والقدوة ويقود الناس إلى القرب الإلهي لابد أن يكون معصوماً من الخطأ والاشتباه والسهو والنسيان وإلا لوقعت الكثير من المفاسد ولحصل التناقض والاضطراب وشاع الخلل والظلم والطغيان، فتحصل مما تقدم ضروره أن يكون الحاكم معصوماً أو تحت إشراف معصوم يراعاه ويسدده ويدله ويعضده ويؤيده ويكون شاهداً عليه وحجه فوقه.

ولذلك أشار الإمام الحسين عليه السلام بقوله:

(أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَتَعَرَّفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ يَكُنْ أَرْضَى لَكُمْ، وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، وَأَوْلَى بِوَلَايَةِ هَذَا الْأَمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ).

صفات الحاكم الإسلامي

إشاره

كل امرء يراد له أن يؤدي وظيفه ما لابد من اتصافه بصفات تؤهله لأداء هذه الوظيفة، ولا فرق في ذلك بين الرئيس أو المرؤوس، والحاكم والمحكوم ولذا ذكر أهل الاختصاص صفات لابد من وجودها في الحاكم الذي يستحق الحكومه:

١ الورع والتقوى

بعد أن سلمنا أن الحاكم مؤمن بالله تعالى وبرسوله وكتبه إيمانا خالصاً ومعتقداً عقيدته حقه لابد لهذا الحاكم أن يتصف بمانع يمنعه عن الوقوع في المعاصي والتهافت أمام الشهوات واللذائذ وليس ذلك إلا الورع فلذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا- تصلح الإمامه إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم. وفي روايه أخرى حتى يكون للرعيه كالأب الرحيم»^(١).

ويستشف من الآية الكريمة وجوب تقوى الذي يريد أن يكون إماما للناس الأتقياء كما في قوله تعالى:

(وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) ^(٢).

وحيث إن التقوى لها دخل في كل أمر فلا بد أن يكون الحاكم تقيا وهذا ما وصى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أباذر في قوله:

«عليك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله»^(٣).

٢ الكفاءه فى القيادة والولاية

وهذا ما أشار إليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عندما ذكر خصال الإمام إذ يقول:

«لا- تصلح الإمامه إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون كالولد (وفي روايه كالأب) الرحيم».

وما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أكثر دلالة على هذه الصفه إذ يقول:

«أيها الناس إن أحق الناس بهذا الأمر أقومهم وأعلمهم بأمر الله...»^(٤).

١- الكافي، الشيخ الكليني: ج ١، ص ٤٠٧، ح ٨.

٢- سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

٣- ميزان الحكمه، الريشهري: ج ٤، ص ٣٦٢٤.

٤- نهج البلاغه: ج ٢، ص ٨٦، الخطبه ١٧٣.

٣ سعه أفقه السياسى

إن الاتصاف بالورع والتقوى وحسن التدبير والولاية من الصفات الضرورية التى يجب أن يتصف بها الحاكم إلا أن ذلك غير كافٍ لنجاح الحاكم فى حكومته والقائد فى قيادته فلا بد من أن يكون متصفاً بالفهم السياسى وله القدره على التحليل والاستنباط وقراءه المواقف والصور السياسيه لكى يسهل عليه اتخاذ القرار المناسب دون أن يغلب على رأيه، ودون أن يكون ممتثلاً لمن يملى عليه ذلك وهذا ما نستفيدة من قول الإمام الصادق عليه السلام:

«العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس....»(١).

إذن لابد لمن يريد سياسه الأممه وقيادتها وإداره البلاد والعباد أن يكون على بصيره من أمره وإلا وقع فى المتاهات والفشل الذريع والبعد عن الحق وهذا ما أكده الإمام الصادق عليه السلام:

«العامل على غير بصيره كالسائر على غير الطريق لا تزيده سرعه السير من الطريق إلا بعداً»(٢).

٤ أن يكون عادلا

ليس هناك صفه ألصق بالحكم من صفه العدل، وليس هناك علاقه أقوى وأوسع من علاقه الحكم بالعدل بل يكاد أن يتحد العدل بالحكم، لما للعدل من أهميه فى سير الحكومات وتطبيق الأحكام بل له الأهميه القصوى فى حفظ الملك وإدامه الحكم وهذا ما تعرضت له الروايات والأحاديث الشريفه، نذكر منها:

ألف: يشير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى كون العدل صفه تقوم عليها

١- الكافى، الشيخ الكلينى: ج ١، ص ٢٧، ح ٢٩.

٢- الكافى، الشيخ الكلينى: ج ١، ص ٤٣، ح ١.

الحياه كما فى قوله عليه السلام:

«العدل أساس به قوام العالم»^(١).

باء: ويؤكد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأن الحكومات التى تريد لنفسها البقاء والاستمرار لابد لها من اتخاذ العدل كدرع واق ضد الأزمات والانقلابات كما يظهر هذا فى قوله عليه السلام:

«العدل جُنته الدول»^(٢).

جيم: يبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صفات الحاكم العادل من خلال قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمُهُمْ، وَحَادَثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمَلَتْ مُرُوَّتُهُ، وَظَهَرَتْ عِدَالَتُهُ، وَوَجِبَتْ أُخُوَّتُهُ، وَحَرُمَتْ غَيْبَتُهُ»^(٣).

دال: ويرشد النبى صلى الله عليه وآله وسلم الحكام الذين يرغبون بالاتصاف بالعدل فيقول:

«مَا كَرِهْتَهُ لِنَفْسِكَ فَآكْرَهُ لِغَيْرِكَ، وَمَا أَحْبَبْتَهُ لِنَفْسِكَ فَأَحْبِبْهُ لِأَخِيكَ؛ تَكُنْ عَادِلًا فِي حُكْمِكَ، مُقْسِطًا فِي عَدْلِكَ، مُحِبًّا فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، مَوْدُودًا فِي صُدُورِ أَهْلِ الْأَرْضِ»^(٤).

هاء: وحذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمراء والحكام الذين لم يعدلوا مع الرعية بقوله:

«أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ أَمِيرٌ مُتَسَلِّطٌ لَمْ يَعْدِلْ، وَذُو نَرْوِهِ مِنَ الْمَالِ لَمْ يُعْطِ الْمَالَ حَقَّهُ،

١- ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٤٢٤.

٢- نفس المصدر السابق.

٣- الخصال: ص ٢٠٨، ح ٢٨. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٤٢٩، ح ١٢٠٠٢.

٤- تحف العقول: ص ١٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٤٣٠، ح ١٢٠٠٥.

وَفَقِيرٌ فَخَوْرٌ»(١).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لَا تَنَالُ شَفَاعَتِي ذَا سُلْطَانٍ جَائِرٍ غَشُومٍ»(٢).

وجاء عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث آخر:

«مَنْ وَلَى عَشْرَةَ فَلَمْ يَغْدِلْ فِيهِمْ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَدَاؤُهُ وَرِجْلَاهُ وَرَأْسُهُ فِي ثَقْبٍ فَاسٍ»(٣).

وجوب الخروج للإصلاح

صدور الفعل من المعصوم حجه على من يؤمن بإمامته ويعتقد بعصمته، وأن قول المعصوم وفعله يدلنا على نوع التكليف الشرعى، فما قام به سيد الشهداء عليه السلام من تصدٍ للطغمة الحاكمة المعلنه بالفسق والفجور يدلنا على وجوب التصدى ووجوب الخروج لأجل الإصلاح فلذا نراه يخاطب الناس (أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله، يعمل فى عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله...».

هذه الخطبه تبين أسباب خروج الإمام عليه السلام ضد الحاكم، إلا أننا لا نعلم أفى عنوان الوجوب يدخل خروج الإمام عليه السلام أم فى عنوان الاستحباب، وما ينبغى أن يعمل؟

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٢٨، ح ٢٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٤٣٣، ح ١٢٠٢٤.

٢- مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٩٩، ح ١٣٦٢٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٤٣٣، ح ١٢٠٢٥.

٣- ثواب الأعمال: ص ٣٠٩، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٤٣٣، ح ١٢٠٢٧.

عند تأملنا خطبه الإمام عليه السلام التي ذكرت في أعلاه إضافة إلى قوله عليه السلام:

(أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ...).

نقف على ما يلي:

١ إن الإمام الحسين عليه السلام امتثل لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي تضمنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم السابق:

(«إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ سَيَتَدَوَّرُ، فَحَيْثُ مَا دَارَ الْقُرْآنُ فُعدوروا بِهِ، يُوشِكُ السُّلْطَانُ وَالْقُرْآنُ أَنْ يَفْتَتِلَا- وَيَتَفَرَّقَا، إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ مُلُوكٌ يَحْكُمُونَ لَكُمْ بِحُكْمٍ، وَلَهُمْ بَعْغِيهِ، فَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ، وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ.

قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ بِنَا إِنْ أَدْرَكْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ:

تَكُونُونَ كَأَصْحَابِ عِيسَى: نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ وَرُفِعُوا عَلَى الْخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ خَيْرٍ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةٍ»(١).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَّةٌ يَمْلِكُونَ أَرْزَاقَكُمْ، يُحَدِّثُونَكُمْ فَيَكْذِبُونَكُمْ، وَيَعْمَلُونَ فَيَسِيئُونَ الْعَمَلَ، لَا يَرْضَوْنَ مِنْكُمْ حَتَّى تُحَسِّنُوا قَبِيحَهُمْ، وَتُصَدِّقُوا كَذِبَهُمْ، فَأَعْطُوهُمْ الْحَقَّ مَا رَضُوا بِهِ، فَإِذَا تَجَاوَزُوا فَمَنْ قُتِلَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٢).

وتجسيدا لما صرحت به الآية الكريمة:

١- الدر المنثور: ج ٣، ص ١٢٥. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٦٧، ح ٩٠٨.

٢- كنز العمال: ١٤٨٧٦. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٦٧، ح ٩١٠.

«وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١).

وحديث أبيه أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُيُوبَنَا يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرَّيْ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسِّنْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ» (٢).

٢ إن دفع الضرر واجب، وما ورد في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله».

صريح في وقوع الضرر في الدنيا والآخرة فصار لا بد من القيام بالتغيير لدفع الضرر، ووردت أحاديث كثيرة بذلك من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِذَا تَرَكَتْ أُمَّتِي الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلْيُؤْذَنَنَّ بِوِقَاعٍ مِنَ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ» (٣).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَيْنَنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُعَمَّنَنَّكُمْ عَذَابُ اللَّهِ» (٤).

١- سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

٢- نهج البلاغة الحكمه ٣٧٣. شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٩، ص ٣٠٥. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٨٩، ٢٥٩٠، ح ١٢٧٨٨.

٣- بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ٧٨، ح ٣٣. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٨٠، ح ١٢٧٣٣.

٤- وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٤٠٧، ح ١٢. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٨٠، ح ١٢٧٣٤.

وجاء فى حديث للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»^(١).

٣ إن من وظائف الإمام الحفاظ على الدين الإسلامى وبيضته، وهذا لا يتم إلا من خلال التصدى لمن أراد أن يطمس الدين ويغيره، فتعين وجوب الخروج مع الإمام ضد الطغاه.

ومما يؤكد ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام:

«الجهاد واجب مع إمام عادل».

فإذا كان الجهاد واجبا على الأمة مع الإمام العادل فهو أوجب فى حق الإمام الذى من مسؤوليته حفظ الدين، وهذا ما أكده قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَخَلِيفَةُ رَسُولِهِ»^(٢).

٤ سكوت الإمام الحق والخليفة الإلهى عن فعل الحاكم الجائر يغرر بالأمة ويمنعها من مجاهدته أئمة الضلال اقتداء بإمامها، فضلاً عما يتركه سكوت الإمام من تفسيرات سيئه تصب فى مصلحة الحاكم الجائر.

٥ بما أن الإمام الحسين عليه السلام الذى هو الخليفة الإلهى والإمام الحق قد وجد الأنصار لمحاربه أئمة الجور صار لا بد من محاربتهم امتثالاً لقوله تعالى:

١- كنز العمال: ٥٥٧٥، أقول: فى معناه أحاديث كثيرة، راجع: كنز العمال: ج ٣، ص ٦٦ إلى آخر الباب. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٨٠، ح ١٢٧٣٥.

٢- مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ١٧٩، ح ١٣٨١٧. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٥٧٢، ح ١٢٦٨٦.

(وَإِنْ نَكُتُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَنَّمَا كُفِّرَتْ عَنْهُمْ لَأَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) (١).

وامتثالاً لقول أبيه أمير المؤمنين عليه السلام عند وصيته للحسين عليهما السلام:

«كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً» (٢).

دفع شبهه

إشاره

الشبهه الأولى: إن الإمام الحسين عليه السلام قام بشق عصا الأمه وعمل على تفريق الجماعه وعصا إمام زمانه أو خليفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخروجه على يزيد بن معاويه، ولذا لا يحق لأحد أن يعدّ الإمام مظلوماً شهيداً كما لا يحق لأحد أن يعدّ يزيد ظالماً ومعتدياً؛ لأحقّيته بدفع الخطر عن الحكومه الإسلاميه، ولأنّ وظيفه الخليفه أن يخدم الفتنه التي تعصف بالأمه.

الجواب: لكي يتضح الجواب ويسهل إدراكه من قبل القارئ الكريم نبين النقاط التاليه:

أولاً: لا مقارنة بين الإمام الحسين عليه السلام وبين يزيد من حيث النسب أو المنزله، ومن حيث التقوى والطهاره فلذا لا يصح أن يكون يزيد إماماً على الحسين عليه السلام، كما لا يصح أن يكون يزيد خليفه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعدم اتصافه بصفات خليفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: وردت في حق الإمام الحسين عليه السلام أحاديث كثيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نذكر منها ما يتطلبه الجواب:

١- سورة التوبه، الآيه: ١٢.

٢- نهج البلاغه، خطب الإمام عليه السلام: ج ٣، ص ٧٦، ح ٤٧.

ألف / قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»(١).

لاشك في إجماع المسلمين على صحة هذا الحديث الشريف، وبأدنى تأمل في هذا الحديث يتضح لنا أن الإمام الحسين عليه السلام معصوم من الزلل ومن الخطأ ومن الظلم ومن التعدي على حقوق الغير، وإلا لا يصح أن يكون سيد شباب أهل الجنة ظالماً في الدنيا لغيره أو لنفسه أو عاصياً لربه ولرسوله أو خارجاً على إمام زمانه كما يدعون، وإليك عزيزي القارئ توضيح ذلك بما يلي:

١ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر ذلك عن الله تعالى؛ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

٢ إن هذا الخبر يدل على أن الحسين عليه السلام سوف يموت وهو في مرضاه الله تعالى، ولا يعصى الله تعالى قد أنمله ولا أقل من ذلك طول حياته، وإلا لزم تفضيل المفضول على الفاضل وهو محال في العدل الإلهي.

٣ إن كل ما يقوله الإمام الحسين عليه السلام أو يفعله هو طاعة لله ولرسوله وإلا يلزم دخول العاصي الذي لم يتب عن معصيته الكبيره إلى الجنة أسوه بالمطيع المؤمن، وهذا خلاف العدل الإلهي لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبويه من امتناع ذلك:

(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)(٢).

-
- ١- الأمل للشيخ الصدوق: ص ١٨٧، ح ١٩٦/٧. صراط النجاه، الميرزا جواد التبريزي: ج ٢، ص ٤٥٥، س ١٤٢٥. دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي: ج ١، ص ٣٧. الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج ١، ص ٨٧. مسند أحمد بن حنبل: ج ٣، ص ٤. سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٤٤، ح ١١٨. سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٢٢، ح ٣٨٥٦. المستدرک علی الصحیحین، النيسابوري: ج ٣، ص ١٦٧.
- ٢- سوره ص، الآيه: ٢٨.

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) (١).

(تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) (٢).

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى آلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يُشْكِنَ جَنَّتَهُ أَصْنَافًا ثَلَاثَةً: رَأْدٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ رَأْدٌ عَلَى إِمَامٍ هُدًى، أَوْ مَنْ حَبَسَ حَقَّ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ» (٣).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَبَّارٌ وَلَا بَخِيلٌ وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ» (٤).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«مَنْ اسْتَرْعَى رَعِيَّةً فَغَشَّهَا حَرَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» (٥).

ورد في الكافي عن علي بن أسباط عن الأئمة عليهم السلام، فيما وعظ الله به عيسى عليه السلام:

«هِيَ (يعنى النَّارَ) دَارُ الْجَبَّارِينَ وَالْعُتَاهِ الظَّالِمِينَ، وَكُلُّ فَظٍّ غَلِيظٍ، وَكُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» (٦).

تبيّن مما تقدم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى شهد لولده الحسين عليه السلام بالاستقامه والطاعه لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم طول حياته وإنه سيموت على ذلك فيدخل الجنة وسيكون سيدها فيلزم من هذا

١- سورة القلم، الآية: ٣٥.

٢- سورة مريم، الآية: ٦٣.

٣- الخصال: ص ١٥١، ح ١٨٥. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٥٦٦، ح ٢٥٩٢.

٤- تنبيه الخواطر: ج ١، ص ١٩٨. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٥٦٦، ح ٢٥٩٣.

٥- تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ٢٢٧. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٥٦٦، ح ٢٥٩٤.

٦- الكافي: ج ٨، ص ١٣٦، ح ١٠٣. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٦٢٦، ح ٢٩٢٦.

أن كل ما قام به الإمام الحسين عليه السلام هو طاعه الله ولرسوله.

باء/ ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ابنای هذان إمامان قاما أو قعدا»(١).

هذا الحديث الشريف صريح في إمامه الإمام الحسين عليه السلام وصريح في وجوب طاعته وهذا يُظهر ما يلي:

١ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخبر بذلك عاطفياً بل امتثالاً لأمر الله تعالى؛ لما تقدم من آية:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)(٢).

وإلا يلزم نقض الغرض من البعثة.

٢ لا يمتدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم أئمه الكفر أو الضلال ولا يعترف بإمامتهم وإلا يلزم تفض الغرض من البعثة وهذا ما يؤكد قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَأُعَذِّبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ أَطَاعَتْ إِمَامًا جَائِرًا لَيْسَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ كَانَتْ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً»(٣).

جيم/ ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»(٤).

١- الحدائق الناضرة، المحقق البحراني: ج ٢٢، ص ٢١٧. الإرشاد للشيخ المفيد: ج ٢، ص ٣٠. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ج ٧، ص ٤٨٢. ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج ١، ص ١٥٣، ح ٢٠٢.

٢- سورة النجم، الآيتان: ٣ و ٤.

٣- بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ١١٠، ح ١. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٦٢، ح ٨٨٢.

٤- ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج ١، ص ١٥٨، ح ٢٠٨. كامل الزيارات، لابن قولويه: ص ١١٦، ح (١٢٦) ١١. شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ج ٣، ص ٨٨، ح (١٠١٥). الإرشاد للشيخ المفيد: ج ٢، ص ١٢٨، باب طرف من فضائل الحسين عليه السلام. مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ١٧٢. سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٥١، ح ١٤٤. المعجم الكبير للطبراني: ج ٣، ص ٣٢، ح ٢٥٨٩. الجامع الصغير للسيوطي: ج ١، ص ٥٧٦، ح ٣٧٢٧. تاريخ مدينه دمشق لابن عساکر: ج ١٤، ص ١٤٩. البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٨، ص ٢٢٤.

صرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحبه للحسين عليه السلام، لعلمه بأنه يستحق ذلك؛ لاستحاله أن يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شخصاً ظالماً أو عاصياً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بل طلب من الأمة أن تحب الحسين عليه السلام؛ لأن في حب الحسين رضا الله تعالى وحبه لمن أحبه.

ثالثاً: الآيات الكريمة التي نزلت في حق الإمام الحسين عليه السلام تؤكد أن الإمام الحسين عليه السلام هو الحق وما سواه باطل وهي كما يلي:

١ آية التطهير

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (١).

هذه الآية الكريمة شملت الإمام الحسين عليه السلام وشهدت له بالطهاره والعصمه في عمره كله، وإلا يلزم أن الله تعالى يمتدح الحسين وهو يعلم به أنه سيكون عاصياً لإمام زمانه وخارجاً على خليفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا محال، أو أن الله تعالى امتدح الحسين عليه السلام وهو لا يعلم ما ستؤول إليه عاقبته وهذا محال أيضاً، فيلزم مما تقدم أن الإمام الحسين عليه السلام هو الحق وفعله طاعه وما سواه باطل وقتله معصيه بل جريمه كبرى.

٢ آية الموده

(قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٢).

١- سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

٢- سورة الشورى، الآية: ٢٣.

افترض الله تعالى في هذه الآيه موده قربي النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأمه صغيرها وكبيرها حرها وعبدها أميرها ومأمورها حاكمها ومحكومها أسودها وأبيضها، وهؤلاء القربي الذين فرضت مودتهم على الأمه هم (على وفاطمه والحسن والحسين والأئممه المعصومون من ذريه الحسين عليهم السلام) فيلزم من هذا على الأمه أن تحب الإمام الحسين عليه السلام وتعظمه وتوقره، فكيف يأمر الله تعالى بموده الحسين عليه السلام وهو يعلم أنه سيخرج على إمام زمانه ويقاتله؟! فتبين مما تقدم في هذه الآيه أن الله تعالى فرض الموده للإمام الحسين عليه السلام لعلمه باستقامته وطاعته وصحة فعله وقوله ولعلمه تعالى بأن الحسين عليه السلام سيموت في طاعه الله وطاعه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفعله حق لا ريب فيه.

٣ هناك آيات كثيره لم نذكرها روما للاختصار تدل على أحقيه الإمام الحسين عليه السلام في الإمامه وبطلان إمامه غيره.

(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا) (١).

(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا حِإَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٢).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (٣).

١- سورة الإنسان، الآيتان: ٨ و ٩.

٢- سورة آل عمران، الآيه: ٦١.

٣- سورة النساء، الآيه: ٥٩.

الخطبه الثانيه عشره: وفيها يذمّ الدنيا ويحذّر منها

اشاره

نص الخطبه

اشاره

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا فَجَعَلَهَا دَارَ فَنَاءٍ وَزَوَالٍ، مُتَصَرِّفَةً بِأَهْلِهَا حَالًا - بَعِيدًا حَالٍ، فَالْمَغْرُورُ مِنْ غَرَّتِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ فَتَنَتْهُ، فَلَا تَغْرَتُكُمْ هَذِهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا تَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا، وَتُحَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمِعَ فِيهَا، وَأَرَاكُمْ قَدْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَسِيخَطْتُمْ اللَّهَ فِيهِ عَلَيْكُمْ، وَأَعْرَضَ بَوَاجِهِهِ الْكَرِيمِ عَنْكُمْ، وَأَحْيَلَ بِكُمْ نِعْمَتَهُ، وَجَبَّكُمْ رَحْمَتَهُ، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنَا، وَبِئْسَ الْعَبِيدَ أَنْتُمْ، أَقْرَبْتُمْ بِالطَّاعَةِ، وَأَمَنْتُمْ بِالرُّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَعِثْرَتِهِ (١) تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ، فَأَنْسَاكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَتَبًّا (٢) لَكُمْ وَلِمَا تُرِيدُونَ، إنا لله وَإنا إليه راجعون، هؤلاء قومٌ كفروا بَعِيدَ إيمانِهِمْ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

المعنى العام

اشاره

الثناء والشكر لله الذى ابتدع وصنع الدنيا فجعلها سكناً يتبعه نهايه وإبادته وتفرقة وانفصال، مدبره لأهلها وقتا بعد وقت وصفه بعد صفه، الجاهل المخدوع من ينخدع فيها، التعيس وغير السعيد من وقع فى إغرائها وانبهر بها، فلا تخدعكم هذه الدنيا، فإنها تبعد وتنهى وتفرقة بين الأمل وبين من مال وسكن إليها، وتحرم وتمنع من رغب بها،

١- العتره: نسل الرجل ورهطه وعشيرته.

٢- تب فلان: خسر وهلك.

وأراكم قد انضمم بعضكم إلى بعض على شأن قد أغضبتكم الله فيه عليكم، وأشاح بوجهه أى لم يقبل عليكم، وأنزل بكم عقوبته، وأبعدكم من خيره ونعمه ولطفه، فنعم المدبر والمربي ربنا، وبئس المملوكون أنتم، إذ عنتم واعترفتم بالخضوع والانقياد، وآمنتكم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم إنكم مشيتم بثقلكم وكثرتكم إلى نسله ورهطه وعشيرته تريدون قتلهم وفناءهم، لقد غلبكم واستولى عليكم الشيطان فاعنف لكم عن ذكر الله ذى القوه والكبرياء، ثم دعا عليهم الإمام عليه السلام بالهلا-ك والخسران بقوله: «فتباً لكم ولما تريدون من زخرف الدنيا»، إنا مملوكون لله تعالى وإليه إيابنا، فهؤلاء قوم انحرفوا عن الاستقامه، فسحقاً للقوم الجائرين والمائلين عن الحق.

تغير الدنيا وتقلبها

يدرك كل عاقل أن هذه الدنيا فانيه زائله، ويلمس بوضوح تغيرها وتقلب أيامها من فرح إلى حزن ومن سعادته إلى شقاء ومن انشراح ونشوه إلى هم وغم فيحذرهما ولا- يطمئن فيها إلا بذكر الله تعالى، فهى دار الغرور ودار اللعب واللهو لمن غفل عن ذكر الله تعالى فلذا جاءت الآيات الكريمة تقر بيان هذا المعنى كما فى قوله تعالى:

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (١).

وقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (٢).

١- سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

٢- سورة لقمان، الآية: ٣٣.

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (١).

وهناك الكثير من الآيات التي تؤكد هذا المعنى، كما أن أهل البيت عليهم السلام وصفوها تارة بالماكره المتقلبه التي لا ثبات لها ولا اطمئنان لحالها كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«ألا وإن الدنيا دارٌ غرارةٌ خُداءٌ، تَنكِحُ في كُلِّ يَوْمٍ بَعْلًا، وَتَقْتُلُ في كُلِّ لَيْلَةٍ أَهْلًا، وَتُفَرِّقُ في كُلِّ سَاعَةٍ شَمْلًا» (٢).

وتاره أخرى بالمؤذيه المزعجه كما في قوله عليه السلام أيضا:

«إِتَّقُوا غُرُورَ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا تَسْتَرْجِعُ أَبَدًا مَا خَدَعَتْ بِهِ مِنَ الْمَحَاسِنِ، وَتَزَعِجُ الْمُطْمَئِنِّ إِلَيْهَا وَالْقَاطِنَ» (٣).

وتاره بأنها بخيله شحيحه مع من تزود منها، فلذا نجد تحذير أمير المؤمنين عليه السلام جليا في قوله:

«فَلَا يَغُرَّنَكُمُ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلِّهِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا» (٤).

ولشده حرص أمير المؤمنين عليه السلام على دفع الضرر عن المؤمنين، وكونه الخبير الذي لا يقاس به أحد في فهم تقلبات الدنيا وغرورها نجده يقدم النصيحة للغافلين عن ذلك بقوله عليه السلام:

«مَا قَدَّمْتَ فَهُوَ لِلْمَالِكِينَ، وَمَا أَخَّرْتَ فَهُوَ لِلْوَارِثِينَ، وَمَا مَعَكَ فَمَا لَكَ عَلَيْهِ سَبِيلٌ

١- سورة فاطر، الآية: ٥.

٢- نهج السعادة: ج ٣، ص ١٧٤. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٢، ح ٥٨٧٩.

٣- غرر الحكم: ٢٥٦٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٢، ح ٥٨٨١.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ١١٨، ح ١٠٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٢، ح ٥٨٨٠.

سَوَى الْغُرُورِ بِهِ» (١).

وبين الآثار السلبية التي تصيب المغرور بهذه الدنيا بقوله:

«إِنَّ مَيَّنَ غَرَّتُهُ الدُّنْيَا بِمُحَالِ الآمَالِ وَخَدَعَتْهُ بِزُورِ الآمَانِيِّ أَوْرَثَتْهُ كَمَهَا، وَأَلْبَسَتْهُ عَمِيَّ، وَقَطَعَتْهُ عَنِ الأَخْرَى، وَأُورَدَتْهُ مَيَّوَارِدَ الرَّدَى» (٢).

فبعد هذه النصائح والتحذيرات من تقلب الدنيا وغرورها لا يصح الاطمئنان إليها والركون إلى لذائذها والانغماس في شهواتها المحرجه، بل إن الاطمئنان إليها يثير العجب والاستغراب عند أهل البيت عليهم السلام كما جاء ذلك على لسان سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام:

«وُجِدَ لَوْحٌ تَحْتَ حَائِطِ مَدِينَةٍ مِنَ المَدَائِنِ فِيهِ مَكْتُوبٌ: أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّ... عَجِبْتُ لِمَنِ اخْتَبَرَ الدُّنْيَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ؟!» (٣).

كما أن الإمام الصادق عليه السلام لشده تعجبه ممن يغتر بالدنيا ويطمئن إليها يستفهم استفهاماً استنكارياً كما في قوله:

«إِنْ كَانَتِ الدُّنْيَا فَايَةً فَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَيْهَا لِمَاذَا؟!» (٤).

فلذا صار واضحاً وجوب الحذر منها وعدم الاطمئنان لحالها، ولا يترك الحذر منها إلا من كان جاهلاً أحمق كما في هذه الأحاديث الشريفة التي صدرت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا يُعَايَنُ مِنْ غَيْرِهَا جَهْلٌ» (٥).

١- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٥٦، ح ١٧. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٣، ح ٥٨٨٦.

٢- غرر الحكم: ٣٥٣٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٣، ح ٥٨٨٥.

٣- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٥٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٥، ح ٥٩٠٤.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٨٨، ح ٥٤. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٥، ح ٥٩٠٣.

٥- غرر الحكم: ١٩٧٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٤، ح ٥٨٩٤.

وعنه عليه السلام قال:

«الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا يُعَايَنُ مِنْ سُوءٍ تَقَلُّبُهَا جَهْلٌ» (١).

وورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«العاجِلَةُ غُرُورُ الحَمَقِ» (٢).

«الفَرَحُ بِالدُّنْيَا حُمُقٌ» (٣).

الغضب المذموم والممدوح

رَكِبَ فِي الإنسان قوَى متعدده أولها القوه العاقله ثم القوه الغضبيه والقوه الشهويه والقوه الشيطانيه، ولكي نقف على تفصيل القوه الغضبيه لابد لنا من معرفه الغضب في اللغه والاصطلاح لكي يتسنى لنا الدخول في معرفه غضب الله تعالى.

الغضب في اللغه: غضب عليه غضبا: سخط عليه وأراد الانتقام منه، فهو غضب وهي غضبه، اغضبه، حملة على الغضب، غاضب فلان فلاناً: اغضب كل منهما الآخر وفلاناً: هجره وتباعد عنه (٤).

الغضب: استجابته لانفعال، يتميز بالميل إلى الاعتداء.

الغضب في الاصطلاح: هو كفيه نفسانيه موجه لحركه الروح من الداخل إلى الخارج للغلبه، ومبدئه شهوه الانتقام (٥).

الغضب المذموم جمره من الشيطان تستعر في قلب الغاضب ثم تظهر على الجوارح عندما تثور حميه الجاهليه فيكون المرء قد وقع في الافراط الذي يخرج عنه

١- غرر الحكم: ٢٠٣٧. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٤، ح ٥٨٩٥.

٢- غرر الحكم: ٨٩٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٤، ح ٥٨٩٧.

٣- غرر الحكم: ٤٥٤، ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٤، ح ٥٨٩٨.

٤- القاموس الفقهي: ص ٢٧٥.

٥- جامع السعادات: ج ١، ص ٣٢٠.

طاعه الله تعالى وحدود العقل، وأما الغضب الذى تستخرجه حميه الإيمان للدفاع عن الدين فهو غضب ممدوح ومطلوب فهذا النوع من الغضب هو من باب دفع الضرر قبل وقوعه.

وفى قبال الغضب الممدوح عدم الغضب الذى يصل إلى درجه الضعف والخوار والاستسلام، فهذا ما يسمى بالجبن أو هو من قبيل عدم الغيره والحميه فيضيع ما يجب الحفاظ عليه كالدين والعرض والأولاد والأموال أو كل عزيز ينبغى الغضب لأجله، ولذا ورد فى القرآن الكريم ما يبين آثار الغضب الممدوح كقوله تعالى:

(أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) (١).

وقوله تعالى:

(وَاعْظَمُوا عَلَيْهِمْ) (٢).

فهذه المقاطع من الآيات الكريمه يفهم منها مدح الشده على الكفار المعتدين والغلظه عليهم وهذا المدح يؤول إلى مدح الغضب لله تعالى الذى أمرت به الأحاديث الشريفه كقول أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه:

«وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنِفُونَ!» (٣).

وعنه عليه السلام قال:

«مَنْ شَنَى الْفَاسِقِينَ وَعَظِبَ لِلَّهِ، غَضِبَ اللَّهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٤).

١- سورة الفتح، الآية: ٢٩.

٢- سورة التوبه، الآية: ٧٣.

٣- نهج البلاغه: الخطبه ١٠٦. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠١١، ح ١٥٠٦٦.

٤- نهج البلاغه: الحكمة: ٣١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠١١، ح ١٥٠٦٩.

غضب الله تعالى وبقمته

غضب الله تعالى

كل ما تقدم بيانه عن الغضب من تعريفه الاصطلاحى أو بيان قسميه المذموم والممدوح لا يجرى إلا فى الإنسان، وأما جريان ذلك فى الله تعالى فهو محال لأنه واجب الوجود وليس ممكنا.

ما ورد فى القرآن الكريم عن غضب الله تعالى كقوله تعالى:

(ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَيْنَ مَا تُثَفُّوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسِيكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (١).

وقوله تعالى:

(وَالْحَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (٢).

وقوله تعالى:

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) (٣).

وما ورد فى الأحاديث الشريفه كقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ سَنَّىَ الْفَاسِقِينَ وَعَظَبَ لِلَّهِ، غَضِبَ اللَّهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

لا يعنى أن غضب الله تعالى هو كيفية نفسانيه أيضا ولا يعنى أن غضبه تعالى

١- سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

٢- سورة النور، الآية: ٩.

٣- سورة طه، الآية: ٨١.

يهيج ويسكن كما فى الإنسان، كما لا يعنى أن غضبه تعالى ناشئ من شهوه الانتقام أو هو من باب دفع الضرر لأنه محال لجريان ذلك فى المخلوق دون الخالق وفى المتغير بالأحوال دون الذى لا تعتريه الحوادث ولا يتغير ولا ينفعل، فهو تعالى قد تنزه عن كل الصفات التى يتصف بها المخلوق كما أنه تعالى ليس محلاً لقيام الحوادث بذاته.

إذن بعد هذه المقدمه نبين المراد من معنى غضب الله تعالى، فنقول: إن غضب الله تعالى هو اللعنه والعقاب كما ورد فى مجمع البيان:

(وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) (١).

أى رجعوا بغضب الله الذى هو عتابه ولعنه (٢).

ومما يؤيد ذلك قول العلامة الطباطبائى فى تفسير الميزان إذ يقول: (فيمتنع أن يكون صفه من الصفات القائمه بذاته لتنزهه تعالى عن أن يكون محلاً للحوادث فما نسب إليه تعالى من الرضا صفه فعل قائم بفعله منتزع عنه كالرحمه والغضب... الخ).

فغضب الله تعالى ليس كغضب الإنسان وإنما غضبه فعله وقد يكون فعلاً تكوينياً أو فعلاً تشريعياً لانقسام فعله تعالى إليها وهذا ما أشار إليه العلامة فى تفسير الميزان أيضاً إذ يقول: (وإذ كان فعله قسمين تكوينى وتشريعى انقسم الرضا منه أيضاً إلى تكوينى وتشريعى... الخ) (٣).

إذن تبين مما سبق أن الغضب الإلهى هو الفعل التكوينى الذى أوجده الله تعالى وهو العقاب أو العذاب الساقط على من يستحقه.

١- سورة البقره، الآيه: ٦١.

٢- مجمع البيان: ج ٢، ص ٢٩٤.

٣- تفسير الميزان للسيد الطباطبائى: ج ١٧، ص ٢٤٢.

انتقام الله تعالى

الانتقام فى اللغة: نقم منه نقماً: عاقبه، انتقم منه: عاقبه، النقمه: العقوبه.

الانتقام فى الاصطلاح: هو العقوبه التى تذيقيها غيرك بمقدار ما أذاقك منها أو أكثر من ذلك وهى صادرة عن التشفى غالباً.

فالانتقام من الغير قد يكون عادلاً وقد يخرج عن الإنصاف إلا أن هذا الانتقام صادر عن التشفى بالغير وعن فوره الغضب بسببه، فهذا الانتقام مختص بالمخلوق فقط حيث لا يمكن صدوره عن الله تعالى لتنزهه عن التشفى والغضب البشرى، بل إن الانتقام الإلهى ليس إلا مجازاه المسمى على إساءته فقط، لأن الله تعالى وعد أهل الحق بالخير وأهل الباطل بالشر والعذاب.

فلذا ورد قوله تعالى:

(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) (١).

ولكى يتضح المطلب أكثر نقول:

إن الانتقام يمكن أن يلحظ بلحاظات متعددة، تارة نلحظه من جهه المنتقم فيكون على قسمين: الانتقام الفردى وهو ما تقدم فى التعريف الاصطلاحى للانتقام، والانتقام الاجتماعى وهو ما ينزله المجتمع من عقوبات ومؤاخذات على من يسىء للحق الاجتماعى أو على من يوجد الخلل فى النظام العام وهذا لا يصدر عن التشفى أو الغضب وإنما لأجل الحفاظ على النظام والحمايه العامه أو الفرديه، فهذا النوع من الانتقام هو حق من حقوق المجتمع لما له من غايه ساميه ألا وهى حفظ النظام وهذا الانتقام هو مصداق من مصاديق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلذا ورد عن الإمام الحسين عليه السلام قوله:

«اعْتَبِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِمَا وَعَظَ اللَّهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ سَوْءِ ثَنَائِهِ عَلَى الْأَخْبَارِ؛ إِذْ يَقُولُ:

(لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُّونَ) (١).

وقال:

(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (٢).

وإنما عاب الله ذلكَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ كانوا يَرُونَ مِنَ الظَّلْمَةِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمُنْكَرَ وَالْفَسَادَ فَلَا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، رَغَبَهُ فِيمَا كانوا يَنالُونَ مِنْهُمْ، وَرَهْبَهُ مِمَّا يَحْدُرُونَ، وَاللَّهُ يَقُولُ:

(فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي) (٣)، (٤).

فإذا اتضح هذا يتضح ما ينسب إلى الله تعالى من مفهوم الانتقام فيكون حينئذ انتقام الله تعالى عقوبه ينزلها الله تعالى لحفظ النظام والدين والمجتمع وهي ردع لكل ظالم أخذته العزّة بالائتم وهذا ما يفهم من الآيات الكريمة كقوله تعالى:

(وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ) (٥).

وقوله تعالى:

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ) (٦).

وتاره يلحظ الانتقام من جهة ذات الانتقام وهو ليس محل البحث.

١- سورة المائدة، الآية: ٦٣.

٢- سورة المائدة، الآية: ٧٨.

٣- سورة المائدة، الآية: ٤٤.

٤- تحف العقول: ص ٢٣٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٧٦، ح ١٢٧٠٩.

٥- سورة آل عمران، الآية: ٤.

٦- سورة الزمر، الآية: ٣٧.

الانقلاب بعد الإيمان

الإيمان فضيله تدل على رجاحه عقل صاحبها، بل هو زينه يتزين بها العقلاء، وتاج يعلو رؤوس النبلاء، ورداء يرتديه الفضلاء، فهو العفه والإخلاص والصبر والسماحه والصدق والشكر والسخاء والتسليم لله تعالى والرضا بقضائه وقدره والقناعه والحب في الله تعالى والبغض فيه تعالى وهو الخوف والرجاء، وهو معرفه بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان، فإذن الإيمان هو أصل الفضائل وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«الإيمانُ أصلُ الحقِّ، والحقُّ سبيلُ الهدى، وسيفُهُ جامعُ الحليه، قديمُ العُدّه، الدُّنيا مضمارُهُ» (١).

فلذا نجد الآيه الكريمة التي تشير إلى فضل الله تعالى وكرمه إذ تقول:

(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) (٢).

لما له من دور في بناء شخصيه الإنسان وعلوه وسموه، وحيث إن البحث يهتم بالانقلاب بعد الإيمان لابد من التعرض إلى بيان بعض النقاط التي من خلالها يتضح لنا أسباب الانقلاب والانحراف، وهي كما يلي:

١ الإيمان ليس هو الإسلام لقوله تعالى:

(قَالَتِ الْمَاعِرَاتُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَمَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٣).

فيظهر من هذه الآيه أن هناك فرقاً بين الإسلام وبين الإيمان فيعرف منه الفرق

١- كنز العمال: ٤٤٢١٦. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٥٠، ح ١٢٥٠.

٢- سورة الحجرات، الآيه: ٧.

٣- سورة الحجرات، الآيه: ١٤.

بين المؤمنين والمسلمين، فالإيمان حقيقه محلها القلوب وتصديقها الأعمال، والإسلام محله اللسان وهذا ما ورد على لسان النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّيِّ وَلَا بِالتَّمَنِّيِّ، وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ مَا خَلَصَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْأَعْمَالُ»^(١).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ»^(٢).

وما ورد عن أمير المؤمنين على عليه السلام فيه بيان جلى للفرق بين الإيمان والإسلام فلذا يقول عليه السلام:

«قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَا عَلِيُّ أَكُتِبَ، فَقُلْتُ: مَا أَكُتِبُ؟ فَقَالَ: أُكُتِبُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ، وَالْإِسْلَامُ مَا جَرَى عَلَى اللِّسَانِ وَحَلَّتْ بِهِ الْمُنَاكَحَةُ»^(٣).

٢ الإيمان لا- يقتصر على المعرفة القلبية أو الإقرار باللسان بل لابد من ترجمه ذلك إلى العمل والتطبيق وهذا ما يفهم من قوله تعالى:

(وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)^(٤).

أو قوله تعالى:

(وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

١- بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٧٢، ح ٢٦. كنز العمال: ١١ نحوه. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٥١، ح ١٢٦١.

٢- كنز العمال: ٢. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٥١، ح ١٢٦٢.

٣- بحار الأنوار: ج ٥، ص ٢٠٨، ح ٢٢. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٥٠، ح ١٢٥٣.

٤- سورة العصر، الآيات: ١ و ٢ و ٣.

كَلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرِهِ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(١).

وهناك ما يقارب خمسين آية تربط بين الإيمان والعمل؛ إذ لا فائده لإيمان دون عمل أو لعمل دون إيمان، بل هما الجناحان الوحيدان اللذان يطير بهما المؤمن ويعرج بهما إلى ربه تعالى.

وما ورد في الأحاديث أعلاه يؤكد على ضروره العمل المقرون بالإيمان، بل إن هناك أحاديث صريحه بذلك نورد بعضا منها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه»(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يقبل إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان»(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«لَوْ أَنَّ الْعِبَادَ وَصَفُوا الْحَقَّ وَعَمِلُوا بِهِ وَلَمْ تُعَقَّدْ قُلُوبُهُمْ عَلَى أَنَّهُ الْحَقُّ مَا انْتَفَعُوا»(٤).

٣ لا يبد للمؤمن أن يتصف بنصره الحق ودحض الباطل، وأن يكون ميزانه في التعامل والمواقف رضا الله تعالى دون سواه، وإن أدى ذلك إلى ضرره أو عدم نفعه، وهذا ما صرح به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام الصادق عليه السلام،

١- سورة البقره، الآية: ٢٥.

٢- كنز العمال: ٥٩. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٥٥، ح ١٢٨٩.

٣- كنز العمال: ٢٦٠. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٥٥، ح ١٢٩٠.

٤- نور الثقلين: ج ٣، ص ٥٤٦، ح ٨٧. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٥٥، ح ١٢٩٥.

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَا يَحُقُّ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَغْضَبَ اللَّهُ وَيَرْضَى اللَّهُ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحَقَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ» (١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إِنَّ مِنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ أَنْ تَوَثَّرَ الْحَقُّ وَإِنْ ضَرَّكَ عَلَى الْبَاطِلِ وَإِنْ نَفَعَكَ».

٤ قد يؤمن المرء، ردها من الزمن ثم يخرج من الإيمان لأسباب منها الطمع في الدنيا كما في هذا الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام وقد سُئِلَ عما يُبَيِّنُ الْإِيمَانَ فِي الْعَبْدِ:

«الَّذِي يُبَيِّنُهُ فِيهِ الْوَرَعُ، وَالَّذِي يُخْرِجُهُ مِنْهُ الطَّمَعُ» (٢).

ومنها نيل الشهوات الحرام والشرك كما في الأحاديث الآتية:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ كَانَ أَكْثَرَ هَمِّهِ نَيْلَ الشَّهَوَاتِ نَزَعَ مِنْ قَلْبِهِ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ» (٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قَدْ يُخْرِجُ [الْعَبْدُ] مِنَ الْإِيمَانِ بِخَمْسِ جِهَاتٍ مِنَ الْفِعْلِ كُلِّهَا مُتَشَابِهَاتٌ مَعْرُوفَاتٌ: الْكُفْرُ، وَالشُّرْكُ، وَالضَّلَالُ، وَالْفِسْقُ، وَرُكُوبُ الْكِبَائِرِ» (٤).

وعنه عليه السلام قال:

١- كتر العمال: ٩٩. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٥٤، ح ١٢٨٠.

٢- الخصال: ج ٩، ص ٢٩. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٦٦، ح ١٣٥٩.

٣- تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١١٦. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٦٨، ح ١٣٧٤.

٤- تحف العقول: ٣٣٠، أنظر تمام الحديث. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٦٨، ح ١٣٧٩.

«أَذْنَى مَا يَخْرُجُ بِهِ الرَّجُلُ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ يُوَاخَى الرَّجُلَ عَلَى دِينِهِ فَيُحْصَى عَلَيْهِ عَثْرَاتِهِ وَزَلَّاتِهِ لِيَعْتَفَهُ (لِيَعْتِرَهُ) بِهَا يَوْمًا (مَا)» (١).

بعد هذه المقدمة التي بينها نستطيع القول: إن الذين ينقلبون على أعقابهم على أربعة أقسام:

ألف: هم من لم يدخل الإيمان في قلوبهم، أو من دخل الإيمان في قلبه دون أن يصدقه بالعمل.

باء: ومن الذين ينقلبون بعد إيمانهم هم من خذلوا الحق ونصروا الباطل.

جيم: من كانت أقوالهم وأعمالهم مخالفه لرضا الله تعالى وموافقه لرضا المخلوق العاصي.

دال: الذين انقلبوا عبيد شهواتهم وأطماعهم بعد أن خلقهم الله تعالى أحرارا.

استحواذ الشيطان

الشيطان في اللغة: روح شريره مغوٍ، كل متمرّد فاسد، يقال في تقييح الشيء، كأنه وجه شيطان أو رأس شيطان، وفي التنزيل العزيز في وصف شجره جهنم:

(طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) (٢).

ويقال ركبه شيطانه: غضب ولم يعبا بالعاقبه.

الشيطان: مخلوق من الجن تمرّد على الأمر الإلهي لعجب أصابه وغرور أعماه.

فإذا عرف القارئ الكريم ما تقدم يلزم الحذر الشديد من طاعه الشيطان الذي لا هم له إلا أن يكيد لبني آدم، ولو تأملنا المعنى اللغوي فقط للشيطان لكفانا ذلك للابتعاد

١- معاني الأخبار: ص ٣٩٤، ح ٤٨. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٢٦٩، ح ١٣٨٠.

٢- سورة الصافات، الآية: ٦٥.

عن هذا المخلوق المخيف الذى يتربص بنا الدوائر ويترصدنا فى كل حركة وسكنه ليستزلنا عن الطريق المستقيم كما استزل
غيرنا كما فى الآيه الشريفه:

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) (١).

فلذا لابد من الاستعاذه بالله تعالى منه قولاً وعملاً، أى إذا قلت (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ينبغى أن تحضر فى قلبك عداوه
الشيطان، وأن تتبعد عن كل ما يحبه، وأن تأتى كل ما يريد الله تعالى منك وتعمل كل ما يحبه بارتكك، وهذا لا يكون إلا من
خلال هجر الشهوات التى حرمها الله تعالى، وإتيان الفرائض التى أوجبها تعالى عليك، ولا بد أن تتسلح بكل ما يقوى صوت
الرحمن فى قلبك ويضعف صوت الشيطان الذى يهجم عليك بتسويلاته ووساوسه، وهذا يتم من خلال معرفتك الأعياب
الشيطان وطرقه وحيله وإغوائه، ولكى لا تقع فى شركه وتفيدك حباله عليك أن تقف على معنى الخير والشر وعاقبه كل واحد
منهما،

ولكى نعرف أسباب استحواذ الشيطان على الإنسان لابد من ملاحظه ما يأتى:

١ من يعيش بعيداً عن ذكر الله تعالى يسقط فى براثن الشيطان كما فى قوله تعالى:

(وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) (٢).

٢ إتباع الشهوات والسعى وراء تحصيلها بما لا يرضى الله تعالى كما فى قول أمير المؤمنين عليه السلام:

١- سورة آل عمران، الآيه: ١٥٥.

٢- سورة الزخرف، الآيه: ٣٦.

«الْفِتْنُ ثَلَاثٌ: حُبُّ النَّسَاءِ وَهُوَ سَيْفُ الشَّيْطَانِ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ وَهُوَ فَحْجُ الشَّيْطَانِ، وَحُبُّ الدِّينَارِ وَالذَّرْهَمِ وَهُوَ سَهْمُ الشَّيْطَانِ» (١).

٣ الاتصاف ببعض الرذائل وممارستها تؤدي بصاحبها إلى الانقياد لإبليس كما في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«يَقُولُ إِبْلِيسُ لِجُنُودِهِ: أَلْقُوا بَيْنَهُمُ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ؛ فَإِنَّهُمَا يَغْدِلَانِ عِنْدَ اللَّهِ الشَّرْكَ» (٢).

٤ إتيان الذنوب والإصرار عليها يؤدیان إلى نزول الشياطين على فاعلهما كما في قوله تعالى:

(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) (٣).

٥ العجب بالنفس سبب في استحواذ الشيطان كما ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«بَيْنَمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسًا إِذْ أَقْبَلَ إِبْلِيسُ... قَالَ مُوسَى: فَأَخْبِرْنِي بِالذَّنْبِ الَّذِي إِذَا أُذْنِبُهُ ابْنُ آدَمَ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِ، قَالَ: إِذَا أُعْجِبْتَهُ نَفْسُهُ، وَاسْتَكْتَرَ عَمَلَهُ، وَصَغُرَ فِي عَيْنِهِ ذَنْبُهُ» (٤).

٦ معاشره أهل السوء ومخالطتهم تقود إلى طاعه الشيطان، وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام:

«مُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهَوَى مَنَسَاءٌ لِلْإِيمَانِ وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ» (٥).

١- الخصال: ص ١١٣، ح ٩١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢١، ح ٩٣٧٦.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٣٢٧، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٧، ح ٩٣٩٣.

٣- سورة الشعراء، الآية: ٢٢١.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٣١٤، ح ٨. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٣٠، ح ٩٤٠٧.

٥- نهج البلاغه: الخطبه ٨٦. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٣٠، ح ٩٤٠٨.

٧ عدم احترام الذات والاتصاف بالقبائح وإتيانها تجعل صاحبها شيطانا كما فى قول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ لَمْ يُبَالِ مَا قَالَ وَمَا قِيلَ فِيهِ فَهُوَ شَرِكُ شَيْطَانٍ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئًا فَهُوَ شَرِكُ شَيْطَانٍ، وَمَنْ اغْتَابَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ مِنْ غَيْرِ تَرَهُ بَيْنَهُمَا فَهُوَ شَرِكُ شَيْطَانٍ، وَمَنْ شَغِفَ بِمَحَبَّتِهِ الْحَرَامَ وَشَهْوَهُ الزَّانَا فَهُوَ شَرِكُ شَيْطَانٍ» (١).

أسنله مهمه

السؤال الأول: ما هو السبب المهم الذى طرد بسببه إبليس من مرتبه عند الله تعالى؟

الجواب: لكى لا نقع فيما وقع فيه إبليس من خسران، ولكى لا نطرد من رحمه الله تعالى لابد من الاعتبار مما حصل له وهذا من خلال معرفه أسباب خسرانه وطرده وهى كما يلي:

ألف: التكبر على أمر الله تعالى كما يؤكد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ؛ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهَّزَهُ الْجَهِيدَ (الجميل) وَكَانَ قَدْ عَيَّدَ اللَّهُ سِتِّتَهُ آلَافٍ سِنِينَ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنَى الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنَى الآخِرَةِ عَنْ كِبَرِ سَاعِهِ وَاحِدِهِ» (٢).

باء: العجب بالنفس وتفضيل النفس على الغير دون استحقاق وهذا ما تشير إليه الآيه الكريمة:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ

١- الخصال: ص ٢١٦، ح ٤٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٣٢، ح ٩٤١٧.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ١٩٢. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩١٨، ح ٩٣٦٥.

خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(١).

جيم: عباده الله تعالى من حيث تريد النفس، لا من حيث يريد الله تعالى كما بين ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«أَمَرَ اللَّهُ إِبْلِيسَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ إِنَّ أَعْفَيْتَنِي مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ لِأَعْبَدَنَّكَ عِبَادَةً مَا عَيْدَكَ أَحَدٌ قَطُّ مِثْلَهَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أُطَاعَ مِنْ حَيْثُ أُرِيدُ»(٢).

السؤال الثاني: ألف/ ما هي حدود الشيطان وسلطته؟ باء/ وعلى من يتسلط؟

الجواب:

ألف: إن سلطه الشيطان لا تتعدى التزيين أو التسويل أو الوسوسة أو الإغواء ولا تصل إلى حد إجبار العبد على الفعل كما في الآيات الكريمة الآتية:

١ آيات تبين تزيين الشيطان كقوله تعالى:

(فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(٣).

وقوله تعالى:

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(٤).

١- سورة الأعراف، الآيتان: ١١ و١٢.

٢- بحار الأنوار: ج ٦٣، ص ٢٥٠، ح ١١٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩١٨، ح ٩٣٦٦.

٣- سورة الأنعام، الآية: ٤٣.

٤- سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

وقوله تعالى:

(أَمْنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُزِيلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَمْ يَأْتِ اللَّهَ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (١).

وهناك الكثير من الآيات التي تشير إلى ذلك.

٢ آيات تشير إلى التسويل كما في قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) (٢).

٣ آيات تشير إلى الوسوسة كما في قوله تعالى:

(فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) (٣).

وقوله تعالى:

(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ) (٤).

وقوله تعالى:

(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) (٥).

١- سورة النمل، الآية: ٦٣.

٢- سورة محمد، الآية: ٢٥.

٣- سورة الأعراف، الآية: ٢٠.

٤- سورة طه، الآية: ١٢٠.

٥- سورة الناس، الآيتان: ٤ و ٥.

٤ آيات تشير إلى الإغواء كما في قوله تعالى:

(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (١).

وقوله تعالى:

(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (٢).

وأما ما يؤكد أن سلطه الشيطان لا تصل إلى حد الإجبار على العمل بل ليس له دخل في وقوع المعاصي إلا ما تقدم من التزيين والتسويل والوسوسة والإغواء فهو قوله تعالى:

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعِدَ الْحَقُّ وَعَوَدْتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسِكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٣).

وأما ما يدل على عدم إجباره لبنى آدم على المعصية فهو ضعفه وعجزه عن ذلك كما في قوله تعالى:

(الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (٤).

١- سورة ص، الآيتان: ٨٢ و ٨٣.

٢- سورة الحجر، الآيتان: ٣٩ و ٤٠.

٣- سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

٤- سورة النساء، الآية: ٧٦.

وقول الإمام الكاظم عليه السلام في وصيته لهشام:

«فَلَهُ [أى لإبليس] فَلْتَشْتَدَّ عِدَاؤُتْكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَصْبَرَ عَلَى مُجَاهَدَتِهِ لِهَلَكَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَبْرِكَ لِمُجَاهَدَتِهِ؛ فَإِنَّهُ أضعفُ مِنْكَ رُكْنًا فِي قُوَّتِهِ، وَأقلُّ مِنْكَ ضَرَرًا فِي كَثْرَةِ شَرِّهِ، إِذَا أَنْتَ اعْتَصَمْتَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدَيْتَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (١).

باء: إضافه لما تقدم من أسباب الاستحواذ نبين أن سلطه إبليس لا تكون إلا على من لهم هذه الصفات:

١ الذين يتولونه كما في قوله تعالى:

«إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» (٢).

٢ الغاوين كما في قوله تعالى:

«إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ» (٣).

٣ إتباع الهوى وأهل الفتن كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ... فَهَذَا لَكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى» (٤).

السؤال الخامس: ما هي الوسائل التي تعصم الإنسان من السقوط تحت سلطنه الشيطان؟

الجواب:

١- تحف العقول: ص ٤٠٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٥، ح ٩٣٨٧.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

٣- سورة الحجر، الآية: ٤٢.

٤- نهج البلاغه: الخطبه ٥٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٩، ح ٩٤٠٦.

ألف: الإيمان الحقيقي الذى حصل نتيجة معرفه يقود إلى التوكل، وإلى التحلى بالفضائل التى من شأنها حمايه الإنسان من السقوط فى براثن الشيطان كما فى قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (١).

ولكى يحقق الإيمان أهدافه لابد من اقترانه بالعمل الصالح، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٢).

باء: ذكر أهل الحكمة والموعظه، وخزانه العلم فى أحاديثهم الشريفه مجموعه من الوسائل التى تنجى من الوقوع فى شرك الشيطان وهى كما يلى:

١ نفتح الجواب عن هذا السؤال بنصيحه سيد الرسل وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَبَاعَدَ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ تَبَاعَدَ الْمَشْرِقُ مِنَ الْمَغْرِبِ؟»

قالوا: بلى، قال:

الصَّوْمُ يَسْوِدُ وَجْهَهُ، وَالصَّدَقَةُ تَكْسِرُ ظَهْرَهُ، وَالْحَيْبُ فِي اللَّهِ وَالْمِوَازِرَةُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَقْطَعَانِ دَابِرَهُ، وَالْأَسْرُ يَغْفَارُ يَقْطَعُ وَتَيْنَهُ» (٣).

٢ أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى اللجوء إلى الله تعالى والاعتصام به من خلال الدعاء والتوسل كما فى قوله عليه السلام:

١- سورة النحل، الآية: ٩٩.

٢- سورة الحجر، الآية: ٤٢.

٣- أمالى الصدوق: ص ٥٩، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٣٠، ح ٩٤١٢.

«أَكْثَرَ الدُّعَاءِ تَسَلَّمَ مِنْ سَوْرَةِ الشَّيْطَانِ» (١).

٣ ذكر الإمام الباقر عليه السلام أن التلبس بالخوف والخشية من الله تعالى ظاهراً وباطناً وفي السر والعلن كفيل بحمايه العديد من مكائد الشيطان كما في قوله عليه السلام:

«تَحَرَّزْ مِنْ إِبْلِيسَ بِالْخَوْفِ الصَّادِقِ» (٢).

وقوله عليه السلام:

«عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَبَكُرُوا بِهَا؛ فَإِنَّهَا تُسَوِّدُ وَجْهَ إِبْلِيسَ» (٣).

٤ أرشدنا الإمام الصادق عليه السلام إلى الوقوف على اعتراف إبليس بالعجز إزاء خمسة أشياء لو التزم بها المؤمن لا يصل إليه شر إبليس ولا يناله شيء من حيله ومكائده كما في قوله عليه السلام:

«قَالَ إِبْلِيسُ: خَمْسَةُ (أَشْيَاءَ) لَيْسَ لِي فِيهِنَّ حِيلَةٌ وَسَائِرُ النَّاسِ فِي قَبْضَتِي: مَنْ اغْتَصَمَ بِاللَّهِ عَنِ بَيْتِهِ صَادِقَةً وَاتَّكَلَّ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَمَنْ كَثُرَ تَسْبِيحُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَمَنْ رَضِيَ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ بِمَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجْزَعْ عَلَى الْمُصِيبَةِ حِينَ تُصِيبُهُ، وَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ وَلَمْ يَهْتَمَّ لِرِزْقِهِ» (٤).

السؤال السادس: هل يؤثر الشيطان على المعصومين؟

الجواب: لا- يمكن أن يؤثر عليهم الشيطان لعصمتهم التي ثبتت في محلها بالأدلة العقلية والنقلية، وقد تقدم ذكر صفات من يستحوذ عليهم الشيطان، وذكر أسباب استحواده على البشر التي تنزه عنها المعصومون، وأما ما ورد من آيات فيها إشاره إلى

١- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٩، ح ٦٤. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٨، ح ٩٤٠٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٦٤، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٨، ح ٩٤٠٢.

٣- تحف العقول: ص ٢٩٨. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٣٠، ح ٩٤١٣.

٤- الخصال: ص ٢٨٥، ح ٣٧. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٨، ح ٩٤٠١.

تسلط الشيطان على الأنبياء كقوله تعالى:

(وَإِذْ كُرَّ عِبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) (١).

وقوله تعالى:

(قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) (٢).

فتفسر بأن للشيطان قدره التأثير على أجسام الأنبياء دون نفوسهم وعقولهم لعصمتهم.

١- سورة ص، الآية: ٤١.

٢- سورة الكهف، الآية: ٦٣.

الخطبه الثالثه عشره: وفيها يذمّ بنى أميّه، ثمّ ينبّه على حقه

اشاره

نص الخطبه

اشاره

«إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، فَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْتَرُوا بِالْفَيْءِ، وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ، وَقَدْ أَتَيْتَنِي كُتُبُكُمْ، وَقَدِمْتُ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ، فَإِنْ تُتِمُّوا عَلَيَّ بَيْعَتَكُمْ تُصِيبُوا رُشْدَكُمْ».

المعنى العام

أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى الجماعه التي ثبتت ودامت على الانقياد والخضوع لإبليس، وتخلوا عن الانقياد والخضوع لله تعالى فأعلنوا الانحراف واللهو واللعب والضرر، تركوا وضيعوا الحواجز التي وضعها الله تعالى دون المعاصي أو التي فرضها على العصاه، وخصوا أنفسهم بالخراج وغنيمه المسلمين، وأنا أولى من يحول دون ذلك ويمنع هؤلاء ويردهم إلى الصواب، وقد جاءتنى رسائلكم ووردت على رسلكم، فإن تكملوا بيعتكم بالتزامكم معي تناولوا هديكم وتوفيقكم.

الشجره الملعونه

ورد ذكر الشجره الملعونه فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

(وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) (١).

كما ورد ذكر الشجرة الطيبة في قوله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْمَلَهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (١)).

جاءت المقارنه بين الشجرة الطيبة والخبيثة لبيان الفارق بين الحق والباطل وبين الغنى المعنوى والفقر المعنوى، وبين الإيمان والكفر، وبين ما له أصل وما لا أصل له، وبين من هو ثابت لا يغيره شيء وبين ما هو متميز ومتهاوٍ، وبين ينبوع البركات وما لا برکه ترجى منه أو فيه، وبين الطريق المستقيم والأعوج، وبين المعطاء الخصب والجشع الجذب، وبين المؤمن والكافر بل بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعدائه، أى بين الشجرة الإلهيه والشجرة الشيطانيه، الشجرة المثمره والعقيم التى لا ثمر فيها.

ومما يدل على انطباق هذه الآيات على بنى أميه ما ورد فى التفاسير المعتبره لآيه الشجرة الملعونه كما جاء فى تفسير مجمع البيان (إن ذلك رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى منامه أن قروداً تصعد منبره وتنزل، فساء ذلك، واغتم به) (٢).

وكما جاء فى تفسير الأمثل (تحدث مجموعه من المفسرين مثل الطبرسى فى (مجمع البيان) والفخر الرازى فى (التفسير الكبير) وآخرون، فى شأن نزول هذه الآيات، فقالوا: إنها نزلت فى مجموعه من المشركين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالليل إذا تلا القرآن وصلى عند الكعبه، وكانوا يرمونه بالحجاره ويمنعونه عن دعوه الناس إلى الدين، فحال الله سبحانه بينه وبينهم حتى لا يؤذوه.

١- سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ و ٢٥ و ٢٦.

٢- تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسى: ج ٦، ص ٢٦٦.

وقد احتمل الطبرسى أن يكون الله منع المشركين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق إلقاء الخوف والرعب فى قلوبهم.

أما الرازى فيقول فى ذلك: (إن هذه الآيه نزلت فى قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرأ القرآن على الناس، روى أنه عليه الصلاة والسلام كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه وجلان وعن يساره آخران من ولد قصى يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار).

وتفسير الميزان (يؤيد جميع ما تقدم ما ورد من طرق أهل السنه واتفقت عليه أحاديث أئمه أهل البيت عليهم السلام أن المراد بالرؤيا فى الآيه هى رؤيا رآها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى بنى أميه والشجره شجرتهم) (١).

وورد فى تفاسير القوم ما يؤيد ذلك كما فى الدر المنثور:

وما ورد أيضا فى التفاسير لآيات الشجره الطيبه والخبيثه كما فى تفسير الأمثل: (الشجره الطيبه والشجره الخبيثه!

هنا مشهد آخر فى تجسيم الحق والباطل، الكفر والإيمان، الطيب والخبيث ضمن مثال واحد جميل وعميق المعنى... يكمل البحوث السابقه فى هذا الباب.

يقول تعالى أولا: ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمه طيبه كشجره طيبه ثم يشير إلى خصائص هذه الشجره الطيبه فى جميع أبعادها ضمن عبارات قصيره.

ولكن قبل أن نستعرض هذه الخصائص يجب أن نعرف ما المقصود من (الكلمه الطيبه)؟

قال بعض المفسرين: إنها كلمه التوحيد (لا إله إلا الله).

وقال آخرون: إنها تشير إلى الأوامر الإلهيه.

١- تفسير الميزان، السيد الطباطبائى: ج ١٣، ص ١٣٧.

وقال البعض الآخر: إنه الإيمان الذى محتواه ومفهومه (لا إله إلا الله).

وقال آخرون فى تفسيرها: إنها شخص المؤمن.

وأخيرا قال بعضهم: إنها الطريقه والبرامج العمليه.

ولكن بالنظر إلى سعه مفهوم الكلمه الطيبه ومحتواها نستطيع أن نقول: إنها تشمل جميع هذه الأقوال، لأن (الكلمه) فى معناها الواسع تشمل جميع الموجودات، ولهذا السبب يقال للمخلوقات (كلمه الله)، و(الطيب) كل طاهر ونظيف، فالنتيجه من هذا المثال أنه يشمل كل سنه ودستور وبرنامج وطريقه، وكل عمل، وكل إنسان.. والخلاصه: كل موجود طاهر ونظيف وذى بركه، وجميعها كشجره طيبه فيها الخصائص التاليه:

١ كائن يمتلك الحركه والنمو، وليس جامدا ولا خاملا، بل ثابت وفاعل ومبدع للآخرين ولنفسه (التعبير ب(الشجره) بيان لهذه الحقيقه).

٢ هذه الشجره طيبه، ولكن من أيه جهه؟ بما أنه لم يُذكر لها قسم خاص بها، فإنها طيبه من كل جهه.. منظرها، ثمارها، أزهارها، ظلالها، ونسيمها بل جميعها طيب وظاهر.

٣ لهذه الشجره نظام دقيق، لها جذور وأغصان، وكل واحد له وظيفته الخاصه، فوجود الأصل والفرع فيها دليل على سياده النظام الدقيق عليها.

٤ أصلها ثابت محكم بشكل لا يمكن أن يقلعها الطوفان ولا العواصف.

وباستطاعتها أن تحفظ أغصانها العاليه فى الفضاء وتحت نور الشمس، لأن الغصن كلما كان عاليا يحتاج إلى جذور قويه أصلها ثابت.

٥ إن أغصان هذه الشجره الطيبه ليست فى محيط ضيق ولا ردىء، بل مقرها فى عنان السماء، وهذه الأغصان والفروع تشق الهواء وتصعد فيه عاليا وفرعها فى السماء.

ومن الواضح أن الأغصان كلما كانت عالية وسامقه تكون بعيده عن التلوث والغبار وتصبح ثمارها نظيفه، وتستفيد أكثر من نور الشمس والهواء الطلق، فتكون ثمارها طيبه جدا.

٦ هذه الشجره كثيره الثمر لا كالأشجار الذابله العديمه الثمر، ولذلك فهى كثيره العطاء تؤتى أكلها.

٧ وثمارها ليست فصليه، بل فى كل فصل وزمان، فإذا أردنا أن نمد يدنا إلى أغصانها فى أى وقت لم نرجع خائبين كل حين.

٨ إن إنتاجها من الثمار يكون وفق قوانين الخلقه والسنن الإلهيه وليس بدون حساب بإذن ربها.

والآن يجب أن نفتش، أين نجد هذه الخصائص والبركات؟

نجدها بالتأكيد فى كلمه التوحيد ومحتواها، وفى الإنسان الموحد ذى المعرفه، وفى البرامج الحيه النظيفه، وجميعها ناميه ومتحركه ولها أصول ثابتة ومحكمه وفروع كثيره وعاليه بعيده عن التلوث بالأدران الجسديه والديويه، وكلها مثمره وفياته.

وما من أحد يأتى إليها ويمد يده إلى فروعها إلا ويستفيد من ثمارها اللذيذه العطره؟ وتحقق فيه الخصال المذكوره، فعواصف الأحداث الصعبه والمشاكل الكبيره لا ترحزه من مكانه، ولا يتحدد، وافق تفكيره فى هذه الدنيا الصغيره، بل يشق حجب الزمان والمكان ويسير نحو المطلق اللامتناهى.

سلوكهم وبرامجهم ليست تابعه للهوى والهوس، بل طبقا للأوامر الإلهيه وبإذن ربهم، وهذا هو مصدر الحركه والنمو فى حركتهم.

الرجال العظام من المؤمنين هم كلمه الله الطيبه، وحياتهم أصل البركه، دعوتهم توجب الحركه، آثارهم وكلماتهم وأقوالهم وكتبهم وتلاميذهم وتاريخهم.. وحتى

قبورهم جميعها ملهمه وحيه ومريبه.

نعم ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون.

وهناك سؤال مطروح بين المفسرين وهو: هل لوجود هذه الشجره وصفاتها واقع خارجى؟

يعتقد البعض بوجودها وهى النخله، ولذلك اضطروا إلى أن يفسروا كل حين بسته أشهر.

ولكن لا حاجه إلى الإصرار فى وجود مثل هذه الشجره، بل هناك تشبيهات كثيره وليس لها وجود خارجى أصلا.

وعلى أية حال، فالهدف من التشبيه هو تجسيم الحقائق والمسائل العقليه وصبها فى قالب الحواس، وهذه الأمثال ليس فيها أى إبهام، بل هى مقبوله ومؤثره وجذابه.

وفى عين الحال هناك أشجار فى هذه الدنيا ثمارها لا- تنقطع على طول السنه، وقد رأينا بعض الأشجار فى المناطق الحاره وكانت مثمره وفى نفس الوقت لها أزهار جديده للثمار المقبله!

وبما أن أحد أفضل الطرق لتوضيح المسائل هو الاستفاده من طريق المقابله والمقايسه، فقد جعلت النقطه المقابله للشجره الطبيه، الشجره الخبيثه ومثل كلمه خبيثه كشجره خبيثه اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

والكلمه (الخبيثه) هى كلمه الكفر والشرك، وهى القول السيئ والردىء، وهى البرنامج الضال والمنحرف، والناس الخبيثاء، والخلاصه: هى كل خبيث ونجس.

ومن البديهى أن مثل هذه الشجره ليس لها أصل، ولا نمو ولا تكامل ولا ثمار ولا ظل ولا ثبات ولا استقرار، بل هى قطعه خشبيه لا تصلح إلا للاشتعال... بل أكثر من ذلك هى قاطعه للطريق وتزاحم السائرين وأحيانا تؤذى الناس!

ومن الطريف أن القرآن الكريم فصل الحديث في وصف الشجره الطيبه بينما اكتفى في وصف الشجره الخبيثه بجمله قصيره واحده (جثت من فوق الأرض وما لها من قرار) وهذا نوع من لطافه البيان أن يتابع الإنسان جميع خصوصيات ذكر (المحجوب) بينما يمر بسرعه في جمله واحده بذكر (المبغوض)!

ومره أخرى نجد المفسرين اختلفوا في تفسير الشجره الخبيثه، وهل لها واقع خارجي؟

قال البعض: إنها شجره (الحنظل) والتي لها ثمار مره ورديته.

واعتقد آخرون أنها (الكشوت) وهي نوع من الأعشاب المعقده التي تنبت في الصحراء ولها أشواك قصيره تلتف حولها وليس لها جذر ولا أوراق.

وكما قلنا في تفسير الشجره الطيبه، ليس من اللازم أن يكون للشجره الخبيثه وجود خارجي في جميع صفاتها، بل الهدف هو تجسيم الوجه الحقيقي لكلمه الشرك والبرامج المنحرفه والناس الخبيثاء، وهؤلاء كالشجره الخبيثه ليس لها ثمار ولا فائده... إلا المتاعب والمشاكل، مضافا إلى أن الأشجار والنباتات الخبيثه التي قلعها الأعاصير ليست قليله.

وبما أن الآيات السابقه جسدت حال الإيمان والكفر، الطيب والخبيث من خلال مثالين صريحين، فإن الآيه الأخيره تبحث نتيجة عملهم ومصيرهم النهائي، يقول تعالى:

(يُجِبُّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) (١).

لأن إيمانهم لم يكن إيمانا سطحيا وشخصيتهم لم تكن كاذبه وملتونه، بل كانت شجره طيبه أصلها ثابت وفرعها في السماء، وبما أن ليس هناك من لا- يحتاج إلى اللطف الإلهي، وبعبارة أخرى: كل المواهب تعود لذاته المقدسه، فالمؤمنون المخلصون الثابتون بالاستناد إلى اللطف الإلهي يستقيمون كالجبال في مقابل أليه حادثه، والله تعالى يحفظهم

من الزلات التي تعترتهم في حياتهم، ومن الشياطين الذين يوسوسون لهم زخرف الحياه ليزلوهم عن الطريق.

وكذلك فالله تعالى يثبتهم أمام القوى الجهنمية للظالمين القسا، الذين يسعون لإخضاعهم بأنواع التهديد والوعيد.

ومن الطريف أن هذا الحفظ والتثبيت الإلهيين يستوعبان كل حياتهم في هذه الدنيا وفي الآخرة، فهنا يثبتون بالإيمان ويبرؤون من الذنوب، وهناك يخلدون في النعيم المقيم.

ثم يشير إلى النقطة المقابلة لهم ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء.

قلنا مرارا: إن الهدايه والضلال التي تنسب إلى الله عز وجل لا تتحققان إلا بأن يرفع الإنسان القدم الأولى لها، فالله عز وجل عندما يسلب المواهب والنعم من العبد أو يمنحها له يكون ذلك بسبب استحقاقه أو عدم استحقاقه.

ووصف (الظالمين) بعد جملة (يضل الله) أفضل قرينه لهذا الموضوع، يعنى ما دام الإنسان غير ملوث بالظلم لا تسلب الهدايه منه، أما إذا تلوث بالظلم وعمت وجوده الذنوب، فسوف يخرج من قلبه نور الهدايه الإلهيه، وهذه عين الإراده الحره، وبالطبع إذا غير مسيره بسرعه فطريق النجاه مفتوح له، ولكن إذا استحکم الذنب فإن طريق العوده يكون صعبا جدا.

هل القصد من الآخره فى الآيه هو القبر؟

نقرأ فى روايات متعدده أن الله يثبت الإنسان على خط الإيمان عندما يواجه أسئله الملائكه فى القبر، وهذا معنى الآيه:

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ).

ولقد وردت كلمه (القبر) بصراحه فى بعض هذه الروايات.

ولكن هناك روايه شريفه عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن الشيطان ليأتى الرجل من أوليائنا عند موته عن يمينه وعن شماله ليضلّه عما هو عليه، فيأبى الله عز وجل له ذلك، وهو قول الله عز وجل:

(يُبَيِّنُ اللَّهُ لَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (١) «(٢).

وأكثر المفسرين يميلون إلى هذا التفسير، طبقاً لما نقله المفسر الكبير العلامة الطبرسي في مجمع البيان ولعل ذلك يعود إلى أن الآخرة ليست محلاً للأعمال ولا للانحراف، بل هي محل الحصول على النتائج فحسب ولكن عند وقوع الموت وحتى في البرزخ (الذي هو عالم بين الدنيا والآخرة) قد تحصل بعض الهفوات، فهنا يكون اللطف الإلهي عاملاً في حفظ الإنسان وثباته.

دور الثبات والاستقامه

من بين جميع الصفات التي ذكرتها الآيات أعلاه للشجره الطيبه والخبيثه، وردت مسأله الثبات وعدم الثبات بشكل أكثر، وحتى في بيان ثمار هذه الشجره يقول تعالى: يثبت الله الذين آمنوا، وبهذا الترتيب تتضح لنا أهميه الثبات ودوره في حياه الإنسان.

فكثير من الأشخاص من ذوى القابليات المتوسطه، إلا- أنهم ينالون انتصارات كبيره في حياتهم، ثم إذا حققنا في الأمر لم نجد دليلاً إلا الثبات والاستقامه لديهم.

ومن جهه اجتماعيه لا يتحقق أى تقدم في البرامج إلا في ظل الثبات، ولهذا السبب نجد المخربين يسعون في تدمير الاستقامه، ولا نعرف المؤمنين الصادقين إلا من خلال استقامتهم وثباتهم في مقابل الحوادث الصعبه.

١- سوره إبراهيم، الآية: ٢٧.

٢- من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج ١، ص ١٣٤، ٣٦٠.

الشجره الطيبه والخبيثه فى الروايات الإسلاميه

كما قلنا أعلاه فإن كلمه (الطيبه) و(الخبيثه) التى شبهت الشجرتان بها، لها مفهوم واسع بحيث تشمل كل شخص وبرنامج ومبدأ وفكر وعلم وقول وعمل، ولكن وردت فى بعض الروايات فى موارد خاصه ولكن لا تنحصر بها.

ومن جملتها ما ورد فى الكافى (عن الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير الآيه:

(كَشَجَرِهِ طَيِّبِهِ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)(١).

قال:

«رسول الله أصلها وأمير المؤمنين فرعها، والأئمه من ذريتهما أغصانها، وعلم الأئمه ثمرها، وشيعتهم المؤمنون ورقها، هل فيها فضل؟

(أى هل يبقى شىء) قال قلت: لا والله، قال:

والله إن المؤمن ليولد فتورق ورقه فيها، وإن المؤمن ليموت فتسقط ورقه منها»(٢).

إمامه المعصوم وطاعته نجاه

العصمه: هى التنزه عن الوقوع فى المعصيه خطأ ونسياناً ولهواً، وهى أيضاً عدم النسيان والخطأ والسهو فيما يخص حجه المعصوم على الخلق.

المعصوم: هو الشخص الذى طهر باطنه وظاهره وقوله وفعله وهو أعم من النبى والإمام.

الإمامه: هى الخلافه الإلهيه التى يجعلها الله تعالى لعباده الذين اصطفى.

١- سورة إبراهيم، الآيه: ٢٦.

٢- الأمثل فى تفسير القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازى: ج٧، ص ٥٠٢ إلى ٥٠٩.

فالإمامه كما ورد في كثير من الروايات هي نظام الأمة وزمام الدين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين ونظام المسلمين، فلا بد لمن اتصف بها أن يكون مصداقاً لها ولا بد أن يتصف بصفات تؤهله أن يكون خليفه الله تعالى في الأرض وحجته على خلقه وإلاّ لساخت الأرض بأهلها ولاضطربت الحياه وفسد الناس واستولى الباطل على الحق وعمت الفوضى وانتشر الضلال وساد الجهل وهلك الحرث والنسل، ولهذا جاءت الأحاديث الشريفه تبين لنا صفات الإمام ومؤهلاته.

١ الإمام لابد أن يكون أعلم أهل زمانه ولا بد أن يتصف بالصبر كما ورد في الحديث:

قال الإمام على عليه السلام:

«لَا يَحْمِلُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا أَهْلُ الصَّبْرِ وَالْبَصْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْأَمْرِ» (١).

٢ لابد أن يكون حاذقاً في فن إداره البلاد وسياسه العباد كما جاء ذلك في قول الإمام الرضا عليه السلام في صفة الإمام:

«مُضْطَلَعٌ بِالْإِمَامَةِ، عَالِمٌ بِالسِّيَاسَةِ» (٢).

٣ لابد أن يكون ذا بصيره وذا لسان بليغ وقلب شجاع مقدام وهذا ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«يَحْتَاجُ الْإِمَامُ إِلَى قَلْبٍ عَقُولٍ، وَلِسَانٍ قَوْلٍ، وَجَنَانٍ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ صَوُولٍ» (٣).

٤ لابد أن يكون منزهاً عن المداهنه والتملق والجشع كما أكد على ذلك الإمام على عليه السلام بقوله:

١- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ٧، ص ٣٦. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٧، ح ٨٤٦.

٢- الكافي: ج ١، ص ٢٠٢، ح ١. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٧، ح ٨٤٧.

٣- غرر الحكم: ١١٠١٠. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٧، ح ٨٤٨.

«لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ وَلَا يُضَارِعُ وَلَا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ» (١).

٥ لا بد أن يكون فوق الشبهات وفوق الاتهامات وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«إِنَّ الْإِمَامَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَطْعَنَ عَلَيْهِ فِي فَمٍ وَلَا بَطْنٍ وَلَا فَوْحٍ، فَيُقَالَ: كَذَّابٌ، وَيَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا» (٢).

٦ لا بد أن يكون منحدرًا من أصلاب طاهره وأرحام مطهره، وأن يتصف بالجد والوقار وهذا ما صرح به الإمام الباقر عليه السلام بقوله في تبيين علامه الإمام:

«طَهَارَةُ الْوِلَادَةِ وَحُسْنُ الْمَنْشَأِ، وَلَا يَلْهَوُ، وَلَا يَلْعَبُ» (٣).

٧ لا بد أن يتخذ القرآن دستوراً والعدل سيره ولا تأخذه في الله لومة لائم وهو ما أرشدنا إليه الإمام الحسين عليه السلام في كتابه إلى أهل الكوفة بقوله:

«فَلَعَمْرِي، مَا الْإِمَامُ إِلَّا الْحَاكِمُ بِالْكِتَابِ، الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ، الدَّائِنُ بِدِينِ الْحَقِّ، الْحَابِسُ نَفْسَهُ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ» (٤).

٨ لا بد أن يكون أفضل أهل زمانه في الصفات الكماليه وهو ما صرح به الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«لِلْإِمَامِ عَلَامَاتٌ: (أَنْ) يَكُونَ أَعْلَمَ النَّاسِ، وَأَحْكَمَ النَّاسِ، وَأَتْقَى النَّاسِ، وَأَحْلَمَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَسِيخَى النَّاسِ، وَأَعْبَدَ النَّاسِ» (٥).

١- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٨، ص ٢٢٠. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٧، ح ٨٥١.

٢- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٨، ص ٢٧٤. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٧، ح ٨٥٢.

٣- الكافي: ج ١، ص ٢٨٤، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٧، ح ٨٥٣.

٤- الإرشاد للشيخ المفيد: ج ٢، ص ٣٩. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٨، ح ٨٥٦.

٥- معاني الأخبار: ص ١٠٢، ح ٤. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٨، ح ٨٥٧.

٩ لا بد أن يكون معصوماً من الخطأ والسهو والنسيان كما أكد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«الإمامُ المُسْتَحِقُّ للإمامةِ لَهُ عَلاماتٌ، فَمِنْها: أَنْ يُعَلَّمَ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّها صَغيرِها وَكَبيرِها، لا يَزِلُّ في الفُتيا، ولا يُخْطئُ في الجَوابِ، ولا يَسْهُو ولا يَنْسى، ولا يَلْهُو بِشَيءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنيا».

والثاني: أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِحَلالِ اللَّهِ وَحَرامِهِ وَضُرُوبِ أَحكامِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَجَميعِ ما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ، (فِيحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ) وَيَسْتَعْنِي عَنْهُمْ» (١).

وفي قول آخر:

«كَبارُ جُدودِ وَلايَةِ الإمامِ المَفْرُوضِ الطَّاعَةِ أَنْ يُعَلَّمَ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الخَطأِ وَالزَّلَلِ وَالعَمْدِ، وَمِنَ الذُّنُوبِ كُلِّها صَغيرِها وَكَبيرِها، لا يَزِلُّ ولا يُخْطئُ، ولا يَلْهُو بِشَيءٍ مِنَ الأُمُورِ المُؤَبِّقَةِ لِلدِّينِ، ولا بِشَيءٍ مِنَ المَلاهِى، وَأَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسِ بِحَلالِ اللَّهِ وَحَرامِهِ، وَفرائِضِهِ وَسُنَنِهِ وَأَحكامِهِ، مُسْتَعْنٍ عَنِ جَميعِ العالِمِ، وَغَيرُهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ أَسخى النَّاسِ وَأَشجَعُ النَّاسِ» (٢).

١٠ أن يعيش الإمام وسط الناس مواسياً لهم، رحيماً بهم، قدوه يحتذى به الفقراء وهذا ما ورد في الأحاديث الشريفه عن أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«ثَلاتَةٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ مِنَ الأئِمَّةِ صَليحٌ أَنْ يَكُونَ إماماً اضْطَلَعَ بِأمانَتِهِ: إِذا عَمِدَ في حُكْمِهِ، وَلَمْ يَحْتَجِبْ دُونَ رَعِيَّتِهِ، وَأقامَ كِتابَ اللَّهِ تَعالَى في القَريبِ، وَالبَعيدِ» (٣).

١- بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ١٦٤. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٨ ١٥٩، ح ٨٦١.

٢- بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٨٩، ح ٣٩. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٩، ح ٨٦٢.

٣- كنز العمال: ١٤٣١٥. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٥٨، ح ٨٥٥.

وعن الإمام الباقر عليه السلام:

«وحسن الخلافة على من ولي حتى يكون له كالوالد الرحيم»^(١).

وما يؤكد على ضروره أن يكون للفقراء قدوه قول أمير المؤمنين عليه السلام:

« هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمَتَرَفُونَ... أَوْلَيْتُكَ خَلْفَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ»^(٢).

بعد معرفه هذه الصفات الكماله للمعصوم صار لا بد لنا أن ننظر بعين البصيره إلى من اتصف بهذه الصفات لنختاره إماماً لنا كي نصل إلى غايتنا وهي النجاه في الدنيا والآخرة، وهذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول:

«إِنَّ أَيْمَتَكُمْ وَفَدُكُمْ إِلَى اللَّهِ، فَانظُرُوا مَنْ تُوفِدُونَ فِي دِينِكُمْ وَصَلَاتِكُمْ»^(٣).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إِنَّ أَيْمَتَكُمْ قَادَتُكُمْ إِلَى اللَّهِ، فَانظُرُوا بِمَنْ تَقْتَدُونَ فِي دِينِكُمْ وَصَلَاتِكُمْ»^(٤).

ولا شك أن إمام الدين أعم من إمام الصلاة وغيرها، وبخلاف ذلك سننال سخطا من الله تعالى وعذاباً أليماً فلذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لأَعْبُدَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ أَطَاعَتْ إِمَاماً جَائِراً لَيْسَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ كَانَتْ الرِّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً»^(٥).

١- الخصال للشيخ الصدوق: ص ١١٦، ح ٩٧.

٢- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٨، ص ٣٤٧. ميزان الحكمه: ج ١، ص ١٥٨، ح ٨٦٠.

٣- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١١، ص ٨٨. ميزان الحكمه: ج ١، ص ١٦٢، ح ٨٧٨.

٤- بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٣٠، ح ٤٦. ميزان الحكمه: ج ١، ص ١٦٢، ح ٨٧٩.

٥- بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ١١٠، ح ١. ميزان الحكمه: ج ١، ص ١٦٢، ح ٨٨٢.

الخطبه الرابعه عشره: وفيها يُذكر الناس بما كتبوا إليه

اشاره

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

نص الخطبه

اشاره

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهَا مَعْدِرَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَيْكُمْ؛ إِنِّي لَمْ آتِكُمْ حَتَّى أَتَنِي كُتُبُكُمْ، وَقَدِمْتَ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ أَنْ أَقْدِمَ عَلَيْنَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَنَا إِمَامٌ لَعَلَّ اللَّهُ يَجْمَعُنَا بِكَ عَلَى الْهُدَى، فَإِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّ ذَلِكَ فَقَدْ جِئْتُمْكُمْ، فَإِنْ تَعَطُونِي مَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنْ عُهُودِكُمْ وَمَوَاقِفِكُمْ أَقْدِمُ مَضْرُكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ لِمَقْدَمِي كَارِهِينَ انصرفتُ عَنْكُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ إِلَيْكُمْ».

المعنى العام

خاطب الإمام عليه السلام الناس بأن مجيئه إليهم بناء على طلبهم، ولهذا أراد أن يلقي الحجة عليهم ويرفع اللوم عن نفسه أمام الله تعالى وأمامهم، فذكرهم أنه لم يجرى إلا بعد أن جاءت رسائلهم ووصلت إليه رسائلهم، وكان مضمون هذه الرسائل أن أقبل علينا، فإنه ليس لنا رئيس أو خليفه أو قائد غيرك، فارجو من الله تعالى أن يضمنا إليك على الرشد والإيمان والاستقامه فإن ثبتتم على ذلك سأقدم إليكم، وإن تمنحوني ما تسكن إليه نفسى من التزاماتكم وحفظكم لاتفاقاتكم أحضر إلى ولايتكم ومدينتكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمجيئى باغضين ذهبت عنكم إلى مدينه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى المكان الذى أتيت منه إليكم.

إلقاء الحجج

ينطلق الإمام الحسين عليه السلام في بيان سبب قدومه إلى العراق من كونه حجة الله على العباد وخليفته في الأرض، فألقى على سامعيه الحجج لكي لا تكون لأحد حجة عليه ولكي لا يقع الناس في اللبس والطمس للحقائق الذي مارسه الأمويون وأتباعهم من نشر الإشاعات بين الناس وإخفاء الحقيقة كقولهم: إن الإمام الحسين عليه السلام جاء إلى العراق طالبا للحكم وراغبا في السلطة، فهو بذلك يطلب الدنيا ويحرص عليها، وكقولهم: إن الإمام الحسين عليه السلام شق عصا الأمة، وأراد الفرقة دون سبب وجيه أو تبرير مقنع، فأعلن لهم عن سبب قدومه، هذا من جهه، ومن جهه أخرى أراد الإمام الحسين عليه السلام بهذا الطرح أن يسد الباب على من يدعى رفض الظلم ويرغب في محاربتة، لو وجد القائد الذي ينشر رايه الحق ويتصدى للظلم والظالمين، فوطن نفسه وبذل مهجته وأعلن حربه ضد الظالمين بنصره للمظلومين، ومن جهه ثالثة عمل الإمام بتكليفه الشرعي الذي يراه واجبا، لاسيما بعد أن استصرخته الأمة، واستغاثت به، ودعته لذلك فخرج ملبيا دعوه الحق التي دعا إليها الله سبحانه في كتابه الكريم كما في قوله تعالى:

(الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (١).

وقوله تعالى:

(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (٢).

١- سورة النساء، الآية: ٧٤.

٢- سورة التوبة، الآية: ٢٩.

وغيرهما من الآيات الكريمة التي تحث على دفع الظلم وبسط العدل ونصره المظلومين كقوله تعالى:

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) (١).

وقوله تعالى:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (٢).

فبخروجه على الظالمين وتلييته لدعوه المظلومين ألقى الحجة على كل ذى لب وبصيره، وامثل لقول أبيه أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«وَلَعَمْرِي، مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيَّ مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِهْيَانٍ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ، وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقَوْمُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ، فَعَلَيَّْ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلًا إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا» (٣).

هل يجوز للإمام الرجوع؟

ورد عنه عليه السلام في خطبته قوله: (فَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ جِئْتُمْكُمْ، فَإِنْ تَعَطُونِي مَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنْ عُهُودِكُمْ وَمَوَائِقِكُمْ أَقْدِمُ مِصْرَكُمُ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ لِمَقْدَمِي كَارِهِينَ أَنْصَرَفْتُ عَنْكُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ إِلَيْكُمْ).

عند التأمل في هذا المقطع من الخطبة المباركة يظهر لنا أن الإمام الحسين عليه السلام يشير إلى إمكان تعديل موقفه والرجوع إلى بلده وكأن شيئاً لم يكن، فتقع في قلب أهل الجهل والتعصب أسئلة كثيرة:

١- سورة الشورى، الآية: ٣٩.

٢- سورة الروم، الآية: ٤٧.

٣- نهج البلاغة: الخطبة ٢٤. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٧٤٤، ح ٣٤٧٠.

١ هل يصح فى حق إمام معصوم أن يدخل مدخلا دون التأكد من سلامته وعواقبه، فىسأل الناس بعد أن طوى مراحل كثيره فى مسيرته ووصل ما وصل إليه الآن، ألا ينبغى أن يتأكد من ذلك قبل قدمه؟

٢ ألم يكن خروج الإمام عليه السلام ضد الظالمين ثوره لا يصح التراجع عنها؟

٣ هل يصح للإمام عليه السلام أن يضع قراراته المصيريه بين أيدي الناس، إما أن يقدم أو يرجع؟

٤ إذا كان خروج الإمام عليه السلام ضد الظالمين تكليفا شرعيا فهل يجوز له ترك التكليف؟

٥ إذا رجع الإمام عليه السلام عن موقفه فلا- ضير عليه من قبل السلطه الحاكمه؛ لما يتمتع به من منزله عظيمه فى الأمه تمنحه الحصانه التامه، ولكن ما هو مصير من خرج مع الإمام عليه السلام؟ ألم يقع فى حرج وخوف؟

٦ ألا يعدّ هذا التراجع خذلانا للحق وللمظلومين؟

٧ ألا يعدّ هذا التراجع تأكيدا على حب السلامه والنجاه وهذا بدوره يعد حرصا على الدنيا؟

٨ ألا يعدّ هذا التراجع تأكيدا لمدعى من يتهم الإمام بحب السلطه والحكم، وليس إقامه العدل والاصلاح كما هو شعار الإمام عليه السلام؟

ولعل هناك أسئله أخرى تجول فى خواطر الآخرين، لاسيما المشككين والنواصب والجاهلين بمقام الإمامه.

ولكى يتضح الجواب على هذه الأسئله وغيرها نورد بعض الالتفاتات نلفت إليها نظر المنصفين:

١ إن الإمام الحسين عليه السلام إمام معصوم بنص آيه التطهير وآيات أخر كآيه

الموده وغيرها.

٢ إن الإمام الحسين عليه السلام إمام معصوم بنص حديث الثقلين وأحاديث أخرى كحديث الإمامه وحديث السيادة في الجنه وغيرها، وهذا يؤكد أن الإمام عليه السلام إنما ألقى هذا الخطاب لحكمه هو أعرف بها فضلا عن إلقاء الحجج عليهم.

٣ اتضح من سيره الإمام الحسين عليه السلام أنه حكيم في فعله وقوله وقراراته فلا يقدم على أمر بهذه الخطوره دون حكمه أو هدف سام.

٤ لم يكن علم الإمام الحسين عليه السلام بحقيقه العواقب ودرائته بمصيره مانعا عن إلقاء الحجج على هؤلاء القوم لكي لا يكون لأحد عليه حجه.

٥ نعتقد أن الإمام المعصوم لا يقوم ولا يقعد إلا بحساب، فيلزم من هذا أنه عليه السلام ما قال ذلك إلا وهو يعلم أن هذا القول لا يخرج عن مرضاه الله تعالى، ولا يترتب عليه مفسده أو خلل أو نقص، فلذا لا يمكن أن ترد هذه التشكيكات حول حكمه الإمام وصحة قوله ودقه موقفه.

٦ من يقف على سيره الإمام الحسين عليه السلام وحركته من المدينه إلى العراق يتضح له موقف الإمام الحاسم الذي لا تردد فيه، فحينئذ يفسر قوله هذا بأنه إلقاء الحجج عليهم من خلال دعوتهم إلى نصرته أو تركهم إياه يرجع إلى مكانه.

الخطبه الخامسه عشره: وفيها يُقرَّع أهل الكوفه

اشاره

الخطبه الخامسه عشره: وفيها يُقرَّع أهل الكوفه(١)

١- الكوفه: المصر المشهور بأرض باب من سواد العراق، ويسمّيه قوم خدّ العذراء. معجم البلدان: ٤، ٤٩٠.

«أَمَّا بَعِيدٌ فَتَبًّا لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحًّا، حِينَ اسْتَصَيَّرْتُمْونا وَلِهَيْنَ، فَأَصْرَحْنَاكُمْ مُوجِفِينَ (١) سَلَّمْتُمْ عَلَيْنَا سَيِّفًا كَانَ فِي أَيْمَانِنَا، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارًا اقْتَدَخْنَاها عَلَى عَدُونَا وَعَدْوَكُمْ، فَأَصَيَّرْتُمْونا إِبَاءً (٢) عَلَى أَوْلِيائِكُمْ وَوَيْدًا لِأَعْدَائِكُمْ، بَغَيْرِ عَدْلِ أَفْشُوهُ فِيكُمْ، وَلَا أَمَلٍ أَصِيحَ لَكُمْ فِيهِمْ، وَمِنْ غَيْرِ حَدِيثٍ كَانَ مِنَّا، وَلَا رَأْيٍ تَفَيَّلَ (٣) مِنَّا، فَهَلَّا - لَكُمْ الْوَيْلَاتُ - تَرَكْتُمْونا وَالسَّيْفَ مَشِيئًا، وَالْجَأْشَ طَامِنًا، وَالرَّأْيَ لَمَّا يُسْتَحْصَفُ، وَلَكِنْ أَسْرَعْتُمْ إِلَيْها كَتَطَائِرِ الدَّيِّ، وَتَهَافَّتُمْ عَلَيْها كَتَهَافَتِ الْفَرَاشِ (٤).

فَسَيِّحًا وَبُعِيدًا لَطَوَاعِيَتِ الْأَمَمَةِ، وَشُدَّاذِ الْأَحْزَابِ، وَتَبَيَّذِهِ الْكِتَابِ، وَنَفَثِهِ الشَّيْطَانِ، وَمُحَرَّفِي الْكَلَامِ، وَمُطْفِئِي السُّنَنِ، وَمُلْحَقِي الْعَهَارِ بِالنَّسَبِ، الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ.

- ١- تَبَّ فلان: خَسِرَ وهَلَك. وَتَرِحَ يَتَرَحُّ تَرَحًّا: حَزَنَ وَقَلَّ ضَمِيرُهُ. اسْتَصْرَحَهُ: اسْتَعَاثَ بِهِ، وَلَهُ فلان، يَلُهُ وَلَهَا: اشْتَدَّ حَزْنُهُ حَتَّى ذَهَبَ عَقْلُهُ، وَجَفَّ: أَسْرَعَ.
- ٢- اسْتَلَّ السَّيْفَ: انْتَزَعَهُ مِنْ غَمِيدهُ. حَشَّ النَّارَ: جَمَعَ لَهَا الْوَقُودَ وَحَرَّكَهَا لِتَتَّقِدَ. قَدَحَ النَّارَ مِنَ الرَّندِ: أَخْرَجَهَا مِنْهُ. الْإِلْبُ: الْقَوْمُ يَجْتَمِعُونَ عَلَى عداوهِ إنسان.
- ٣- فَيَّلَ رَأْيُهُ: ضَعَّفَهُ وَخَطَّاهُ.
- ٤- شام السَّيْفَ شَيْمًا: سَلَّمَهُ وَأَعَمَدَهُ، وَهُوَ مِنَ الْاضْدادِ. الْجَأْشُ: النَّفْسُ أَوِ الْقَلْبُ. طامِنٌ: ساكنٌ بَعْدَ انزعاجٍ وَلَمْ يَقْلُقْ. اسْتَحْصَفَ الشَّيْءَ: جادٌ واسْتَحْكَمَ. الدَّيِّ: الْجَرادُ قَبْلَ أَنْ يَطِيرَ، وَالنَّحْلُ. تَهَافَّتِ الْفَرَاشُ: عَلَى النُّورِ أَوْ فِي النَّارِ. وَتَهَافَّتَ الْقَوْمُ: تَساقَطُوا مَوْتَى. الْفَرَاشُ: جِنْسٌ حشرات.

أَجَلَ وَاللَّهِ عَمْدُكُمْ فَيَكْفُرُ بِكُمْ قَدِيمٌ، وَقَدْ وَشَجَتْ عَلَيْهِ عُرُوقُكُمْ، وَتَأَزَّرَتْ عَلَيْهِ أُصُولُكُمْ، فَكُنْتُمْ أَحَبَّ ثَمَرِهِ شَجَرٍ لِلنَّاطِرِ وَأَكْلِهِ لِلْغَاصِبِ،
أَلَا فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى التَّائِكِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَقَدْ جَعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ كَفِيلًا.

أَلَا وَإِنَّ الدَّعَى ابْنَ الدَّعَى قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذَّلَّةِ وَهَيْهَاتَ مِمَّا الذَّلَّةُ (١)، يَا بِي اللَّهِ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ
طَابَتْ وَأَنْوَفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ، أَنْ تُؤْتِرَ طَاعَةَ اللَّئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ.

أَلَا وَإِنِّي زَاحِفٌ إِلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْأَسْرَةِ عَلَى كَلْبِ الْعَدُوِّ وَقَلْبِهِ الْعَدَدِ وَخُذْلَانِ النَّاصِرِ.

أَمَّا وَاللَّهِ لَا تَلْبَثُونَ بَعْدَهَا إِلَّا كَرَيْتُمَا يَرْكَبُ الْفَرْسُ حَتَّى تَدُورَ بِكُمْ دَوْرَ الرَّحَى، وَتَقْلَقَ بِكُمْ قَلَقَ الْمَحْوَرِ، عَهْدٌ عَهْدُهُ إِلَى أَبِي عَن
جَدِّي، فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَمَا تَنْظُرُونَ، إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ
رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

المعنى العام

إشارة

(أَمَّا بَعْدُ فَتَبَيَّنَ لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّأَ، حِينَ اسْتَصْرَحْتُمُونَا وَلِهَيْبِنَا، فَأَصْرَحْنَاكُمْ مُوجِفِينَ سَلَّمْتُمْ عَلَيْنَا سَيِّفًا كَانَ فِي إِيمَانِنَا،
وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارًا أَقْتَدَخْنَاهَا عَلَى عَدُونِنَا وَعَدْوِكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ إِلَيْنَا عَلَى أَوْلِيائِكُمْ وَوَيْدًا لِأَعْضَادِكُمْ، بِغَيْرِ عَدْلِ أَفْشُوهُ فِيكُمْ، وَلَا
أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ، وَمِنْ غَيْرِ حَدِيثٍ كَانَ مِنَّا، وَلَا رَأْيٍ تَفَيَّلَ مِنَّا، فَهَلَّا لَكُمْ الْوَيْلَاتُ تَرَكْتُمُونَا وَالسَّيْفُ مَشِيمٌ، وَالْجَأْشُ طَامِنٌ،

١- السِّلَّةُ: المَرَّةُ مِنَ السَّلِّ، يُقَالُ: أَتَيْنَاهُمْ عِنْدَ السِّلَّةِ: أَي عِنْدَ اسْتِلَالِ السَّيْفِ، وَالْمَرَادُ: الْحَرْبُ. وَالذَّلَّةُ: الْإِنْقِيَادُ وَالْخُضُوعُ، وَالْمَرَادُ
الْبَيْعَةُ لِيَزِيدَ.

وَالرَّأْيُ لَمَّا يُسْتَحْصَفُ، وَلَكِنْ أَسْرَعْتُمْ إِلَيْهَا كَتَائِرِ الدَّبِي، وَتَهَاوَيْتُمْ عَلَيْهَا كَتَهَافِثِ الْفَرَّاشِ).

أما بعد، فهلاكاً وخسرانا لكم أيتها الطائفة من الناس وحرنا، فى الوقت الذى استغثتم بنا وأنتم على حاله من الحزن الشديد كأنما ذهبت عقولكم، فأغثناكم مسرعين، انتزعتم السيف من غمده علينا وهو كان لنا، وحركتم علينا النار وجمعتكم لها وقودها وجعلتموها علينا ولقد أخرجناها لعدونا وعدوكم، فأصبحتم بعملكم هذا أعداء مجتمعين على أنصاركم وأحبابكم ومن هو مولاكم وقوه لأعدائكم بغير قسط وإنصاف نثروه بينكم، ولا رجاء لكم فيهم، ومن غير تغير أو تحول كان منا ولا رأى ضعيف أو خطأ منا، فالآن لكم العذاب تركتمونا والسيف مسلول علينا والقلب أو النفس ساكن ومستقر، والرأى لما يجد ويستحكم، ولكن عجلتم إلى الفتنة كما تتحرك مجاميع الجراد الصغير، وتساقطتم عليها كتهافت الفراش على النور.

فهلاكاً وفناءً لظلمه الأمة ومنحرفيها، وغرباء الناس الذين مع قوم ليس منهم، وتاركى القرآن الكريم وراء ظهورهم ولم يعملوا به ونفخه الشيطان، ومغبرى الكلم عن واقعه، والذين أحمداوا نور الشرائع، والذين ألحقوا الفجار وأبناء الزنى بالنسب، الساخرين الذين جعلوا القرآن، أجزاء متفرقة وكذبوا ببعضه.

(أَجَلٌ وَاللَّهِ غَدْرٌ فِيكُمْ قَدِيمٌ، وَقَدْ وَشَجْتُ عَلَيْهِ عُرُوقَكُمْ، وَتَأَزَّرْتُ عَلَيْهِ أُصُولَكُمْ، فَكُنْتُمْ أَحْبَثَ ثَمَرِهِ شَجَرٍ لِلنَّاطِرِ وَأَكْلَهُ لِلْغَاصِبِ، أَلَا فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى النَّاكِثِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَقَدْ جَعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ كَفِيلًا).

يؤكد الإمام عليه السلام بالقسم أن فيكم عدم وفاء ونقض عهد قديمين، وقد تشابكت والتفت عليه جذوركم، وتعاونت وأحاطت به أنسابكم وأسلافكم، فكنتم

أردأ ما حملته الأشجار للناظر إليها فلا تسره وأخبث لقمه للظالم القاهر الذى اخذ ما ليس له، فإننا ندعو الله تعالى أن يطردكم من رحمته أيها الناقضون للعهد والحائثون باليمين الذى أدوه، والمخالفون الله تعالى الذين جعلوه عليهم ظامنا.

(ألا وإن الدَّعَى ابنَ الدَّعَى قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السَّيِّئِ وَالذَّالِّ وَهَيْهَاتَ مِنَّا الذُّلَّةُ، يَا بَى اللَّهِ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طَابَتْ وَأَنْوْفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ، أَنْ نُؤْتَرَ طَاعَةَ اللَّئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ).

إن المتهم فى نسبه والمنسوب إلى غير أبيه قد أثبت بين اثنتين: بين سل السيوف وامتشاقها وبين الهوان والخضوع والضعف والمراد بيعه يزيد، ومحال منا الخضوع والهوان يرفض الله تعالى ورسوله والمؤمنون وأحضان حسنت وطابت، وأنوف لا تقبل ولا تحتمل الضيم، ونفوس رافضة كارهه مستعصيه على الضيم، أن نفضل الانقياد لغير الكرام وذى الأصول الدتية على مقاتل الفضلاء الذين يجودون بالنفس من أجل مبادئهم.

(ألا وإنى زاحفٌ إليكم بهذه الأسره على كلبِ العدوِّ وقِلَّةِ العَدَدِ وخُذْلانِ النَّاصِرِ).

إننى ماشٍ إليكم بهذه الجماعه التى هى أهلى وعشيرتى على قلتها مع توابث العدو وجرأته على قتالى وتجاهره بالعداء، ومع نقص العدد وندرته، ومع تخلى المعين عن العون والنصر.

(أما والله لا تلبثون بعديها إلا كزيتما يُركبُ الفرسُ حتى تدورَ بكم دورَ الرّحى، وتقلقَ بكم قلقَ المحورِ، عهدٌ عهدٌ إلى أبى عن جدّى، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدون فلا تُنظرون، إنى توكلت على الله ربى وربكم، ما من دابّةٍ إلا هو آخذٌ بناصيتها إن ربى على صراطٍ مُستقيم).

يقسم الإمام عليه السلام بالله تعالى فيقول لا تمكثون ولا تقيمون بعد هذه الفعلة السيئه إلا بمقدار ركب فرس حتى تطوف بكم وتتحرك كحركة الرحي الآله الحجريه لطحن الحبوب ، ويضطرب العود الذى تدور عليه البكره، وميثاق ووعد وعدنى به أبى عن جدى، ضمّوا شركاءكم إليكم واتفقوا على حال وشأن واحد ثم حاربونى فلا تمهلونى أو تؤخرونى، إنى اعتمدت على الله ربي وربكم، ما من متحركه على الأرض إلا هو الله تعالى ماسكها بمقدمتها أى أن أمرها بيده تعالى إن ربي على طريق لا عوج فيه.

الغدر

الغدر هو نقض العهد وترك الوفاء به^(١)، فهو صفة ذميمة لا يتلبس بها إلا لئام الناس، بل هى صفة وحوش الحيوان كالذئاب، وصفه من لا دين له ولا مروءه، وصفه لا يتصف بها إلا من كان حقيراً بين الناس ذيلاً لرؤوسهم، عبداً لأحرارهم، فهى من الرذائل المهلكه، والشهوات الخبيثه التى ينفر منها العقلاء عند ذكرها، وترفّع عنها النبلاء عند التمكن منها لما لها من عاقبه وخيمه فى الدنيا والآخرة، ففى الدنيا صاحبها مطلوب مكروه وفى الآخرة صاحبها مأخوذ بعذاب الله تعالى، وحيث أن الغدر هو نقض العهد وخلف الوعد نجد أمير المؤمنين عليه السلام فى عهده لمالك الأشتر يؤكد على قباحه الغدر فيقول:

«ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك والله فيه رضى، فإن فى الصلح دعه لجنودك وراحه من همومك وأمنا لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم واتهم فى ذلك حسن الظن.

وإن عقدت بينك وبين عدوك عقده أو ألبسته منك ذمه فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانه، واجعل نفسك جنه دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقى.

وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحرهما يسكنون إلى منعه ويستفيضون إلى جواره، فلا إدغال ولا مدالسه ولا خداع فيه، ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقه، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبه فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك» (١).

آثار الغدر

مما لا شك فيه أن للذنوب آثاراً في الدنيا وجزاء في الآخرة، فيكون الغادر ممن خسر الدنيا والآخرة معا وهو الخسران الأكبر، ولقد ذكرت الأحاديث الشريفة الآثار القبيحة لهذه الصفة:

١ إذا عمل الإنسان سيئه، تسجل في سجل أعماله سيئه واحده إلا أن بعض الأعمال هي سيئه بذاتها ولها أثر أقبح منها ألا وهو مضاعفه السيئات كصفه الغدر وهذا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

١- نهج البلاغه، خطب الإمام على عليه السلام: ج ٣، ص ١٠٧.

«الْعَدْرُ يُضَاعِفُ السَّيِّئَاتِ» (١).

وعنه عليه السلام:

«الْعَدْرُ يُعْظَمُ الْوِزْرَ، وَيُزْرِى بِالْقَدْرِ» (٢).

٢ أن الإنسان الغادر يفقد قيمته عند الناس وتنااله المهانه من الله تعالى وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين بقوله:

«جائِبُوا الْعَدْرَ؛ فَإِنَّهُ مُجَانِبُ الْقُرْآنِ» (٣).

وعنه عليه السلام قال:

«إِيَّاكَ وَالْعَدْرَ؛ فَإِنَّهُ أَقْبَحُ الْخِيَانَةِ، وَإِنَّ الْعُدُورَ لَمُهَانٌ عِنْدَ اللَّهِ» (٤).

٣ وأرشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته من خلال وصيته لأمر المؤمنين عليه السلام أن لا تغدر وتنتهك أمان الله تعالى بين عباده، وحثها على أن الصبر فى الشده والبلاء وضيق الأمور خير لها من أن تغدر فتتال العاقبه الوخيمه وهذا ما صرح به فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى فيما عهد إليه:

«وَأَيَّاكَ وَالْعَدْرَ بَعْهَدِ اللَّهِ وَالْإِخْفَارَ لِذِمَّتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمَانًا أَمْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى ضَيْقِ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ خَيْرٌ مِنْ عَدْرِ تَخَافُ أَوْزَارَهُ وَتَبْعَاتِهِ وَسُوءَ عَاقِبَتِهِ» (٥).

٤ سيقف الناس يوم القيامة بين يدي الحكم العدل ألا وهو الله سبحانه فيحكم بينهم، ويقف الخصم أمام خصمه ويدلى بشهادته ومطالبه فيحكم الله تعالى للمظلوم

١- غرر الحكم: ٦٤٣. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٥٦، ح ١٤٨٠٩.

٢- غرر الحكم: ٢١٩١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٥٦، ح ١٤٨١٠.

٣- غرر الحكم: ٤٧٤١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٥٦، ح ١٤٨١١.

٤- غرر الحكم: ٢٦٦٤. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٥٦، ح ١٤٨١٢.

٥- مستدرک الوسائل: ج ١١، ص ٤٧، ح ١٢٣٩٦. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٥٦، ح ١٤٨١٦.

على الظالم، ولكن بالنسبة للغادر سيكون الخصم معه ليس المغدور فحسب بل الله تعالى هو الخصم، أى يكون الحكم هو الخصم وهذا من أشد المواقف على الغادر فلذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فآكل ثمنه، ورجل اشترى أجيراً فاشتوفى منه العمل ولم يؤفّ به أجره» (١).

نصائح لا بد منها

١ رغم قباحه الغدر إلا أنه يشتد قباحه عندما يكون مع أصحاب القوة والحكم لما له من آثار وخيمه على الغادر وهذا ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«الغدر بكل أحد قبيح، وهو بدوى (٢) القدره والسُّلطان أقبح» (٣).

٢ إذا اتّمتك أخوك سرّاً لا يحق لك نشره والإعلان به؛ لأن ذلك نوع من أنواع الغدر، وهو الخيانة المقيته فلذا ورد عن الإمام على عليه السلام:

«أقبح الغدر إذاعه السر» (٤).

٣ الغادر لمهانتته على الله تعالى لم يجعل الله تعالى له حرمة، ولم يكن له ذمام ولا يستحق الوفاء رغم أن الوفاء فضيله ومنقبه لمن تحلى به، بل أن رد غدر الغادر بغدر مثله يعد من الوفاء؛ لأنه من المكر بالماكر وهذا ما يفهم من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله» (٥).

١- الترغيب والترهيب: ج ٤، ص ١٠، ح ١٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٥٦، ح ١٤٨١٧.

٢- فى المصدر (بدو) والصحيح ما أثبتناه كما فى بعض النسخ.

٣- غرر الحكم: ١٨٦٤. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٥٧، ح ١٤٨١٩.

٤- غرر الحكم: ٣٠٠٥. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٥٧، ح ١٤٨٢٠.

٥- نهج البلاغه: الحكمة ٢٥١. شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١٩، ص ١٠٢. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٥٦، ح ١٤٨٢١.

٤ تحت الأحاديث الشريفه على تسميه الأشياء بأسمائها، كما دعت الناس إلى عدم الاشتباه في تغيير الحقائق، فلذا لا يحق للمؤمن أن يعدّ الغدر سلوكاً عقلاً، وأن لا يسميه ذكاءً وحذاقه، وحثت المؤمن على ذكر الله تعالى والالتزام بأوامره والانتهاج عن تواهيه وإن كان قادراً على فعل الحرام، وبخلاف ذلك يصبح المؤمن فاسقاً لا دين له، وهذا هو مضمون حديث أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَفَاءَ تَوَأَّمُ الصُّدِيقِ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ يَغْدِرُ مَنْ عِلْمِ كَيْفِ الْمَرْجِعِ، وَلَقَدْ أَضَيَّبْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ، مَا لَهُمْ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ! قَدْ يَرَى الْحَوْلُ الْقَلْبُ وَجَهَ الْحِيلَةَ وَدُونَهَا مَا نَبَعُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدْعُهَا رَأَى عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِرُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيَجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ» (١).

وعنه عليه السلام قال:

«وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةَ بِأَذَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ، وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ مَا أُسْتَعْفِلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلَا أُسْتَعْمَرُ بِالشَّدِيدَةِ» (٢).

٥ إياك والفضيحة على رؤوس الأشهاد، فلقد ورد في الأحاديث الشريفه أن أهل الغدر سترفع لهم ألويه يعرفون من خلالها ويفتضحون بين أهل الحشر، فيعرف الغادر ومقدار غدوته وهذا ما أشارت إليه الأحاديث الشريفه:

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

١- نهج البلاغه: الخطبه ٤١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٥٨، ح ١٤٨٢٢.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ٢٠٠. شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ٢١١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٥٨، ح ١٤٨٢٣.

«إِنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لُؤَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُزْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لُؤَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ ابْنِ فُلَانٍ!» (٢).

وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَلَا إِنَّهُ يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لُؤَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ» (٣).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لِكُلِّ غَادِرٍ لُؤَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُزْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمَ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَةٍ» (٤).

نسب الدعوى (عبيد الله بن زياد)

قال الإمام الحسين عليه السلام:

(أَلَا وَإِنَّ الدَّعَى ابْنَ الدَّعَى قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ وَهَيْهَاتَ مَنَا الذِّلَّةُ (٥)، يَا أَبَى اللَّهِ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طَابَتْ وَأَنْوَفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أَيْبَةٌ، أَنْ تُؤَثِّرَ طَاعَةَ اللَّئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ).

تنفطر القلوب وتقترح العيون وتتصدع الأصلاب عندما يضطر الكريم إلى مخاطبه اللئام، وتخرج الزفرات حسره عندما يخاطب العالم جاهلاً لبيان قيمة العلم والعلماء،

١- كنز العمال: ٧٦٨١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٨٥، ح ١٤٨٢٥.

٢- كنز العمال: ٧٦٨٢. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٨٥، ح ١٤٨٢٦.

٣- كنز العمال: ٧٦٨٣. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٨٥، ح ١٤٨٢٧.

٤- كنز العمال: ٧٦٨٤. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٩٨٥، ح ١٤٨٢٨.

٥- السِّلَّةُ: المرّة من السِّلِّ، يقال: أتيناهم عند السِّلَّةِ: أى عند استلال السيوف، والمراد الحرب. والذِّلَّةُ: الانقياد والخضوع، والمراد البيعه ليزيد.

وتكاد السموات أن تقع على الأرض عندما ينزل العالى بالحق لبيان حقه عند الدانى المتسافل، أليس من الظلم أن يحكم ابن العاهره على ابن سيده نساء العالمين؟ أليس من الجريمه أن يخير ابن القذاره ابن الطهاره بين الاستسلام أو القتل؟ أليس من العار على الأئمه أن يكون الدعوى وابن الدعوى إماماً لها وتترك ابن الأصلاب الشامخه والأرحام المطهره؟ أليس من السوء أن تلتف الشجره الخبيثه على الشجره الطيبه؟ ألم يقل المفسرون أن الشجره الملعونه فى القرآن هى بنو أميه؟ فكيف هى منزله اللصيق بهذه الشجره؟ ولكى نوقف القارئ الكريم على حقيقه قول الإمام الحسين عليه السلام فى بيان نسب ابن زياد لابد من معرفه ما ذكره التاريخ وسطره أصحاب التراجم.

صوره عن أبيه زياد

اشاره

عند الوقوف على جانب من جوانب حياه زياد تجد مسخاً قدراً لا يهمنه إلا الدنيا والحكم فيها والتسلط والظهور بمظهر أهل الشرف والرفعه، وما ذلك إلا لنقص فى شخصه وخسه فى باطنه وذلل يعيشه فى نفسه لمعرفته بنفسه الوضيعه التى ولدت من صلب قذر ورحم نجس، ولكى يتضح للقارئ الكريم ما قلناه فليأمل ما جاء فى التاريخ، كتب الرجال، وخير ما يدل على ذلك ما ورد فى نهج البلاغه من كتب وجهها أمير المؤمنين عليه السلام إلى زياد يظهر منها قباحه زياد وخروجه على تعليمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهى كما يلى:

نهج البلاغه خطب الإمام على عليه السلام ج ٣ ص ١٩ إلى ٢٠

(ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه) وهو خليفه عامله عبد الله بن عباس على البصره وعبد الله عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان: (وإنى أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغنى أنك خنت من فى المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدين عليك شدة تدعك قليل الوفير ثقيل الظهر ضئيل الأمر).

(ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضا) (فدع الإسراف مقتصدا، واذكر في اليوم غدا، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين، وتطمع وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرمله أن يوجب لك ثواب المتصدقين، وإنما المرء مجزى بما أسلف، وقادم على ما قدم، والسلام).

مصباح البلاغه (مستدرک نهج البلاغه) الميرجهانی ج ٤ ص ١١١ إلى ١١٢

قال في المعادن أيضا ص ١٩٧ فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام ما عرج (أى زياد بن أبيه) عليه من القسوه والجفوه أخرج إليه سعدا مولاه يحثه على حمل مال البصره إلى الكوفه فكانت بينه وبين سعد منازعه في ذلك فرجع سعد وشكاه من شنيع ما أتى به هنالك فكتب أمير المؤمنين صلوات الله عليه في ما كتب إليه يلومه على ما جرى لعله يذكر أو يخشى أما بعد فإن سعدا ذكر أنك شتمته ظلما وتهددته (هددته) وجبهته تجبرا وتكبيرا فما دعاك إلى التكبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه وقد أخبرني أنك تكثر من الألوان المختلفه في الطعام في اليوم الواحد وتدهن كل يوم فما عليك لو صمت لله أياما وتصدقت ببعض ما عندك محتسبا وأكلت طعامك مرارا قفارا، فإن ذلك شعار الصالحين أطمع وأنت متمرغ في النعيم تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرمله واليتيم أن يحسب لك أجر المتصدقين؟! وأخبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار وتعمل عمل الخاطئين، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت وعملك أحبطت فتب إلى ربك يصلح لك عملك واقتصد في أمرك وقدم الفضل ليوم حاجتك وأدهن غبا فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أدهنوا غبا ولا تدهنوا دفقا.

الغارات إبراهيم بن محمد الثقفى ج ٢ ص ٩٢٥ إلى ٩٣٣

قصه استلحاق معاويه زيادا قال الرضى رضوان الله عليه فى نهج البلاغه فى باب المختار من كتبه عليه السلام ما نصه: (ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أن معاويه كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه: (وقد عرفت أن معاويه كتب إليك يستزل بك، ويستفل غربك، فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته، وقد كان من أبي سفيان فى زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس، ونزعه من نزعات الشيطان لا يثبت بها نسب، ولا يستحق بها إرث والمتعلق بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب).

فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد بها ورب الكعبة، ولم تزل فى نفسه حتى ادعاه معاويه).

وقال ابن أبي الحديد فى شرحه بعد تفسير جمالاته ما لفظه: (فأما زياد فهو زياد بن عبيد فمّن الناس من يقول عبيد بن فلان وينسبه إلى ثقيف، والأكثر يقولون: إن عبيدا كان عبدا وإنه بقى إلى أيام زياد فابتاعه وأعتقه، وسنذكر ما ورد فى ذلك، ونسبه زياد لغير أبيه لخمول أبيه والدعوه التى استلحق بها، فقبل تاره: زياد بن سمية وهى أمه، وكانت أمه للحارث بن كلده بن عمرو بن علاج الثقفى طبيب العرب وكانت تحت عبيد، وقبل تاره، زياد بن أبيه، وقبل تاره: زياد بن أمه، ولما استلحق قال له أكثر الناس: زياد بن أبي سفيان، لأن الناس مع الملوكة الذين هم مظنه الرهبة والرغبة، وليس أتباع الدين بالنسبه إلى أتباع الملوكة إلا كالقطره فى البحر المحيط، فأما ما كان يدعى به قبل الاستلحاق فزياد بن عبيد ولا يشك فى ذلك أحد.

وروى أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس: أن عمر بعث زيادا فى إصلاح فساد واقع

باليمن فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبه لم يسمع مثلها وأبو سفيان حاضر وعلى عليه السلام وعمرو بن العاص، فقال عمرو بن العاص: لله أبو هذا الغلام لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان: إنه لقرشى وإنى لأعرف الذى وضعه فى رحم أمه.

فقال على عليه السلام:

«ومن هو؟»

قال: أنا.

فقال عليه السلام:

«مهلا يا أبا سفيان».

فقال أبو سفيان:

أما والله لولا خوف شخص

يرانى يا على من الأعدى

لأظهر أمره صخر بن حرب

ولم يخف مقاله فى زياد

وقد طالت مجاملتى ثقيفا

وتركى فيهم ثمر الفؤاد

عنى بقوله: (لولا خوف شخص) عمر بن الخطاب.

وروى أحمد بن يحيى البلاذرى قال: تكلم زياد وهو غلام حدث بحضرة عمر كلما أعجب الحاضرين فقال عمرو بن العاص: لله أبوه لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان: أما والله إنه لقرشى ولو عرفته لعرفت أنه خير من أهلك، فقال: ومن أبوه؟ قال: أنا والله وضعته فى رحم أمه، فقال: فهلا تستلحقه؟ قال: أخاف هذا العير الجالس أن يخرق على إهابى.

وروى محمد بن عمر الواقدى قال: قال أبو سفيان وهو جالس عند عمر وعلى

هناك وقد تكلم زياد فأحسن: أبت المناقب إلا أن تظهر في شمائل زياد فقال على عليه السلام: من أى بنى عبد مناف هو؟ قال: ابنى.

قال: كيف؟ قال: أتيت أمه فى الجاهليه سفاحا، فقال على عليه السلام:

«مه يا أبا سفيان فإن عمر إلى المساء سريع».

قال: فعرف زياد ما دار بينهما فكانت فى نفسه.

وروى على بن محمد المدائنى قال: لما كان زمن على عليه السلام ولى زيادا فارس أو بعض أعمال فارس فضبطها ضبطا صالحا، وجبا خراجها وحماها، وعرف ذلك معاويه فكتب إليه: أما بعد فإنه غرتك قلاع تأوى إليها ليلا كما تأوى الطير إلى وكرها، وأيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان لك منى ما قال العبد الصالح: فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم (الآيه) وكتب فى أسفل الكتاب شعراً من جملته:

تنسى أباك وقد شالت نعامته

إذ يخطب الناس والوالى لهم عمر

فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس وقال: العجب من ابن آكله الأكباد ورأس النفاق يهددنى وبينى وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزوج سيده نساء العالمين، وأبو السبطين، وصاحب الولاية والمنتزله والإخاء فى مائه ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

أما والله لو تخطى هؤلاء أجمعين إلى لوجدنى أحمر محبا ضرابا بالسيف، ثم كتب إلى على عليه السلام، وبعث بكتاب معاويه فى كتابه، فكتب إليه على عليه السلام وبعث بكتابه: (أما بعد، فإنى قد وليتك ما وليتك وأنا أراك لذلك أهلا، وإنه كانت من أبى سفيان فلتة فى أيام عمر من أمانى التيه وكذب النفس لم تستوجب بها ميراثا ولم تستحق بها نسبا، وإن معاويه كالشيطان الرجيم يأتى المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذره، ثم احذره، ثم احذره والسلام).

وروى أبو جعفر محمد بن حبيب قال: كان على عليه السلام قد ولى زيادا قطعه من أعمال فارس واصطنعه لنفسه، فلما قتل على عليه السلام بقى زياد فى عمله، وخاف معاويه جانبه وعلم صعوبه ناحيته وأشفق من ممالاته الحسن بن على عليه السلام، فكتب إليه: من أمير المؤمنين معاويه بن أبى سفيان إلى زياد بن عبيد أما بعد فإنك عبد قد كفرت النعمه واستدعيت النقمه، ولقد كان الشكر أولى بك من الكفر، وإن الشجره لتضرب بعرقها وتتفرع من أصلها، إنك لا أم لك بل لا أب لك قد هلكت وأهلكت، وظننت أنك تخرج من قبضتى، ولا ينالك سلطانى؟ هيهات ما كل ذى لب يصيب رأيه، ولا كل ذى رأى ينصح فى مشورته، أمس عبد واليوم أمير؟!.. خطه ما ارتقاها مثلك يا ابن سميه، وإذا أتاك كتابى هذا فخذ الناس بالطاعه والبيعه وأسرع الإجابه فإنك إن تفعل فدمك حققت ونفسك تداركت، وإلا اختطفتك بأضعف ريش، ونلتك بأهون سعى، وأقسم قسما مبرورا أن لا أوتى بك إلا فى زماره، تمشى حافيا من أرض فارس إلى الشام حتى أقيمك فى السوق وأبيعك عبدا وأردك إلى حيث كنت فيه وخرجت منه، والسلام.

فلما ورد الكتاب على زياد غضب غضبا شديدا، وجمع الناس وصعد المنبر فحمد الله ثم قال: ابن آكله الأكباد، وقاتله أسد الله، ومظهر الخلاف، ومسر النفاق، ورئيس الأحزاب، ومن أنفق ماله فى إطفاء نور الله كتب إلى يردد ويبرق عن سحابه جفل لا ماء فيها، وعمما قليل تصيرها الرياح قزعا، والذى يدلنى على ضعفه تهدده قبل القدره أضمن إشفاق على تنذر وتعذر كلا ولكن ذهب إلى غير مذهب، وقعقع لمن روى بين صواعق تهامه، كيف أربهه؟ وبينى وبينه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه فى مائه ألف من المهاجرين والأنصار، والله لو أذن لى فيه أو ندبنى إليه لأرينه الكواكب نهارا ولأسعطنه ماء الخردل دونه، الكلام اليوم والجمع إذا، والمشوره بعد ذلك إن شاء الله.

ثم نزل، وكتب إلى معاوية: أما بعد فقد وصل إلى كتابك يا معاوية وفهمت ما فيه فوجدتك كالغريق يغطيه الموج فيتشبث بالطحلب، ويتعلق بأرجل الضفادع طمعا في الحياه، إنما يكفر النعم ويستدعى النقم من حاد الله ورسوله وسعى في الأرض فسادا، فأما سبك لى فلولا حلم ينهاني عنك وخوفى أن أدعى سفيها لاثرت لك مخازى لا يغسلها الماء، وأما تعبيرك لى بسميه فإن كنت ابن سمييه فأنت ابن جماعه، وأما زعمك أنك تختطفنى بأضعف ريش وتناولنى بأهون سعى فهل رأيت بازيا يفزعه صغير القنابر؟! أم هل سمعت بذئب أكله خروف؟! فامض الآن لطيتك واجتهد جهدك فلست أنزل إلا بحيث تكره، ولا أجتهد إلا فيما يسوءك، وستعلم أينا الخاضع لصاحبه: الطالع إليه، والسلام.

فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمه وأحزنه، وبعث إلى المغيره بن شعبه فخلا به وقال: يا مغيره إنى أريد مشاورتك فى أمر أهمنى فانصحنى فيه وأشر على برأى المجتهد، وكن لى أكن لك، فقد خصصتك بسرى وآثرتك على ولدى، قال المغيره: فما ذاك؟ والله لتجدنى فى طاعتك أمضى من الماء فى الحدود من ذى الروتق فى كف البطل الشجاع.

قال: يا مغيره إن زيادا قد أقام بفارس يكش لنا كشيش الأفاعى، وهو رجل ثاقب الرأى ماضى العزيمه جوال الفكر مصيب إذا رمى، وقد خفت منه الآن ما كنت آمنه إذ كان صاحبه حيا، وأخشى ممالاته حسنا فكيف السبيل إليه؟ وما الحيله فى إصلاح رأيه؟ قال المغيره: أنا له إن لم أمت، إن زيادا رجل يحب الشرف والذكر وصعود المناير فلو لاطفته المسأله وأنت له الكتاب لكان لك أميل وبك أوثق، فاكتب إليه وأنا الرسول.

فكتب معاوية إليه: من أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان إلى زياد بن أبى

سفيان: أما بعد فإن المرء ربما طرحه الهوى فى مطارح العطب وإنك للمرء المضروب به المثل قاطع الرحم وواصل العدو، وحملك سوء ظنك بى وبغضك لى على أن عقت قرابتى وقطعت رحمتى وبتت نسبى وحرمتى حتى كأنك لست أخى وليس صخر بن حرب أباك وأبى، وشتان ما بينى وبينك أطلب بدم ابن أبى العاص وأنت تقاتلنى، ولكن أدركك عرق الرخاوه من قبل النساء.

فكنت كتاركه بيضها بالعراء

وملحفه بيض أخرى جناحا

وقد رأيت أن أعطف عليك ولا أؤاخذك بسوء سعيك وأن أصل رحمك، وأبتغى الثواب من أمرك.

فاعلم أبا المغيرة أنك لو خضت البحر فى طاعه القوم فتضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم إلا بعدا فإن بنى عبد شمس أبغض إلى بنى هاشم من الشفرة إلى الثور الصريع وقد أوثق للذبح، فأرجع رحمك الله إلى أصلك واتصل بقومك ولا تكن كالموصول يطير بريش غيره، فقد أصبحت ضال النسب، ولعمري ما فعل بك ذلك إلا اللجاج، فدعه عنك فقد أصبحت على بينه من أمرك ووضوح من حجتك، فإن أحببت جانبى ووثقت بى فإمره بإمره، وإن كرهت جانبى ولم تثق بقولى ففعل جميل لا على ولا لى والسلام.

فرحل المغيرة بالكتاب حتى قدم فارس فلما رآه زياد قربه وأدناه ولطف به فدفع إليه الكتاب فجعل يتأمله ويضحك، فلما فرغ من قراءته وضعه تحت قدمه، ثم قال: حسبك يا مغيرة فإنى أطلع على ما فى ضميرك وقد قدمت من سفره بعيدة فقم وأرح ركابك، قال: أجل فدع عنك اللجاج يرحمك الله وارجع إلى قومك وصل أخاك وانظر لنفسك ولا تقطع رحمك، قال زياد: إنى رجل صاحب أناه ولى فى أمرى رويه فلا تعجل على ولا تبدأنى بشىء حتى أبدأك، ثم جمع الناس بعد يومين أو ثلاثه فصعد المنبر

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم، وارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم فقد نظرت في أمور الناس منذ قتل عثمان وفكرت فيهم فوجدتهم كالأضاحي في كل عيد يذبحون، ولقد أفنى هذان اليومان يوم الجمل وصفين ما ينيف على مائه ألف كلهم يزعم أنه طالب حق وتابع إمام وعلى بصيره من أمره، فإن كان الأمر هكذا فالقاتل والمقتول في الجنة، كلا- ليس كذلك ولكن أشكل الأمر والتبس على القوم، وإنى لخائف أن يرجع الأمر كما بدأ فكيف لا مرئ بسلامه دينه...! وقد نظرت في أمر الناس فوجدت أحمد العاقبتين العافية، وسأعمل في أموركم ما تحمدون عاقبته ومغبته، فقد حمدت طاعتكم إن شاء الله ثم نزل.

وكتب جواب الكتاب: أما بعد فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة بن شعبه وفهمت ما فيه، فالحمد لله الذي عرفك الحق وردك إلى الصلة، ولست ممن يجهل معروفا ولا يغفل حسبا، ولو أردت أن أجيبك بما أوجبه الحجة واحتمله الجواب لطال الكتاب وكثر الخطاب ولكنك إن كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ونه حسنه وأردت بذلك برا فسترع في قلبي موده وقبولاً، وإن كنت إنما أردت مكيدته ومكرا وفساد نيه فإن النفس تأبى ما فيه العطب، ولقد قمت يوم قرأت كتابك مقاما يعبا به الخطيب المدره، فتركت من حضر لا أهل ورد ولا صدر كالمتهجرين بمهمه ضل بهم الدليل وأنا على أمثال ذلك قدير، وكتب في أسفل الكتاب:

إذا معشرى لم ينصفونى وجدتنى

أدافع عنى الضيم ما دمت باقيا

وكم معشر أعيت قناتى عليهم

فلاموا وألفونى لدى العزم ماضيا

وهمّ به ضاقت صدور فرجته

وكنت بطبى للرجال مداويا

أدافع بالحلم الجهول مكيدته

وأخفى له تحت العضاه الدواهيا

فإن تدن منى أدن منك وإن تبين

تجدنى إذا لم تدن منى نائيا

فأعطاه معاويه جميع ما سأله وكتب إليه بخط يده ما وثق به فدخل إليه الشام فقربه وأدناه، وأقره على ولايته ثم استعمله على العراق.

وروى على بن محمد المدائني قال: لما أراد معاويه استلحاق زياد وقد قدم عليه الشام جمع الناس وصعد المنبر وأصعد زيادا معه فأجلسه بين يديه على المرقاه التي تحت مرقاته وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني قد عرفت نسبنا أهل البيت في زياد فمن كان عنده شهاده فليقم بها، فقام ناس فشهدوا أنه ابن أبي سفيان وأنهم سمعوا ما أقرّبه قبل موته، فقام أبو مريم السلولي فكان خمارا في الجاهليه فقال: أشهد يا أمير المؤمنين أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف فأتاني فاشترت له لحما وخمرا وطعاما، فلما أكل قال: يا أبا مريم أصب لي بغيا فخرجت فأتيت بسميه فقلت لها: إن أبا سفيان ممن قد عرفت شرفه وجوده وقد أمرني أن أصيب له بغيا فهل لك؟ فقالت: نعم يجيء الآن عبيد بغنمه وكان راعيا فإذا تعشى ووضع رأسه أتيته، فرجعت إلى أبي سفيان فأعلمته فلم تلبث أن جاءت تجر ذيلها فدخلت معه فلم تزل عنده حتى أصبحت فقلت له لما انصرفت: كيف رأيت صاحبتك؟ قال: خير صاحبه لولا ذفر في إبطيها، فقال زياد من فوق المنبر: يا أبا مريم لا تشتم أمهات الرجال، فتشتم أمك، فلما انقضى كلام معاويه ومناشدته قام زياد وأنصت الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن معاويه والشهود قد قالوا ما سمعتم، ولست أدري حق هذا من باطله وهو والشهود أعلم بما قالوا وإنما عبيد أب مبرور ووال مشكور، ثم نزل.

وروى شيخنا أبو عثمان: أن زيادا مر وهو والى البصره بأبي العريان العدوي وكان شيخا مكفوبا ذا لسن وعارضه شديده، فقال أبو العريان: ما هذه الجلبه؟ قالوا: زياد بن أبي سفيان، قال: والله ما ترك أبو سفيان إلا يزيد ومعاويه وعتبه وعنيسه وحنظله ومحمدا فمن أين جاء زياد؟! فبلغ الكلام زيادا وقال له قائل: لو سددت عنك فهم هذا الكلب، فأرسل إليه بمائتي دينار، فقال له رسول زياد: إن ابن عمك زيادا

الأمير قد أرسل إليك مائتي دينار لتنفقها، فقال: وصلته رحم إى والله ابن عمى حقا، ثم مر به زياد من الغد فى موكبه فوقف عليه فسلم وبكى أبو العريان فقيل له: ما يبكيك؟ قال: عرفت صوت أبى سفيان فى صوت زياد فبلغ ذلك معاويه فكتب إلى أبى العريان:

ما البتتك الدنانير التى بعثت

أن لونتك أبا العريان ألوانا

أمسى إليك زياد فى أرومته

نكرا فأصبح ما أنكرت عرفانا

لله در زياد لو تعجلها

كانت له دون ما يخشاه قربانا

فلما قرأ كتاب معاويه على أبى العريان قال: اكتب جوابه يا غلام:

أحدث لنا صلته تحيا النفوس بها

قد كدت يا ابن أبى سفيان تنسانا

أما زياد فقد صحت مناسبه

عندى فلا أبتغى فى الحق بهتانا

من يسد خيرا يصبه حين يفعله

أو يسد شرا يصبه حيثما كانا

وروى أبو عثمان أيضا قال: كتب زياد إلى معاويه ليستأذنه فى الحج فكتب إليه أنى قد أذنت لك واستعملتك على الموسم وأجزتك بألف ألف درهم، فبينما هو يتجهز إذ بلغ ذلك أبا بكره أخاه وكان مصارما له منذ لجلج فى الشهاده على المغيره بن شعبه أيام عمر لا يكلمه، قد لزمته أيمان عظيمه أن لا يكمله أبدا، فأقبل أبو بكره يدخل القصر يريد زيادا فبصر به الحاجب فأسرع إلى زياد قائلا:

أيها الأمير هذا أخوك أبو بكره قد دخل القصر قال: ويحك أنت رأيتة؟ قال: ها هوذا قد طلع وفى حجر زياد بنى يلاعبه وجاء

أبو بكره حتى وقف عليه فقال للغلام: كيف أنت يا غلام؟ إن أباك ركب فى الإسلام عظيما زنى أمه وانتفى من أبيه ولا والله ما علمت سميه رأت أبا سفيان قط، ثم أبوك يريد أن يركب ما هو أعظم من

ذلك يوافق الموسم غدا ويوافق أم حبيبه بنت أبي سفيان وهي من أمهات المؤمنين فإن جاء أن يستأذن عليها فأذنت له فأعظم بها فريه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومصيبه، وإن هي منعتة فأعظم بها على أبيك فضيحه، ثم انصرف.

فقال: جزاك الله يا أخى عن النصيحة خيرا ساخطا كنت أو راضيا، ثم كتب إلى معاويه: إنى قد اعتلتت عن الموسم فليوجه إليه أمير المؤمنين من أحب، فوجه عتبه بن أبي سفيان، وأما أبو عمر بن عبد البر فإنه قال فى كتاب الاستيعاب: لما أدعى معاويه زيادا فى سنه أربع وأربعين وألحقه به أخا زوج ابنته من ابنه محمد بن زياد ليؤكد بذلك صحه الاستلحاق، وكان أبو بكره أخا زياد لأمه، أمهما جميعا سميته فحلف أن لا يكلم زيادا أبدا، وقال: هذا زنى أمه وانتفى من أبيه ولا والله ما علمت سميته رأت أبا سفيان قط، ويله ما يصنع بأم حبيبه أيريد أن يراها؟ فإن حجبتة فضحتة، وإن رآها فيا لها مصيبه تهتكك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمة عظيمه.

وحج زياد مع معاويه ودخل المدينة فأراد الدخول على أم حبيبه ثم ذكر قول أبي بكره فانصرف عن ذلك، وقيل: إن أم حبيبه حجبتة ولم تأذن له فى الدخول عليها، وقيل: إنه حج ولم يرد المدينة من أجل قول أبي بكره، وأنه قال: جزى الله أبا بكره خيرا فما يدع النصيحة فى حال على).

الأمالى الشيخ الطوسى ص ٦٢٠ إلى ٦٢١

أبو المنذر، قال: حدثنى يحيى بن ثعلبه أبو المقوم الأنصارى، عن أمه عائشه بنت عبد الرحمن بن السائب، عن أبيها، قال: جمع زياد بن أبيه شيوخ أهل الكوفه وأشرفهم فى مسجد الرجه ليحملهم على سب أمير المؤمنين عليه السلام والبراء منه، وكنت فيهم، فكان الناس من ذلك فى أمر عظيم، فغلبتنى عيناي فنمت، فرأيت فى النوم شيئا طويلا، طويل العنق، أهدل، أهدب فقلت: من أنت؟ فقال: أنا النقاد ذو

الرقبه، قلت: وما النقاد؟ قال: طاعون بعثت إلى صاحب هذا القصر لاجتته من جديد الأرض، كما عتا وحاول ما ليس له بحق.

قال: فانتبهت فرعا، وأنا في جماعه من قومي، فقلت: هل رأيتم ما رأيتم؟ فقال رجلان منهم، رأينا كيت وكيت بالصفه، وقال الباقون: ما رأينا شيئا، فما كان بأسرع من أن خرج خارج من دار زياد، فقال: يا هؤلاء انصرفوا، فإن الأمير عنكم مشغول، فسألناه عن خبره، فخبيرنا أنه طعن في ذلك الوقت، فما تفرقنا حتى سمعنا الواعيه عليه، فأنشأت أقول في ذلك:

قد جشم الناس أمرا ضاق ذرعهم

بحملهم حين ناداهم إلى الرجه

يدعو على ناصر الاسلام حين يرى

له على المشركين الطول والغلبه

ما كان منتهيا عما أراد بنا

حتى تناوله النقاد ذو الرقبه

فأسقط الشق منه ضربه عجبا

كما تناول ظلما صاحب الرجه

مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٧٤

استغاث الناس من زياد إلى الحسن بن علي عليهما السلام فرفع يده وقال:

«أللهم خذ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه وأرنا فيه نكالا عاجلا إنك على كل شيء قدير».

قال: فخرج خراج في إبهام يمينه، يقال لها السلعه، وورم إلى عنقه فمات.

كتاب المعبر محمد بن حبيب البغدادي ص ٤٧٩

وصلب زياد بن أبيه (مسلم) بن زيمر، و(عبد الله) بن نجى الحضرميين على أبوابهما أياما بالكوفه وكانا شيعيين وذلك بأمر معاويه وقد عدهما الحسين بن علي رضي الله عنهما على معاويه في كتابه إليه، ألسنت صاحب حجر والحضرميين اللذين

كتب إليك ابن سمية أنهما على دين على ورأيه فكتبت إليه من كان على دين على ورأيه فاقتله ومثل به فقتلها ومثل بأمرك بهما؟ ودين على وابن عم على الذى كان يضرب عليه أباك يضربه عليه أبوك أجلسك مجلسك الذى أنت فيه ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف أبيك تجشم الرحلتين اللتين بنا من الله عليك بوضعهما عنكم...، فى كتاب طويل يوبخه فيه وبادعائه زيادا وتوليته إياه العراقين.

السرائر ابن إدريس الحلى ج ٣ ص ٢٣٥

كان أبو بكره رجلا صالحا من خيار الصحابه، ويعد فى موالى رسول الله عليه السلام واسمه نفيح، وأخوه نافع بن الحرث بن كرده الثقفى، طيب العرب، وأخوهما زياد، كلهم من سميته، وكل منهم ينسب إلى رجل.

وقال يزيد بن مفرغ الحميرى، جد السيد الحميرى يهجو زيادا:

إن زيادا ونافعا وأبا

بكره عندى من أعجب العجب

إن رجالا ثلاثه خلقوا

فى رحم أنثى وكلهم لأب

ذا قرشى كما يقول وذا

مولى وهذا بزعمه عربى

إذا شهد أربعة رجال على رجل بالزنى، فردت شهاده واحد منهم، فإن ردت بأمر ظاهر لا يخفى على أحد، فإنه يجب على الأربعة حد القذف، وإن ردت بأمر خفى لا يقف عليه إلا الآحاد، فإنه يقام على المردود الشهاده الحد، والثلاثة لا يقام عليهم الحد، لأن الأصل براءة الذمه، وأيضا فإنهم غير مفرطين فى إقامتها، فإن أحدا لا يقف على بواطن الناس، فكان عذرا فى إقامتها فلهذا لا حد، ويفارق إذا كان الرد بأمر الظاهر، لأن التفريط كان منهم، فلهذا حدوا.

الإيضاح الفضل بن شاذان الأزدي ص ٥٤٩ إلى ٥٥٢

كان سعيد بن سرح مولى كرز بن حبيب بن عبد شمس من شيعه على بن أبي طالب رضى الله عنه فلما قدم زياد بن أبيه الكوفه واليا عليها أضافه وطلبه فأتى المدينه فنزل على الحسن بن على رضى الله عنه فقال له الحسن: ما السبب الذى أشخصك وأزعجك؟ فذكر له قصته وصنيع زياد به فكتب إليه الحسن:

(أما بعد فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت عليه داره وأخذت ماله وعياله فإذا أتاك كتابى هذا فابن له داره واردد عليه ماله وعياله فإنى قد أجرته فشفعنى فيه).

فكتب إليه زياد: من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن بن فاطمه، أما بعد فقد أتانى كتابك تبدأ فيه باسمك قبل اسمى وأنت طالب للحاجه وأنا سلطان وأنت سوجه وكتابك إلى فى فاسق لا يأويه إلا فاسق مثله وشر من ذلك توليه أباك وقد آويته إقامه منك على سوء الرأى ورضى بذلك وأيم الله لا يسبقنى إليه ولو كان بين جلدك ولحمك فإن أحب لحم إلى أن آكله للحم أنت منه فأسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك وإن قتلته لم أقتله إلا بحبه أباك، فلما قرأ الحسن رضى الله عنه الكتاب كتب إلى معاويه يذكر له حال ابن سرح وكتابه إلى زياد فيه وإجابته زياد إياه ولف كتابه فى كتابه وبعث به إليه وكتب الحسن إلى زياد: من الحسن بن فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى زياد بن سميه عبد بنى ثقيف الولد للفراش وللعاهر الحجر، فلما قرأ معاويه كتاب الحسن رضى الله عنه ضاقت به الشام وكتب إلى زياد:

أما بعد فإن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما بعث إلى بكتابك جواب كتابه إليك فى ابن سرح فأكثر التعجب منه وعلمت أن لك رأيين أحدهما من

أبى سفيان وآخر من سميه، فأما الذى من أبى سفيان فحلّم وحزم، وأما الذى من سميه فكما يكون رأى مثلها ومن ذلك كتابك إلى الحسن تشتت أباه وتعرض له بالفسق، ولعمري لأنت أولى بالفسق من الحسن ولأبوك إذ كنت تنسب إلى عبيد أولى بالفسق من أبيه، فإن كان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً عنك فإن ذلك لم يضعك وأما تشفيعه فيما شفع إليك فيه فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك، فإذا قدم عليك كتابى هذا فخل ما فى يدك لسعيد بن سرح وابن له داره ولا تغدر به وأردد عليه ماله فقد كتبت إلى الحسن أن يخبر صاحبه بذلك فإن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده، فليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان، وأما كتابك إلى الحسن باسمه واسم أمه ولا تنسبه إلى أبيه فإن الحسين ويلك ممن لا يرمى به الرجوان أفاستصغرت أباه وهو على بن أبى طالب أم إلى أمه وكتته لا أم لك فهى فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتلك أفخر له إن كنت تعقل والسلام.

وقال قتاده: قال زياد لبنيه وقد احتضر ليت أباكم كان راعياً فى أدناها وأقصاها ولم يقع بالذى وقع فيه، قلت: فبهذا الطريق كان ينظم ابن مفرغ هذه الأشعار فى زياد وبنيه ويقول: إنهم أدياء حتى قال فى زياد وأبى بكره ونافع أولاد سميه:

إن زيادا ونافعا وأبا

بكره عندى من أعجب العجب

إن رجالاً ثلاثه خلقوا

فى رحم أنثى وكلهم لأب

ذا قرشى كما يقول وذا

مولى وهذا بزعمه عربى

وهذه الأبيات تحتاج إلى زياده إيضاح فأقول: قال أهل العلم بالأخبار: إن الحارث بن كلده بن عمرو بن علاج بن أبى سلمه بن عبد العزى بن غيره بن عوف بن قسى وهو ثقيف هكذا ساق النسب ابن الكلبي فى كتاب الجمهره وهو طبيب العرب المشهور ومات فى أول الإسلام وليس يصح إسلامه.

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر سعد بن أبي وقاص أن يأتي الحارث بن كلده يستوصفه في مرض نزل به فدل ذلك على أنه جائز أن يشاور أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله وكان ولده الحارث بن الحارث من المؤلفه قلوبهم وهو معدود في جملة الصحابه رضى الله تعالى عنهم ويقال: إن الحارث بن كلده كان رجلا عقيما لا يولد له وإنه مات في خلافه عمر ولما حاصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطائف قال:

أيما عبد تدلى إلى فهو حر فنزل أبو بكره عنه من الحصن في بكره (قلت: وهي فتح الباء الموحده وسكون الكاف وبعدها راء ثم هاء وهي التي تكون على البئر وفيها الحبل يستقى به والناس يسمونها بكره بفتح الكاف وهو غلط إلا أن صاحب كتاب العين حكاه بالفتح أيضا وهي لغة ضعيفه لم يحكها غيره) قال: فكانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكره لذلك وكان يقول: أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأراد أخوه نافع أن يدلى نفسه في البكره أيضا فقال له الحارث بن كلده: أنت ابني فأقم، فأقام ونسب إلى الحارث، وكان أبو بكره قبل أن يحسن إسلامه ينسب إلى الحارث أيضا فلما حسن إسلامه ترك الانتساب إليه ولما هلك الحارث بن كلده لم يقبض أبو بكره من ميراثه شيئا تورعا، هذا عند من يقول:

إن الحارث أسلم وإلا- فهو محروم من الميراث لاختلاف الدين فلماذا قال ابن مفرغ الأبيات الثلاثة البائيه لأن زيادا ادعى أنه قرشى باستلحاق معاويه له، وأبو بكره اعترف بولاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونافع كان يقول: إنه ابن الحارث بن كلده الثقفي وأمهم واحده وهي سمييه المذكوره وهذا سبب البيتين في آل أبي بكره كما تقدم ذكره، وعلاج جد الحارث بن كلده كما ذكرته، هذه قصه زياد وأولاده ذكرته مختصره.

قلت: إلا أن قول ابن مفرغ في البيت الثاني وكلهم لأب ليس بجيد فإن زيادا ما نسبه أحدا إلى الحارث بن كلده بل هو ولد عبيد لأنه ولد على فراشه، أما أبو بكره ونافع فقد نسبا إلى الحارث فكيف يقول: وكلهم لأب فتأمله، وذكر ابن النديم في كتابه الذي سماه الفهرست: إن أول من ألف كتابا في المثالب زياد بن أبيه فإنه لما طعن عليه وعلى نسبه عمل ذلك لولده وقال لهم: استظفروا به على العرب فإنه يكفون عنكم.

شرح نهج البلاغه ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٨٩ إلى ١٩٣

دخل بنو أميه وفيهم عبد الرحمن بن الحكم على معاويه أيام ما استلحق زيادا، فقال له عبد الرحمن: يا معاويه لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قله وذله يعنى على بنى أبي العاص، فأقبل معاويه على مروان وقال: أخرج عنا هذا الخليع فقال مروان: أى والله إنه لخليع ما يطاق: فقال معاويه والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت أنه يطاق، ألم يبلغنى شعره فى وفى زيادا!

ثم قال مروان: أسمعنيه، فأنشد:

ألا أبلغ معاويه بن حرب

لقد ضاقت بما يأتى اليدان

أتغضب أن يقال أبوك عف

وترضى أن يقال أبوك زان!

فأشهد أن رحمك من زياد

كرحم الفيل من ولد الأتان

وأشهد أنها حملت زيادا

وصخر من سميه غير دان

ثم قال: والله لا أرى عنه حتى يأتى زيادا فيترضاه ويعتذر إليه، فجاء عبد الرحمن إلى زياد معتذرا يستأذن عليه، فلم يأذن له فأقبلت قريش إلى زياد تكلمه فى أمر عبد الرحمن، فلما دخل سلم، فتشاور له زياد بعينه وكان يكسر عينه فقال له زياد: أنت القائل ما قلت؟ قال عبد الرحمن: ما الذى قلت؟ قال: قلت ما لا يقال

قال، أصلح الله الأمير! إنه لا ذنب لمن أعتب، وإنما الصفح عمن أذنب فاسمع مني ما أقول، قال: هات، فأنشده:

إليك أبا المغيره تبت مما

جرى بالشام من خطل اللسان

وأغضبت الخليفة فيك حتى

دعاه فرط غيظ أن هجاني

وقلت لمن لحاني في اعتذاري

إليك اذهب فشانك غير شاني

عرفت الحق بعد ضلال رأيي

وبعد الغي من زيغ الجنان

زياد من أبي سفيان غصن

تهادي ناضرا بين الجنان

أراك أخا وعمما وابن عم

فما أدري بعيب ما تراني

وإن زياده في آل حرب

أحب إلي من وسطى بناني

ألا أبلغ معاويه بن حرب

فقد ظفرت بما تأتي اليدان

فقال زياد: أراك أحقق صرفا شاعرا صنع اللسان، يسوغ لك ريقك ساخطا ومسخوطا، ولكننا قد سمعنا شعرك، وقبلنا عذرك، فهات حاجتك؟ قال: تكتب إلي أمير المؤمنين بالرضا عني، قال: نعم، ثم دعا كاتبه فكتب له بالرضا عنه، فأخذ كتابه ومضى حتى دخل على معاويه، فلما قرأه قال:

لحا الله زيادا لم يتنبه لقوله

وإن زياده فى آل حرب

ثم رضى عن عبد الرحمن وردة إلى حالته، وأما أشعار يزيد بن مفرغ الحميرى وهجاؤه عبيد الله وعبادا، ابنى زياد بالدعوه فكثيره مشهوره، نحو قوله:

أعباد ما للؤم عنك تحول

ولا لك أم من قريش ولا أبُ

وقل لعبيد الله ما لك والد

بحق ولا يدرى امرؤ كيف تنسبُ

ص: ١٧٨

ونحو قوله:

شهدت بأن أمك لم تباشر

أبا سفيان واضعه القناع

ولكن كان أمر فيه لبس

على حذر شديد وارتياح

إذا أودى معاويه بن حرب

فبشر شعب قعبك بانصداع

ونحو قوله:

إن زيادا ونافعا وأبا بكره

عندي من أعجب العجب

هم رجال ثلاثه خلقوا

في رحم أنثى وكلهم لأب

ذا قرشى كما تقول وذا

مولى وهذا بزعمه عربى

كان عبيد الله بن زياد يقول:

بما شجيت بشيء أشد على من قول ابن مفرغ:

فكر ففى ذاك إن فكرت معتبر

هل نلت مكرمه إلا بتأمير!

عاشت سميه ما عاشت وما علمت

أن ابنها من قريش في الجماهير

ويقال: إن الأبيات النونية المنسوبة إلى عبد الرحمن بن أم الحكم ليزيد بن مفرغ وأن أولها:

ألا أبلغ معاويه بن حرب

مغلغله من الرجل اليماني

ونحو قوله: وقد باع برد غلامه لما حبسه عباد بن زياد بسجستان:

يا برد ما مسنا دهر أضربنا

من قبل هذا ولا بعنا له ولدا

لامتنى النفس في برد فقلت لها

لا تهلكي إثر برد هكذا كمدنا

لولوا الدعى ولولا ما تعرض بي

من الحوادث ما فارقته أبدا

ونحو قوله:

أبلغ لديك بنى قحطان مالكة

عضت بأير أبيها ساده اليمن

أضحى دعى زياد فقع قرقره

يا للعجائب يلهو بابن ذى يزن!

وروى ابن الكلبي أن عبادا استلحقه زياد كما استلحق معاويه زيادا، كلاهما لدعوه، قال: لما أذن لزياد فى الحج تجهز، فبينما هو يتجهز وأصحاب القرب يعرضون عليه قربهم، إذ تقدم عباد وكان خرازا فصار يعرض عليه ويحاوره ويجيبه، فقال زياد: ويحك، من أنت؟ قال: أنا ابنك، قال: ويحك: وأى بنى؟ قال: قد وقعت على أمى فلانه، وكانت من بنى كذا، فولدتنى، وكنت فى بنى قيس بن ثعلبه وأنا مملوك لهم، فقال: صدقت والله، إنى لأعرف ما تقول، فبعث فاشتراه، وادعاه وألحقه، وكان يتعهد بنى قيس بن ثعلبه بسببه ويصلهم وعظم أمر عباد حتى ولاه معاويه سجستان بعد موت زياد، وولى أخاه عبيد الله البصره، فتزوج عباد الستيره ابنه أنيف بن زياد الكلبي، فقال الشاعر يخاطب أنيفا وكان سيد كلب فى زمانه:

أبلغ لديك أباتر كان مألکه

أنائما كنت أم بالسمع من صمم!

أنكحت عبد بنى قيس مهذبه

آباؤها من عليم معدن الكرم

أكنت تجهل عبادا ومحتده

لا در درك أم أنكحت من عدم

أبعد آل أبى سفیان تجعله

صهرا وبعد بنى مروان والحكم!

أعظم عليك بذأ عارا ومنقصه

ما دمت حيا وبعد الموت فى الرحم

لما قدم زياد بن أبي سفيان واليا على الكوفة دعا بحجر بن عدي فقال: تعلم أني أعرفك، وقد كنت أنا وإياك على ما قد علمت، يعني من حب علي بن أبي طالب، وأنه قد

جاء غير ذلك وأنى أنشدك الله أن تقطر لى من دمك قطره فأستفرغه كله أملك عليك لسانك وليسعك منزلتك، وهذا سريرى فهو مجلسك وحوائجك مقضيه لى فاكفنى نفسك فإنى أعرى عجلتك فأشددك الله يا أبا عبد الرحمن فى نفسك، وإياك وهذه السفله هؤلاء أن يستزلوك عن رأيك فإنك لو هنت على أو استخفت بحقك لم أخصك بهذا من نفسى.

فقال حجر: قد فهمت ثم انصرف إلى منزله فأتاه إخوانه من الشيعة فقالوا: ما قال لك الأمير؟ قال: قال لى: كذا وكذا، قالوا: ما نصح لك، فأقام وفيه بعض الاعتراض، وكانت الشيعة يختلفون إليه ويقولون: إنك شيخنا وأحق الناس بإنكار هذا الأمر، وكان إذا جاء إلى المسجد مشوا معه، فأرسل إليه عمرو بن حريث وهو يومئذ خليفه زياد على الكوفه وزياد بالبصره: أبا عبد الرحمن ما هذه الجماعه وقد أعطيت الأمير من نفسك ما قد علمت؟ فقال للرسول: تنكرون ما أنتم فيه؟! إليك، وراءك أوسع لك، فكتب عمرو بن حريث بذلك إلى زياد وكتب إليه: إن كانت لك حاجه بالكوفه فالعجل، فأغذ زياد السير حتى قدم الكوفه، فأرسل إلى عدى بن حاتم وجريير بن عبد الله البجلي، وخالد بن عرفطه العذرى حليف بنى زهره، وإلى عدو من أشرف أهل الكوفه فأرسلهم إلى حجر بن عدى ليعذر إليه وينهاه عن هذه الجماعه وأن يكف لسانه عما يتكلم به، فأتوه فلم يجبههم إلى شىء ولم يكلم أحداً منهم.

وجعل يقول: يا غلام أعلف البكر، قال وبكر فى ناحيه الدار فقال له عدى بن حاتم: أمجنون أنت؟ أكلمك بما أكلمك به وأنت تقول: يا غلام اعلف البكر؟، فقال عدى لأصحابه: ما كنت أظن هذا البائس بلغ به الضعف كل ما أرى، فنهض القوم عنه وأتوا زيادا فأخبروه ببعض وخزنوا بعضا وحسنوا أمره، وسألوا زيادا الرفق به، فقال: لست إذا لأبى سفيان، فأرسل إليه الشرط والبخاريه فقاتلهم بمن معه ثم انفضوا عنه وأتى به زياد وبأصحابه فقال له: ويلك مالك؟ فقال: إنى على بيعتى لمعاويه لا أقيها ولا أستقيها، فجمع زياد سبعين من وجوه أهل الكوفه فقال: اكتبوا شهادتكم على حجر

وأصحابه، ففعلوا، ثم وفداهم على معاوية وبعث بحجر وأصحابه إليه، وبلغ عائشه الخبر فبعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم، فقال عبد الرحمن بن عثمان الثقفي: يا أمير المؤمنين جادها ألا تعن بعد العام أبرأ. فقال معاوية: لا- أحب أن أراهم ولكن أعرضوا على كتاب زياد فقرأ عليه الكتاب وجاء اليهود فشهدوا، فقال معاوية بن أبي سفيان: أخرجوهم إلى عذرى فاقتلوهم هنالك.

مستدركات علم رجال الحديث الشيخ على النمازي الشاهرودى ج ٣ ص ٢٤٧ إلى ٢٤٨

قال العلامة المامقاني: زياد بن أبي سفيان هو زياد بن أبيه، ويقال له: زياد بن سمييه، وزياد بن عبيد الثقفي وكل ذلك قبل الاستلحاق بأبي سفيان، ولإلحاق نسبه بأبي سفيان حكاية مشهوره، ولد بالطائف عام الفتح، وقيل عام الهجرة وقيل يوم بدر كنيته أبو المغيرة وليس له صحبه ولا- رؤيه، كان مع أمير المؤمنين عليه السلام في جميع مشاهدته ومع الحسن عليه السلام إلى زمان صلحه مع معاوية، ولحق معاوية، ومثاله أشهر من أن يذكر، وقد هلك بالكوفه في شهر رمضان سنة ٥٣، وهو ابن ست وخمسين، وقيل غير ذلك.

الكنى والألقاب الشيخ عباس القمي ج ١ ص ٣٠٤

قال ابن شحنة الحنفي في الروضه: في سنة ٤٤ استلحق معاوية زيادا وأثبت نسبه من أبي سفيان بشهاده أبي مريم الحمار إنه زنى بسميه البغي وحملت منه وكان زياد ثابت النسب من عبيد الرومي وشق ذلك على بني أميه، ثم ولاه معاوية البصره والكوفه وخراسان وسمنان والهند والبحرين وعمان، وظلم وفجر وقويت به شوكة معاوية وكان معاوية وعماله يسبون عليا عليه السلام على المنابر، وكان من عادة حجر بن عدى إذا سبوا عليا عارضهم وأثنى عليه ففعل كذلك في إمره زياد بالكوفه فأمسكه وأرسل به مع جماعه من أصحابه إلى معاوية فأمر بقتله وثمانيه من جماعته فقتلوا بقرية عذراء وعظم ذلك على المسلمين انتهى.

الكنى والألقاب الشيخ عباس القمي ج ١ ص ٤١٩

وله (ابن مفرغ) أيضا في هجاء زياد:

فاشهد أن أمك لم تباشر

أبا سفيان واضعه القناع

ولكن كان أمر فيه لبس

على وجل شديد وامتناع

وله في هجاء عبيد الله بن زياد:

وق لعبيد الله ما لك والد

بحق ولا يدري امرؤ كيف ينسب

إلزام النواصب مفلح بن راشد ص ١٧٠ إلى ١٧١

فقد قتل الدعى وعبد كلب

بأرض الطف أولاد النبي

أراد ب: الدعى: عبيد الله بن زياد، فإن أباه زياد بن سمييه، كانت أمه سمييه مشهوره بالزنى، وولد على فراش أبي عبيد عبد بنى علاج من ثقيف، فادعى معاويه أن أبا سفيان زنى بأم زياد فأولدها زيادا، وأنه أخوه، فصار اسمه: الدعى، فكانت عائشه تسميه: زياد بن أبيه، أو ابن أمه، لأنه ليس له أب معروف.

عبيد الله

التقيه الشيخ الأنصارى ص ٦٩

قال على بن أبي طالب عليه السلام:

«يا ميثم كيف أنت إذا دعاك دعى بنى أميه عبيد الله بن زياد إلى البراءه منى؟».

فقلت: يا أمير المؤمنين أنا والله لا أبرأ منك، قال عليه السلام:

«إذا والله يقتلك ويصلبك».

العقد المنير السيد موسى الحسينى المازندراني ص ٦٦

ويقال إن أول من غش الدراهم وضربها زيوفا عبيد الله بن زياد حين فر من البصره فى سنه ٦٤ من الهجره.

واقع التقيه عند المذاهب والفرق الإسلاميه من غير الشيعه الإماميه ثامر هاشم حبيب العميدى ص ١٢٧

عندما أدخل هانئ بن عروه رحمه الله على عبيد الله بن زياد والى الكوفه سنه ٦٠هـ طالبه بمسلم بن عقيل بن أبى طالب عليه السلام، وكان فى داره ثم انتهى الأمر إلى أن هشم ابن زياد وجه هانئ رحمه الله بعمود من حديد وأودعه السجن.

سبل السلام محمد بن إسماعيل الكحلانى ج ٤ ص ١٩٠

إن عبيد الله بن زياد عاد معقل بن يسار فى مرضه الذى مات فيه، وكان عبيد الله عاملا على البصره فى إماره معاويه وولده يزيد أخرجه الطبرانى فى الكبير من وجه آخر عن الحسن قال: قدم إلينا عبيد الله بن زياد أميرا أمره علينا معاويه غلاما سفيها يسفك الدماء سفكا شديدا وفيها معقل المزنى فدخل عليه ذات يوم فقال له: انته عما أراك تصنع، فقال له: وما أنت وذاك ثم خرج إلى المسجد فقال له: ما كنت تصنع بكلام هذا السفيه على رؤوس الناس؟ فقال:

إنه كان عندى علم فأحببت أن لا أموت حتى أقول به على رؤوس الناس، ثم مرض فدخل عليه عبيد الله يعوده فقال له معقل بن يسار: إنى أحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ما من عبد يسترعيه الله رعيه فلم يحفظها بنصيحه لم يرح رائحه الجنه ولفظ روايه المصنف وأخرج مسلم ما من أمير يلى أمر المسلمين لا- يجتهد معهم ولا- ينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنه ورواه الطبرانى وزاد: كنصحه لنفسه.

نيل الأوطار الشوكاني ج ٨ ص ٤٧

إنَّ عبيد الله بن زياد لما أفرط في سفك الدماء وكان معقل بن يسار حينئذ مريضاً مرضه الذي مات فيه، فأتى عبيد الله يعوده فقال له معقل: إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكره.

وفي مسلم أنه لما حدثه بذلك قال: ألا كنت حدثتني قبل هذا اليوم؟ قال: لم أكن لأحدثك قبل سبب ذلك، والمراد بهذا السبب هو ما كان يقع منه من سفك الدماء، ووقع في روايه الاسماعيلي من الوجه الذي أخرجه مسلم: لولا- أنى ميت ما حدثتك، فكأنه كان يخشى بطشه، فلما نزل به الموت أراد أن يكف بعض شره عن المسلمين.

مستدركات علم رجال الحديث الشيخ على النمازي الشاهرودي ج ٨ ص ٥٨١

سميه: أم زياد بن أبيه، هي أول بغيه، وحفيدها عبيد الله بن زياد.

تاريخ ابن معين، الدوري يحيى بن معين ج ٢ ص ٣٦٩

يقول ابن مرجانه هو عبيد الله بن زياد.

سير أعلام النبلاء الذهبي ج ٣ ص ٥٤٣ إلى ٥٤٩

روى السرى بن يحيى عن الحسن قال: قدم علينا عبيد الله، أمره معاويه، غلاماً سفيهاً، سفك الدماء سفكاً شديداً، فدخل عليه عبد الله بن مغفل فقال: انته (عما أراك تصنع) فإن شر الرعاء الحطمه.

قال: ما أنت وذاك؟ إنما أنت من حثاله أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال: وهل كان فيهم حثاله لا أم لك، قال: فمرض ابن مغفل، فجاءه الأمير عبيد الله عائداً فقال: أتعهد إلينا شيئاً؟ قال: لا تصل عليّ، ولا تقم على قبري.

قال الحسن: وكان عبيد الله جباناً، فرأى الناس في السكك، فقال: ما لهؤلاء؟ قالوا: مات عبد الله بن مغفل، وقيل: الذي خاطبه هو عائذ بن عمرو المزني كما في صحيح مسلم، فلعلها واقعتان، وقد جرت لعبيد الله خطوب، وأبغضه المسلمون لما فعل بالحسين رضى الله عنه، فلما جاء نعي يزيد، هرب بعد أن كاد يؤسر، واخترق البريه إلى الشام، وانضم إلى مروان، ثم سار في جيش كثيف، وعمل المصاف برأس عين.

قال أبو اليقظان: قتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين، قال يزيد بن أبي زياد: عن أبي الطفيل، قال: عزلنا سبعة أرؤس، وغطينا منها رأس حصين بن نمير، وعبيد الله بن زياد، فجئت، فكشفتها فإذا حيه في رأس عبيد الله تأكل، وصح من حديث عماره بن عمير، قال: جرى برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه، فأثيناهم وهم يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حيه تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيد الله، فمكثت هنيه ثم خرجت، وغابت، ثم قالوا: قد جاءت، قد جاءت، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً، قلت: الشيعة لا يطيب عيشه حتى بلعن هذا ودونه، ونحن نبغضهم في الله، ونبرأ منهم ولا نلعنهم، وأمرهم إلى الله.

شيخ المضير أبو هريره محمود أبو ريه ص ١٧٩

وقال الدكتور طه حسين بعد تفصيل رائع مؤثر لما حدث: والرواه يزعمون أن يزيد تبرأ من قتل الحسين على هذا النحو! وألقى عبء هذا الاثم على ابن مرجانه عبيد الله بن زياد، ولكننا لا نراه لام ابن زياد، ولا عاقبه، ولا عزله عن عمله كله أو بعضه ومن قبله قتل معاويه حجر بن عدى وأصحابه ثم ألقى عبء قتلهم على زياد وقال: حملني ابن سمييه فاحتملت...، وفي مقاتل الطالبين للأصفهاني: وحمل خولى بن يزيد رأسه إلى عبيد الله بن زياد، وأمر ابن زياد أن يوطأ صدر الحسين وظهره وجنبه ووجهه

فأجريت الخيل عليه، وبقتل هؤلاء الاقطاب الثلاثة الكبار، خلا الجو لبني أميه وامتد سلطانهم على البلاد الإسلاميه كلها يستمتعون بحكمها، ويتوارثون هذا الحكم فيما بينهم، بلا منازع ولا معارض، يحكمون حكما استبداديا أمويا قبليا، أساسه الرهبه والضغط والقهر، مستبدلين إياه بحكم الشورى الإسلامى العادل متبعين فى ذلك سنن من كان قبلهم من الأكاسره والقياسره.

المعارف ابن قتيبه ص ٣٤٧ إلى ٣٤٨

فأما عبيد الله بن زياد فكان يكنى أبا حفص وكان أرقط وكان زياد زوج أمه مرجانه من شيرويه الأسوارى ودفع إليها عبيد الله فنشأ بالأساوره فكانت فيه لكنه فولى لمعاويه خراسان ثم ولى العراقين بعد أبيه ثمانى سنين خمسا منها على البصره وحدها وثلاثا على العراقين فلما مات يزيد خرج عليه أهل البصره فأخرجوه عن داره فاستجار بمسعود بن عمرو الأزدي فلما قتل مسعود سار إلى الشام فكان مع مروان بن الحكم وكان يوم المرج على إحدى مجبتيه فلما ظفر مروان رده على العراق فلما قرب من الكوفه وجه إليه المختار إبراهيم بن الأشتر النخعى فالتقوا بقرب الزاب فقتل عبيد الله ولا عقب له وكان قتله يوم عاشوراء سنه سبع وستين.

معجم البلدان الحمودى ج ١ ص ٥٣٠

إنه لما بنى البيضاء أمر أصحابه أن يستمعوا ما يقول الناس، فجأوه برجل فقيل له إن هذا قرأ وهو ينظر إليها: أتبنون بكل ريع آيه تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون؟ فقال له: ما دعاك إلى هذا؟ فقال: آيه من كتاب الله عرضت لى، فقال: والله لأعملن بك بالآيه الثالثه: وإذا بطشتم ببطشتم جبارين، ثم أمر فبنى عليه ركن من أركان القصر.

بلاغات النساء ابن طيفور ص ١٤٠

قال المدائني: أتى عبيد الله بن زياد بامرأه من الخوارج فقطع رجلها وقال لها كيف ترين فقالت إن في الفكر في هول المطلع لشغلا عن حديدتكم هذه ثم قطع رجلها الأخرى وجذبها فوضعت يدها على فرجها فقال لتسترينه فقالت لكن سميته أمك لم تكن تستره.

تاريخ الكوفه السيد البراقى ص ٧٣ إلى ٧٤

فمن الجبابره الذين ابتلاهم الله بشاغل فيها زياد، وقد جمع الناس فى المسجد ليلعن عليا صلوات الله عليه فخرج الحاجب وقال: انصرفوا فإن الأمير مشغول، وقد أصابه الفالج فى هذه الساعه، وابنه عبيد الله بن زياد وقد أصابه الجذام، والحجاج بن يوسف وقد تولدت الحيات فى بطنه حتى هلك، وعمر بن هبيرة وابنه يوسف وقد أصابهما البرص.

مستدركات أعيان الشيعة حسن الأمين ج ١ ص ٢٨٦

عرفوه عليهم واليا مستبدا طاغيا ظالما يقيم الحكم فيهم بالارهاب والسعايه والوشايه وبالسجن والقتل والتعذيب، ذلك هو عبيد الله بن زياد، كان ذلك ولآل زياد فى الأمصار كلها، صيت يثير فى نفوس الجماهير صوراً شتى يقترن بكل واحده منها معنى أقل شأنه إنه يبعث السخر والابتسام، أو يبعث الحقد والسخط، أو يبعث الذعر والهلع، وكان آل زياد يعرفون هذا كله فى الجماهير، فيخشون نقيمتها أو انفجار نقيمتها، إذ يكتبونها بالارهاب من كل نوع وكل أسلوب، وكان أخشى ما يخشونه، ألسنه الشعراء، ولاسيما الهجائين منهم وذوى الخلاعه والمجانه، فان مثل هؤلاء يكشفون للناس من العيوب والمساوى ما كان آل زياد يتحامون أن ينكشف، أو أن تتحدث به الجماهير فى حين يعلمون أن عند هذه الجماهير أنباء يتناقلونها عن آل زياد، سواء أصدقت هذه الأنباء أم كانت من الأكاذيب والأراجيف.

أعيان الشيعة السيد محسن الأمين ج ١ ص ٥٨٥

ومع التفاوت الذى بلغ أقصى ما يتصور بين فئته القليلة وجيش ابن زياد فى العدد والمدد قد كان ثباته ورباطه جأشه وشجاعته تحير الألباب ولا عهد للبشر بمثلها كما كانت دناءه أخصامه لا شبيه لها، وما سمع منذ خلق العالم ولن يسمع حتى يفنى أفضع من ضرب ابن مرجانه من ابن سمييه بقضيب ثغر ابن بنت رسول الله ورأسه بين يديه بعد أن كان سيد الخلق عليه السلام يلثمه، ومن آثار العدل الإلهى قتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء كما قتل الحسين يوم عاشوراء وأن يبعث برأسه إلى على بن الحسين كما بعث برأس الحسين إلى ابن زياد.

الكنى والألقاب الشيخ عباس القمى ج ١ ص ٣٠١ إلى ٣٠٣

ابن زياد: هو عبيد الله بن مرجانه الزانية التى أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله لميثم التمار: ليأخذنك العتل الزنيم ابن الأمه الفاجره عبيد الله بن زياد، وأبوه زياد يقال له زياد بن أمه وتاره زياد بن سمييه ومره زياد بن أبيه ولما استلحقه معاويه يقال له زياد بن أبى سفيان.

الغارات إبراهيم بن محمد الثقفى ج ٢ ص ٥٥٨ إلى ٥٦١

قال أبو غسان: بنى عبيد الله بن زياد لعنه الله مساجد بالبصره تقوم على بغض على عليه السلام والوقيع فيه، مسجد بنى عدى، ومسجد بنى مجاشع، ومسجد كان فى العلافين على فرضه البصره، ومسجد فى الأزد.

قال: وكان بالكوفه من فقهاؤها أهل عداوه له وبغض قد خذلوا عنه وخرجوا من طاعته مع غلبه التشيع على الكوفه فمنهم مره الهمداني، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمه، وشريح بن الحارث القاضى، وأبو برده

بن أبى موسى الأشعري، واسمه عامر بن عبد الله بن قيس، وعبد الله بن قيس قد هرب إلى مكة يخذل الناس عنه، وأبو عبد الرحمن السلمى، وعبد الله بن عكيم، وقيس بن أبى حازم وسهم بن طريف، والزهرى والشعبى بعد هؤلاء.

ولكى يتضح للقارئ الكريم مدى بغض عبيد الله بن زياد لأمر المؤمنين ومقدار جرأته على الصحابه نورد قوله الآتى:

عن فطر بن خليفة قال: سمعت مره يقول: لأن يكون على جملا يستقى عليه أهله خير له مما كان عليه.

وكان مره يقول: أما على فسبقنا بحسناته، وابتلينا نحن بسيئاته.

العزه للمؤمنين

اشاره

العزّه: هى القوه والغلبه والحميه، عزّ فلان: قوى وبرئ من الذل، وأعزّه: قواه وأحبه وأكرمه وجعله عزيزاً(١).

فالعزّه: هى الارتفاع بالنفس تعظيماً عن مواضع الهوان والإهانه والذنودون الاستعلاء أو الخيلاء.

هذه الصفه الرائعه هى صفه الحق جل وعلا فيها تسمى بالعزيز، بل هى من الصفات التى تقتضيها الذات المقدسه، ولأهميتها وضرورتها وهبها الله تعالى لأنبيائه وعباده الصالحين فقال تعالى:

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)(٢).

بل إن الله تعالى أدب أنبياءه وأوليائه وعباده الصالحين بالعزّه وألزمهم بالتحلى

١- المعجم الوسيط: ص ٥٩٨.

٢- سورة المنافقون، الآية: ٨.

بها ولم يرتخص لهم ترك هذه الصفه النبيله وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ فَوَّضَ إِلَى الْمُؤْمِنِ أُمُورَهُ كُلَّهَا، وَلَمْ يُفَوِّضْ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِيلًا، أَمَا تَسْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ:

(ك.ك.١)!

فَالْمُؤْمِنُ يَكُونُ عَزِيزًا وَلَا يَكُونُ ذَلِيلًا إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَعَزُّ مِنَ الْجَبَلِ؛ لِأَنَّ الْجَبَلَ يُشْتَقَلُّ مِنْهُ بِالْمَعَاوِلِ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يُشْتَقَلُّ مِنْ دِينِهِ بِشَيْءٍ» (١).

ولذا نجد لسان الآيات الكريمة ومضامين الأحاديث الشريفه تؤكد أن العزّه صفه إلهيه يجب التخلق بها كما فى قوله تعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ) (٢).

بل لا يحق للمؤمن أن يتصف بغيرها كما بينه الحديث السابق؛ لما لهذه الصفه من دور فى حفظ حاله الإيمان فى قلب المؤمن ولما لها من دور فى سمو المؤمن ورفعته.

نصائح لمن أراد العز

ورد فى لسان الآيات الكريمة والأحاديث الشريفه ما يرشد إلى الطرق التى توصل المرء إلى العزّ والرفعه وهى كما يلى:

١ أن يؤمن بالله تعالى ويتمسك بحبله ويسلم له كما فى قوله تعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

١- التهذيب: ج ٦، ص ١٧٩، ح ٣٦٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٦، ح ١٢٨٢٣.

٢- سوره فاطر، الآية: ١٠.

يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (١).

وقوله تعالى:

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٢).

٢ أن تهجر جميع العوامل التي تؤدي إلى عزتك من دون الله تعالى؛ لما لها من مردود خطير وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«مَنْ اعْتَرَىٰ بَغَيْرِ اللَّهِ أَهْلَكَهُ الْعِزُّ» (٣).

وعنه عليه السلام قال:

«الْعَزِيزُ بِغَيْرِ اللَّهِ ذَلِيلٌ» (٤).

٣ تشير الأحاديث الشريفة إلى أن عز الدنيا واهن فانفان لا قيمة له كما في قول الإمام علي عليه السلام:

«أَوْصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّيَّارِكَةَ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا... فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا... فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَىٰ انْقِطَاعٍ» (٥).

٤ عليك الالتزام بالحق والانتصار له والاذعان به حتى لو دعا ذلك إلى ذلٍ ظاهر وهذا ما أكده الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«الْعِزُّ أَنْ تَذِلَّ لِلْحَقِّ إِذَا لَزِمَكَ» (٦).

١- سورة فاطر، الآية: ١٠.

٢- سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

٣- غرر الحكم: ٨٢١٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٨، ح ١٢٨٢٥.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٠، ح ٦٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٨، ح ١٢٨٢٦.

٥- نهج البلاغة: الخطبة ٩٩. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٨، ح ١٢٨٢٩.

٦- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٢٨، ح ١٠٥. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٨، ح ١٢٨٣١.

٥ اتخاذ الصدق صفه ثابتة فى قولك وفعلك، وأن تحرص على التزود بالعلم؛ لما ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام إذ يقول: «الصدق عزٌّ، وَالْجَهْلُ ذُلٌّ» (١).

٦ التحلى باحترام الخلق وعدم العدوان عليهم كما جاء فى حديث الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حيث يقول: «شَرَفُ الْمُؤْمِنِ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ كَفُّ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ» (٢).

٧ التحلى بالأخلاق الحميدة والترفع عن الشرثه والخوض فى الباطل والتنزه عن اللغو يوجب العز كما ورد ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«حُسْنُ خُلُقِ الْمُؤْمِنِ مِنَ التَّوَاضُّعِ...، وَعِزُّهُ تَرْكُ الْقَالِ وَالْقِيلِ» (٣).

٨ ضبط النفس وتجرع الغيظ يؤدى إلى العز كما أكد ذلك الإمام على عليه السلام بقوله:

«لَا عِزَّ أَرْقَعَ مِنَ الْحِلْمِ» (٤).

٩ هجر المعاصى والتلبس بالطاعات يوجب عزاً ليس كمثلته عز كما أكد ذلك الأئمة الأطهار عليهم السلام فى أقوالهم:

«مَنْ أَرَادَ عِزًّا بِلَا عَشِيرَةٍ، وَغِنًى بِلَا مَالٍ، وَهَيْبَةً بِلَا سُلْطَانٍ، فَلْيُنْقِلْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ» (٥).

١- تحف العقول: ص ٣٥٦. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٨، ح ١٢٨٣٣.

٢- الخصال: ص ٦، ص ١٨. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٨، ح ١٢٨٣٤.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٦٨، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٩، ح ١٢٨٣٥.

٤- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٤١٤، ح ٣٢. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٩، ح ١٢٨٣٦.

٥- الخصال: ص ١٦٩، ح ٢٢٢. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٩، ح ١٢٨٤٠.

وقال الإمام على عليه السلام:

«مَنْ أَرَادَ الْغِنَى بِلَا مَالٍ، وَالْعِزَّ بِلَا عَشِيرَةٍ، وَالطَّاعَةَ بِلَا سُلْطَانٍ، فَلْيُخْرِجْ مِنْ ذَلِكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ؛ فَإِنَّهُ وَاجِدٌ ذَلِكَ كُلَّهُ» (١).

١٠ الشعور بالمملوكية الحقه لله تعالى، والاعتقاد بأنه تعالى هو من يدير أمورك ويدبر شؤونك ويعطيك عزاً وفخراً، وهذا ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِلَهِي كَفَى بِي عِزًّا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدًا، وَكَفَى بِي فَخْرًا أَنْ تَكُونَ لِي رَبًّا» (٢).

١١ إلزام النفس وتأديبها على الاستغناء عما في أيدي الناس يحقق العز الحقيقي، وهذا ما نلمسه في قول إمامنا الصادق عليه السلام إذ يقول:

«لَا يَزَالُ الْعِزُّ قَلْقًا حَتَّى يَأْتِيَ دَارًا قَدِ اسْتَشَعَرَ أَهْلُهَا الْيَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَيُوطِنُهَا» (٣).

١٢ عندما تكون طرفا في جدال أو نزاع أو غير ذلك لا تكابر ولا تأخذك العزه بالإثم بل عليك قبول الحق وإنصاف الناس من نفسك فإن ذلك يلبسك عزاً لا مثيل له وهذا ما نصحنه به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«أَلَا إِنَّهُ مَنْ يُنْصِفُ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا عِزًّا» (٤).

١٣ التسامح والعفو يحتاج إلى نفس مملوءه بالإيمان تحرص على النجاه في الآخرة، فلذا من طلب النجاه من ذل الدنيا والآخرة فليعف، وهذا أرشدنا إليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

١- تنبيه الخواطر: ج ١، ص ٥١. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٩، ح ١٢٨٤١.

٢- الخصال: ص ٤٢٠، ح ١٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٠٠، ح ١٢٨٥٢.

٣- كشف الغمّة: ج ٢، ص ٤١٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٠٠، ح ١٢٨٥٤.

٤- الكافي: ج ٢، ص ١٤٤، ح ٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٠١، ح ١٢٨٥٨.

«مَنْ عَفَا مِنْ مَظْلَمِهِ أَبَدَلَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (١).

١٤ إذا كنت ترى الاستعلاء سمواً والاعتداد بالنفس مع الله تعالى علواً، وتحصيل الحرام مكسباً فإنك مخطئ مخالف لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول:

«ثَلَاثَةٌ لَا يَزِيدُ اللَّهُ بِهِنَّ إِلَّا خَيْرًا: التَّوَاضُّعُ لَا يَزِيدُ اللَّهُ بِهِ إِلَّا ارْتِفَاعًا، وَذُلُّ النَّفْسِ لَا يَزِيدُ اللَّهُ بِهِ إِلَّا عِزًّا، وَالتَّعَفُّفُ لَا يَزِيدُ اللَّهُ بِهِ إِلَّا غِنًى» (٢).

١٥ اللسان يطيح بصاحبها ويورده الهلكة وتلبسه الذل إلا إذا صانه من الزلل والخنا والفحش والبذاءة ومن كل قول سيئ وهذا ما أوصى به الإمام الكاظم عليه السلام رجلاً طلب منه الوصية في دينه فقال:

«إِحْفَظْ لِسَانَكَ تَعِزًّا، وَلَا تَمَكِّنِ النَّاسَ مِنْ قِيَادِكَ فَتَذِلَّ رَقَبَتُكَ» (٣).

١٦ إذا عصفت بك البلياء وأصابتك المصائب فتحلى بالصبر فإن فيه عزاً يدخلك الجنة، وهو ما أمر به الإمام الباقر عليه السلام إذ يقول:

«مَنْ صَبَرَ عَلَى مُصِيبِهِ زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ عِزًّا عَلَى عِزِّهِ، وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ» (٤).

١٧ ورد في الحديث أن القناعه كنز لا يفنى؛ لما فيها من رفض لعبوديه الشهوات ورفض لذل الطمع والجشع، فلذا جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ قَنَعَتْ نَفْسُهُ عِزًّا مُعْسِرًا، مَنْ شَرِهَتْ نَفْسُهُ ذُلًّا مُوسِرًا» (٥).

١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٢١، ح ٢٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٠١، ح ١٢٨٦٠.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٢٣، ح ٢٢. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٠١، ح ١٢٨٦١.

٣- الكافي: ج ٢، ص ١١٣، ح ٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٠٢، ح ١٢٨٦٣.

٤- بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ١٢٨، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٠٢، ح ١٢٨٦٧.

٥- غرر الحكم: ٨٤٣٩، ٨٤٤٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٠٢، ح ١٢٨٧٢.

١٨ التفرقة والتشتت علامه الفشل وذهاب الريح، والألفه والتوحد علامه النجاح وقوه المجموعه، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«وَالعَرَبُ اليَوْمَ وَإِنْ كانوا قَلِيلًا، فَهَمَّ كَثيرونَ بِالإِسلامِ، عَزيزونَ بِالإِجتماعِ» (١).

١٩ ثبت في محله أن غير المعصومين عليهم السلام ليس بمعصوم عن الخطأ وعن السهو والنسيان، وهذا يعني أن كثيراً من الناس قد يقع منه الخطأ في تخطيطه أو تفكيره أو قوله أو فعله مما يدعو إلى ضروره اللجوء إلى الدعاء للتسديد والنجاح، فمثلا هناك من يفكر ويضع الخطط الكثيره لينال السلطه أو الجاه أو العظمه أو المال إلا أنه يفشل فشلاً ذريعاً بسبب خطئه في تخطيطه أو تفكيره فيبقى حائراً ماذا يصنع، وهناك من يرى أن الأسباب الظاهريه هي التي تكسبه العزه والعظمه لكنه لا يصل إلى مبتغاه لسلكه الأسباب الواهيه، فإذن لا بد من اللجوء والاستعانه بالله تعالى الذي هو بكل شيء محيط وعلى كل شيء قدير؛ ليسدنا ويرفعنا وهذا ما أشارت إليه الأدعيه الشريفه كما في إقبال الأعمال في الدعاء يوم العشرين من شهر رمضان المبارك :

«اللَّهُمَّ وفي صُدورِ الكافِرِينَ فَعَظَّمَنِي، وفي أعينِ المُؤمِنِينَ فَجَلَّلَنِي، وفي نَفْسِي وأهلِ بَيْتِي فَذَلَّلَنِي» (٢).

وجاء في إقبال الأعمال أيضا:

«وفي نَفْسِي فَذَلَّلَنِي وفي أعينِ النَّاسِ فَعَظَّمَنِي» (٣).

٢٠ لكي نحافظ على العزه التي وهبها الله تعالى لنا لا بد من التحلي بالتواضع والتذلل الباطني لله تعالى والشعور بالفقر والحاجه الدائمه للغنى المطلق جل وعلا وهذا

١- نهج البلاغه: الخطبه: ١٤٦. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٦٠٣، ح ١٢٨٧٦.

٢- إقبال الأعمال: ج ١، ص ٣٥٥. بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٥١. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٦٠٣، ح ١٢٨٧٧.

٣- إقبال الأعمال: ج ١، ص ٣٠٦. بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٤٧. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٦٠٣، ح ١٢٨٧٨.

ما ورد فى أذعه أهل البيت عليهم السلام:

«وَدَلَّنِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَغَزَّنِي عِنْدَ خَلْقِكَ، وَصَغَّنِي إِذَا خَلَوْتُ بِحُكِّكَ، وَأَرْفَعُنِي بَيْنَ عِبَادِكَ، وَأَغْنِنِي عَمَّنْ هُوَ غَنَى عَنِّي، وَزِدْنِي إِلَيْكَ فَاقَةً وَفَقْرًا»^(١).

الإمام وعلم الغيب

إشارة

العِلْمُ فى اللغة: هو إدراك الشىء بحقيقته، واليقين، نور يقذفه الله فى قلب من يحب ويطلق العلم على مجموع المسائل والأصول الكليه جمعها جهه واحده^(٢).

الغيب فى اللغة: هو إدراك حقيقه الأشياء الغائبه عن الإنسان أو غيره من المخلوقات.

وردت آيات كريمه كثيره تشير إلى أن علم الغيب علم مختص بالله تعالى يهبه إلى عباده الذين ارتضى لهم ذلك لحكمه هو يعلمها كما جاء ذلك فى قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(٣).

وقوله تعالى:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا

١- الصحيفه السجديه: ص ١٩٨، الدعاء ٤٧. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٦٠٣ ٢٦٠٤، ح ١٢٨٨٠.

٢- المعجم الوسيط: ص ٦٢٤.

٣- سوره النمل، الآية: ٦٥.

٤- سوره هود، الآية: ٤٩.

تَشْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (١).

وقوله تعالى:

(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) (٢).

ووردت آيات كريمه أخرى تشير إلى وقوع بعض الحوادث والأمر في الزمن المستقبل كما في قوله تعالى:

(الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعَدَّ اللَّهُ لِمَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٣).

وقوله تعالى:

(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ جِدَ الْحَرَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) (٤).

كما وردت أحاديث شريفه تشير إلى وقوع حوادث وأمر مستقبله كما في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لِنِسَائِهِ وَهُنَّ عِنْدَهُ جَمِيعًا:

١- () سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

٢- سورة الجن، الآيتان: ٢٦ و ٢٧.

٣- سورة الروم، الآيات: ١ إلى ٦.

٤- سورة الفتح، الآية: ٢٧.

«لَيْتَ شِعْرِي! أُتَيْتُكَنَّ صَاحِبَهُ الْجَمَلِ الْأَدَبِ (١) تَتَّبِعُهَا كِلَابُ الْحَوَابِ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا قَتْلَى كَثِيرَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ، وَتَنْجُو بَعْدَ مَا كَادَتْ؟!» (٢).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (قال لأزواجه:

«أُتَيْتُكَنَّ التِي تَتَّبِعُهَا كِلَابُ الْحَوَابِ؟!».

فَلَمَّا مَرَّتْ عَائِشَةُ بَبْحِ الْكِلَابِ، فَسَأَلَتْ عَنْهُ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا مَاءُ الْحَوَابِ، قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً، قِيلَ لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا تُصَلِّحِينَ بَيْنَ النَّاسِ! (٣).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا لَقِيَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالزُّبَيْرَ فِي سَقِيْفِهِ بَنِي سَاعِدَةَ:

«أَتُحِبُّهُ يَا زُبَيْرُ؟»

قَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي؟! قَالَ:

فَكَيْفَ بِكَ إِذَا قَاتَلْتَهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ؟! (٤).

وجاء في كنز العمال (عن حذيفه: عليكم بالفئة التي فيها ابن سمية؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

«تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ» (٥).

وجاء أيضا في كنز العمال (عن أم سلمة: دَخَلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا جَالِسَةٌ عَلَى الْبَابِ، فَتَطَلَّعْتُ فَرَأَيْتُ فِي كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى

١- الأدب: الكثير الشعر (كما في هامش المصدر).

٢- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٩، ص ٣١١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٧٠، ح ١٥٣٩٧

٣- التشریف بالمنن: ص ٧٦، ح ١٨. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٧٠ ٣٠٧١، ح ١٥٣٩٩.

٤- كنز العمال: ٣١٦٥١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٧١، ح ١٥٤٠٠.

٥- كنز العمال: ٣١٧١٩، والظاهر أن الأخبار في هذا المعنى متواتره، فراجع كنز العمال: ج ١١، ص ٧٢٣ ٧٢٨. ميزان الحكمة: ج ٧،

ص ٣٠٧١، ح ١٥٤٠٢.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا يُقَلِّبُهُ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى بَطْنِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَطَلَّعْتُ فَرَأَيْتُكَ تُقَلِّبُ شَيْئًا فِي كَفِّكَ وَالصَّبِيُّ نَائِمٌ عَلَى بَطْنِكَ وَدُمُوعُكَ تَسِيلُ! فَقَالَ:

«إِنَّ جِبْرَائِيلَ أَتَانِي بِالتُّرْبَةِ الَّتِي يُقْتَلُ عَلَيْهَا فَأَخْبِرَنِي أَنَّ أُمَّتِي يَقْتُلُونَهُ» (١).

وهناك الكثير من الأحاديث الشريفه التي تؤكد أن كثيراً من الأمور الغائبه عن الناس ستحدث مستقبلاً وهذا يدل على أن الله تعالى أطلع نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الغيب لإكمال حجته على الناس ولحكمه أخرى لا يعلمها إلا الله تعالى ورسوله وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام.

ولكى يتضح المطلوب لابد من الوقوف على النقاط التاليه:

١ أن علم الغيب مختص بالله تعالى كما فى قوله تعالى:

(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) (٢).

٢ أن الله تعالى يطلع أنبياءه ورسله على ذلك الغيب كما فى قوله تعالى:

(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) (٣).

٣ أن الله تعالى أطلع نبيه على الغيب وحسب ما تقتضيه الحكمة كما فى قوله تعالى:

(تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) (٤).

١- كنز العمال: ٣٧٦٦٨. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٧١، ح ١٥٤٠٥.

٢- سورة الجن، الآية: ٢٦.

٣- سورة الجن، الآيتان: ٢٦ و ٢٧.

٤- سورة هود، الآية: ٤٩.

(الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِتْرَيْنِ لَلَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَبْعُدْ وَيَوْمَئِذٍ يَنْفِرُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِبَصِيرَةٍ وَاللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعَدَّ اللَّهُ لِمَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١).

٤ أن الله تعالى أطلع نبيه على الغيب وحسب ما تقتضيه الحكمة كما في الأحاديث الشريفة.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ضَلَّتْ نَاقَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ فِيهَا: يُخْبِرُنَا عَنِ السَّمَاءِ وَلَا يُخْبِرُنَا عَنْ نَاقَتِهِ! فَهَبَطَ عَلَيْهِ جِبْرَائِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، نَاقَتُكَ فِي وَادِي كَذَا وَكَذَا، مَلْفُوفٌ خِطَامُهَا بِشَجَرِهِ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: فَصَعِدَ الْمِئْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَكْثَرُتُمْ عَلَيَّ فِي نَاقَتِي، أَلَا وَمَا أَعْطَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنِّي، أَلَا وَإِنَّ نَاقَتِي فِي وَادِي كَذَا وَكَذَا، مَلْفُوفٌ خِطَامُهَا بِشَجَرِهِ كَذَا وَكَذَا.

فَابْتَدَرَهَا النَّاسُ فَوَجَدُوهَا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (٢).

وقال عليه السلام:

«ضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: يُخَيِّدُنَا عَنِ الْغَيْبِ وَلَا يَعْلَمُ مَكَانَ نَاقَتِهِ! فَأَتَاهُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالُوا، وَقَالَ: إِنَّ نَاقَتَكَ فِي شَجَرِ كَذَا، مُتَعَلِّقٌ زِمَامُهَا بِشَجَرِهِ بِحَرِّ، فَنَادَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، قَالَ: فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَقَالَ: أَيُّهَا

١- سورة الروم، الآيات: ١ إلى ٦.

٢- بحار الأنوار: ج ١٨، ص ١٢٩، ح ٣٨. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٨٣، ح ١٥٤٥٧.

النَّاسُ، إِنَّ نَاقَتِي بِشَعْبِ كَذَا، فَبَادَرُوا إِلَيْهَا حَتَّى أَتَوْهَا» (١).

٥ أن الله تعالى أطلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه على الغيب وحسب ما تقتضيه الحكمة والحاجه كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَخْبَرَنِي الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنِّي أَمُوتُ حَتَّى أُضْرَبَ عَلَى هَذِهِ وَأُشَارَ إِلَى مُقَدَّمَ رَأْسِهِ الْأَيْسَرِ فَتُخَضَّبُ هَذِهِ مِنْهَا بِدَمٍ» (٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يَا عَلِيُّ، إِنَّكُمْ سَيَتَقَاتِلُونَ بَنِي الْأَضْيَافِ، وَيُقَاتِلُونَهُمُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِكُمْ، حَتَّى، يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ رَوْقَةُ الْإِسْلَامِ أَهْلُ الْحِجَازِ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، وَيَفْتَتِحُونَ الْقُسْطَ ظَهْرًا بِالتَّشْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ، فَيَصِيبُونَ غَنَائِمَ لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهَا» (٣).

٦ الإمام يعلم ما غاب عن الناس بتعليم من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كما أكد ذلك الإمام على عليه السلام بقوله:

«يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمٍ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ:

(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) (٤).

فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا، أَوْ فِي الْجَنَّةِ اللَّبِيِّينَ مُرَافِقًا،

١- قصص الأنبياء: ص ٣٠٨، ح ٤٠٨. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٨٣، ح ١٥٤٥٩.

٢- كنز العمال: ح ٣٦٥٧١، وأنظر أيضا: ح ٣٥٥٧٦، ح ٣٦٥٧٧، ح ٣٦٥٨٠، ح ٣٦٥٨٧، ح ٣٦٥٩٠ ومنه، ج ١٣، ص ١٩٢ وما بعدها، وأيضا: تاريخ دمشق (ترجمه الإمام على عليه السلام): ج ٣، ص ٢٦٦ ٢٦٨، و ص ٢٧٨، و ص ٢٨٦ ٢٨٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٧٢، ح ١٥٤٠٧.

٣- كنز العمال: ٣٨٤١٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٧٢، ح ١٥٤٠٨.

٤- سورة لقمان، الآية: ٣٤.

فهذا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمُ اللَّهِ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضَطَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي» (١).

٧ الإمام يعلم ما غاب عن الناس بتعليم من الله تعالى وهذا ما أكدته الإمام الصادق عليه السلام بقوله لَمَّا سُئِلَ: هل يعلم الإمام بالغيب؟ قال:

«لَا، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ» (٢).

٨ الإمام يعلم ما غاب عن الناس إذا علمه الله تعالى وإذا منع ذلك فلا يعلم من دون الله تعالى كما أشار إلى ذلك الإمام الكاظم عليه السلام بقوله، لَمَّا سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ: أَتَعْلَمُونَ الْغَيْبَ؟:

«يُسَيِّطُ لَنَا الْعِلْمُ فَنَعْلَمُ، وَيُقْبِضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَمُ، وَقَالَ سَيَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسِيرَهُ إِلَى جَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَسْرَهُ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَسْرَهُ مُحَمَّدٌ إِلَى مَنْ شَاءَ اللَّهُ» (٣).

فتحصل لما تقدم أن الإمام يعلم الغيب بتعليم من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم حسب ما تقتضيه الحكمة والحاجة.

سؤال مهم

السؤال: لماذا يجب أن يكون الإمام أعلم الناس؟ ولماذا يعلم الأمور الغائبة عن الناس؟

الجواب: ١- لا- يصح أن يكون الجاهل إماما على الناس لمخالفته ذلك للعقل والنقل، فمن جهة العقل يحكم بوجوب تقديم الفاضل على المفضول والعالم هو الفاضل والجاهل مفضول فلا يصح أن يتقدم على العالم،

١- نهج البلاغه، الخطبه: ١٢٨. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٨٤، ح ١٥٤٦٠.

٢- الكافي: ج ١، ص ٢٥٧، ح ٤. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٨٤، ح ١٥٤٦١.

٣- الكافي: ج ١، ص ٢٥٦، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٨٤، ح ١٥٤٦٢.

فى قوله تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (١).

كما أن العقل يحكم بوجوب رجوع الجاهل إلى العالم لا بالعكس:

(قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (٢).

وأما من جهة النقل فالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تمنع ذلك كما فى قوله تعالى:

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (٣).

وقوله تعالى:

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (٤).

٢ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِحِلَالِ اللَّهِ وَحَرَامِهِ وَضُرُوبِ أَحْكَامِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ، (فِيحْتَاجُ النَّاسِ إِلَيْهِ) وَيَسْتَغْنَى عَنْهُمْ» (٥).

فى هذا الحديث تصريح بوجوب أعلميه الإمام على الناس لحاجه الناس إليه فى كل شؤون الحياه ولاستغنائه عنهم، وإلا يلزم عجزه عن علمه بما يحتاج إليه الناس كما يلزم منه أن يكون فى الناس من هو أفضل منه فلا يستحق حينها الإمامه على الناس، كما لا يكون له حجه عليهم.

١- سورة النحل، الآية: ٤٣.

٢- سورة يونس، الآية: ٨٩.

٣- سورة الزمر، الآية: ٩.

٤- سورة المجادلة، الآية: ١١.

٥- بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ١٦٤. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ١٥٩، ح ٨٦١.

علم الغيب وفوائده

قبل التعرض إلى هذا البحث العقائدى الذى ارتكز عليه إيمان الفرد من خلال تسليمه لما جاءت به الرسل عن الغيب الإلهى كالإيمان بالملائكة والعرش والكرسى والبعث والنشور والجنه والنار، نريد أن نقف على المعنى اللغوى ل(الغيب) وكذلك المعنى الاصطلاحى:

الغيب فى اللغة: غاب: غيبا وغيبه وغيوبه وغياباً: خلاف شهد وحضر، يقال غاب فلان: بَعُدَ، وغاب فلان عن بلده: سافر، وغابت الشمس: غربت واستترت عن العين، ويقال غاب الشئ فى الشئ: توارى فيه، غاب عنه الأمر: خفى، غيبوبه: فقد وعيه أو حسد، الغَيْبَة: ذكر عيوب المرء المستوره من ورائه ويسوؤه ذكرها.

الغيب: كل ما غاب عن الإنسان سواء أكان مُحَصَّلاً فى القلوب أم غير محصّل (١).

الغيب فى الاصطلاح: هو كل ما خفى خبره من أسرار قصص الماضى كالتى تحدث عنها القرآن الكريم كقصص الأنبياء السابقين كما فى قوله تعالى:

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) (٢).

أو هو كل ما لم يستطيع الإنسان معرفته من الغيب الإلهى كالكرسى والعرش والبعث والنشور والجنه والنار وغير ذلك وهذا ما أشارت إليه الآيه الشريفه فى قوله تعالى:

١- المعجم الوسيط: ص ٦٦٧.

٢- سوره يوسف، الآيه: ٣.

قال الله تبارك وتعالى:

(اللَّهُ لَمَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (١).

وقال عز وجل أيضا:

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (٢).

وقال تعالى:

(وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) (٣).

قال الله تبارك وتعالى:

(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا) (٤).

وقوله تعالى:

(الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ) (٥).

١- سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

٢- سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

٣- سورة الحج، الآية: ٧.

٤- سورة الفرقان، الآية: ٣.

٥- سورة الأنبياء، الآية: ٤٩.

هذه الآيات المتقدمه هي من الغيب الذى يجب أن يؤمن به الإنسان فلذا أشار الله تبارك وتعالى إليه فى الآيه الكريمة:

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (١).

وغير ذلك.

وحيث إن الإنسان خلق لغايه ساميه إلا وهى معرفه الله تعالى وعبادته وطاعته والتسليم إليه كما فى قوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (٢).

لينال بذلك سعادته وفوزه فى الدنيا والآخره كما فى قوله تعالى:

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٣).

وقوله تعالى:

(يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (٤).

وغيرها من الآيات الكريمة التى تؤكد هذا المعنى، فصار لا بد له من معرفه مبدئه ومعاده وهذا لا يتم إلا من خلال الإيمان بما جاءت به رسل الله تعالى كما أشارت إلى ذلك الآيات الكريمة فى سورة البقره:

١- سورة البقره، الآيه: ٣.

٢- سورة الذاريات، الآيه: ٥٦.

٣- سورة النساء، الآيه: ١٣.

٤- سورة الأحزاب، الآيه: ٧١.

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١).

فوائد الإيمان بالغيب

إن للإيمان بالغيب دوراً مهماً في عقيدة المؤمن بل لا إيمان للإنسان دون ذلك، ولذا أصبح الحديث عن الغيب وعلاقته بإيمان الفرد من الضروريات التي لا يستغنى عنها مؤمن يهتم بإيمانه، والذي يتأمل ويتدبر الآيات الكريمة التي تتحدث عن الغيب يقف على أهميته هذا الأمر وفائدته وتأثيره في نفوس العقلاء الذين ينشدون الحقيقة، ولكي نقف على بعض الفوائد التي تظهر من الآيات الكريمة التي تذكر لنا ما غاب عنا من أخبار الماضين ونشير إلى ما فيها من فوائد باختصار.

ألف: الآيات التي تذكر أخبار ما غاب عنا من قصص الأمم السالفة:

١ (وَكَمْ قَصِيْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَٰئِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ) (٢).

٢ (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هِيَ الذِّمَّةُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ

١- سورة البقرة، الآيات: ٣ و ٤ و ٥.

٢- سورة الأنبياء، الآيات: ١١ إلى ١٥.

لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ
لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا
فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ
كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَصَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَمَّا سَأَلُوا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ
(٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا
حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)

٣ (وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لِنُوحٍ أَنَّهُ كَانَ يُفْعَلُونَ (٣٦) وَأَصْبَحَ الْفُلُكُ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا
تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلُكُ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ
مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا
احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا

قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَأْوَىٰ إِلَىٰ جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَفِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (١).

٤ (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَحَدَّثْنَا عَلَيْهٖ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أُلْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ

قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِغُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيَحْقُقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢) فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣) وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبَلَهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧) وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَأَسِدْتُمْ قِيمًا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَعْثًا وَعِيدًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) أَلَا أَنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُجْزِيكَ بِبَدْنِكَ لَنْتُكَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩١).

٥ (وَإِلَى عِيَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لِمَا أَسَأَلْتُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ

مَدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسِيخِلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧) وَلَمَّا حَرَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوْدًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي كُنَّا نُزِّلُهَا عَلَيْكَ يَا مَعْشَرَ الْبَشَرِ لِيُحَدِّثُوا عَلَيْهَا وَلَقَدْ عَلَّمْنَا لُغَةَ الْعَرَبِ لِقَوْمِهَا وَكُنَّا مُبْدِعِينَ (٥٩) وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُوْدٍ (١).

٦ (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسِيءُوا فَاسْتَعْذَبُواهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَإِنَّ رَبِّي لَقَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوْهَا فَصَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَيْدٌ غَيْرٌ مَكْدُوبٍ (٦٥) فَلَمَّا حَرَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا

وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْرَبُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (١).

الباقه العطره الأولى: (سوره الأنبياء، الآيات: ١١١٥)

فوائد

١ فى هذه الآيات الكريمة تصريح بجمع المجاميع الضاله واستبدالهم بمن هم عادلون وحسنو السيره والسلوك، قال الله سبحانه وتعالى:

(وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَوْمٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ) (٢).

٢ يظهر أن بعض الناس لا يرجع عن غيه إلا بعد أن يشعر بقرب الردع والتأديب، قال الله تعالى:

(فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) (٣).

٣ فيها إشاره إلى أن الترف سبب من أسباب الظلم أحياناً فلينتبه المترفون ويسخروا ما لديهم من نعمه فى طاعه الله تعالى.

(لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) (٤).

٤ الإقرار بالظلم دون الإقلاع عنه لا يدفع العذاب عن الظالمين، قال الله تبارك وتعالى:

١- سوره هود، الآيات: ٦١ إلى ٦٨.

٢- سوره الأنبياء، الآية: ١١.

٣- سوره الأنبياء، الآية: ١٢.

٤- سوره الأنبياء، الآية: ١٣.

(قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ) (١).

الباقه العطره الثانيه (سوره إبراهيم، الآيات: ٥١ ٤٩)

فوائد

١ لا يصلح لقياده الأمه إلا الراشد حسب الموازين الشرعيه، قال الله تبارك وتعالى:

(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) (٢).

٢ فى هذه الآيه الكريمه:

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) (٣).

إشاره إلى:

ألف: لا يمنع أن يكون الولد حجه على أبيه أو عمه أو من هو أكبر منه سنا طالما يمتلك الأهليه لذلك.

باء: إن هذه الأصنام ما هى إلا تماثيل مثلها صانعوها فهى مخلوقه حادثه عاجزه لا تضر ولا تنفع بل لا تدفع عن نفسها ضرراً أو تجلب لنفسها نفعاً، وكل من هذه صفته لا يستحق أن يكون معبوداً لغيره.

جيم: فى هذه الآيه شعور بالاستغراب والتعجب من قوم يلتزمون بعباده تماثيل بالرغم من عدم نفعها.

١- سوره الأنبياء، الآيتان: ١٤ و ١٥.

٢- سوره إبراهيم، الآيه: ٥١.

٣- سوره إبراهيم، الآيه: ٥٢.

٣ فى هذه الآيه تصريح بالتقليد الأعمى الذى يرفضه الشرع المقدس.

(قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) (١).

٤ فى هذه الآيه:

(قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (٢).

إشاره إلى:

ألف: أن ضلال الآباء اكتسبه الأبناء مما يدل على تأثير الآباء فى الأبناء، فلذا ينبغى بالآباء أن يكونوا قدوة صالحه للأبناء.

باء: وقوع الأبناء فى الضلال لا يبرره شىء، فلذا يستحقون العقوبه على ذلك.

جيم: لم يكن وقوعهم فى الضلال نتيجة رؤيه ضبايهه أو شبهه غير واضح بل هو انحراف واضح ظاهر.

٥ فى هذه الآيه:

(قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ) (٣).

إشاره إلى:

ألف: عدم صحه نقض الأفكار الباطله بمثلها، بل لابد من نقضها بأفكار صحيحه تجسد الحق الذى لا ريب فيه.

باء: عدم صحه اللعب فى الأمور المهمه كبيان العقائد الحقه.

جيم: ذم اللعب بالباطل.

١- سورة إبراهيم، الآيه: ٥٣.

٢- سورة إبراهيم، الآيه: ٥٤.

٣- سورة إبراهيم، الآيه: ٥٥.

٦ في هذه الآية:

(قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (١).

إشاره إلى:

ألف: إرشاد إلى مدبر المخلوقات ألا- وهو الله سبحانه، بل هو تعالى رب هذه التماثيل كما هو رب عبادةها ورب السماوات والأرضين.

باء: شهادة إبراهيم عليه السلام شهاده بصيره وبصر، وشهاده ظاهر وباطن، وشهاده قول وفعل.

٧ في هذه الآية يؤكد إبراهيم عليه السلام ضعف هذه الأصنام وعجزها، فهي لا تدفع عن نفسها ضرراً لو خليت ونفسها دون أن يجمعها أحد.

(وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) (٢).

٨ في هذه الآية أكد إبراهيم عليه السلام عملياً عجز هذه الأصنام وعدم أهليتها للألوهية.

(فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلاَّ كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ) (٣).

٩ في الآيات الكريمة (٥٩ ٦٩):

(قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا

١- سورة إبراهيم، الآية: ٥٦.

٢- سورة إبراهيم، الآية: ٥٧.

٣- سورة إبراهيم، الآية: ٥٨.

أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١).

نستفيد منها ما يلي:

ألف: أن إبراهيم عليه السلام نبى رغم كونه فى عمر الفتوه، فيظهر من هذه الآيه ومن غيرها أن العمر الزمنى لا يكون حائلا بين النبوه وصاحبها طالما تتوفر فيه المؤهلات لذلك.

باء: لم يقدموا على معاقبه إبراهيم عليه السلام قبل أن يحاكموه وبحضور شهود عليه.

جيم: كان جواب إبراهيم عليه السلام تأكيداً لعجز هذه الأصنام عن فعل أى شىء وقوله.

دال: لم يكن رد إبراهيم عليه السلام كذباً بل كان قوله صدقا. (أنظر الاحتجاج)

هاء: إذا كانت المحاججه بين مشرك ومسلم بهذه الطريقه الجيده، فالأولى أن تكون بين أصحاب الدين الواحد عند اختلافهم فى بعض المسائل العقائديه أو الفقيهيه دون اللجوء إلى التكفير أو الإقصاء والسخرية.

ص: ٢١٧

الخطبه السادسه عشره

اشاره

وفيها يذكر منزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يصف أهل بيته وأصحابه، قال على بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

دنوتُ منه لأسمع ما يقول لهم، فسمعتُ أبي يقول لأصحابه:

نص الخطبه

إشاره

«أُثْبِتِي عَلَيَّ اللَّهُ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، وَأَحْمَدُهُ عَلَيَّ السَّرَاءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَيَّ أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالثُّبُوهِ وَعَلَّمْتَنَا الْقُرْآنَ وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّينِ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْنِدَةً، فَاجْعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصِيحَابًا أَوْفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصِيحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبْرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكُمْ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا، أَلَا وَإِنِّي لَا أَعْظُنُّ أَنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ لَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقُوا جَمِيعًا فِي حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ (١)، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا».

المعنى العام

أطرى وأمدح ربي خير مدح وإطراء، وأشكره في الرخاء والشده واليسر والعسر، اللهم إني أشكرك على النعمة التي جدت بها علينا إذ جعلت منا النبي وعرفتنا القرآن وفهمتنا وعرفتنا في الشريعة التي أنزلتها، ووهبتنا أذاننا نسمع بها الأصوات وأعيننا نبصر

١- الحِلُّ: المباح. والذِمَام: العهد والأمان والكفاله والحق والحرمة.

بها الأشياء وقلوباً وبصائراً، فاجعلنا من الشاكرين الحامدين لك على هذه النعم.

إنى لا- أعرف مرافقين وأتباعاً أكثر التزاماً بأداء عهدهم ولا أحسن صدقا فى وعدهم من أصحابى ولا أهل بيت وأسره أشفق والطف وأطوع من أهل بيتى، ولا أكثر عطاءً منهم، فأثابكم الله نيابه عنى حسن الدنيا والآخرة، ألا وإنى لأعتقد أن هذا اليوم هو آخر يوم من المهله التى أمهلنا إياها هؤلاء الأعداء، ألا وإنى قد رخصت لكم وسمحت لكم فاذهبوا كلكم فى إجازة وإباحة لكم ليس عليكم منى عهد وحق وحرمة، وهذا الليل قد غطاكم فاتخذوه جملاً أى سيروا فيه واستغلوا ظلمته.

شكر المنعم

إشاره

الشكر: هو عرفان النعمه وإظهارها والثناء بها(١)، لقد حكم العقل بوجوب شكر المنعم كما حث القرآن الكريم على ذلك تأييداً لحكم العقل الذى لا يتقاطع مع الشرع المقدس، وكذلك حث الأحاديث الشريفه على هذا الفعل الحسن الذى يثمر الزيادة فى النعمه.

قبل الخوض فى هذا الموضوع لابد لنا من الوقوف على حقيقه الشكر الذى ينبغى التعبده:

فأقول: الشكر هو أن يعرف العبد النعمه والمنعم لكى يعطيها حقها من الشكر وهذا ما أشار إليه الإمام العسكرى عليه السلام بقوله:

«لَا يَعْرِفُ النَّعْمَةَ إِلَّا الشَّاكِرُ، وَلَا يَشْكُرُ النَّعْمَةَ إِلَّا الْعَارِفُ»(٢).

وهذه المعرفه تتم من خلال الإقرار بأن النعمه من الله تعالى وحده لا شريك له، وهو ما صرح به الإمام الصادق عليه السلام:

١- المعجم الوسيط: ص ٤٩٠.

٢- أعلام الدين: ص ٣١٣. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٠، ح ٩٥٨٦.

«أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا مُوسَى، اشْكُرْنِي حَقَّ شُكْرِي، فَقَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَشْكُرُكَ حَقَّ شُكْرِكَ، وَلَيْسَ مِنْ شُكْرِ أَشْكُرُكَ بِهِ إِلَّا وَأَنْتَ أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ؟! فَقَالَ: يَا مُوسَى شَكَرْتَنِي حَقَّ شُكْرِي حِينَ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي» (١).

فإذا غفل العباد عن النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم وقعوا في الجحود وكفران النعمة، فلذا لا بد من معرفه النعم لكي يتسنى للعباد شكر المنعم الذي أنعم بها عليهم، وإلا لخرجوا من عنوان الإنسانيه إلى عنوان الحيوانيه كما أشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى ذلك بقوله:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى مَا أَبْلَاهُمْ مِنْ مَنَنِهِ الْمُتَتَابِعَهُ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَطَاهِرَهُ، لَتَصَيَّرُوا فِي مَنَنِهِ فَلَمْ يَحْيَ دُؤُوهُ، وَتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ، وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَةِ إِلَى حَيْدِ الْبَهِيمِيَّةِ، فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ:

(إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) (٢) «(٣).

أَسْئَلُهُ حَوْلَ الشُّكْرِ

السؤال: أوجب شكر المنعم أم مستحب؟

الجواب: إن شكر المنعم واجب لانفاق العقلاء على ذلك، إذ إن العقلاء اتفقوا على مدح الشاكر وذم التارك لذلك، وما يؤيد هذا القول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَوْ لَمْ يَتَوَاعَدِ اللَّهُ عِبَادَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، لَكَانَ الْوَاجِبَ إِلَّا يُعْصَى شُكْرًا

١- قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٦١، ح ١٧٨. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٣، ح ٩٦٠٣.

٢- سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

٣- الصحيحه السجديه: ص ٢٠، الدعاء ١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٦٨، ح ٩٥٧١.

السؤال: كيف يتم شكر المنعم؟

الجواب: ١ يجب شكر المنعم بما يناسب حاله لا بما يراه الشاكر، فيلزم من هذا وجوب معرفه المنعم أولاً، ومعرفه نوع الشكر الذى يريده فنأتى به كما يريد، فإن كان طاعه فطاعه وإن كان تركاً لمعصيه فترك المعصيه، وهذا ما أشار إليه الإمام على عليه السلام بقوله:

«شُكْرُ الْمُؤْمِنِ يَظْهَرُ فِي عَمَلِهِ، وَشُكْرُ الْمُنَافِقِ لَا يَتَجَاوَزُ لِسَانَهُ»(٢).

وقوله عليه السلام:

«شُكْرُ كُلِّ نِعْمَةٍ الْوَرَعُ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ»(٣).

٢ تقدم الكلام بوجوب معرفه النعمه أنها من الله تعالى فقط كما جاء ذلك فى قول الإمام الصادق عليه السلام لَمَّا سُئِلَ عَن شُمُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

(لَئِنْ شَكَرْتُمْ...)(٤).

«لِلشُّكْرِ عَلَى النُّعْمَةِ الظَّاهِرَةِ: نَعْمٌ، مَن حَمِدَ اللَّهَ عَلَى نِعْمِهِ وَشَكَرَهُ، وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ لَا مِنْ غَيْرِهِ (زَادَ اللَّهُ نِعْمَهُ)»(٥).

-
- ١- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٦٩، ح ٢١. ومن هنا أخذ القائل وقيل إنها لأمير المؤمنين عليه السلام: هَبِ الْبَعَثَ لَمْ تَأْتِنَا رُسُلُهُ وَجَاحِمَةَ النَّارِ لَمْ تُضْرَمِ أَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ الْمُسْتَحَقُّ حَيَاءُ الْعِبَادِ مِنَ الْمُنْعِمِ!؟
 - ٢- غرر الحكم: ٥٦٦١، ٥٦٦٢. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٤، ح ٩٦٠٥.
 - ٣- مشكاة الأنوار: ص ٣٥. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٤، ح ٩٦٠٨.
 - ٤- سورة إبراهيم، الآية: ٧.
 - ٥- تفسير العياشى: ج ٢، ص ٢٢٢، ح ٥. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٢، ح ٩٥٩٠.

وقوله عليه السلام:

«مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَهَا» (١).

وعنه عليه السلام قال:

«مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَعَرَفَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ» (٢).

٣ ينبغي أن يشكر العبد نعمه الله تعالى قلبا ولسانا، وهذا ما يؤكد قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَشَكَرَهَا بِقَلْبِهِ، إِلَّا اسْتَوْجَبَ الْمَزِيدَ فِيهَا قَبْلَ أَنْ يُظْهِرَ شُكْرَهَا عَلَى لِسَانِهِ» (٣).

وعنه عليه السلام قال:

«مَنْ شَكَرَ النِّعَمَ بِجَنَانِهِ اسْتَحَقَّ الْمَزِيدَ قَبْلَ أَنْ يُظْهِرَ عَلَى لِسَانِهِ» (٤).

٤ التحلى ببعض الصفات تعد شكراً لله تعالى على نعمه، وكما يلي:

ألف: العفو والمسامحة وترك الانتقام كما فى قول الإمام على عليه السلام:

«إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ» (٥).

باء: النظر إلى من هو أدنى منك كما فى قول أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب له إلى الحارث الهمداني:

١- الكافي: ج ٢، ص ٩٦، ح ١٥. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٥، ح ٩٦١٣.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٤٢٧، ح ٨. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٥، ح ٩٦١٤.

٣- أمالي الطوسي: ص ٥٨٠، ص ١١٩٧. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٢، ح ٩٥٩٢.

٤- غرر الحكم: ٩١٠٢. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٢، ح ٩٥٩٧.

٥- نهج البلاغة: الحكمة ١١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٤، ح ٩٦١٢.

«وَأَكْثَرُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَّلْتَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ» (١).

جيم: التحلى بالقناعة والرضا بعباء الله تعالى والتخلى عن الطمع والحرص، كما أكد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَشْكُرُ النَّاسَ أَفْنَعُهُمْ، وَأَكْفُرُهُمْ لِلنَّعْمِ أَجْشَعُهُمْ» (٢).

دال: شكر المخلوقين من أبواب شكر الله تعالى، هذا ما صرح به الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله:

«أَشْكُرُكُمْ لِلَّهِ أَشْكُرُكُمْ لِلنَّاسِ» (٣).

وقوله عليه السلام:

«يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِعَبْدٍ مِنْ عِبِيدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَشْكُرْتَ فُلَانًا؟ فَيَقُولُ: يَلُ شَكَرْتُكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: لَمْ تَشْكُرْنِي إِذْ لَمْ تَشْكُرْهُ» (٤).

هاء: الاعتقاد بالله تعالى والموالاه لأهل البيت عليهم السلام وإعانه المؤمنين هو باب من أبواب الشكر، كما جاء ذلك فى قول الإمام الرضا عليه السلام:

اعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَا تَشْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِشَيْءٍ بَعِيدٍ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، وَبَعِيدٍ الْاعْتِرَافِ بِحُقُوقِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مُعَاوَنَتِكُمْ لِإِخْوَانِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى دُنْيَاهُمْ» (٥).

واو: المواظبه على شكر النعم من خلال سجده الشكر ووضع الخد على التراب لتتعظ النفس وهى مستحبه عند حدوث كل نعمه أو تجددها أو عند ذكرها وقد فات

١- نهج البلاغه: الكتاب ٦٩. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٤، ح ٩٦١١.

٢- الإرشاد: ج ١، ص ٣٠٤. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٥، ح ٩٦١٩.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٩٩، ح ٣٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٦، ح ٩٦٢٠.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٩٩، ح ٣٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٩، ح ٩٦٣٧.

٥- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ١٦٩. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٦، ح ٩٦٢١.

شكرها وهذا ما أشارت إليه الأحاديث الشريفه:

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي سَفَرٍ يَسِيرُ عَلَى نَاقِهِ لَهُ، إِذْ نَزَلَ فَسَجَدَ خَمْسَ سَجَدَاتٍ، فَلَمَّا أَنْ رَكِبَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا رَأَيْنَاكَ صَنِعْتَ شَيْئًا لَمْ تَصْنَعْهُ! فَقَالَ: نَعَمْ، اسْتَقْبَلَنِي جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَشَّرَنِي بِبِشَارَاتٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ شُكْرًا لِكُلِّ بُشْرَى سَجْدَةً» (١).

وجاء في الكافي عن هشام بن أحمد:

(كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ إِذْ ثَنَى رِجْلَهُ عَنْ دَائِبَتِهِ فَخَرَّ سَاجِدًا، فَأَطَالَ وَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَرَكِبَ دَائِبَتَهُ، فَقُلْتُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ، قَدْ أَطَلْتَ السُّجُودَ؟! فَقَالَ:

«إِنِّي ذَكَرْتُ نِعْمَةَ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيَّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشْكُرَ رَبِّي» (٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِذَا ذَكَرَ أَحَدُكُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَضَعْ خَدَّهُ عَلَى التُّرَابِ شُكْرًا لِلَّهِ، فَإِنْ كَانَ رَاكِبًا فَلْيُنْزِلْ فَلْيَضَعْ خَدَّهُ عَلَى التُّرَابِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَفْسِدِرُ عَلَى التُّرَابِ لِلشُّهْرِ فَلْيَضَعْ خَدَّهُ عَلَى قَرْبُوسِهِ، وَإِنْ لَمْ يَفْسِدِرْ فَلْيَضَعْ خَدَّهُ عَلَى كَفِّهِ، ثُمَّ لِيَحْمِدِ اللَّهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» (٣).

زاي: إن ترد على من أنعم عليك بأكثر مما أنعم عليك وليس بمقدار ما أنعم عليك، وهذا ما صرح به الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صُنِعَ إِلَيْهِ فَإِنَّمَا كَافَأَ، وَمَنْ أَضْعَفَ كَانَ شَاكِرًا» (٤).

١- الكافي: ج ٢، ص ٩٨، ح ٢٤. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٦، ح ٩٦٢٢.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٩٨، ح ٢٦. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٦، ح ٩٦٢٣.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٩٨، ح ٢٥. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٦، ح ٩٦٢٤.

٤- معاني الأخبار: ص ١٤١، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٩، ح ٩٦٣٦.

حاء: الثناء على الله تعالى المنعم باللسان وهذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«ما أنعم الله على عبده بنعمه صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله، إلا أدى شكرها» (١).

طاء: يجب شكر الله تعالى باللسان والقلب معاً في السراء والضراء وهذا ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يَسِيرُهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ، وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يَعْتَمُّ بِهِ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ» (٢).

ياء: ورد في مفاتيح الجنان مناجاه الشاكرين للإمام زين العابدين عليه السلام يستحب قراءتها من باب شكر المنعم كما يستحب؟

وورد أيضاً في نفس الكتاب أن من قال: (الحمد لله على كل نعمه كانت أو هي كائنه) سبع مرات يكون ممن أدى شكر ما مضى من النعم وما هو حاضر وما هو آت.

كاف: إخراج الحقوق من المال هو شكر على نعمه المال وأجاب الإمام الصادق عليه السلام (لما سأله أبو بصير: هل للشكر حد إذا فعله العبد كان شاكرًا؟ فقال:

«نعم».

قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«يُحْمَدُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ عَلَيْهِ فِي أَهْلِ وَمَالٍ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ حَقُّ آدَاءِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ:

١- الكافي: ج ٢، ص ٩٦، ح ١٤. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٥، ح ٩٦١٦.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٩٧، ح ١٩. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٥، ح ٩٦١٧.

(سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) (١) «(٢).

السؤال: ما هي فوائد الشكر؟

الجواب: لا يختلف العقلاء ولا يشكّون في وجود فوائد للشكر إلا أننا نريد أن نجيب عن هذا السؤال من خلال ما ورد من آيات كريمه وأحاديث شريفه عن أهل بيت العصمه والطهاره عليهم السلام:

١ إن شكر النعم هو امتثال لأمر الله تعالى وكسبا لرضاه، وهذا ما دل عليه قوله تعالى:

(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (٣).

وقوله تعالى:

(قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (٤).

٢ إن الشكر يعود نفعه للشاكر في الدنيا والآخرة، وهو ما صرحت به الآيات الكريمه كما في قوله تعالى:

(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (٥).

١- سورة الزخرف، الآية: ١٣.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٩٦، ح ١٢. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٥، ح ٩٦١٥.

٣- سورة البقره، الآية: ١٥٢.

٤- سورة الأعراف، الآية: ١٤٤.

٥- سورة النمل، الآية: ٤٠.

وقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١).

٣ الشكر ينجي من الحيره أو الابتلاء وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«الشُّكْرُ عِصْمَةٌ مِنَ الْفِتْنَةِ» (٢).

٤ الشكر يدفع الضرر والأذى وهو ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام:

«شُكْرُ النِّعْمَةِ أَمَانٌ مِنْ حُلُولِ النَّقْمَةِ» (٣).

٥ الشكر يوجب الزيادة فى النعمة التى شكرتها، وهذا ذكر فى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٤).

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ بَابَ شُكْرٍ فَخَزَنَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ» (٥).

وقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَشَكَرَهَا بِقَلْبِهِ، إِلَّا اسْتَوْجَبَ الْمَزِيدَ فِيهَا قَبْلَ أَنْ يُظْهَرَ شُكْرُهَا عَلَى لِسَانِهِ» (٦).

١- سورة لقمان، الآية: ١٢.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٥٣، ح ٨٦. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٦٨، ح ٩٥٧٣.

٣- غرر الحكم: ٥٦٦٦. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٦٨، ح ٩٥٧٤.

٤- سورة إبراهيم، الآية: ٧.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٩٤، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٢، ح ٩٥٩٣.

٦- أمالى الطوسى: ص ٥٨٠، ح ١١٩٧. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٢، ح ٩٥٩٢.

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام (لَمَّا سُئِلَ عَنْ شُمُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

(لَيْسَ شَاكِرٌ تُمْ...)).

للشكر على النعمة الظاهرة، قال:

«نَعَمْ، مَنْ حَمِدَ اللَّهَ عَلَى نِعْمِهِ وَشَكَرَهُ، وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ لَا مِنْ غَيْرِهِ (زَادَ اللَّهُ نِعْمَهُ)» (١).

٦ الشكر يوجب السمع الحسنه بين الناس كما دل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَحْسَنُ السَّمْعِ شُكْرٌ يُشَرُّ» (٢).

وهناك تفسير آخر لهذه العبارة وهو انتشار الشكر الذى يأتيك من الناس، أى انتشار المدح والثناء لك بين الناس.

السؤال: ما هو ضرر ترك الشكر؟

الجواب: ١ اتفق العقلاء على ذم تارك الشكر وأيدهم فى ذلك الشارع المقدس كما فى قوله تعالى:

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) (٣).

وقوله تعالى:

(وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى

١- تفسير العياشى: ج ٢، ص ٢٢٢، ح ٥. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٢، ح ٩٥٩٠.

٢- غرر الحكم: ٣٠١٣. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٨، ح ٩٦٢٧.

٣- سورة غافر، الآية: ٦١.

النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ» (١).

وقوله تعالى:

«ثُمَّ لَأَيُّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ» (٢).

٢ عدم الشكر يوجب الحرمان من الزيادة، وهذا ما صرح به الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«لَا يَنْقَطِعُ الْمَزِيدُ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعِبَادِ» (٣).

٣ عدم الشكر يوجب انقلاب النعمة إلى نقمة وبلاء كما في قول الصادق عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْعَمَ عَلَى قَوْمٍ بِالْمَوَاهِبِ فَلَمَّ يَشْكُرُوا فَصَارَتْ عَلَيْهِمْ وَبِالْأَلَاءِ وَابْتُلِيَ قَوْمًا بِالْمَصَائِبِ فَصَبَرُوا فَصَارَتْ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً» (٤).

٤ أنزل الإمام الجواد عليه السلام عدم شكر النعمة منزله السيئه كما في قوله عليه السلام:

«نِعْمَةٌ لَا تُشْكُرُ كَسَيْئَةٍ لَا تُغْفَرُ» (٥).

٥ تارك الشكر يتلبس بصفه رذيله وهي صفه اللؤم وهذا ما أورده الإمام الحسن عليه السلام:

١- سورة يونس، الآية: ٦٠.

٢- سورة الأعراف، الآية: ١٧.

٣- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٥٦، ح ٨٦. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٢، ح ٩٥٩٥.

٤- أمالي الصدوق: ص ٢٤٩، ح ٤. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٢، ح ٩٥٩٩.

٥- أعلام الدين: ص ٣٠٩. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٣، ح ٩٦٠٠.

«اللُّؤْمُ أَنْ لَا تَشْكُرَ النِّعْمَةَ» (١).

٦ تارك الشكر يكون ممن تسبب بقطع المعروف فاستحق بذلك لعنة الله تعالى، كما صرح بذلك الإمام الصادق عليه السلام:

«لَعَنَ اللَّهُ قَاطِعِي سَبِيلِ الْمَعْرُوفِ، وَهُوَ الرَّجُلُ يُضَنِّعُ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفَ فَيَكْفُرُهُ، فَيَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنْ أَنْ يَصْنَعَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ» (٢).

السؤال: ما هي منزله الشاكرين؟

الجواب: اختلف الناس في مراتبهم ومنازلهم عند الله تعالى تبعاً لعلاقتهم به وطاعتهم له، وممن خصوا بمنزله عاليه هم الشاكرون، إذ جعلهم الله تعالى من الصفوة القلة كما صرح بذلك أمير المؤمنين بقوله:

«أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ... فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا! أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ:

«وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ» (٣) (٤).

الشاكر ممن نال خير الدنيا والآخرة وهذا ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ أَوْتِيَ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا وَزَوْجَهُ مُؤْمِنَةً تُعِينُهُ عَلَى أَمْرِ دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، فَقَدْ أَوْتِيَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَوُقِيَ عَذَابَ النَّارِ» (٥).

١- تحف العقول: ص ٢٣٣. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٨، ح ٩٦٣٠.

٢- الاختصاص: ص ٢٤١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٨٠، ح ٩٦٤٥.

٣- سورة سبأ، الآية: ١٣.

٤- نهج البلاغة: الخطبه ١٩١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧١، ح ٩٥٨٩.

٥- منه موضوع أخلاقي، آية الله العظمى مكارم الشيرازي: ص ٣٦٩. تفسير مجمع البيان: ج ١، ص ٢٩٨.

نصيحه

إذا أردت أن تشكر من أنعم عليك سرا وعلانيه فعليك أن تشير إلى صانع المعروف وتذكر معرفه عليك بين الناس وتحدث عنه بما هو حسن من الحديث، وتحبه لذلك وهذا ما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام وولده الإمام زين العابدين عليهما السلام بقولهما:

«حَقُّ عَلَى مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ مُكَافَأَةَ الْمُنْعِمِ، فَإِنْ قَصُرَ عَنِ ذَلِكَ وَسِيءَهُ فَعَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ الثَّنَاءَ، فَإِنْ كَلَّ لِسَانُهُ فَعَلَيْهِ بِمَعْرِفَةِ النُّعْمَةِ وَمَحَبَّةِ الْمُنْعِمِ بِهَا، فَإِنْ قَصُرَ عَنِ ذَلِكَ فَلَيْسَ لِلنُّعْمَةِ بِأَهْلٍ» (١).

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«أَمَّا حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ عَلَيْكَ فَإِنْ تَشْكُرُهُ وَتَذْكُرُ مَعْرُوفَهُ، وَتُكْسِبُهُ الْمَقَالَةَ الْحَسَنَةَ، وَتُخْلِصَ لَهُ الدُّعَاءَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى مُكَافَأَتِهِ يَوْمًا كَافِيَتَهُ» (٢).

شهاده لا تُرد

(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَضِيحَابًا أَوْفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتِ أَبِي وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكُمْ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا، أَلَا وَإِنِّي لِأُظُنُّ أَنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ لَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ، أَلَا- وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ، فَمَا نَظَلِقُوا جَمِيعًا فِي حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا).

عندما يشهد المؤمن الصالح الثقة شهاده حق تكون شهادته حجه على من يسمعها، ويكون لها الأثر الكبير في إحقاق الحق ودحض الباطل، وهذا ما أشارت إليه

١- أُمَالِي الطوسى: ص ٥٠١، ح ١٠٩٧. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٨ ١٩٧٩، ح ٩٦٣٤.

٢- الخصال: ص ٥٦٨، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٧٨، ح ٩٦٣٣.

الأحاديث الشريفة:

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدِّ لَمْ يَتَّبِ مِنْهُ، أَوْ مَعْرُوفًا بِشَهَادَةِ الزُّورِ، أَوْ ظَنِينًا» (١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ صَلَّى خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فِي جَمَاعَةٍ فَظُنُّوا بِهِ خَيْرًا وَأَجِيزُوا شَهَادَتَهُ» (٢).

وجاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام:

«كُلُّ مَنْ وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَعُرِفَ بِصَلَاحٍ فِي نَفْسِهِ جَازَتْ شَهَادَتُهُ» (٣).

وبناء على ما تقدم لو شهد رجل مؤمن صالح ثقه بأن أصحابه أوفى وأفضل من أصحاب غيره لأجزنا شهادته وقبلناها قبولاً حسناً، فكيف إذا كان هذا الشاهد هو حجه الله تعالى في زمانه وسيد شباب أهل الجنة وإماماً معصوماً وبضعه من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؟

ولكى نعلم أن شهادته الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه شهادته حق لا شك فيها لا بد من الوقوف عند الآتي:

١ شهد القرآن الكريم بعصمه الإمام الحسين عليه السلام كما في آية التطهير:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (٤).

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٥، ح ٣٢٤٣. ميزان الحكمه: ج ٥، ص ١٩٩٧، ح ٩٧٢٣.

٢- أمالي الصدوق: ص ٢٧٨، ح ٢٣. ميزان الحكمه: ج ٥، ص ١٩٩٨، ح ٩٧٢٤.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٤٦، ح ٣٢٩٨. ميزان الحكمه: ج ٥، ص ١٩٩٨، ح ٩٧٢٦.

٤- سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

وهذا يدل على صدق قول الإمام عليه السلام، ودقته كما يدل على أن شهادته شهادة حق لا زور فيها.

٢ أمر الله تعالى الأمة بموده الإمام الحسين عليه السلام كما فى آيه الموده:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (١).

دون أن يقيد ذلك بزمان أو مكان، وهذا يدل على أن الإمام الحسين عليه السلام لا يخرج عن مرضاه الله تعالى بقول أو فعل حتى يلقى الله تعالى وهو عنه راضٍ، وإلا يلزم أن يتعبد الله تعالى الأمة بموده رجل لا صدق ولا دقة فى قوله وهذا محال.

٣ شهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لولده الإمام الحسين عليه السلام بصدق القول ودقته وصحة الفعل وعصمته من حديث السيادة فى الجنة، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة» (٢).

وحديث المحبه، قال النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«أللهم إني أحبهما فأحبهما»، «أللهم إني أحبه فأحب من يحبه» (٣).

وفى حديث آخر يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله».

وحديث الإمامه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

١- سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٢- مسند أحمد بن حنبل: ج ٣، ص ٤.

٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضى عياض: ج ٢، ص ٢٦.

«الحسن والحسين إبنائى هذان إمامان قاما أو قعدا»(١).

وحديث حسين منى، قال النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«حسين منى وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»(٢).

والإ- لو لم يكن كذلك لانخدشت هذه الأحاديث وللزم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يمدح باطلاً حاشاه عن ذلك أو يتكلم عن الهوى والعاطفه وهذا مخالف لصريح القرآن الكريم:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) (٣).

٤ لاشك أن الإمام الحسين عليه السلام محيط بمنزله أصحاب جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه المرتضى وأخيه المجتبى عليهما السلام، ومع ذلك صرح بهذا التصريح فى حق أصحابه، وشهد لهم هذه الشهاده التى هى فخر وزينه لهم فى الدنيا والآخرة.

فيتضح مما تقدم أن صفة الشهاده تجعل أصحاب الحسين عليه السلام أفضل من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والحسن عليهما السلام وهى شهاده لا ترد.

أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

إشاره

لقد ثبت فى محله أن الإمام الحسين عليه السلام جزء لا يتجزأ من جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فهو بضعه منه، دمه ولحمه ولحمه وحره وحره وسلمه سلمه بل هما نور واحد وفكر واحد ونهج واحد، وهذا ما يؤكد قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ولا عن العاطفه والميل المتعارف؛

١- جامع الخلاف والوفاق، على بن محمد القمى: ص ٤٠٤.

٢- البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٨، ص ٢٢٥.

٣- سوره النجم، الآية: ٣.

بل أن كلامه وحى بوحي كما فى قوله تعالى:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ).

فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حق ولده الإمام الحسين عليه السلام:

«حسين منى وأنا من حسين»^(١).

وورد فى مسند احمد بن حنبل (عن قابوس بن المخارق عن أم الفضل قالت: رأيت كأن فى بيتى عضواً من أعضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: فخرجت من ذلك فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فقال:

«خيراً رأيت، تلد فاطمه غلاماً فتكفلينه بلبن ابنك قثم».

قال: فولدت حسناً فأعطيته فأرضعته (الحديث)^(٢).

وروى الحاكم فى المستدرک بسنده (عن أم الفضل بنت الحارث إنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله إنى رأيت حلماً منكراً الليلة قال:

«وما هو؟».

قالت: إنه شديد، قال:

«وما هو؟».

١- فضائل الخمسة: ج ٣، ص ٣٢١.

٢- فضائل الخمسة للفيروز آبادى: ج ٣، ص ٢٢٣. مسند أحمد بن حنبل: ج ٦، ص ٣٩٩. ورواه بطريق آخر أيضا مثله، ورواه ابن الأثير أيضا فى أسد الغابة: ج ٢، ص ١٠. وذكره ابن حجر أيضا فى إصابته: ج ٥، ص ٢٣١. وقال: أخرجه البغوى.

قالت: رأيت كأن قطعه من جسدك قطعت ووضعت في حجرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«رأيت خيراً تلد فاطمه إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرى».

فولدت فاطمه عليها السلام الحسين عليه السلام فكان في حجرى كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الحديث) (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«على بن أبى طالب قائد البرره وقاتل الفجره، منصور من نصره، مخذول من خذله، الشاك في على هو الشاك في الإسلام، وخير من أخلف بعدى وخير أصحابى على، لحمه لحمى ودمه دمى وأبو سبى، ومن صلب الحسين يخرج الأئمه التسعه، ومنهم مهدي هذه الأمه».

وهذه الأقوال والشهادات التى صدرت عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تدل على أن الإمام الحسين عليه السلام له ما للنبى صلى الله عليه وآله وسلم إلا النبوه، فله من الطهاره والعصمه ما لجده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وله من الصدق فى القول والفعل ما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك له من الفضائل الأخرى ما لخاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم ويظهر من هذه الأحاديث وغيرها الذى لا- نحتاج إلى ذكرها أن الإمام الحسين عليه السلام صادق القول والفعل ولا يتحدث عن هوى أو مزاج أو عاطفه أو انفعال وتأثر، ولا- يمكن أن يلقى الكلام جزافاً دون حكمه أو درايه، فإذن لا بد من التسليم له والتصديق بقوله عليه السلام.

فإذا عرفت ذلك فنقول: إن الإمام الحسين عليه السلام قال بعصمته وطهارته وسيادته على شباب الجنه قولاً فى أصحابه وهو:

١- فضائل الخمسه للفيروز آبادى: ج ٣، ص ٢٢٤. المستدرک على الصحيحين: ج ٣، ص ١٧٦.

(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصِحَابًا أُوفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتِ أَبِي وَلَا أَوْصَالَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكُمْ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا، أَلَا وَإِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ لَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ، أَلَا- وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ، فَمَا نَظَلُّوا جَمِيعًا فِي حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا).

فيا لها من شهادة صادرة من إمام معصوم مطهر لا ريب فيها ولا خلل.

وقبل الخوض في إثبات أن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام خير من غيرهم لا بد من التعرض لبعض النقاط التي تنفع في المقام:

معنى الصحابه

الصحبه في اللغة: هي الرفقه، صاحبه: رافقه، الصحاب: الرفاق، مالک الشىء، القائم على الشىء.

الصحابى: هو من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مؤمنا به ومات على الإسلام (١).

صحاب فلانا: يصحبه صحابه وصحابه وصُحبه عاشره ورافقه ملازماً له (٢).

الصحابى: منسوب إلى الصحابه وهو في العرف من رأى النبي من المسلمين وطالت صحبته معه وإن لم يرو عنه وقيل غير ذلك (٣).

وهناك في كتب اللغة يأتي معنى صاحب: عاثر، رافق، جالس، انقاد، تابع.

الصحابه في الاصطلاح:

١- المعجم الوسيط: ص ٥٠٦٥٠٧.

٢- البستان معجم لغوى مطول: ص ٥٩٢.

٣- البستان معجم لغوى مطول: ص ٥٩٣.

الصحابي عند ابن حجر العسقلاني: هو من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام(١).

الصحابي عند البخارى: هو من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه(٢).

ولا نريد التعرض لهذا المبحث لكثرة تفرعاته ولعدم الحاجه إليه فإذا شئت المزيد فراجع كتاب عداله الصحابه للمؤلف أحمد حسين يعقوب(٣).

وبناء على ما تقدم فإن من لقي الإمام عليه السلام مؤمنا به ومات على الإيمان فهو من أصحابه.

نظريه عداله جميع الصحابه

اشاره

إن من يتبنى هذه النظرية يقول: إن جميع الصحابه عدول ولا- يجوز جرح أحدهم أو الطعن في أفعاله ولو كانت هذه الأفعال أفعالاً منكروه، فيظهر من هذا (أن الطبقة الأدهى من بنى أميه كأبى سفيان وأولاده والمروانيين بما فيهم طريد رسول الله)(٤) وغيرهم عدول لا يجوز المساس بهم أو انتقاد أفعالهم وسلوكهم.

ولكى يقف القارئ الكريم على صحه هذه النظرية أو عدم صحتها ننقل له باختصار ما ورد فى كتب التاريخ من صور تبين عدم صحه نظريه عداله جميع الصحابه، ولكن لابد من الإشاره إلى أننا لا نريد أن نتعرض إلى الصحابه بالقدح أو الانتقاص بقدر ما نريد أن نبين أن الصحبه بذاتها غير كافيه للأفضليه أو لترجيح أحد

١- الإصابه فى معرفه الصحابه: ج ١، ص ١٥٨.

٢- صحيح البخارى: ج ١٠، ص ٣٦٥، ح ٢٨٩٧.

٣- عداله الصحابه، أحمد حسين يعقوب: ص ١١ ١٨.

٤- عداله الصحابه: ص ٢٠.

على آخر، بل أن هذا المدعى (عداله جميع الصحابه) لا ينسجم مع ما شهد به القرآن الكريم من وجود تفاوت بين الصلحاء من الصحابه فلذا قال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (١).

وقوله تعالى:

(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (٢).

وشهد القرآن الكريم بأن بعض الصحابه الذين ينطبق عليهم معنى الصحبه حسب تعريف البخارى أو غيره للصحابى لم يلتزموا بما يحفظ عدالتهم كما فى قوله تعالى:

(وَمِنْهُمْ مَنٍ عَاهَدَ اللَّهُ لَنَنَاقِظَهُنَّ لِنُصَدِّقَهُنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ) (٣).

وقوله تعالى:

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) (٤).

١- سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

٢- سورة النساء، الآية: ٩٥.

٣- سورة التوبه، الآيتان: ٧٥ و٧٦.

٤- سورة السجده، الآية: ١٨.

وأما ما جاء فى القرآن الكرىم فىمن رأى النبى صلى الله علىه وآله وسلم وجلس معه وسمع عنه وهو لا يزال منافقا فذلك لا حاجة للإشارة إليه لوجود سورة المنافقين وآيات عديده تتكلم عنهم فى سور أخرى، كقوله تعالى:

(يَخِذِرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فى قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخِرُوا إِنْ الله مُخْرِجٌ مَا تَخِذِرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَّ اللهُ المُنَافِقِينَ وَالْمُنافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُعِينٌ) (١).

وعند الوقوف عند كتب التاريخ والسيره ترى بوضوح بعض الصحابه الذين وقعوا فى مخالفه الشرع بل مخالفه ما أمر به الرسول الأكرم صلى الله علىه وآله وسلم، لاسيما لما أوصى به فى حفظ عترته الكرىمه، وهذا ما نلمسه فى الإساءه إلى أمير المؤمنين وإلى سيده نساء العالمين عليهما السلام وإلى سيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام.

وإليك بعض الصور السيئه لمواقف بعض صحابه النبى الأكرم صلى الله علىه وآله وسلم:

١ إساءة بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السلام

(وقعه الجمل) قالوا: (ولما قضى الزبير وطلحه وعائشه حجهم تأمروا في مقتل عثمان، فقال الزبير وطلحه لعائشه: (إن أظعننا طلبنا بدم عثمان)، قالت: (وممن تطلبون دمه؟)، قالوا: (إنهم قوم معروفون، وإنهم بطانه علي ورؤساء أصحابه، فاخرجي معنا حتى نأتي البصره فيمن تبعنا من أهل الحجاز، وإن أهل البصره لو قد رأوك لكانوا جميعا يدا واحده معك).

فأجابتهم إلى الخروج، فسارت والناس حولها يمينا وشمالا، ولما فصل علي من المدينة نحو الكوفه بلغه خبر الزبير وطلحه وعائشه، فقال لأصحابه:

«(إن هؤلاء القوم قد خرجوا يؤمون البصره) لما دبروه بينهم، فسيروا بنا على أثرهم، لعلنا نلحقهم قبل موافاتهم، فإنهم لو قد وافوها لمال معهم جميع أهلها».

قالوا: (سر بنا يا أمير المؤمنين)، فسار حتى وافى ذاقار، فأتاه الخبر بموافاه القوم البصره، ومبايعه أهل البصره لهم إلا بنى سعد، فإنهم لم يدخلوا فيما دخل فيه الناس، وقالوا لأهل البصره: (لا نكون معكم ولا عليكم).

ولما بلغ طلحه والزبير ورود علي رضي الله عنه بالجيش، وقد أقبل حتى نزل (الخرية) فعباهم طلحه والزبير، وكتباهم كتائب، وعقدا الألويه، فجعلوا على الخيل محمد بن طلحه، وعلى الرجاله عبد الله بن الزبير، ودفعوا اللواء الأعظم إلى عبد الله بن حرام بن خويلد، ودفعوا لواء الأزد إلى كعب بن سور، وولياه الميمنه، ووليا قريشا وكنانه عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ووليا أمر الميسره عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهو الذي قالت عائشه فيه: (وددت لو قعدت في بيتي ولم أخرج في هذا الوجه لكان ذلك أحب إلى من عشره أولاد، لو رزقتهن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي فضل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعقله وزهده).

ووليا علي قيس مجاشع بن مسعود، وعلي تيم الرباب عمرو بن يثرب، وعلي

قيس والأنصار وثقيف عبد الله بن عامر بن كرز، وعلى خزاعه عبد الله بن خلف الخزاعي، وعلى قضاعة عبد الرحمن بن جابر الراسي، وعلى مذحج الربيع بن زياد الحارثي، وعلى ربيعة عبد الله بن مالك.

قالوا: وأقام على رضى الله عنه ثلاثه أيام يبعث رسله إلى أهل البصره، فيدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعه والدخول في الجماعه، فلم يجد عند القوم إجابته، فزحف نحوهم يوم الخميس لعشر مضين من جمادى الآخر، وعلى ميمنته الأشر، وعلى ميسرته عمار بن ياسر، والرايه العظمى في يد ابنه محمد بن الحنفية، ثم سار نحو القوم حتى دنا بصفوفه من صفوفهم، فواقفهم من صلاه الغداه إلى صلاه الظهر، يدعوهم ويناشدهم، وأهل البصره وقوف تحت رايتهم، وعائشه في هودجها أمام القوم.

قالوا: وإن الزبير لما علم أن عمارا مع على رضى الله عنه ارتاب بما كان فيه، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحق مع عمار، وتقتلك الفئة الباغية»^(١).

قالوا: ثم إن عليا دنا من صفوف أهل البصره، وأرسل إلى الزبير يسأله، ليدنو، فيكلمه بما يريد، وأقبل الزبير حتى دنا من على رضى الله عنه، فوقف جميعا بين الصفين حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال له على:

«ناشدتك الله يا أبا عبد الله، هل تذكر يوما مررنا أنا وأنت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويدي في يدك، فقال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتجبه؟ قلت: نعم، يا رسول الله، فقال لك: أما إنك تقاتله، وأنت له ظالم...؟».

فقال الزبير: (نعم، أنا ذاكر له)، ثم انصرف على إلى قومه^(٢).

١- الأخبار الطوال، الدينوري: ص ١٤٧.

٢- الأخبار الطوال، الدينوري: ص ١٤٤ ١٤٩.

٢ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمه عليها السلام

(حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال:

«جاءت فاطمه عليها السلام إلى أبي بكر وقالت: إن أبي أعطاني فدك وعلي وأم أيمن يشهدان».

فقال: ما كنت لتقولى علي أبيك إلا الحق قد أعطيتكها ودعا بصحيفه من آدم فكتب لها فيها فخرجت فلقيت عمر، فقال: من أين جئت يا فاطمه؟ قالت:

«جئت من عند أبي بكر أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاني فدك وأن عليا وأم أيمن يشهدان لي بذلك فأعطانيها وكتب لي بها».

فأخذ عمر منها الكتاب ثم رجع إلى أبي بكر فقال: أعطيت فاطمه فدك وكتبت بها لها؟ قال: نعم، فقال: إن عليا يجر إلى نفسه وأم أيمن امرأه، وبصق في الكتاب فمحاها وخرقه (١).

(وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله أنه رضى الله تعالى عنه كتب لها بفدك ودخل عليه عمر رضى الله تعالى عنه فقال: ما هذا فقال كتاب كتبه فاطمه بميراثها من أبيها، فقال: مماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى، ثم أخذ عمر الكتاب فشقه) (٢).

(فقال عمر لأبي بكر، رضى الله عنهما، انطلق بنا إلى فاطمه، فإننا أغضبناها، فانطلقا جميعا، فاستأذنا على فاطمه، فلم تأذن لهما، فأتيا عليا فكلماه، فأدخلهما

١- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد المعتزلى: ج ١٦، ص ٢٧٤.

٢- السيره الحلبيه، الحلبي: ج ٣، ص ٤٨٨.

عليها، فلما قعدا عندها، حولت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها، فلم ترد عليهما السلام، فتكلم أبو بكر فقال:

يا حبيبه رسول الله والله إن قرابه رسول الله أحب إلى من قرابتي، وإنك لأحب إلى من عائشه ابنتي، ولو ددت يوم مات أبو بكر أني مت، ولا أبقى بعده، أفتراي أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله إلا أني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا نورث، ما تركنا فهو صدقه، فقالت:

«أرأيتكما إن حدثكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرفانه وتعلان به؟».

قالا: نعم، فقالت:

«نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمه من رضاي، وسخط فاطمه من سخطي، فمن أحب فاطمه ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمه فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمه فقد أسخطني؟».

قالا نعم: سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالت:

«فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه».

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمه، ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهد، وهي تقول:

«والله لأدعون الله عليك في كل صلاه أصليها».

ثم خرج باكياً (١).

٣ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحسن عليه السلام

(لم يكن في الإسلام يوم في مشاجره قوم اجتمعوا في محفل أكثر ضجيجا ولا- أعلى كلاما ولا- أشد مبالغه في قول من يوم الاحتجاج اجتمع فيه عند معاويه بن أبي سفيان عمرو بن عثمان بن عفان وعمرو بن العاص وعتبه بن أبي سفيان والوليد بن عقبه بن أبي معيط والمغيره بن أبي شعبه وقد تواطأوا على أمر واحد فقال عمرو بن العاص لمعاويه ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتحضره فقد أحيا سنه أبيه وخفقت النعال خلفه إن أمر فأطيع وقال فصدق وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما، فلو بعثت إليه فقصرنا به وبأبيه وسببناه وسببنا أباه وصغرنا بقدره وقدر أبيه وقعدنا لذلك حتى صدق لك فيه، فقال لهم معاويه إنى أخاف أن يقلدكم قلائد يبقى عليكم عارها حتى يدخلكم قبوركم، والله ما رأيته قط إلا- كرهت جنابه وهبت عتابه وإنى إن بعثت إليه لأنصفه منكم قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقنا ومرضه على صحتنا؟ قال: لا قال: فابعث إذا إليه فقال عتبه هذا رأى لا- أعرفه والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا أعظم مما فى أنفسكم عليه ولا يلقاكم بأعظم مما فى نفسه عليكم وإنه لأهل بيت خصم جدل فبعثوا إلى الحسن فلما أتاه الرسول قال له يدعوك معاويه قال:

«ومن عنده».

قال الرسول: عنده فلان وفلان وسمى كلا منهم باسمه فقال الحسن عليه السلام:

«ما لهم خر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون».

ثم قال:

«يا جاريه أبلغيني ثيابي».

ثم قال:

«اللهم إني أدرك بك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم وأستعين بك عليهم فاكفنيهم بما شئت وأنى شئت من حولك وقوتك يا أرحم الراحمين».

وقال للرسول:

«هذا كلام الفرج».

فلما أتى معاوية رجب به وحياه وصافحه، فقال الحسن:

«إن الذي حيت به سلامه والمصافحه أمن».

فقال معاوية: أجل إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليقروك أن عثمان قتل مظلوما وأن أباك قتل فاسمع منهم ثم أجبهم بمثل ما يكلمونك فلا يمنعك مكانى من جوابهم، فقال الحسن:

«سبحان الله البيت بيتك والإذن فيه إليك والله لئن أجبتهم إلى ما أرادوا إني لأستحيى لك من الفحش وإن كانوا غلبوك على ما تريد إني لأستحيى لك من الضعف فبأيهما تقر ومن أيهما تعتذر وأما إني لو علمت بمكانهم واجتماعهم لجئت بعدتهم من بنى هاشم مع أنى مع وحدتى هم أوحش منى من جمعهم فإن الله عز وجل لوليى اليوم وفيما بعد اليوم فمرهم فليقولوا فاسمع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

فتكلم عمرو بن عثمان بن عفان فقال ما سمعت كالיום إن بقى من بنى عبد المطلب على وجه الأرض من أحد بعد قتل الخليفة عثمان بن عفان وكان ابن أختهم والفاضل فى الإسلام منزله الخاص برسول الله إثره فبئس كرامه الله حتى سفكوا دمه اعتداء وطلبوا للفتنه وحسدا ونفاسه وطلب ما ليسوا بأهلين لذلك مع سوابقه ومنزله من الله ومن رسوله ومن الإسلام فيا ذلاه أن يكون حسن وسائر بنى عبد المطلب قتله

عثمان أحياء يمشون على مناكب الأرض وعثمان بدمه مخرج مع أن لنا فيكم تسعة عشر دما بقتلى بنى أميه ببدر.

ثم تكلم عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أي ابن أبي تراب بعثنا إليك لنقرر ك أن أباك سم أبا بكر الصديق واشترك في قتل عمر الفاروق وقتل عثمان ذى النورين مظلوما وادعى ما ليس له حق ووقع فيه وذكر الفتنة وغيره بشأنها ثم قال إنكم يا بنى عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك فتركبون فيه ما لا يحل لكم ثم أنت يا حسن تحدث نفسك بأنك كائن أمير المؤمنين وليس عندك عقل ذلك ولا- رأيه وكيف وقد سلبتة وتركت أحق في قريش وذلك لسوء عمل أبيك وإنما دعوناك لنسبك وأباك ثم إنك لا تستطيع أن تعيب علينا ولا أن تكذبنا به فإن كنت ترى أن كذبناك في شيء وتقولنا عليك بالباطل وادعينا عليك خلاف الحق فتكلم وإلا فاعلم أنك وأباك من شر خلق الله فأما أبوك فقد كفانا الله قتله وتفرد به وأما أنت فإنك في أيدينا نتخير فيك والله أن لو قتلناك ما كان في قتلك إثم عند الله ولا عيب عند الناس.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فكان أول ما ابتدأ به أن قال يا حسن إن أباك كان شر قريش لقريش أقطعه لأرحامها وأسفكه لدمائها وإنك لمن قتله عثمان وإن في الحق أن نقتلك به وإن عليك القود في كتاب الله عز وجل وإنا قاتلوك به وأما أبوك فقد تفرد الله بقتله فكفانا أمره وأما رجاؤك الخلافة فلست فيها لا في قدحه زندك ولا في رجحه ميزانك.

ثم تكلم الوليد بن عقبه بن أبي معيط بنحو من كلام أصحابه فقال يا معشر بنى هاشم كنتم أول من دب بعيب عثمان وجمع الناس عليه حتى قتلتموه حرصا على الملك وقطيعه للرحم واستهلاك الأئمة وسفك دمائها حرصا على الملك وطلبنا للدنيا الخبيثة وحبا لها وكان عثمان خالكم فنعم الخال كان لكم وكان صهركم فكان نعم الصهر لكم قد كنتم أول من حسده وطعن عليه ثم وليتم قتله فكيف رأيتم صنع الله بكم.

ثم تكلم المغيرة بن شعبه فكان كلامه وقوله كله وقوعا في علي عليه السلام ثم قال يا حسن إن عثمان قتل مظلوما فلم يكن لأبيك في ذلك عذر برىء ولا اعتذار مذنب غير أنا يا حسن قد ظننا لأبيك في ضمه قتله عثمان وإيوائه لهم وذبه عنهم أنه يقتله راض وكان والله طويل السيف واللسان يقتل الحي ويعيب الميت وبنو أميه خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أميه ومعاويه خير لك يا حسن منك لمعاويه وقد كان أبوك ناصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وأجلب عليه قبل موته وأراد قتله فعلم ذلك من أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم كره أن يبايع أبا بكر حتى أتى به قودا ثم دس عليه فسقاه سما فقتله ثم نازع عمر حتى هم أن يضرب رقبتة فعمد في قتله ثم طعن على عثمان حتى قتله كل هؤلاء قد شرك في دمهم فأى منزله له من الله يا حسن وقد جعل الله السلطان لولى المقتول في كتابه المنزل لمعاويه ولى المقتول بغير حق فكان من الحق لو قتلناك وأخاك والله ما دم علي بأخطر من دم عثمان وما كان الله ليجمع فيكم يا بني عبد المطلب الملك والنبوه ثم سكت.

فتكلم أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام فقال:

«الحمد لله الذى هدى أولكم بأولنا وآخركم بآخرنا وصلى الله على جدى محمد النبى وآله وسلم، اسمعوا منى مقالتي وأعيرونى فهمكم وبك أبدأ يا معاويه إنه لعمر الله يا أزرق ما شتمنى غيرك وما هؤلاء شتمونى ولا سبى غيرك وما هؤلاء سبونى ولكن شتمتى وسببتنى فحشا منك وسوء رأى وبغيا وعدوانا وحسدا علينا وعداوه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم قديما وحديثا وإنه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا أزرق مشاورين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحولنا المهاجرون والأنصار ما قدروا أن يتكلموا به ولا استقبلونى بما استقبلونى به فاسمعوا منى أيها الملاء المجتمعون المتعاونون علىّ ولا تكتموا حقا علمتموه ولا

تصدقوا بباطل إن نطقت به وسأبدأ بك يا معاوية ولا أقول فيك إلا دون ما فيك أنشدكم بالله هل تعلمون أن الرجل الذي شتمتموه صلى القبلتين كليهما وأنت تراهما جميعا وأنت في ضلاله تعبد اللات والعزى وبايع البيعتين كليهما بيعه الرضوان وبيعه الفتح وأنت يا معاوية بالأولى كافر وبالأخرى ناكث ثم قال أنشدكم بالله هل تعلمون أن ما أقول حقا إنه لفيكم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ومعه رايه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ومعك يا معاوية رايه المشركين وأنت تعبد اللات والعزى وترى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرضا واجبا ولفيكم يوم أحد ومعه رايه النبي ومعك يا معاوية رايه المشركين ولفيكم يوم الأحزاب ومعه رايه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعك يا معاوية رايه المشركين كل ذلك يفلج الله حجته ويحق دعوته ويصدق أهدوئته وينصر رايته وكل ذلك رسول الله عنه راضيا في المواطن كلها ساخطا عليك ثم أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاصر بنى قريظة وبنى النضير ثم بعث عمر بن الخطاب ومعه رايه المهاجرين وسعد بن معاذ ومعه رايه الأنصار فأما سعد بن معاذ فخرج وحمل جريحا وأما عمر فرجع هاربا وهو يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراة غير فرار ثم لا- يرجع حتى يفتح الله على يديه فتعرض لها أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين والأنصار وعلى يومئذ أرمد شديد الرمد فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتفل في عينه فبرأ من رمده وأعطاه الراية فمضى ولم يئن حتى فتح الله عليه بمنه(١).

٤ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحسين عليه السلام

(قال مروان بن الحكم يوماً للحسين بن علي عليه السلام لولا فخركم بفاطمه بم كنتم تفتخرون علينا فوثب الحسين عليه السلام وكان عليه السلام شديد القبضه فقبض على حلقه فعصره ولوى عمامته على عنقه حتى غشى عليه ثم تركه وأقبل الحسين عليه السلام على جماعه من قريش فقال:

«أنشدكم بالله إلا صدقتموني إن صدقت أتعلمون أن في الأرض حبيبين كانا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مني ومن أخي أو على ظهر الأرض ابن بنت نبي غيري وغير أخي».

قالوا: اللهم لا، قال:

«وإني لا أعلم أن في الأرض ملعون ابن ملعون غير هذا وأبيه طريدي رسول الله والله ما بين جابرس وجابلق أحدهما بيباب المشرق والآخر بيباب المغرب رجلا ممن ينتحل الإسلام أعدى لله ولرسوله ولأهل بيته منك ومن أبيك إذا كان وعلامه قولي فيك أنك إذا غضبت سقط رداؤك عن منكبك».

قال: فو الله ما قام مروان من مجلسه حتى غضب فانتفض وسقط رداؤه عن عاتقه(١).

٥ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعضهم

ورد في كتاب شذرات الذهب: (وفيها: قتل خالد بن الوليد: مالك بن نويرة في رهط من قومه بني حنظله ممن منع الزكاه، وكان مالك من دهاه العرب، وكان عرض على خالد الصلاه دون الزكاه، فقال خالد: لا- نقبل واحده دون الأخرى، فقال مالك: كذلك كان يقول صاحبك.

قال خالد: وما نراه لك صاحباً، والله لقد هممت أن أضرب عنقك، ثم تجادلا في الكلام، فقال خالد: إني قاتلك، قال: أو كذلك أمر صاحبك، قال خالد: وهذه ثانيه بعد تلك، والله لأقتلنك، فكلمه عبد الله بن عمر، وأبو قتاده في استبقائه فأبى، فقال له مالك: فابعثني إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فيّ.

فقال خالد يا ضرار قم فاضرب عنقه، فقام فضرب عنقه واشترى زوجه من الفيء، وتزوجها، فأنكر عليه والصحابه، وسأل عمر أبا بكر قتل خالد بمالك، أو حده في زواج زوجته، فقال أبو بكر: إنه تأول فأخطأ، فسأله عزله، فقال: ما كنت لأشيم سيفاً (١) سله الله عليهم أبدأ (٢).

(وأقبل طلحه والزبير حتى دخلا على عثمان، ثم تقدم إليه الزبير وقال: يا عثمان! ألم يكن في وصيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن لا- تحمل آل بنى معيط على رقاب الناس إن وليت هذا الأمر؟ قال عثمان: بلى، قال الزبير: فلم استعملت الوليد بن عقبه على الكوفه؟ قال عثمان: استعملته كما استعمل عمر بن الخطاب عمرو بن العاص والمغيره بن شعبه، فلما عصى الله وفعل ما فعل عزلته واستعملت غيره على عمله.

قال: فلم استعملت معاوية على الشام؟ فقال عثمان: لرأى عمر بن الخطاب فيه، قال: فلم تشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولست بخير منهم؟ قال عثمان: أما أنت فلست أشتمك، ومن شتمته فما كان به عجز عن شتمى، فقال مالك ولعبد الله بن مسعود هجرت قراءته وأمرت بدوس بطنه، فهو في بيته لما به وقد أقرأه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عثمان: إن الذى بلغنى من ابن مسعود أكثر مما بلغت منه، وذاك أنه قال: وددت أنى وعثمان برمل عالج يحث على وأحث عليه حتى يموت الأعجز منا.

١- لأشيم: لأغمد.

٢- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لشهاب الدين الحنبلى: ج ١، ص ٢٧، أحداث السنه الحاديه عشره.

قال: فما لك ولعمار بن ياسر أمرت بدوس بطنه حتى أصابه الفتق؟ فقال: لأنه أراد أن يغرى الناس بقتلى، قال: فما لك ولأبى ذر حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سيرته حتى مات غربيا طريدا؟ قال: لما قد علمت أنه قد أفسد على الناس ورماني بكل عيب، قال: فما لك وللأشتر وأصحابه نفيتهم إلى الشام وفرقت بينهم وبين أهاليهم وأولادهم؟ فقال: لأن الأشتر أغرى الناس بعاملى سعيد بن العاص وأضرم الكوفة على نارا.

فقال الزبير: يا عثمان! إن هذه الأحداث التى عددتها عليك هى أقل أحداثك، ولو شئت أن أرد عليك جميع ما تحتج به لفعلت، وأراك تقرأ صحيفتك من حيث تريد، وأخاف عليك يوما له ما بعده من الأيام.

قال: وتقدم إليه طلحة بن عبيد الله فقال: يا عثمان! أهلكك بنو أمية وأطمعك فينا آل أبى معيط، وعند غب الصدر يحمد الورد أو يذم، وأنا لك كما كنت لنا، فإذا لم تكن لنا كنا عليك، ثم خرجوا من عنده(١).

(تكتاب أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصره، وتراسلوا، وزورت كتب على لسان الصحابه المدين بالمدينه وعلى لسان طلحه (بعد ما بلغهم خبر مروان وغضب على على عثمان بسببه) وطلحه والزبير يدعون الناس إلى قتل عثمان ونصر المدين وأنه أكبر الجهاد اليوم.

فإن كتاب الله قد بدل، وسنه رسوله قد غيرت، وأحكام الخليفتين قد بدلت، فنشد الله من قرأ كتابنا من بقيه أصحاب رسول الله والتابعين بإحسان، إلا- أقبل إلينا، وأخذ الحق لنا، وأعطانا، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وأقيموا الحق على المنهاج الواضح الذى فارقتم عليه نبيكم، وفارقتكم عليه الخلفاء، غلبنا على

حقنا واستولى على فيثنا، وحيل بيننا وبين أمرنا، وكان الخلافة بعد نبينا خلافة نبوه ورحمه، وهى اليوم ملكك عضو، من غلب على شىء أكله، أليس هذا كتابكم إلينا؟ فبكى طلحه، فقال الأشر: لما حضرنا أقبلتم تعصرون أعينكم، والله لا نفارقه حتى نقتله، وانصرف.(١).

(لما قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء مالك لينظر من قام مقامه فرأى أبا بكر يخطب فقال أخو تيم قالوا نعم قال فوصى رسول الله الذى أمرنى بموالاته قالوا الأمر يحدث بعده الأمر قال تالله ما حدث شىء ولكنكم خنتم الله ورسوله ونظر إليه شزرا وتقدم وقال ما أرقاك هذا المنبر ووصى رسول الله جالس فأمر قنفذا وخالدا بإخراجه فدفعا كرها فركب راحتله وقال:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا

فيا قوم ما شأنى وشأن أبى بكر

إذا مات بكر قام بكر مقامه

فتلك وبيت الله قاصمه الظهر

يدت وتغشاه العثار كأنما

يجاهد حمى ويقوم على جمر

فلو قام فينا من قريش عصابه

أقمنا ولو كان المقام على الجمر

فبعث أبو بكر خالدا بجيش لقتله فجاء فلم يجد فيهم مؤذنا فقال: ارتددتم عن الإسلام فقالوا بل ذهب المؤذن إلى امتيار فلم يسمع وصافهم الحرب وكان مالك يعد بألف فارس فخافه خالد فنظر مالك إلى امرأته وهى تنظر الحرب وتستتر وجهها بذراعيها فقال إن قتلنى أحد فأنت فوقعت فى نفس خالد فأعطاه الأمان فاستوثق منه فطرح سلاحه وأخذه وقتله وعرس بامرأته من ليلته وطبخ على رأسه لحم جزور لوليمته، فخرج متمم أخو مالك فاستعدى أبا بكر على خالد واستعان بعمر فقال عمر لأبى بكر اقتل خالدا بمالك فقال ما كنت لأقتل صحابيا بأعرابى فى رده عمياء قال عمر

لم يرتد بل حملة على ذلك جمال امرأته فتشأتا فقال عمر لو ملكت أمرا لقتله به فلما ولى عمر جاءه متمم وقال قد وعدتني بقتله فقال ما كنت لأغير شيئا فعله صاحب رسول الله (١).

(بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي على سريره ومعه في السريه عمار بن ياسر، قال: فخرجوا حتى أتوا قريبا من القوم الذين أرادوا أن يصبحوهم، فنزلوا في بعض الليل، قال: وجاء القوم النذير فهربوا حيث بلغهم، فأقام رجل منهم كان قد أسلم هو وأهل بيته فأمر أهله فتحملوا وقال: فقوا حتى آتاكم، ثم جاء حتى دخل على عمار، فقال يا أبا اليقظان: إني قد أسلمت وأهل بيتي فهل ذلك نافعى إن أنا أقمت؟ فأَنَّ قومي قد هربوا حيث سمعوا بكم.

قال فقال له عمار فأقم، فأنت آمن فانصرف الرجل هو وأهله، قال فصيح خالد القوم فوجدهم قد ذهبوا فاخذ الرجل هو وأهله، فقال له عمار: إنه لا سبيل لك على الرجل، قد أسلم، قال وما أنت وذاك؟ أتجير عليّ وأنا الأمير؟ قال: نعم أجير عليك وأنت الأمير، إن الرجل قد آمن، ولو شاء لذهب كما ذهب أصحابه، فأمرته بالمقام لاسلامه، فتنازعا في ذلك حتى تشأتا.

فلما قدما المدينة اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فذكر عمار الرجل وما صنع، فأجاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهله وأمان عمار، ونهى يومئذ أن يجيز أحد على أمير فتشأتا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال خالد يا رسول الله: أيشتمنى هذا العبد عندك؟ أما والله لولاك ما شتمنى فقال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كف يا خالد عن عمار، فإنه من يبغض عمارا يبغضه الله عز وجل، ومن يلعن عمارا يلعنه الله عز وجل».

ثم قام عمار فولى واتبعه خالد بن الوليد حتى أخذ بثوبه، فلم يزل يترضاه حتى رضى عنه (١).

٦ إساءه بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام إليه

(ذُكِرَ الحكمين: قال: ثم اجتمع قراء أهل العراق وقراء أهل الشام بين العسكرين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسوه واجتمعوا على ما فيه أن يحيوا ما أحيا القرآن وأن يمتوا ما أمت القرآن.

قال: فرضى الفريقان جميعا بالحكمين، وجعلوا المده فيما بين ذلك إلى سنة كامله، فقال أهل الشام: قد رضينا بعمر بن العاص، وقال الأشعث بن قيس والذين صاروا خوارج بعد ذلك: فإننا قد رضينا بأبي موسى الأشعري، فإنه وافد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، وصاحب مقاسم أبي بكر وعامل عمر بن الخطاب.

فقال على رضى الله عنه:

«ولكنى لا أرضى أبا موسى ولا أوليه هذا الأمر».

فقال الأشعث بن قيس وزيد بن حصن ومسعر بن فدكي وعبد الله بن الكواء: فإننا لا نرضى إلا به، لأنه قد كان حذرنا ما وقعنا فيه، فقال على رضى الله عنه:

«فإنه ليس لى برضا وقد كان فارقنى وخذل الناس عنى، ثم هرب حتى آمنت به بعد أشهر، ولكن هذا عبد الله بن عباس قد جعلته حكما لى».

فقال القوم: والله لا نبالي أنت كنت أو ابن عباس، إلا أننا لا نريد رجلا هو منك وأنت منه، فقال على رضى الله عنه: «فأنا أجعل الأشر حكما».

فقال الأشعث: وهل سعر الأرض علينا إلا الأشر! فقال الأشعث: حكمه أن يضرب الناس بعضهم بعضا بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد، فقال له الأشر: أنت إنما تقول هذا القول لأن أمير المؤمنين عزلك عن الرئاسة ولم يرك أهلا لها.

فقال الأشعث: والله ما فرحت بتلك الرئاسة ولا حزنت لذلك العزل، فقال على رضى الله عنه:

«ويحكم! إن معاوية لم يكن ليختار لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأيه ونظره إلا عمرو بن العاص، وإنه لا يصلح للقرشى (إلا مثله)، وهذا عبد الله بن عباس فارموه به، فإن عمرا لا يعقد عقده إلا حلها، ولا يبرم أمرا إلا نقضه، ولا ينقض أمرا إلا أبرمه».

فقال الأشعث ومن معه: لا والله لا يحكم فينا مضرين أبدا حتى تقوم الساعة! ولكن يكون رجل من مضر ورجل من اليمن، فقال على رضى الله عنه:

«إنى أخاف أن يخدع يمانيك، فإن عمرو بن العاص ليس من الله فى شىء».

فقال الأشعث: والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من اليمن أحب إلينا من أن يكون ما نحب وهما مضرين، فقال على رضى الله عنه:

«وقد أبيت إلا أبا موسى؟».

قالوا: نعم، قال عليه السلام:

«فاصنعوا ما أردتم، اللهم إنى أبرأ إليك من صنعهم!» (١).

٧ إساءه بعض أصحاب الإمام الحسن عليه السلام إليه

(خرج الحسن بن علي حتى أتى سباط المدائن، فأقام بها أياما، فلما أراد الرحيل قام في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس! إنكم بايعتموني على أن تسالموا من سالمته وتحاربوا من حاربت، والله لقد أصبحت وما أنا محتمل على أحد من هذه الأمم ضغنه في شرق ولا غرب ولما تكرهون في الجاهليه، والألفه والأمن وصلاح ذات البين خير مما تحبون من الفرقه والخوف والتباغض والعداوه والسلام.»

قال: فلما سمع الناس هذا الكلام من الحسن كأنه وقع بقلوبهم أنه خالع نفسه من الخلافه ومسلم الأمر لمعاويه، فغضبوا لذلك، ثم بادروا إليه من كل ناحيه، فقطعوا عليه الكلام، ونهبوا عامه أثقاله، وخرقوا ثيابه، وأخذوا مطرفا كان عليه، وأخذوا أيضا جاريه كانت معه، وتفرقت عنه عامه أصحابه.

فقال الحسن عليه السلام:

«لا حول ولا قوه إلا بالله.»

قال: فدعا بفرسه فركب، وسار وهو مغموم لما قد نزل به من كلامه، وأقبل رجل من بني أسد يقال له سنان بن الجراح حتى وقف في مظلم سباط المدائن، فلما مر به الحسن بادر إليه فجرحه بمعول كان معه جراحه كادت تأتي عليه.

قال: فصاح الحسن صيحه وخر عن فرسه مغشيا عليه، وابتدر الناس إلى ذلك الأسدى فقتلوه.

قال: وأفاق الحسن من غشائه وقد ضعف، فعصبوا جراحه وأقبلوا به إلى المدائن، قال: وعامل المدائن يومئذ سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد، قال: فأنزل الحسن في القصر الأبيض، وأرسل إلى الأطباء فنظروا إلى جراحته وقالوا:

ليس عليك بأسه يا أمير المؤمنين، قال: فأقام الحسن بالمدائن يداوى (١).

(لما صالح الحسن معاوية لما ناله من أهل الكوفة وما نزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس، فكره ذلك معاوية، وقال: ما أريد أن يخطب بالناس، قال عمرو: لكنى أريد أن يبدو عيه فى الناس بأنه يتكلم فى أمور لا يدري ما هى، ولم يزل به حتى أطاعه؟

فخرج معاوية فخطب الناس، وأمر رجلاً- أن ينادى بالحسن بن على، فقام إليه، فقال: قم يا حسن فكلم الناس؛ فقام فتشهد فى بديهته.

ثم قال:

«أما بعد أيها الناس، فإن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بأخرنا، وإن لهذا الأمر مده، والدنيا دُولٌ، قال الله عز وجل لئنني محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

(وَإِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ) (٢).

ثم قال فى كلامه ذلك:

يا أهل الكوفة، لو لم تُذهل نفسى عنكم إلا- لثلاث خصال لذهلت: مقتكم لأبى، وسلبكم ثقلى، وطعنكم فى بطنى، وإنى قد بايعت معاوية، فاسمعوا له وأطيعوا».

وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سُرَادِلَ الحسن وَرَخْلَهُ، وطعنوا بالخنجر فى جوفه، فلما تيقن ما نزل به انقاد إلى الصلح (٣).

١- كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفى: ج ٤، ص ٢٨٦ ٢٨٨.

٢- سورة الأنبياء، الآيات: ١٠٩ و ١١٠ و ١١١.

٣- مروج الذهب، المسعودى: ج ١، ص ٣٤٨.

أفضليه أصحاب الحسين عليه السلام

قبل الخوض فى هذا الموضوع نود أن نبين أن المقارنه لا تتم إلا بين أصحاب أهل الحق فقط دون أصحاب أهل الباطل فنقول: رغم كفايه شهاده الإمام المعصوم الحسين بن على عليهما السلام وحجه الله فى زمانه وسيد شباب أهل الجنه على أفضليه أصحابه، إلا أن المقارنه بين مواقف أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وبين مواقف بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبعض أصحاب أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام تظهر لنا مدى صدق أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وإخلاصهم له، وعند تأملك لما أطلعت عليه من تلك المواقف لأصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام ومقارنه ذلك مع ما سنطالعك عليه من مواقف أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ستحكّم بأفضليه أصحاب الإمام الحسين عليه السلام إذا نظرت بعين الانصاف:

المعصوم يشهد

قال أبو مخنف: (وحدّثنى أيضا الحارث بن حصيره عن عبد الله بن شريك العامرى عن على بن الحسين قالا: جمع الحسين وأصحابه بعدما رجع عمر بن سعد، وذلك عند قرب المساء قال على بن الحسين:

«فدنوت منه لأسمع وأنا مريض فسمعت أبى وهو يقول لأصحابه: أثنى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء، اللهم إنى أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوه، وعلمتنا القرآن وفقهتنا فى الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئده، ولم تجعلنا من المشركين أما بعد فإنى لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابى ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتى فجزاكم الله عنى جميعا خيرا ألا وإنى أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا ألا وإنى قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً

فى حل لىس علىكم منى ذمام هذا لىل قد غشىكم فاتخذوه جملاً»(١).

ففى هذه الصورة يتجلى نكران الذات من الإمام الحسين علىه السلام إذا سمح لأصحابه بالنجاه بعد أن انطبق علمه على الواقع من جهة إصرار الجيش الأموى على قتاله، كما أنه شهد لهم بالأفضلىه على غيرهم من الأصحاب الذين علم بصحبتهم سواء كانوا أصحاب النبى صلى الله علىه وآله وسلم أو أمير المؤمنين أو الإمام الحسن بل نستطيع القول إنهم أفضل من أصحاب الأنبياء علىهم السلام الذين ترددوا فى نصره الأنبياء علىهم السلام أو الذين خذلوهم أو شككوا بهم، إذ إن الإمام الحسين علىه السلام معصوم لا يقول باطلا فهذه شهادة حق لا شك فىها تؤكد أفضلىه أصحابه على غيرهم.

مواقف الأصحاب

بعد أن أذن الإمام علىه السلام لأصحابه بالنجاه واتخاذ الليل وسيله للتخلص من المصير المرأا وهو سفك المهج وقتل النفوس، رد الأصحاب على قول إمامهم بردود تؤكد وصف الإمام لهم بأنهم أولى وخير من غيرهم كما جاء ذلك فى تاريخ الطبرى.

(فلما كان الليل قال علىه السلام :

«هذا الليل قد غشىكم فاتخذوه جملاً، ثم لىأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتى تفرقوا فى سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فإن القوم إنما يطلبونى، ولو قد أصابونى لهما عن طلب غيرى».

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: لم نفعل لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً، بدأهم بهذا القول العباس بن على علىهما السلام ثم إنهم تكلموا

١- تاريخ الطبرى، لمحمد بن جرير الطبرى: ج ٣، ص ١٠٣٨.

بهذا ونحوه فقال الحسين عليه السلام :

«يا بنى عقيل، حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا قد أذنت لكم».

قالوا: فما يقول الناس؟ يقولون: إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندرى ما صنعوا لا والله لا نفعل ولكن تفديك أنفسنا، وأموالنا وأهلونا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك!

قال أبو محنف: حدثني عبد الله بن عاصم عن الضحاک بن عبد الله المشرقي قال: فقام إليه مسلم بن عوسجه الأسدي فقال: أنحن نخلى عنك؛ ولما نعدر إلى الله في أداء حقك أما والله حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولا أفارقك ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتمهم بالحجاره دونك حتى أموت معك، قال:

وقال سعيد بن عبد الله الحنفي: والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيك والله لو علمت أني أقتل ثم أحيأ! ثم أأحرق حياً! ثم أذر يفعل ذلك بي سبعين مره ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك! لا أفعل ذلك! وإنما هي قتله واحده، ثم هي الكرامه التي لا انقضاء لها أبداً.

قال: وقال زهير بن القين: والله لو ددت أني قتلت، ثم نشرت، ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتله، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيه من أهل بيتك.

قال: وتكلم جماعه أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد فقالوا: والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء نفيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا فإذا نحن قتلنا كنا وفينا، وقضينا ما علينا(١).

وفضلاً على هذه الردود التي تبين حقيقه رجحانهم على غيرهم من الأصحاب الذين سبقوهم هناك نقاط نقف عليها تؤكد هذا الفضل وهي كما يلي:

- ١ كان إقدام أصحاب الإمام الحسين عليه السلام نحو نصرته نتيجة الإيمان واليقين بما عليه الإمام عليه السلام دون تردد أو شك.
- ٢ كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام عند قتالهم بين يدي أصحابهم يشعرون بوجود نسبه من النجاه أما أصحاب الإمام الحسين عليه السلام قاتلوا بين يديه رغم يقينهم بعدم النجاه.
- ٣ إن الإمام الحسين عليه السلام سرح أصحابه وجعلهم في حلٍ من بيعته إلا أنهم لم يتركوه ولم يخذلوه وهذا لم يحصل مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أمير المؤمنين أو الإمام الحسن عليهما السلام بل حصل العكس من ذلك، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام يحثون أصحابهم على الجهاد ولم يرخصوا لهم تركه إلا- أننا نجد أن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم تركوه في حنين إلا- عشره أفراد كما ورد ذلك في كتب التاريخ.

جاء في تاريخ الطبرى أنه (حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمه عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ألفان من أهل مكة مع عشره آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفاً، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أميه بن عبد شمس على مكة أميراً على من غاب عنه من الناس، ثم مضى على وجهه يريد لقاء هوازن).

(حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمه، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتاده، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه، قال: لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا في واد

من أوديه تهامه أجوف حطوط إنما ننحدر فيه انحداراً، قال: وفي عَمَايَه الصبح، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادي فكمنوا لنا في شعابه، وأحنائه، ومضايقه؛ قد أجمعوا وتهيؤوا وأعدوا فو الله ما راعنا، ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شده رجل واحد، وانهزم الناس أجمعون فانشمروا لا يلوى أحد على أحد؛ وانحاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات اليمين، ثم قال:

« أين أيها الناس؟ هلم إلى أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله.»

قال: فلا شيء احتملت الإبل بعضها بعضاً، فانطلق الناس إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته(١).

١- تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٤٦٣ ٤٦٤.

الخطبه السابعه عشره: ومن خطبه له عليه السلام

اشاره

الخطبه السابعه عشره: ومن خطبه له عليه السلام (١)

-
- ١- تاريخ الطبرى: ٥، ٤٢٤. ارشاد المفيد: ٢، ٩٧ - ٩٨. إعلام الورى: ١، ٤٥٨. مقتل الحسين - عليه السلام - للخوارزمى: ١، ٢٥٣. روضه الواعظين: ١، ١٨٥. الكامل فى التاريخ: ٤، ٦١. مثير الأحزان: ٥١. الملهوف: ١٤٥. استشهاد الحسين - عليه السلام - لابن كثير: ٨٣. جواهر المطالب: ٢، ٢٨٥. البدايه والنهايه: ٨، ١٧٨. جمهره خطب العرب: ٢، ٥٢.

خطبها في كربلاء، وهي من أفصح كلامه عليه السلام، وفيها يعظ الناس ويهديهم من ضلالهم، ويذكرهم بمنزلته وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فدعا براحلته فركبها ونادى بأعلى صوته: «يا أهل العراق! وجُلُّهُم يَسْمَعُونَ فقال:

نص الخطبه

اشاره

«أَيُّهَا النَّاسُ اسْمِعُوا قَوْلِي وَلَا تَعْجَلُونَ حَتَّىٰ أَعْظَمَكُمْ بِمَا يَحِقُّ لَكُمْ عَلَيَّ وَحَتَّىٰ أُغَيِّرَ إِلَيْكُمْ، فَإِنِ اعْطَيْتُمُونِي النَّصْفَ كَتَمْتُ بِجَدَلِكُمْ أَسْبَعَدَ، وَإِن لَّمْ تُعْطُونِي النَّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَأَجْمِعُوا رَأْيَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون، إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ».

ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ملائكة الله وأنبيائه، فلم يسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، ثم قال:

«أَمَّا بَعْدُ، فَانْسِبُونِي فَانظُرُوا مَنْ أَنَا، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُوا، فَانظُرُوا هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلِي وَإِنِّي هَاكَ حُرْمَتِي؟»

أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ، وَابْنِ وَصِيِّهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَأَوَّلِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِ لِرَسُولِ اللَّهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟ أَوْلَيْسَ حَمْزُهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمَّ أَبِي (١)؟

١- حمزه بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عماره، من قريش: عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحد صناديد قريش وساداتهم في الجاهلية والإسلام. ولد ونشأ بمكة. وكان أعز قريش وأشدّها شكيمه. ولما علم أن أبا جهل تعرّض للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ونال منه، فقصدته حمزه وضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عز محمد وإن حمزه سيمنعه. وكفوا عن بعض ما كانوا يسيئون به إلى المسلمين. وهاجر حمزه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، وحضر وقعه بدر وغيرها. وأول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لحمزه. وكان شعار حمزه في الحرب ريشه نعامه يضعها على صدره، ولما كان يوم بدر قاتل بسيفين، وفعل الأفاعيل. وقتل يوم أحد (سنه ٥٣هـ) فدفنه المسلمون في المدينة، وانقرض عقبه. الإصابة: ٢، ١٠٥/١٨٣. سير أعلام النبلاء: ١، ١٧١/١٥. الأعلام: ٢، ٢٧٨.

أَوْلَيْسَ جَعْفَرُ الطَّيَارِ (١) فِي الْجَنَّةِ بِجَنَاحَيْنِ عَمِّي؟

أَوْلَمْ يَبْلُغْكُمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِي وَلَاخِي: «هَذَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (٢)؟!.

فَإِنْ صِدَّقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ وَهُوَ الْحَقُّ، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدَتْ كَذِبًا مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمُقَّتْ عَلَيْهِ أَهْلُهُ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ لَوْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرُكُمْ، سَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِي (٣) وَأَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِي (٤) وَسَهْلَ بْنَ

١- جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم: صحابي هاشمي. من شجعانهم. يقال له «جعفر الطيار» وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وكان أسن من علي بعشر سنين. وهو من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم ويدعو فيها، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلم يزل هنالك إلى أن هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، فقدم عليه جعفر، وهو بخيبر (سنة ٧هـ) وحضر وقعه مؤته باللقاء (من أرض الشام) فنزل عن فرسه وقاتل، ثم حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين، فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى، فقطعت أيضاً، فاحتضن الراية إلى صدره، وصبر، حتى وقع شهيداً (سنة ٨هـ) وفي جسمه نحو تسعين طعنه ورميه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إِنَّ اللَّهَ عَوَّضَهُ عَنِ يَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ. الإصابه: ١، ٥٩٢/١١٦٩. سير أعلام النبلاء: ١، ٢٠٦/٣٤. الأعلام: ٢، ١٢٥.

٢- احقاق الحق: ٩، ٢٢٩.

٣- جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي: صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه جماعه من الصحابه. له ولأبيه صحبه. غزا تسع عشره غزوه. وكانت له في أواخر أيامه حلقه في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، أدرك الإمام محمد الباقر عليه السلام وأبلغه وصيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه مات سنة (٧٨هـ). الإصابه: ١، ٥٤٦/١٠٢٨. سير أعلام النبلاء: ٣، ١٨٩/٣٨. الأعلام: ٢، ١٠٤.

٤- أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد: صحابي، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه أحاديث كثيره. غزا اثنتي عشره غزوه. توفي في المدينة سنة (٧٤هـ) الإصابه: ٣، ٦٥/٣٢٠٤. سير أعلام النبلاء: ٣، ١٦٨/٢٨. الأعلام: ٣، ٨٧.

سَعْدُ السَّاعِدِيُّ (١) وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ (٢) وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ (٣)، يُخْبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِهِ الْمَقَالَهَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِي وَالْأَخِي، أَمَا فِي هَذَا حَاجِزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي؟!».

فَقَالَ لَهُ شَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ (٤): هُوَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ إِنْ كَانَ يَدْرِي مَا تَقُولُ، فَقَالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مُظَهَّرٍ (٥):

وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاكَ تَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى سَبْعِينَ حَرْفًا، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ صَادِقٌ مَا تَدْرِي مَا يَقُولُ، قَدْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِكَ.

١- سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري، من بني ساعده: صحابي، عاش نحو مائه سنة توفي سنة (٥٩١). الإصابة: ٣، ١٦٧/٣٥٤٦. سير أعلام النبلاء: ٣، ٧٢/٤٢٢. الأعلام: ٣، ١٤٣.

٢- زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري: صحابي. غزا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبع عشرة غزوه، وشهد صفين مع علي عليه السلام، ومات بالكوفة (سنة ٥٦٨). الإصابة: ٢، ٤٨٧/٢٨٨٠. سير أعلام النبلاء: ٣، ١٦٥/٢٧. الأعلام: ٣، ٥٦.

٣- أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامه أو أبو حمزه. صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخادمه. مولده بالمدينة وأسلم صغيراً وخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة، فمات فيها سنة ٩٣ هـ وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. الإصابة: ١، ٢٧٥/٢٧٧. سير أعلام النبلاء: ٣، ٣٩٥/٦٢. الأعلام: ٢، ٢٤.

٤- شمر بن ذي الجوشن، (واسمه شرحبيل) ابن قرط الضبابي الكلابي، أبو السابغة: من كبار قتله الحسين عليه السلام. كان في أول أمره من ذوى الرئاسة فى «هوازن» موصوفاً بالشجاعه، وشهد يوم «صفين» مع على عليه السلام. ثم أقام فى الكوفه، إلى أن كانت الفاجعه بمقتل الحسين فكان من قتلته. وأرسله عبيد الله بن زياد مع آخرين إلى يزيد بن معاويه فى الشام، يحملون رأس الشهيد، قتله أصحاب المختار فى «الكلتانيه» من قرى خوزستان - بين السوس والصيمره - وألقيت جثته للكلاب (سنة ٥٦٦). لسان الميزان: ٣، ١٥٢. الأعلام: ٣، ١٧٥.

٥- حبيب بن مُظَهَّر بن رثاب بن الأَشتر بن جخوان بن فقعه بن طريف بن عمرو بن قيس بن الحرث بن ثعلبه بن دودان بن أسد، أبو القاسم الأسدى الفقعهسى. كان صحابياً رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل تابعياً، ذكره ابن الكلبي، وقال أهل السير: إن حبيباً نزل الكوفه، وصحب علياً فى حروبه كلها، وكان من خاصته وحمله علومه. وكان ممن كاتب الحسين عليه السلام. ولما وصل الحسين عليه السلام إلى كربلاء التحق حبيب بركبه واستشهد بين يديه (سنة ٥٦١). إِبصار العين: ١٠٠. أعيان الشيعة: ٤، ٥٥٣. الأعلام: ٢، ١٦٦.

ثم قال لهم الحسين عليه السلام:

«فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا، أَفْتَشْكُونَ أَنَّ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ فَوَ اللَّهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِ وَالْمَغْرَبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّ غَيْرِي فِيكُمْ وَلَا فِي غَيْرِكُمْ، وَيَحْكُمُ أَتَطْلُبُونِي بِقَتْلِ مَنْكُمُ قَتْلَتُهُ، أَوْ مَالِ لَكُمْ اسْتَهْلَكْتُهُ، أَوْ بِقِصَاصِ جِرَاحِهِ؟!».

فَأَخَذُوا لَا يَكْلُمُونَهُ، فَنَادَى:

«يَا سَبَبُ بَنِي رَبْعِي، يَا حَجَّارُ بْنُ أَبَجْرٍ (١)، يَا قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ (٢)، يَا زَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ (٣)، أَلَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ أَنْ أُتِنَعْتَ الشِّمَارُ وَاخْضَرَ الْجَنَابُ (٤)، وَإِنَّمَا تَقْدِمُ عَلَيَّ جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدَةٌ؟!».

فَقَالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ: مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ، وَلَكِنْ أَنْزَلَ عَلَيَّ حَكْمَ بَنِي عَمِّكَ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يُرُوكَ إِلَّا مَا تُحِبُّ. فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«لَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الدَّلِيلِ، وَلَا أَفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيدِ».

ثم نادى:

«يَا عِبَادَ اللَّهِ، إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ، أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ».

ثم إنّه أنآخ رآحلته).

١- شبت بن ربعي التميمي اليربوعي، أبو عبد القدوس: شيخ مضر وأهل الكوفة، في أيامه. أدرك عصر النبوه، ولحق بسجاح المتنبئه، ثم عاد إلى الإسلام، وثار على عثمان. وكان ممن قاتل الحسين عليه السلام. ثم ولى شرطه الكوفه، وخرج مع المختار الثقفي، ثم انقلب عليه، وأبلى في قتاله بلاءً حسناً. وتوفى بالكوفه (سنه ٥٧٠هـ). الأعلام: ٣، ١٥٤. حجار بن أبجر... لم أعر على ترجمته.

٢- قيس بن الأشعث... لم أعر على ترجمته.

٣- يزيد بن الحارث... لم أعر على ترجمته.

٤- أبيع الثمر: أدرك وطاب وحن قطافه. والجناب: فلان رحب الجناب، وخصيب الجناب: سخي.

المعنى العام

(أَيُّهَا النَّاسُ اسْمِعُوا قَوْلِي وَلَا تَعْجَلُونَ حَتَّىٰ أَعْظَمَكُم بِمَا يَحِقُّ لَكُمْ عَلَيَّ وَحَتَّىٰ أَعِيدَرَ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ أُعْطِيتُمُونِي النَّصْفَ كُنْتُمْ بِمِثْلِكِ اسْمِعَدَ، وَإِنْ لَمْ تُعْطُونِي النَّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَأَجْمِعُوا رَأْيَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَمَّهَ ثُمَّ أَفْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ، إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ).

أيها الناس أصغوا إلى حديثي ولا تسرعوا إلى قتلي حتى أرشدكم وأنصحكم بما هو واجب ثابت لكم عليّ وحتى أصير معذوراً إليكم لا حجة لكم عليّ، فإن منحتموني العدل والإنصاف فستكونوا بذلك العدل على خير وسرور، وإن لم تمنحوني هذا العدل من ذواتكم فاتفقوا على رأى واحد ثم لا يكن حالكم عليكم مبهماً مخفياً ثم أدوا وانهوا أمركم ولا تتأخروا، إن ناصري ومتولي أمرى هو الله الذى نزل القرآن وهو الذى يملك ويدبّر وضع الأخيار الذين صلحوا فى طاعتهم لله تعالى.

(«أَمَّا بَعْدُ، فَانْظُرُونِي فَانْظُرُوا مَنْ أَنَا، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُوهَا، فَانْظُرُوا هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلِي وَإِثْنَاهُكَ حُرْمَتِي؟»)

أَلَسْتُ ابْنَ بَنَاتِ نَبِيِّكُمْ، وَابْنَ وَصِيِّهِ وَابْنَ عَمِّهِ وَأَوَّلِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِ لِرَسُولِ اللَّهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟

أَوَلَيْسَ حَمَزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمَّ أَبِي؟

أَوَلَيْسَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ فِي الْجَنَّةِ بِجَنَاحَيْنِ عَمِّي؟

أَوَلَمْ يَبْلُغْكُمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِي وَأَخِي: «هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»؟!.

أما بعد ردوني إلى أصلى وتأملوا من أنا، ثم أوبوا وثوبوا إلى ذواتكم وخاطبوها وذكروها، وتفكروا هل ينفعكم قتلى وهل يجوز لكم التجاوز على مقامى

وما حرم عليكم مني؟

أو لست ابن فاطمه الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمد نبيكم، وابن علي بن أبي طالب الذى قام مقام النبى فى قياده الأمه وابن عمه وأول من أسلم وآمن وصدق بالرسول الذى بعثه الله تعالى بشريعه الإسلام وكتابه القرآن؟

أوليس حمزه بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسيد الشهداء هو عم أبى أمير المؤمنين عليه السلام؟

أوليس جعفر بن أبى طالب الذى قطعت يده فى الحرب وأبدله الله تعالى بجناحين يطير بهما فى الجنة هو عمى وشقيق أبى على بن أبى طالب؟

ألم يصل إليكم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى ولأخى:

هذان، (أى الحسنان) سيدا شباب أهل الجنة؟

(فَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ وَهُوَ الْحَقُّ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبًا مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمُقَّتْ عَلَيْهِ أَهْلُهُ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ لَوْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ، سَيَلُّوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ وَأَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيَّ وَسَيَهْلَ بَنَ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ وَزَيْنِدَ بْنَ أَرْقَمٍ وَأَنْسَ بْنَ مَالِكٍ، يُخْبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِي وَلِأَخِي، أَمَا فِي هَذَا حَاجَزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي؟)!

فإن اعترفتم وتيقنتم قولى وهو الواقع الثابت الذى لا كذب فيه، والله ما قصدت أن أخبر بخلاف ما هو واقع وصحيح منذ أن عرفت أن الله تعالى يكره الكذب وأهله، وإن أنكرتم قولى ولم تصدقونى فإن فى أمتكم من لو سألتموه عما حدثتكم به لأخبركم بصدق قولى وصحته، ومن هؤلاء جابر بن

عبد الله الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، فهؤلاء ممن سمع مقاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى ولأخى وسيخبرونكم ويزيدونكم بما قال فى حقنا، ألا يكفى هذا فى ردعكم عن قتلى أو يكون حاجباً ومانعاً من إراقه دمي؟

(فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا، افْتَشُرُوا أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّ غَيْرِي فِيكُمْ وَلَا فِي غَيْرِكُمْ، وَيَحْكُمُ اتِّطَلُبُونِي بِقَتْلِ مَنْكُم فَتَلْتَهُ، أَوْ مَالٍ لَكُمْ اسْتَهْلَكْتَهُ، أَوْ بِقِصَاصٍ جِرَاحِهِ؟!).

فإن كنتم فى ريب من قولى ولا تصدقونى فى ذلك، أترتابون فى أنى ابن فاطمه الزهراء بنت نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فو الله ما على وجه الأرض ابن بنت نبيى غيرى فيكم ولا فى غيركم من الأمم، ويل لكم أتريدونى لتقتصوا منى فى قتل منكم قتلته أو أهلكته، أو مالٍ لكم أنفقته وأنفدته، أو تطلبونى بجنايه جرح أوقعتها على أحد منكم؟

(يَا سَبَبُ بِنِّ رَبِّعِي، يَا حَجَّارُ بِنِّ أَبَجْرٍ، يَا قَيْسُ بِنِّ الْأَشْعَثِ، يَا يَزِيدُ بِنِّ الْحَارِثِ، أَلَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ أَنْ أُيْتِعْتَ الثَّمَارُ وَأَخْضَرَ الْجَنَابُ، وَإِنَّمَا تَقْدِمُ عَلَيَّ جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدِهِ؟!).

ألم تراسلونى وتخبرونى بأنه حان وقت قطاف الثمار، وصارت الأرض أو الناحية التى نحن فيها شديده الخضره كناية عن تهيئه الأمور وتمامها وإذا جئت ستجىء على أنصار وأعوان حاضره ومستعده.

«لَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الدَّلِيلِ، وَلَا أُفْرُ فِرَارَ الْعَبِيدِ».

يقسم الإمام عليه السلام إنه لا ينقاد إليهم كما ينقاد الخاضع والخانع، ولا يهرب منهم كما يهرب المملوك من سيده.

(يا عباد الله، إني عذتُ برَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَوْجُمُونِ، أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ).

يا من هم ملكك الله تعالى إني أعتصم بالله وألجأ إليه في أن ترموني بالحجارة، وأعتصم بالله تعالى من كل جاحد قاهر لا يعترف بيوم القيامة.

في الإنصاف سعادته

«فَإِنْ أُعْطِيتُمُونِي النَّصْفَ كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ... الخ».

أنصف الشيء: عدل، أنصف فلانا: عامله بالعدل، أعطى له حقه (١).

الإنصاف: هو أن تعدل مع الآخرين ولا تبخسهم حقهم وإن كان من نفسك وما يؤيد ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«الْعَدْلُ الْإِنْصَافُ» (٢).

حث الأحاديث الشريفة على ضروره التحلى بهذه الفضيله التي لا- يتصف بها إلا- أهل الإيمان والصلاح، ولا يتزين بها إلا الأشراف من الناس فلذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«الْإِنْصَافُ شِيمَةُ الْأَشْرَافِ» (٣).

فلإنصاف آثار رائعه نلمس من خلالها السعاده التي يعيشها المنصف وهذا ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في الأحاديث الآتية:

١ الإنصاف يوجب المثوبه العظيمه كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

١- المعجم الوسيط: ص ٩٢٦.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٦٧، ح ٦١. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٤٢٧، ح ١١٩٩١.

٣- غرر الحكم: ٥٧٠. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٣٠، ح ٢٠١٩٩.

«إِنَّ أَعْظَمَ الْمَثُوبَةِ مَثُوبَةُ الْإِنْصَافِ»(١).

٢ إذا حرص المرء على إدامه العلاقة مع الناس بالموده والمحبه فليتصف بالإنصاف وهذا ما أكده قوله عليه السلام:

«الْإِنْصَافُ يَشْتَدِيهِ الْمَحَبَّةُ»(٢).

٣ الإنصاف يوجب الوحده والأخوه ويمنع التنازع والخصومه كما ورد في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«الْإِنْصَافُ يَزُفَعُ الْخِلَافَ، وَيُوجِبُ الْإِتِّلَافَ»(٣).

٤ الإنصاف وسيله للتلقى والاستمراريه فى العلاقات كما فى قوله عليه السلام:

«بِالنَّصْفِ يَكْتُمُ الْمُوَاصِلُونَ»(٤).

٥ الإنصاف يوجب توسيع الرقعه الاجتماعيه للفرد إذ جاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«الْمُنْصِفُ كَثِيرُ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَوْدَاءِ»(٥).

٦ الإنصاف يورث الاستقرار والطمأنينه وعدم التعب كما ورد عنه عليه السلام:

«الْإِنْصَافُ رَاحَةٌ»(٦).

١- غرر الحكم: ٣٣٨٧. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣٠، ح ٢٠١٩٤.

٢- غرر الحكم: ١٠٧٦. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣٠، ح ٢٠١٩٦.

٣- غرر الحكم: ١٧٠٢. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣٠، ح ٢٠١٩٨.

٤- نهج البلاغه: الحكمه: ٢٢٤. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣٠، ح ٢٠٢٠٥.

٥- غرر الحكم: ٢١١٦. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣٠، ح ٢٠٢٠٦.

٦- غرر الحكم: ١٦. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣٠، ح ٢٠٢٠٠.

٧ الإنصاف يخلع على المنصف الجمال المعنوي، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«تَأْجُ الرَّجُلُ عَفَافُهُ، وَزَيْنُهُ إِنْصَافُهُ» (١).

٨ الإنصاف يدل على سخاء وجود صاحبه، حيث قال عليه السلام:

«الْمُنْصِفُ كَرِيمٌ، الظَّالِمُ لَثِيمٌ» (٢).

٩ الإنصاف يدفع عنك سوء الضرر، بل قد يدفع عن غيرك ممن أنت معهم، كما جاء في قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لابن مسعود:

«يَا بَنَ مَسْعُودٍ، أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَأَنْصِحِ الْأُمَّةَ وَارْحَمْهُمْ، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ بَلَدِهِ أَنْتَ فِيهَا وَأَرَادَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ نَظَرَ إِلَيْكَ فَارْحَمْهُمْ بِكَ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ) (٣)» (٤).

١٠ من أراد العزة والابتعاد عن الذلة فليكن منصفا كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَلَا إِنَّهُ مَنْ يُنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا عِزًّا» (٥).

وبعد التأمل في الآثار الرائعة التي يورثها الإنصاف نجد أن المنصف يعيش السعادة الحقيقية ولكي يتضح العنوان (في الإنصاف سعادته) نجري هذا التأليف بين أحاديث أهل البيت عليهم السلام وكما يلي:

١- غرر الحكم: ٤٤٩٥. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣٠، ح ٢٠٢٠١.

٢- غرر الحكم: ٥٤. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣٠، ح ٢٠٢٠٧.

٣- سورة هود، الآية: ١١٧.

٤- مكارم الأخلاق: ج ٢، ص ٣٦٠، ح ٢٦٦٠. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣٢، ح ٢٠٢٢٦.

٥- الكافي: ج ٢، ص ١٤٤، ح ٤. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣٢، ح ٢٠٢٢٨.

١ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن للمنصف محبه وموده في قلوب الناس بدليل قوله عليه السلام:
«المنصف كثير الأولياء والأوداء».

والمنصف الذى يتخذ الإنصاف صفه يتعامل بها مع الناس ينال محبتهم وتواصلهم وهذا مضمون قوله عليه السلام:
«الإنصاف يديم المحبه».

وقوله عليه السلام:

«بالنصفه يكثر الموصلون».

فلا شك في أن من اتصف بالإنصاف ينال ثناء الناس ومدحهم وإلا كيف يتواصلون معه وكيف يكتنون له الموده دون أن يكون لهم في قلوبهم منزله؟

٢ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«عُنْوَانُ صَاحِبِهِ السَّعِيدِ حُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ» (١).

وبضم هذا الحديث مع الأحاديث أعلاه يتضح أن المنصف هو من نال ثناء الناس وحبهم، وأن من نال ثناء الناس وحبهم فهو السعيد، فصار المنصف سعيداً.

٣ قلنا في عنوان البحث (في الإنصاف سعادته) وحيث إن الإنصاف هو الالتزام بالحق قولاً ومنهجاً فهذا يؤدي بدوره إلى السعادة، إذن في الإنصاف سعادته ومما يؤكد ذلك أيضاً قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فِي لُزُومِ الْحَقِّ تَكُونُ السَّعَادَةُ» (٢).

وبهذا المقدار نكتفى لبيان عنوان البحث.

١- كشف الغمه: ج ٣، ص ١٣٧. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٣٧، ح ٨٥٣٧.

٢- غرر الحكم: ٦٤٨٩. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٣٨، ح ٨٥٤٥.

نصائح في الإنصاف

١ ليكن الإنصاف خلقاً تتعامل به مع عامه الناس ولكن لا بد من إكرام المؤمن بما هو أفضل من الإنصاف وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«عَامِلٌ سَائِرِ النَّاسِ بِالْإِنْصَافِ، وَعَامِلٌ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِيثَارِ» (١).

٢ إذا حرصت على إدامه الأخوة بينك وبين غيرك من أخوانك فلا تبخل عليهم بالإنصاف ولكن من دون أن تطالبهم به كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ مُطَالِبُهُ الْإِخْوَانَ بِالْإِنْصَافِ» (٢).

٣ لكي تكون أفضل من غيرك لا بد أن تمتاز عليه بشيء، فلذا أنت مطالب بإنصاف من لم ينصفك بل من ظلمك وهو ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام في هذين الحديثين:

«الْمُؤْمِنُ يُنْصَفُ مَنْ لَا يُنْصِفُهُ» (٣).

وعنه عليه السلام قال:

«أَعْدَلُ النَّاسِ مَنْ أَنْصَفَ مَنْ ظَلَمَهُ» (٤).

٤ الانتصار على النفس وسيله من وسائل التزكية والسلوك إلى الله تعالى فلذا ورد في الأحاديث التاليه:

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

١- غرر الحكم: ٦٣٤٢. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣١، ح ٢٠٢١٠.

٢- أمالي الطوسي: ص ٢٨٠، ح ٥٣٧. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣١، ح ٢٠٢١٤.

٣- غرر الحكم: ١٤١٠. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣١، ح ٢٠٢١٥.

٤- غرر الحكم: ٣١٨٦. ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ٤٣٣١، ح ٢٠٢١٦.

«إِنَّ أَفْضَلَ الْإِيمَانِ إِنْصَافُ الرَّجُلِ مِنْ نَفْسِهِ» (١).

وعنه عليه السلام قال:

«أَنْصَفَ النَّاسِ مَنْ أَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ حَاكِمٍ عَلَيْهِ» (٢).

وعنه عليه السلام أيضا:

«إِنَّكَ إِنْ أَنْصَفْتَ مِنْ نَفْسِكَ أَزَلَفَكَ اللَّهُ» (٣).

بحث عقائدي

هل يكذب الإمام سهواً أو نسياناً؟

بعد أن عرّف الإمام نفسه للذين أعمى الله تعالى أبصارهم وبصائرهم، لكي يلقي عليهم الحجة انتقل إلى فقره أخرى فقال:

«فَإِنْ صَدَقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ وَهُوَ الْحَقُّ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبًا مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمُقُّ عَلَيْهِ أَهْلَهُ...».

قبل التعرض إلى معرفه هذه الرذيله وآثارها السيئه نريد أن نقف على أمر مهم وهو كالاتى:

قال الإمام الحسين عليه السلام فقره تستوقف المشككين وغير العارفين بمقام الإمام عليه السلام ألا وهى:

« وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبًا مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمُقُّ عَلَيْهِ أَهْلَهُ... ».

فينتج منها تساؤل وهو:

١- غرر الحكم: ٣٤٣٩. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٣٢، ح ٢٠٢٢٠.

٢- غرر الحكم: ٣٣٤٥. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٣٢، ح ٢٠٢٢١.

٣- غرر الحكم: ٣٨٠٣. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٣٢، ح ٢٠٢٢٤.

س: هل يفهم من قوله عليه السلام أنه لم يتعمد الكذب فقط، لكن يحتمل صدور الكذب منه سهواً أو نسياناً؟

سؤال: قوله عليه السلام (منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله) هل أن الكذب صدر عن الإمام قبل علمه بأن الله تعالى يمقت الكاذبين؟

وسنجيب عن هذه الأسئلة بما يلي:

الجواب الأول:

١ إن عصمه الإمام التي ثبتت في محلها تمنعه من الوقوع في الكذب عمداً وسهواً ونسياناً وإلا انتقض الغرض من الإمامه.

٢ يفهم من قوله (ما تعمدت) الآتي:

ألف: ربما يكون إشاره إلى أن قول الكذب عمداً يعد ذنباً وما صدر من كذب نسياناً أو اشتباهاً لا يعد كذلك، فلذا أراد الإمام أن يوصل رساله للمخاطبين أنه معصوم من الذنب عمداً فهو أولى بالخلافه والنصره من الفاسقين العاصين.

باء: لعله عليه السلام أراد بقوله (ما تعمدت) مداراه عقول المخاطبين الذين يرون الإمام إنساناً كعامه الناس يصيب يُخطئ، وهذا تجسيد لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»^(١).

جيم: لعله أراد بقوله (ما تعمدت كذباً...) إستغناءه عن الكذب؛ إذ لا يحتاج إلى الكذب إلا من آثر رضا نفسه على رضا ربه وانقاد وراء مصالحه، وهو لم ولن يكون هكذا أبداً.

١- الكافي للكليني: ج ١، ص ٢٣، ح ١٥.

دال: لعله عليه السلام أراد أن يقول إن الكذب يصدر عمدًا أو نسيانًا أو سهوًا، ولا يؤخذ العبد بالكذب الذى صدر عنه سهوًا أو نسيانًا، فلذا أراد أن يشير إلى أن تعمد الكذب من دون النسيان أو السهو، هو ما يمقته الله تعالى وأما ما صدر سهوًا أو نسيانًا فلا مقت على أهله ليتضح للناس يسر الدين الإسلامى وخلوه من الحرج.

هاء: ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(١).

وما نقله الإمام الحسين عليه السلام من حديث عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حقه وحق أخيه ليس كذبا، ولذا على الأمة أن ترتب الأثر على مضمون هذا الحديث وهو حفظ دم الحسين عليه السلام كونه أحد السيدين لأهل الجنة.

وفى خاتمه الجواب لا- يسعنا إلا- أن نقول إن الإمام المعصوم عليه السلام أدرى بمراده وأعلم بما يقول، وما قولنا المتقدم إلا مقدار ما فهمناه من قوله عليه السلام.

الجواب الثانى: فى مقام الجواب على السؤال الثانى الذى تقدم يكون على شكل نقاط نتسلسله وهو كما يلى:

١ إن الإمام الحسين عليه السلام من أهل البيت عليهم السلام الذين شملتهم آية التطهير.

٢ يلزم من هذا أن يكون الإمام معصوماً عن الوقوع فى الحرام بتسديد من الله تعالى دون أن يكون مجبراً على العصمه، وما استحق الإمام هذا التسديد الإلهى إلا لعلم الله تعالى بأنه سيختار الورع عن المعصيه كما أشار الإمام الباقر عليه السلام إلى ذلك بقوله:

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج ١، ص ٢١٢.

«إِذَا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى حُسْنَ تَيْبِهِ مِنْ أَحَدٍ اِكْتَنَفَهُ بِالْعِصْمَةِ» (١).

٣ إتيان الطاعة وترك المعصية لا بد أن يكون مسبوقاً بعلم، لأن لا طاعة إلا بمعرفة فيلزم من هذا أن الإمام علم بقباحة الكذب منذ أن اختاره الله تعالى لأمر عباده وهذا ما يؤكد الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«إِنَّ الْعَبِيدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَمْرِ عِبَادِهِ شَرَحَ صِدْرَهُ لِذَلِكَ، وَأَوْدَعَ قَلْبَهُ يَنْبِيعَ الْحِكْمَةِ، وَأَلْهَمَهُ الْعِلْمَ الْإِهَامًا، فَلَمْ يَعْى بَعْدَهُ بِجَوَابٍ وَلَا يَحِيرُ فِيهِ عَنِ الصَّوَابِ» (٢).

فيظهر من حديث الإمام الرضا عليه السلام أن الإمام ألهم العلم بالفضائل والردائل منذ اختيار الله تعالى له ليكون إماماً، وهذا قبل وجوده الدنيوي كما سيأتي في النقطة اللاحقة.

٤ اختار الله تعالى أهل البيت عليهم السلام قبل عالم الدنيا، وعلى هذا فالإمام عالم بقباحة الكذب، وعارف بأن الله تعالى يمقت الكاذبين قبل عالم الدنيا والدليل على ذلك ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأحاديث التالية:

جاء في كتاب المحتضر للحسن بن سليمان: من كتاب السيد حسن بن كبش ممّا أخذه من المقتضب، ووجد في المقتضب أيضاً مسنداً عن سلمان الفارسي رحمه الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا سلمان خلقتني الله من صفوه نوره فدعاني فأطعته وخلق من نورى علياً فدعاه (إلى طاعته) فأطاعه، وخلق من نورى ونور على فاطمه فدعاها فأطاعته، وخلق منى ومن على (من) فاطمه (٣) الحسن والحسين فدعاها فأطاعاه فسمّانا

١- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٨٨، ح ٤١. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٤٥، ح ١٣٠٧٨.

٢- الكافي: ج ١، ص ٢٠٢، ح ١. ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٧٧، ح ٩٤٨.

٣- ورد في كتاب مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام: ص ٦٤، باب: في معرفه الأئمة، «من نورى ونور على وفاطمه».

الله (عَزَّ وَجَلَّ) بخمسة أسماء من أسمائه، فالله المحمود وأنا محمّد والله العليّ (١) وهذا عليّ، والله فاطر وهذه فاطمه والله الإحسان (٢) وهذا الحسن والله المحسن (٣) وهذا الحسين عليهم السلام، ثم خلق [منا] ومن نور الحسين عليه السلام تسعة أئمّه فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله [عزّ وجلّ] سماءً مبيته، أو أرضاً مدحيّه، أو هواءً أو ماءً أو ملكاً، أو بشراً، وكنا بعلمه أنوارا نسبّحه ونسمع له ونطيع (٤).

وورد في كتاب كنز الفوائد عن ابن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا بن مسعود إنّ الله تعالى خلقني وخلق عليّاً والحسن والحسين عليهم السلام من نور قدسه، فلما أراد أن ينشئ خلقه (٥) فتق نوري وخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجّل من السماوات والأرض، وفتق نور عليّ وخلق منه العرش والكرسى وعليّ والله أجّل من العرش والكرسى، وفتق نور الحسن عليه السلام وخلق منه الحور العين والملائكة والحسن والله أجّل من الحور العين والملائكة، وفتق نور الحسين عليه السلام وخلق منه اللوح والقلم والحسين والله أجّل من اللوح والقلم (٦).

١- ورد في كتاب المحتضر لحسن بن سليمان الحلبي: ص ٢٦٧، باب: النص على الأئمة الإثني عشر، «الأعلى».

٢- ورد في كتاب دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري (الشيعة): ص ٤٤٨، باب: معرفه وجود القائم عليه السلام، «والله ذو الإحسان».

٣- ورد في بحار الأنوار للمجلسي: ج ١٥، ص ١٠، باب ١، «والله المحسن».

٤- عوالم العلوم والمعارف والأحوال، الشيخ عبد الله البحراني: ج ١٧، ص ٥٥، ح ١. بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ١٤٢، ح ١٦٢.

٥- في المصدر: ينشئ الصنعه.

٦- عوالم العلوم والمعارف والأحوال، الشيخ عبد الله البحراني: ج ١٧، ص ٦٤، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٣٦، ص ٧٣.

الكذب وآثاره

الكذب: فى اللغة هو الإخبار عن الشئ بخلاف ما هو عليه فى الواقع (١).

الكذب عند علماء الأخلاق، هو خلق نفسانى رذيل من رذائل التى توافق مجال الكذب.

إن الكذب قد يحصل فى أمور منها:

ألف: الكذب فى القول: وهو الأخبار عن الأشياء بما لا يوافق الواقع.

باء: الكذب فى النية: وهو أن يكون الباعث على العمل شئ آخر مع الله تعالى.

جيم: الكذب فى الظاهر: وهو أن يكون ظاهره لا يوافق باطنه.

دال: الكذب فى الدين: وهو أن يكون راجيا ولكن لا يعمل عمل الراجين، أو خائفا ولا يعمل عمل الخائفين.

فالكذب أقبح الذنوب وأخبثها فلذا ورد عن الإمام العسكرى عليه السلام:

«جُعِلَتِ الْخَبَائِثُ فِي بَيْتٍ وَجُعِلَ مِفْتَاحُهُ الْكَذِبُ» (٢).

ولا شك فى وضاعه صاحبه وخسه قدره، وإلا لما حذر منه أمير المؤمنين بقوله:

«تَحَفَّظُوا مِنَ الْكِذْبِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَدْنَى الْأَخْلَاقِ قَدْرًا، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْفُحْشِ وَضَرْبٌ مِنَ الدَّنَاءِ» (٣).

وقد أكدت الآيات الكريمة على أن الكذب والافتراء من أخلاق الكافرين والمنافقين كما فى قوله تعالى:

١- المعجم الوسيط: ص ٧٨٠.

٢- الدرّ الباهره: ص ٤٣. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٢، ح ١٧٤١٠.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٦٤، ح ١٥٧. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٠، ح ١٧٣٩٣.

(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) (١).

وقوله تعالى:

(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) (٢).

وما ذكره علماء الأخلاق هو أن الكذب يوقع المخاطب في الجهل ويلحق به الضرر وهذا مما حرمه الله تعالى (٣).

آثار الكذب

لا شك في أن لكل رذيله آثاراً ونتائجاً قبيحة يحب الحذر منها، وهذا ما جاء في لسان الأحاديث والروايات الشريفة وهي كما يلي:

١ الكذب يوجب الابتعاد عن حالة الإيمان وهو ما أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام:

«إِنَّ الْكِذْبَ هُوَ خَرَابُ الْإِيمَانِ» (٤).

٢ الكذب يُزيل جمال الإنسان ويجعل وجهه كالحا كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كَثْرَةُ الْكِذْبِ تَذْهَبُ بِالْبَهَاءِ» (٥).

١- سورة النحل، الآية: ١٠٥.

٢- سورة التوبة، الآية: ٧٨.

٣- جامع السعادات: ج ٢، ص ٣٢٤.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٤٧، ح ٨. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤١، ح ١٧٤٠٦.

٥- بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥٩، ح ٢٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤١، ح ١٧٤٠٧.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ الْكِذْبَ يُسْوَدُّ الْوَجْهَ» (١).

٣ الكذب يوجب الدخول فى النار وهو ما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما سأله رجل عن عمل الجَنَّةِ قال:

«الصَّدْقُ، إِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرًّا، وَإِذَا بَرَّ آمَنَ، وَإِذَا آمَنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا عَمَلُ النَّارِ؟ قَالَ:

«الْكَذْبُ، إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ فَجْرًا، وَإِذَا فَجَرَ كَفْرًا، وَإِذَا كَفَرَ، يَعْنَى دَخَلَ النَّارَ» (٢).

٤ الكذب يورث الحسره والندم فلذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام فى وصيته لابنه الحسن عليه السلام:

«عَاقِبَةُ الْكِذْبِ النَّدَمُ» (٣).

٥ الكذب طريق إلى النفاق وهو ما أكده الإمام على عليه السلام بقوله:

«الْكَذْبُ يُؤَدِّي إِلَى النِّفَاقِ» (٤).

٦ الكذب يجعل صاحبه من الأموات وهو ما حذر منه الإمام على عليه السلام:

«الْكَذَّابُ وَالْمَيِّتُ سَوَاءٌ، فَإِنَّ فَضِيلَةَ الْحَيِّ عَلَى الْمَيِّتِ الثَّقَةُ بِهِ، فَإِذَا لَمْ يُتَّقَ بِكَلَامِهِ بَطَلَتْ حَيَاتُهُ» (٥).

١- الترغيب والترهيب: ج ٣، ص ٥٩٦، ح ٢٨. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٦، ح ١٧٤٤١.

٢- الترغيب والترهيب: ج ٣، ص ٥٩٢، ح ١٣. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤١، ح ١٧٤٠٨.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢١١، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٦، ح ١٧٤٤٦.

٤- غرر الحكم: ١١٨١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٦، ح ١٧٤٤٩.

٥- غرر الحكم: ٢١٠٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٧، ح ١٧٤٥٧.

٧ الكذب يوجب الجراه على الكبائر وهو ما نبه عليه الإمام زين العابدين عليه السلام ولده بقوله:

«اتَّقُوا الْكُذِبَ الصَّغِيرَ مِنْهُ وَالْكَبِيرَ، فِي كُلِّ جِدِّ وَهَزْلِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَذَبَ فِي الصَّغِيرِ اجْتَرَأَ عَلَى الْكَبِيرِ» (١).

٨ الكذب يؤدي إلى عدم التوفيق كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ الْكِذْبَةَ فَيُحْرَمُ بِهَا صَلَاةَ اللَّيْلِ» (٢).

٩ الكذب يؤدي إلى نقصان البركة والرزق وهو ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الْكَذِبُ يُنْقِصُ الرِّزْقَ» (٣).

١٠ الكذب يؤدي إلى عدم الثقة به من قبل الناس كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ قَلَّتِ الثَّقَةُ بِهِ، مَنْ تَجَنَّبَ الْكَذِبَ صَدَّقَتْ أَقْوَالُهُ» (٤).

نصائح

النصيحة الأولى

قد يختلج في ذهن المؤمن أن الكذب في المزاح هو كذب أبيض لخلوه من الضرر، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام حذروا من هذا الاشتباه لكي لا يقع المؤمن في هذه المعصية.

١- بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٣٥، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٣، ح ١٧٤١٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٦٠، ح ٢٩. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٧، ح ١٧٤٦٢.

٣- الترغيب والترهيب: ج ٣، ص ٥٩٦، ح ٢٩. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٧، ح ١٧٤٦٣.

٤- غرر الحكم: ٨٨٨٨، ٩١٨١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٧، ح ١٧٤٥٤.

ولذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ الْكِذْبَ لَا يَصْلِحُ مِنْهُ جِدٌّ وَلَا هَزْلٌ، وَلَا أَنْ يَعِدَ الرَّجُلُ ابْنَهُ ثُمَّ لَا يُنْجِزَ لَهُ، إِنَّ الصُّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْكِذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ» (١).

وأكد أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بقوله:

«لَا يَصْلِحُ مِنَ الْكِذْبِ جِدٌّ وَلَا هَزْلٌ، وَلَا أَنْ يَعِدَ أَحَدُكُمْ صَبِيَّهُ ثُمَّ لَا يَفِي لَهُ، إِنَّ الْكِذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ» (٢).

النصيحة الثانية

إن علاقه الأب بابنه علاقه رحم ودم وعِشره ومودّه ورحمه، فهذه العلاقه تجعل الأب يتعامل مع ولده معامله خاليه من التعقيد أو الرسميات فيقع في بعض المحذورات جراء ذلك، فيرى نفسه معفيا عن التجاوزات أو التقصيرات إزاء ولده فلا يُسأل عما يفعل مع ولده ولا يرى حرجا في ذلك كأن يعد الرجل ولده ولا يفي بوعدته مثلاً:

أن أئمه الخلق؛ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام يرفضون هذا الشعور ويذمون هذا التقصير ويحذرون منه كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتقدم:

«إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، ولا أن يعد الرجل ابنه ثم لا ينجز له...».

فإن هذا الفعل فضلا عن كونه عدم وفاء بالموعد يعد كذبا لا يليق بالمؤمن لاسيما أمام ولده وأهل بيته.

١- كثر العمال: ٨٢١٧. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٢ ٣٥٤٣، ح ١٧٤١٥.

٢- أمالي الصدوق: ص ٣٤٢، ح ٩. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٣، ح ١٧٤١٦.

النصيحة الثالثة

عندما يعيش الإنسان في مجتمعه يحتاج إلى طريقه مثلى في التعامل مع أفراد المجتمع لكي يكون فاضلاً مهذباً في مجتمعه فيتكلم عندما يحتاج إلى الكلام ويفعل عندما يحتاج إلى الفعل، إلا أن عليه أن يجتنب الكذب في القول والفعل لينال احترام المجتمع وتوقيره، وهذا أمر لا يختلف فيه عاقلان إلا أن بعض الناس يقع في اشتباه آخر وهو أن يقول قولاً يخالف ما في سريره دون اضطرار لذلك من تقيه أو نحوها، فعلى سبيل المثال:

ألف: عندما يُكرم المرء بشيء يشتهيه، يرد: إننى لا أشتهى ذلك تأدباً أو لعدم رغبه في مجامله الآخر أو لغايه أخرى فيقع في الكذب دون حاجه لذلك وهذا مما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد ذلك في بحار الأنوار، (عن أسماء بنت عميس:

كُنْتُ صَاحِبَةَ عَائِشَةَ الَّتِي هَيَّأَتْهَا وَأَدْخَلَتْهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَعِيَ نِسْوَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا وَحَدَّثَنَا عِنْدَهُ قَوْلًا إِلَّا قَدَحًا مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ ثُمَّ نَاولَهُ عَائِشَةَ قَالَتْ: فَاسْتَحْيَيْتِ الْجَارِيَةَ، فَقُلْتُ: لَا تَرُدِّينَ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ، حُذِيَ مِنْهُ، قَالَتْ: فَأَخَذَتْهُ عَلَى حَيَاءٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ:

«ناولى صواحبيك».

فَقُلْنَ: لَا نَشْتَهِيهِ، فَقَالَ:

«لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكُذْبًا».

قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ قَالَتْ إِحْدَانَا لشيءٍ، تَشْتَهِيهِ: لَا نَشْتَهِيهِ، أَيْعُدُّ ذَلِكَ كُذْبًا؟ قَالَ:

«إِنَّ الْكُذْبَ لَيُكْتَبُ حَتَّى يُكْتَبَ الْكُذْبِيُّهُ كُذْبِيَّهُ» (١).

باء: عندما يتعامل الأبوان مع ولدهما الصغير بغير الصدق ظنا منهما أن هذه التعامل جائز مع الصغار فهذا كذب صريح وهو ما تبينه لنا هذه الرواية:

ورد في الترغيب والترهيب (عن عبد الله بن عامر:

دَعَنْتِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟».

قالت: أَرَدْتُ أَنْ أُعْطِيَهُ تَمْرًا:

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ» (١).

فيظهر مما تقدم أن ما نعتقه أمراً بسيطاً وكذباً صغيراً لا إشكال فيه، هو اعتقاد خاطئ ووهم كبير وهذا ما يؤكد قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سألته أسماء بنت عميس: إن قالت إحدانا لشيءٍ تشتهيهِ: لا أشتهيه يُعدُّ كذباً، قال:

«إِنَّ الْكِذْبَ لَيُكْتَبُ حَتَّى يُكْتَبَ الْكُذْبِيُّهُ كُذْبِيَهُ» (٢).

النصيحة الرابعة

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تنهى عن القول والفعل الكاذب، وتشير إلى عاقبة الكذب كما في قوله تعالى:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (٣).

وقوله تعالى:

١- الترغيب والترهيب: ج ٣، ص ٥٩٨، ح ٣٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٣ ٣٥٤٤، ح ١٧٤٢١.

٢- الترغيب والترهيب: ج ٣، ص ٥٩٧، ح ٣٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٣، ح ١٧٤٢٠.

٣- سورة الأنعام، الآية: ٢١.

(وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى) (١).

وقوله تعالى:

(وَيْلٌ لِّیَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) (٢).

وهناك آيات كثيرة في ذلك، كما أن هناك الكثير من الروايات التي تحذر من السقوط في هذه الرذيلة المقيته كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ بِهِ كَاذِبٌ» (٣).

وقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَعْظَمُ الْخَطَايَا عِنْدَ اللَّهِ اللَّسَانُ الْكَذُوبُ» (٤).

ومن الأسباب التي توقع الإنسان في الكذب هو أن يتحدث بكل ما يسمع وهذا ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كَفَى بِالْمَرْءِ مِنَ الْكُذْبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» (٥).

وقول أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب له إلى الحارث الهمداني:

«وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا» (٦).

فيظهر مما تقدم أن العاقل لا ينقل كل ما سمعه لغيره لكي لا يقع في الكذب.

١- سورة الليل، الآية: ٩.

٢- سورة المرسلات، الآية: ١٥.

٣- تنبيه الخواطر: ج ١، ص ١١٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٣٨، ح ١٧٣٧٣.

٤- كنز العمال: ٨٢٠٣. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٣٨، ح ١٧٣٧٧.

٥- كنز العمال: ٨٢٠٨، ٨٢٠٩. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٤، ح ١٧٤٢٢.

٦- نهج البلاغة: الكتاب ٦٩. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٨، ص ٤١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٤، ح ١٧٤٢٤.

النصيحة الخامسة

إن كذبت مره أو عدداً من المرات فلا يسعك إلا أن تستغفر وتترك ما أنت فيه من المعصية لكي لا تكتب عند الله من الكاذبين وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«ما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً»^(١).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٢).

وقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما يزال أحدكم يكذب حتى لا يبقى في قلبه موضع إبره صدق، فيسمى عند الله كذاباً»^(٣).

النصيحة السادسة

لابد للمرء من مخالطة الناس ومعاشرتهم إلا من حذر منه أهل البيت عليهم السلام وهم البخيل والأحمق والفاجر والكذاب، ولأن الكذاب هو محل حديثنا نورد هذا التحذير الذي ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لا تشنعن بكذاب... فإن الكذاب يقرب لك البعيد، ويبعد لك القريب»^(٤).

ولكى تجمع النصائح كلها وتعيش حلاوه الفضيله وتنال خير الدنيا والآخرة ما عليك إلا أن تترك الكذب مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ومع نفسك ومع الناس أجمعين.

١- الكافي: ج ٢، ص ٣٣٨، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٥، ح ١٧٤٣٣.

٢- تنبيه الخواطر: ج ١، ص ١١٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٥، ح ١٧٤٣٤.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥٩، ح ٢٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٥، ح ١٧٤٣٢.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٣٠، ح ١٣. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٤٧، ح ١٧٤٥٩.

إبَاء الإمام الحسين عليه السلام

إشاره

أبى إبَاءً وإبَاءه، أبى الشىء: رفضه، لم يرضه، كرهه، الإباء: الرفض، النفر، عزه النفس والأنفه (١). الإباء: هو الامتناع عن الوقوع فى أمر يذل النفس، أو قبول أمر يأتى منه صغر النفس وذلها.

فعلو النفس وسموها لا- يتحقق إلا- بعد اتصاف النفس بصفات فاضله كالزهد فى الدنيا والصبر على البلوى والسخاء والوجود والشجاعه والغيره على الدين والعرض، كما أن للصفات الفاضله الأخرى دخلاً كبيراً فى عزه النفس ورفعته.

وعند التأمل فى شخصيه الإمام الحسين عليه السلام ومقامها وصفاتها لا نرضى له إلا أن يكون سيداً فى كل صفه فاضله، ولا نتخيل أن نراه على خلاف ذلك، فلا بد أن يكون الإمام الحسين عليه السلام أياً عزيزاً سامياً عالياً من جهه كونه أحد المطهرين الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ومن جهه أخرى كونه سيد شباب أهل الجنة، ومن جهه ثالثه فإنه إمام مفروض الطاعه:

«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

ولا بد للإمام أن يكون قدوه لغيره فى كل فضيله وخلق رفيع. ولكى نقف على حقيقه الإباء لا بد من معرفه الصفات التى تعد منشأ لهذه الصفه النبيله وهى كما يلى:

العزه

هذه الفضيله هى ضد رذيله الذل فلذا جاء فى كتب اللغه: عَزَّ عَزاً: قَوِيٌّ وَبَرِيٌّ مِنَ الذَّلِّ، وَالْعِزَّةُ: الْقُوَّةُ وَالْغَلْبَةُ، الْحَمِيَّةُ وَالْأَنْفَةُ (٢).

فالعزه من صفات المؤمنين فضلا عن الأنبياء والأولياء عليهم السلام فلا بد من

١- المنجد الأبيجدى: ص ٤.

٢- المعجم الوسيط: ص ٥٩٨.

الاتصاف بها، ولا شك في اتصاف المعصوم عليه السلام بهذه الصفه؛ لأنها من كمالاته التي تتصف بها شخصيته كونه أفضل أهل زمانه هذا من جهة ومن جهة أخرى لا يجوز للمؤمن فضلا عن المعصوم أن يذل نفسه مهما بلغت الأسباب والدواعي وهذا ما نلمسه في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ فَوَّضَ إِلَى الْمُؤْمِنِ أُمُورَهُ كُلَّهَا، وَلَمْ يُفَوِّضْ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِيلًا، أَمَا تَسْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

فَالْمُؤْمِنُ يَكُونُ عَزِيزًا وَلَا يَكُونُ ذَلِيلًا، إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَعَزُّ مِنَ الْجَبَلِ؛ لِأَنَّ الْجَبَلَ يُسْتَقَلُّ مِنْهُ بِالْمَعَاوِلِ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يُسْتَقَلُّ مِنْ دِينِهِ بِشَيْءٍ» (٢).

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿يَقُولُونَ لَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

وترجم الإمام الحسين عليه السلام هذه الآية في دعاء عرفه بقوله:

«يَا مَنْ خَصَّ نَفْسَهُ بِالسُّمُوِّ وَالرَّفْعِ، وَأَوْلِيَاؤُهُ بِعِزِّهِ يَعْتَرِّوْنَ، يَا مَنْ جَعَلَتْ لَهُ الْمُلُوكُ نَيْرَ الْمِذْلَةِ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَهُمْ مِنْ سَيِّطَوَاتِهِ خَائِفُونَ» (٤).

فيتضح سبب صلابه الإمام الحسين عليه السلام وكبر نفسه وإبائها، فلذا تجسدت العزّه في شخصه المقدس يوم عاشوراء، ولكي تقف على عزه الإمام الحسين عليه السلام نحيلك إلى ما تقدم في بيان صفة العزه في الخطبه الخامسة عشره ونكتفي بذلك.

١- سورة المنافقون، الآية: ٨.

٢- التهذيب: ج ٦، ص ١٧٩، ح ٣٦٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٧، ح ١٢٨٢٣.

٣- سورة المنافقون، الآية: ٨.

٤- بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٢٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٩٦، ح ١٢٨٢٠.

الشجاعه

من الصفات التى أسهمت فى نشوء صفه الإباء هى الشجاعه وهى من الفضائل التى يتحلى بها المعصوم، فلا شك فى أن شجاعه الإمام الحسين عليه السلام لا يرتقى إليها أحد فى زمانه كونه أفضل أهل زمانه فى كل فضيله ولكى نقف على معرفه علاقه بين صفه الشجاعه وصفه الإباء لابد من معرفه هذه الفضيله بشىء من التفصيل:

الشجاعه فى اللغة: هى قوه القلب والشده عند البأس، والشجاع: الجرىء المقدام.

الشجاعه فى الاصطلاح:

هى ملكه فضيله تقع بين التهور والجبن، فهى سلوك يسلكه الإنسان من غير الإقدام على المهلكات بما ينافى العقل والشرع، وخالى من الخنوع والرضوخ للظالمين، فهى بين الإفراط والتفريط.

فالشجاعه صفه وصفها أهلها الذين اتصفوا بها خير اتصاف كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«الشجاعه عز حاضر».

وأشار الإمام الحسن عليه السلام إلى أنها مقاتله الأبطال والثبات عند لقائهم فى قوله عليه السلام:

«مُؤَافَقَةُ الْأَقْرَانِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الطَّعَانِ»(١).

وبين الإمام على عليه السلام أن الشجاعه لها علاقه كبيره بالإباء من خلال قوله عليه السلام:

١- بحار الأنوار: ج٧٨، ص١٠٤، ح٢. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٨٧٦، ح٩١٥٩.

«جُبِلَتِ الشَّجَاعَةُ عَلَى ثَلَاثِ طَبَائِعٍ، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَضِيلَةٌ لِيَسْتِ لِلْأُخْرَى: السَّخَاءُ بِالنَّفْسِ، وَالْأَنْفَةُ مِنَ الذُّلِّ، وَطَلَبُ الذُّكْرِ، فَإِنْ تَكَامَلَتْ فِي الشُّجَاعِ كَانَ الْبَطْلَ الَّذِي لَا يُقَامُ لِسَبِيلِهِ، وَالْمَوْسُومَ بِالْإِقْدَامِ فِي عَضِيرِهِ، وَإِنْ تَفَاوَضَلَتْ فِيهِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ كَانَتْ شَجَاعَتُهُ فِي ذَلِكَ الَّذِي تَفَاوَضَلَتْ فِيهِ أَكْثَرَ وَأَشَدَّ إِقْدَامًا» (١).

فشجاعه الرجل تقاس على أساس حميته وإبائه وهذا ما يصرح به أشجع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«شَجَاعَةُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ، وَغَيْرَتُهُ عَلَى قَدْرِ حَمِيَّتِهِ» (٢).

وعنه عليه السلام قال:

«عَلَى قَدْرِ الْحَمِيَّةِ تَكُونُ الشُّجَاعَةُ» (٣).

فلا يشك عاقل في شجاعه الإمام الحسين عليه السلام الذي ورث هذه الصفة من جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كونه بضعه منه كما في قوله:

«حسين مني وأنا من حسين».

وأبيه المرتضى عليه السلام حتى شهد بذلك أعداؤه بقوله (أن روح أبيه بين جنبيه) (المقتل).

الغيره والحميه

تقدم أن الإمام الحسين عليه السلام إمام معصوم يتصف بكل الفضائل والكمالات ومما اتصف به الإمام عليه السلام الغيره والحميه التي هي من ملازمات

١- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٣٦، ح ٦٦. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٨٧٦ ١٨٧٧، ح ٩١٦٠.

٢- غرر الحكم: ٥٧٦٣. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٨٧٧، ح ٩١٦٢.

٣- غرر الحكم: ٦١٨٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٨٧٧، ح ٩١٦٣.

الشجاعه وأسبابها، وثبت أن الإمام الحسين عليه السلام شجاعٌ مقدامٌ فهو لا شك ذو غيره وحميه وما تقدم ذكره من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«على قدر الحميه تكون الشجاعه».

يشير إلى هذه الملازمه بين الحميه والشجاعه، كما أن قوله عليه السلام:

«شجاعه الرجل على قدر همته، وغيرته على قدر حميته».

يشير إلى علاقته بين غيره والحميه، وحيث إن الإمام الحسين عليه السلام سيد المؤمنين فهو لا شك يتصف بالغيره والحميه وهذا ما يؤكد قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ الْغَيْرَةَ مِنَ الْإِيمَانِ» (١).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كَانَ إِبْرَاهِيمُ أَبِي غَيُورًا وَأَنَا أُغْيِرُ مِنْهُ، وَأَرْعَمَ اللَّهُ أَنْفَ مَنْ لَا يَغَارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (٢).

بل إن الإمام الحسين عليه السلام غيره تجسدت في رجل وهذا ما أشارت إليه بعض نصوص المقاتل (٣).

فلذا نجد أن الإمام الحسين عليه السلام محبوب عند الله تعالى؛ لاتصافه بالغيره والفضائل الأخرى لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَنْ عِبَادِهِ الْغَيُورَ» (٤).

١- من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج ٣، ص ٤٤٤، ح ٤٥٤١. ميزان الحكمه: ج ٧، ص ٣١٠٧، ح ١٥٥٤٩.

٢- بحار الأنوار: ج ١٠٣، ص ٢٤٨، ح ٣٣. ميزان الحكمه: ج ٧، ص ٣١٠٧، ح ١٥٥٥٤.

٣- أبو مخنف: ص ١٤٣ ١٤٤. مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص ٢٨٨ ٢٨٩.

٤- كنز العمال: ٧٠٧٠. ميزان الحكمه: ج ٧، ص ٣١٠٧، ح ١٥٥٦٠.

الكلمات الأخرى

لقد تعرضنا إلى ذكر الصفات الرئيسة التي تُسهم في وجود الإباء والأنفة ألا وهي العزه والشجاعه والغيره والحميه، ولكي نقف على دور الصفات الأخرى في ظهور تلك الصفات الرئيسة التي اتصف بها الإمام الحسين عليه السلام نقول:

١ إن الإمام الحسين عليه السلام يتصف بالإنصاف والعدل لعصمته فهو لا شك متصف بالعزه لما للإنصاف من رابطه بينه وبين العزه، وهذا ما يؤكد قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَلَا إِنَّهُ مَنْ يُنْصَفُ النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا عِزًّا» (١).

٢ إن العمل بالحق يؤدي إلى عزه العامل به وهذا ما يؤكد الإمام العسكري عليه السلام بقوله:

«مَا تَرَكَ الْحَقَّ عَزِيزٌ إِلَّا ذَلَّ، وَلَا أَخَذَ بِهِ ذَلِيلٌ إِلَّا عَزَّ» (٢).

٣ التوكل من موجبات العزه كما يشير إلى ذلك الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«الْعَنَاءُ وَالْعِزُّ يَجُولَانِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، فَإِذَا وَصَلَا إِلَى مَكَانٍ فِيهِ التَّوَكُّلُ أَوْطَانَهُ» (٣).

٤ الصفح والصله مما يورث العزه كما جاء ذلك عن الإمام الباقر عليه السلام:

«ثَلَاثٌ لَا يَزِيدُ اللَّهُ بِهِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ إِلَّا عِزًّا: الصَّفْحُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَإِعْطَاءُ مَنْ حَرَمَهُ، وَالصَّلَةُ لِمَنْ قَطَعَهُ» (٤).

١- الكافي: ج ٢، ص ١٤٤، ح ٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٠١، ح ١٢٨٥٨.

٢- بحار الأنوار: ٧٨، ص ٣٧٤، ح ٢٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٠١، ح ١٢٨٥٩.

٣- كشف الغمّة: ج ٢، ص ٣٥٩. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٠٢، ح ١٢٨٦٢.

٤- الكافي: ج ٢، ص ١٠٩، ح ١٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٦٠٢، ح ١٢٨٦٤.

٥ القناعه وترك الطمع تؤدى إلى العزه وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«الْقِنَاعَةُ تُؤَدِّي إِلَى الْعِزِّ» (١).

٦ كظم الغيظ يوجب العزه فى الدنيا والآخره كما صرح به الإمام الصادق عليه السلام:

«مَا مِنْ عَبْدٍ كَظَمَ غَيْظًا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عَزًّا وَجَلًّا عِزًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (٢).

٧ الصبر على النوائب يتوج صاحبه تاج العزه كما فى قول الإمام الباقر عليه السلام:

«مَنْ صَبَرَ عَلَى مُصِيبِهِ زَادَهُ اللَّهُ عَزًّا وَجَلًّا عِزًّا عَلَى عِزِّهِ، وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» (٣).

٨ الزهد فى الدنيا يزىن صاحبه بالعز وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ سَلَ عَنِ مَوَاهِبِ الدُّنْيَا عَزًّا» (٤).

فالإمام الحسين عليه السلام لا شك يتحلى بهذه الفضائل وغيرها، فلذا نجده عزيزا منيعا أبيا أنفا لا يعطى بيده إعطاء الدليل ولا يفر فرار العبيد.

٩ ومما يوجد الشجاعه فى الرجل صفه السخاء وهذا ما صرح به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«أَشْجَعُ النَّاسِ أَسْخَاهُمْ» (٥).

١- غرر الحكم: ١١٢٣. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٦٠٢، ح ١٢٨٧١.

٢- الكافي: ج ٢، ص ١١٠، ح ٥. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٦٠٢، ح ١٢٨٦٦.

٣- بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ١٢٨، ح ٣. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٦٠٢، ح ١٢٨٦٧.

٤- غرر الحكم: ٩١٨٤. ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٢٦٠٢، ح ١٢٨٧٠.

٥- غرر الحكم: ٢٨٩٩. ميزان الحكمه: ج ٥، ص ١٨٧٧، ح ٩١٦٤.

فالإمام الحسين عليه السلام هو عين السخاء والجود وهذا ما تعرضت له كتب السير، فهو لا شك يتصف بالشجاعه لسخائه وجوده، ولا بأس من ذكر صور جود الإمام الحسين عليه السلام وسخائه.

١٠ وتقدم أن للإيمان دوراً كبيراً في اتصاف الرجل بالغيره والحميه كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الغيره من الإيمان».

وكما تعلم عزيزى القارئ لا يعدل بإيمان الإمام الحسين عليه السلام إيمان أحد وهذا مما لا يختلف فيه اثنان إلا من نصب العداة لأهل البيت عليهم السلام.

فنخلص مما تقدم أن الصفات التى جعلت الإمام الحسين عليه السلام أياً وذا أنفه ومنعه هى العزه والشجاعه والغيره والحميه، وما اتصف الإمام الحسين عليه السلام بهذه الصفات إلا- لاتصافه بالإنصاف والعدل، والعمل بالحق والتوكل على الله تعالى حق التوكل، وتحليه بالصفح والعفو والقناعه والزهد وكظم الغيظ والصبر وبغيرها من الفضائل التى يجمعها الإيمان بالله ورسوله وكتبه وملائكته.

كما أن السخاء الذى يرتبط مع الشجاعه له دور كبير فى إبائه وأنفته.

فهرس المصادر

١. القرآن الكرم.
٢. نهج البلاغه خطب ورسائل وحكم الإمام أممر المؤمنن على بن أبى طالب علىه السلام الطبعه الأولى دار الذخائر، قم سنه ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
٣. مصباح الشرىعه المنسوب للإمام الصادق علىه السلام الطبعه الأولى مؤسسه الأعلمى، بیروت سنه ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٤. مفاتیح الجنان الشیخ عباس القمى رحمه الله منشورات الرضا، بیروت.
٥. إبصار العین فى أنصار الحسین محمد بن الشیخ طاهر السماوى الطبعه الأولى مؤسسه البلاغ/ دار سلونى، بیروت سنه ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٦. الإحتجاج الشیخ أبو منصور أحمد بن على الطبرسى الطبعه السادسه دار الأسوه، قم سنه ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٧. الأخبار الطوال أحمد بن داود الدینورى الطبعه الأولى دار الکتب العلمیه، بیروت سنه ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٨. الاختصاص أبو عبد الله محمد بن محمد المفید مؤسسه الأعلمى، بیروت سنه ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.
٩. الأخلاق السید عبد الله شبر الطبعه الثانیه مؤسسه الأعلمى، بیروت سنه ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
١٠. الأخلاق والآداب الإسلامیه عبد الله الهاشمى دار القارى.

١١. إرشاد القلوب الشيخ أبي محمد الحسن بن محمد الديلمي الطبعة الأولى مؤسسه الأعلمی، بیروت سنه ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
١٢. الإرشاد فی معرفه حجج الله علی العباد الشيخ المفید أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان الطبعة الأولى المؤتمر العالمی لألفیه الشيخ المفید، قم سنه ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
١٣. أسباب النزول أبو الحسن علی بن أحمد الواحدی النیسابوری الطبعة الأولى المكتبه العصریه، بیروت سنه ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
١٤. أسد الغابه عز الدین بن بن الأثیر أبی الحسن علی بن محمد الجزری الطبعة الثانيه دار الکتب العلمیه، بیروت سنه ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
١٥. أصول الكافي الشيخ الكليني رحمه الله ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني دار التعارف، بیروت سنه ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
١٦. الأعلام خير الدين الزركلي الطبعة السادسة عشره دار العلم للملايين، بیروت سنه ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
١٧. أعلام الدين فی صفات المؤمنین الحسن بن أبی الحسن الديلمي الطبعة الثانيه مؤسسه آل البيت عليهم السلام، قم سنه ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
١٨. أعيان الشيعة السيد محسن الأمين دار التعارف للمطبوعات، بیروت سنه ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
١٩. إقبال الأعمال أبو القاسم بن جعفر بن محمد ابن طاووس الطبعة الأولى مؤسسه الأعلمی، بیروت سنه ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٢٠. الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد الشيخ محمد بن الحسن الطوسي الطبعة الثانيه دار الأضواء، بیروت سنه ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٢١. الإلهيات محاضرات الشيخ جعفر السبحاني، بقلم الشيخ حسن محمد مكي العاملي الطبعة الخامسه مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام، قم سنه ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٢٢. الأمالى أبى جعفر محمد بن على الصدوق الطبعه الأولى مكر الطباعه والنشر فى مؤسسه البعثه سنه ١٤١٧هـ / ١٩٩٢م.
٢٣. الأمالى أبى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد الطبعه الثانيه دار المفيد، بيروت سنه ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٢٤. الأمالى الشيخ أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى الطبعه الأولى دار الثقافه، قم سنه ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٢٥. الإمامه والسياسه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه مؤسسه الحلبي.
٢٦. الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازى الطبعه الأولى الأميره، بيروت سنه ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
٢٧. أنصار الحسين عليه السلام الثوره والثوار السيد محمد على الحلو الطبعه الأولى مؤسسه السبطين العالميه، قم سنه ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٧م.
٢٨. بحار الأنوار العلامه المجلسى رحمه الله الطبعه الثانيه المصححه مؤسسه الوفاء، بيروت سنه ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٢٩. بدايه الحكمه العلامه السيد محمد حسين الطباطبائى الطبعه الواحده والعشرون مؤسسه النشر الإسلامى، قم سنه ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٣٠. بدايه المعرفه الشيخ حسن مكى العاملى الطبعه الأولى دار الكتاب العربى، قم سنه ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٣١. البدايه والنهايه ابن كثير بيت الأفكار الدوليه، بيروت سنه ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٣٢. البستان معجم لغوى مطول الشيخ عبد الله البستانى الطبعه الأولى مكتبه لبنان، بيروت سنه ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
٣٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام محمد بن أحمد الذهبي الطبعه الأولى دار الكتب العلميه، بيروت سنه ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٣٤. تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس الشيخ حسين بن محمد الديار بكرى دار صادر، بيروت.
٣٥. تاريخ الطبرى أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى الطبعة الأولى دار مكتبة الهلال سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٣٦. تاريخ مدينة دمشق ابن عساكر الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربى، بيروت سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٣٧. تحف العقول عن آل الرسول الحسن بن على بن شعبه الحرانى الطبعة السابعة مؤسسه الأعلمى، بيروت سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٣٨. الترغيب والترهيب زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى الطبعة الثالثة دار الكتب العلميه، بيروت سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٣٩. تسليه الفؤاد فى بيان الموت والمعاد السيد عبد الله شبر الطبعة الخامسة مؤسسه الوفاء، بيروت سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
٤٠. التعريفات أبو الحسن على بن محمد بن على الجرجانى الطبعة الأولى دار الشؤون الثقافيه العامه، بغداد.
٤١. تفسير الطبرى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربى، بيروت سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٤٢. تفسير العياشى أبى النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندى المعروف بالعياشى الطبعة الأولى مؤسسه الأعلمى، بيروت سنة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
٤٣. تفسير مجمع البيان الشيخ أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى الطبعة الأولى مؤسسه الأعلمى، بيروت سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
٤٤. تفسير نور الثقلين المحدث الجليل العلامة الخبير الشيخ عبد على بن جمعه العروسى الحويزى الطبعة الرابعه مؤسسه إسماعيليان، قم سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٤٥. تنبيه الخواطر ونزهه النواظر أبي الحسين ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري مؤسسه الأعلمي، بيروت.
٤٦. تهذيب الأحكام أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي دار التعارف، بيروت سنه ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
٤٧. تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلاني الطبعة الأولى دار صادر، بيروت سنه ١٣٢٥هـ / ١٩٠٤م.
٤٨. التوحيد الشيخ الصدوق رحمه الله تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني الطبعة الثامنة مؤسسه النشر الإسلامى، قم سنه ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٤٩. ثواب الأعمال الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق الطبعة الرابعه مؤسسه الأعلمي، بيروت سنه ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
٥٠. جامع أحاديث الشيعة آيه الله السيد البروجردى المطبعة العلميه، قم سنه ١٣٩٩هـ / ١٩٨٧م.
٥١. جامع أحاديث أهل البيت عليهم السلام الشيخ هادى النجفى الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربى، بيروت سنه ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٥٢. جامع الأخبار، أو معارج اليقين فى أصول الدين الشيخ محمد بن محمد السبزواري من أعلام القرن السابع الهجرى الطبعة الأولى مؤسسه آل البيت عليهم السلام، قم سنه ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٥٣. جامع الأصول فى أحاديث الرسول المبارك بن محمد ابن الأثير الجزرى دار الفكر، بيروت سنه ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٥٤. جامع الخلاف والوفاق بين الإماميه وبين أئمه الحجاز والعراق على بن محمد بن محمد القمى السبزواري الطبعة الأولى سنه ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٥٥. جامع السعادات محمد مهدي النراقى الطبعة السابعه مؤسسه الأعلمي، بيروت سنه ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٥٦. الجامع الصغير جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى الطبعة الأولى دار الفكر، بيروت سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٥٧. الجامع الكبير جلال الدين عبد الرحمن السيوطى
٥٨. الحدائق الناضرة فى أحكام العترة الطاهرة المحقق يوسف البحرانى الطبعة الثالثة دار الأضواء، بيروت سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
٥٩. حق اليقين السيد عبد الله شبر الطبعة الأولى مؤسسه الأعلمى، بيروت سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٦٠. حياه الإمام الحسن عليه السلام فاطمه محمود مقلد الطبعة الأولى دار الهادى، بيروت سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٦١. الخصال الشيخ الصدوق أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى منشورات جماعه المدرسين، الحوزه العلميه، قم سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٩٢م.
٦٢. الدر المنثور فى التفسير المأثور عبد الرحمن جلال الدين السيوطى دار الفكر، بيروت سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٦٣. الدرر الباهره من الأصداف الطاهره محمد جمال الدين مكى العاملى الطبعة الأولى دار الأعراف، بيروت سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
٦٤. دعائم الإسلام النعمان بن محمد التميمى المغربى الطبعة الأولى دار الأضواء، بيروت سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
٦٥. الدعوات قطب الدين الراوندى الطبعة الأولى مدرسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
٦٦. دلائل الإمامه محمد بن جرير بن رستم الطبرى الطبعة الثانيه مؤسسه الأعلمى، بيروت سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
٦٧. روضه الواعظين محمد بن الفتال النيسابورى الطبعة الأولى مؤسسه دليل ما، قم سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٦٨. الرياض النضرة أحمد بن عبد الله المحب الطبرى الطبعة الثانية دار الكتب العلميه، بيروت سنه ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٦٩. سفينه البحار الشيخ عباس القمى الطبعة الثالثه دار الأسوه، إيران سنه ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٧٠. السنه أبو بكر أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم الطبعة الثالثه دار الصمعي، الرياض سنه ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
٧١. سنن ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربى، بيروت سنه ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٧٢. سنن الترمذى أبى عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذى الطبعة الثانيه دار الفكر، بيروت سنه ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٧٣. السنن الكبرى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى الطبعة الثالثه دار الكتب العلميه، بيروت سنه ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٧٤. سير أعلام النبلاء شمس الدين الذهبى الطبعة الأولى دار الكتب العلميه، بيروت سنه ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٧٥. السيره الحلبى أبو الفرج نور الدين على بن إبراهيم الحلبى الشافعى الطبعة الأولى دار الكتب العلميه، بيروت سنه ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٧٦. شذرات الذهب فى أخبار من ذهب أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلى الطبعة الأولى دار الكتب العلميه، بيروت سنه ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٧٧. شرح إحقاق الحق آيه الله العظمى السيد المرعشى منشورات مكتبه آيه الله العظمى المرعشى النجفى، قم.
٧٨. شرح أصول الكافى مولى محمد صالح المازندرانى الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربى، بيروت سنه ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٧٩. شرح الأخبار فى فضائل الأئمة الأطهار أبو حنيفه النعمان بن محمد التميمى المغربى الطبعه الأولى مؤسسسه النشر الإسلامى، قم سنه ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
٨٠. شرح نهج البلاغه ابن أبى الحديد المعتزلى الطبعه الأولى دار إحياء الكتب العربيه سنه ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م.
٨١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى وبذيله مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفا أبو الفضل عياض اليحصبى الطبعه الأولى المكتبه العصريه، بيروت سنه ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٨٢. الصحاح / تاج اللغة وصحاح العربيه أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الطبعه الأولى دار الكتب العلميه، بيروت سنه ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٨٣. صحيح البخارى أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى دار الفكر سنه ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٨٤. صحيح الترمذى الترمذى دار الفكر، بيروت.
٨٥. الصحيفه السجديه الإمام على بن الحسين زين العابدين عليهما السلام الطبعه الأولى منشورات دليل ما، قم سنه ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٨٦. صراط النجاه فى أجوبه الاستفتاءات آيه الله العظمى الشيخ الميرزا جواد التبريزى الطبعه الأولى دار الصديقه الشهيد، قم سنه ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
٨٧. الطبقات الكبرى ابن سعد الطبعه الأولى دار الكتب العلميه، بيروت سنه ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٨٨. العدل الإلهى الشيخ مرتضى المطهرى الطبعه الأولى دار الفقه، إيران سنه ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٨٩. العقائد الحقه السيد على الحسينى الصدر الطبعه الأولى دار العلوم، بيروت سنه ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٩٠. علل الشرائع أبو جعفر محمد بن علي الصدوق الطبعة الأولى مؤسسه الأعلمي، بيروت سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
٩١. عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال عبد الله البحراني الاصفهاني الطبعة الأولى مدرسه الإمام المهدي عليه السلام، قم سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
٩٢. عوالي اللآلي محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبي جمهور الطبعة الأولى مطبعة سيد الشهداء، قم سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٩٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام أبي جعفر محمد بن علي القمي الصدوق الطبعة الأولى مؤسسه الأعلمي، بيروت سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
٩٤. الغارات أو الاستنفار والغارات ابي اسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي الطبعة الأولى دار الكتاب الإسلامي، بيروت سنة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
٩٥. غرر الحكم مجموعته من كلمات وحكم الإمام علي عليه السلام عبد الواحد الآمدي التميمي الطبعة الأولى مؤسسه الأعلمي، بيروت سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
٩٦. فضائل الخمسة السيد مرتضى الحسيني اليزدي الفيروز آبادي الطبعة السابعة مكتبة الفيروز آبادي، قم سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
٩٧. الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية الشيخ محمد جميل حمود الطبعة الأولى دار الفقه سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٩٨. فيض التقدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير محمد عبد الرؤوف المناوي الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
٩٩. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً سعدى أبو حبيب الطبعة الثانية دار الفكر، دمشق سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
١٠٠. القاموس المحيط الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الطبعة الأولى مؤسسه النوري، دمشق سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

١٠١. قصص الأنبياء قطب الدين الراوندى الطبعه الأولى دار الانتصار، قم سنه ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
١٠٢. كامل الزيارات أبى القاسم جعفر بن محمد بن قولويه الطبعه الأولى مؤسسه النشر الإسلامى.
١٠٣. كتاب الفتوح أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى الطبعه الأولى دار الأضواء، بيروت سنه ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
١٠٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون أقاويل فى وجوه التأويل محمود بن عمر الزمخشري الطبعه الأولى دار إحياء التراث العربى، بيروت سنه ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
١٠٥. كشف الغمه على بن عيسى بن أبى الفتح الأربلى الطبعه الأولى دار الأضواء، بيروت سنه ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
١٠٦. كفايه الأثر القاسم على بن محمد بن على الخزاز القمى الرازى الطبعه الأولى دليل ما، قم سنه ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
١٠٧. كنز العمال على بن حسام الدين المتقى الهندى مؤسسه الرساله، بيروت سنه ١٩٨٩م.
١٠٨. كنز الفوائد محمد بن على بن عثمان الكراچكى دار الأضواء، بيروت سنه ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
١٠٩. لسان العرب ابن منظور الإفريقى المصرى نشر أدب الحوزه، قم سنه ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
١١٠. لسان الميزان شهاب الدين بن حجر العسقلانى الطبعه الأولى مؤسسه الأعلمى، بيروت سنه ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
١١١. منه موضوع أخلاقى فى القرآن والحديث الشيخ مكارم الشيرازى الطبعه الأولى مؤسسه فقاها، قم سنه ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

١١٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي دار الكتب العلميه، بيروت سنه ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
١١٣. المحاسن الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي المطبعه الحيدريه، النجف سنه ١٣٨٤هـ / ١٩٦٣م.
١١٤. المحتضر في تحقيق معاينه المحتضر للنبي والأئمه عليهم السلام أبو محمد الحسن بن سليمان الحلبي العاملي الطبعه الأولى مكتبه العلامه المجلسي، قم سنه ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
١١٥. المحججه البيضاء محمد بن مرتضى المولى محسن الكاشاني الطبعه الثانيه مؤسسه الأعلمي، بيروت سنه ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.
١١٦. مروج الذهب ومعدن الجوهر ابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الطبعه الأولى مؤسسه الأعلمي، بيروت سنه ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
١١٧. مستدرک الوسائل الميرزا حسين النوري الطبرسي الطبعه الأولى مؤسسه آل البيت عليهم السلام، بيروت سنه ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
١١٨. المستدرک علي الصحيحين أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الطبعه الثانيه دار الكتب العلميه، بيروت سنه ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
١١٩. المسند أحمد بن محمد بن حنبل مكتبه التراث الإسلامى، القاهره.
١٢٠. مسند عبد بن حميد أبي محمد عبد بن حميد الكشي الطبعه الأولى شركه دار النيل، استنبول سنه ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
١٢١. مشكاه الأنوار ثقه الإسلام أبي الفضل علي الطبرسي الطبعه الأولى دار الحديث سنه ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
١٢٢. مشكل الآثار أبو جعفر الطحاوي الطبعه الأولى مؤسسه الرساله سنه ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

١٢٣. مصابيح الأنوار السيد عبد الله شبر

١٢٤. مصباح المتهدد أبي جعفر محمد الطوسي مؤسسه الأعلمی، بیروت سنه ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٢٥. المصنف فی الأحادیث والآثار عبد الله بن محمد بن أبی شیبه الكوفي العبسی الطبعة الأولى دار الفكر، بیروت سنه ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

١٢٦. معانی الأخبار أبو جعفر محمد بن علی الصدوق المطبعة الحیدریه، النجف الأشرف سنه ١٣٩١هـ / ١٩٧٠م.

١٢٧. معاویه أمام محكمه الجزاء الشیخ مهدی القرشی الطبعة الأولى دار المحججه البیضاء، بیروت سنه ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

١٢٨. المعجم الكبير أبو القاسم سلیمان بن أحمد الطبرانی الطبعة الأولى دار العربیه للطباعة، بغداد سنه ١٣١٩هـ / ١٨٩٨م.

١٢٩. المعجم الوسیط أحمد مصطفی، أحمد حسن الزیات، حامد عبد القادر، محمد علی النجار الطبعة الثانية مؤسسه الصادق علیه السلام للطباعة والنشر سنه ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٣٠. مقتل الحسين علیه السلام السيد عبد الرزاق المقرم الطبعة الرابعه دار الأضواء، بیروت سنه ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

١٣١. مقتل الحسين علیه السلام ومصرع أهل بیته وأصحابه فی كربلاء أبو مخنف المكتبة الحیدریه، قم.

١٣٢. مكارم الأخلاق الشیخ رضی الدین أبی نصر الحسن بن الفضل الطبرسی الطبعة السادسة منشورات الشریف الرضی سنه ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

١٣٣. الملل والنحل أبی الفتح الشهرستانی الطبعة الأولى مؤسسه ناصر للثقافه بیروت سنه ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.

١٣٤. من لا يحضره الفقيه الشيخ أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي الطبعة الثانية دار التعارف، بيروت سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

١٣٥. منازل الآخرة الشيخ عباس القمي الطبعة الأولى مؤسسه البلاغ، بيروت سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

١٣٦. مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب الطبعة الأولى مركز الأبحاث العقائديه، قم سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

١٣٧. المنجد الأبجدى دار المشرق، بيروت سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م.

١٣٨. المنطق الشيخ محمد رضا المظفر مؤسسه النشر الإسلامى، قم.

١٣٩. منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغه العلامة الميرزا حبيب الله الهاشمى الخوئى الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربى، بيروت سنة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

١٤٠. منيه المرید فى أدب المفید والمستفيد الشيخ زين الدين بن علي العاملى الطبعة الخامسة مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامى، قم سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

١٤١. موسوعه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فى الكتاب والسنة والتاريخ محمد الريشهري الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربى، بيروت سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

١٤٢. موسوعه العقائد الإسلاميه محمد الريشهري دار الحديث، قم سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٤٣. ميزان الحكمه محمد الريشهري الطبعة الأولى دار إحياء تراث العربى، بيروت سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

١٤٤. الميزان فى تفسير القرآن العلامة السيد محمد حسين الطباطبائى الطبعة الأولى المحققه مؤسسه الأعلمى بيروت سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٤٥. نظريه عداله الصحابه والمرجعيه السياسيه فى الإسلام أحمد حسين يعقوب الطبعه الأولى الدار الإسلاميه، بيروت سنه ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١٤٦. نهج البلاغه شرح محمد عبده الطبعه التاسعه دار البلاغه سنه ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
١٤٧. نهج السعاده الشيخ محمد باقر المحمودى الطبعه الأولى مطبعه النعمان، النجف سنه ١٣٨٥هـ / ١٩٦٤.
١٤٨. النهضه الحسينيه السيد محمد حسن ترحينى العاملى الطبعه الأولى دار الهادى، بيروت سنه ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
١٤٩. النوادر ضياء الدين أبى الرضا فضل الله الحسينى الراوندى الطبعه الأولى مؤسسه دار الحديث الثقافيه، قم.
١٥٠. نور الأبصار فى مناقب آل النبى المختار مؤمن بن حسين مؤمن الشبلنجى الطبعه الأولى ذوى القربى، قم سنه ١٤٢٦هـ /
١٥١. وسائل الشيعه الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملى الطبعه الثانيه مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم سنه ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
١٥٢. وقعه صفين نصر بن مزاحم المنقرى الطبعه الثالثه مكتبه السيد المرعشى النجفى سنه ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
١٥٣. ينبع الموده لذوى القربى الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزى الحنفى دار الأسوه، قم سنه ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

فهرس الآيات

السوره/الآيه

رقم الآيه

رقم الصفحه

سوره البقره

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...

٢-٥

ج ١، ١٢٧ و ج ٢، ٢٠٧، ٢٠٦

(يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا...)

٢٠

ج ١، ٩٦

(وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...)

٢٥

ج ٢، ١٠٨

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا...)

٢٦

ج ١، ٢٤١

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...)

٣٠

ج ٢، ٧٩

(أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)

٣٤

ج ١، ٢٤٩

(وَكُلًّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)

٣٥

ج ١، ٢٤٩

(فَازْلِهِمَّا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ...)

٣٦

ج ٢، ٦٢

(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ...)

٥٩

ج ١، ٢٤١

(وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ)

٦١

ج ٢، ١٠٤

ص: ٣١٦

(وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ)

٩٩

ج ١، ٢٣٨

(إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

١١٠

ج ١، ٣٩

(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)

١٥٢

ج ٢، ٢٢٧

(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)

١٦٣

ج ١، ٧٥

(وَالْمُؤْمِنُونَ بَعَثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا)

١٧٧

ج ٢، ٦٧

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى...)

١٧٨

ج ١-١٨٠

(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

ج ١، ٣٧

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...)

١٨٣

ج ١، ١٤٠

(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ...)

١٩٤

ج ١، ١٣٥

(زُيِّنَ لِلذِّينِ لِكْفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا...)

٢١٢

ج ١، ٢٥٠

(الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ...)

٢٢٩

ج ١، ١٨١

(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ...)

٢٣٥

ج ١، ٢١٢، ٢١٩

(وَالْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)

٢٤١

ج ١، ١٨١

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ...)

٢٥٣

ج ١، ١٩٤

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)

٢٥٥

ج ١، ٥٨، ٨١، ٨٢ ج ٢، ٢٠٥

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...)

٢٥٨

ج ١، ٣٦٥

(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا...)

٢٥٩

ج ١، ٩٦

(قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ)

٢٦٣

ج ١، ١٨١

ص: ٣١٧

سوره آل عمران

(وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ)

٤

ج ٢، ١٠٦

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)

٧

ج ١، ٣١٣

(رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)

٩

ج ١، ٢٢٣

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ...)

١٤

ج ١، ٢٥٠

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ...)

١٨

ج ١، ٨١

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ...)

٢٦

ج ٢، ١٩١

(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ)

٣٦

ج ١، ٣٣٨

(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً...)

٣٨

ج ١، ٣٧

(وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)

٥٧

ج ١، ٣٦٥

(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...)

٦١

ج ١، ٢٩٨، ج ٢، ٩٣

(بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)

٧٦

ج ١، ١٣٥

(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ...)

٧٩-٨٠

ج ١، ٢٣٣

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)

١٠٢

ج ١، ١٤٢

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...)

١٠٤

ج ٢، ٨٦

(وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ)

١٠٨

ج ١، ٦١

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...)

١١٠

ج ١، ١٨٢

(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ...)

١١٢

ج ١، ٢١٣، ٢، ١٠٣

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

١٢٣

ج ١، ١٣٠

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً...)

١٣٠

ج ١، ٢٨٥

(هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)

١٣٨

ج ١، ١٣٦

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...)

١٤٤

ج ٢، ١٥

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ...)

١٥٥

ج ٢، ١١٢

(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)

١٧٥

ج ١، ٢٣٤، ج ٢، ١١٨

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)

ج ١، ٣٧٤، ج ٢، ٩٨

سوره النساء

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا...)

١

ج ١، ٣٣٦

(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ)

٥

ج ١، ٢٣١

(وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ...)

٦

ج ١، ١٨١

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

١٢

ج ١، ٢٢٠

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...)

١٣

ج ٢، ٢٠٦

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا...)

ج ١، ١٨١

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...)

٤٠

ج ١، ٨٨

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ...)

٥٩

ج ١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٣٠، ج ٢، ٧٤، ٩٣

(فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا...)

٧٤-٧٥

ج ٢، ٥٤

(الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ...)

٧٦

ج ٢، ١١٧، ١٤٢

(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)

٧٨

ج ٢، ١٤

(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)

٨٢

ج ١، ٣٠٨

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ...)

٨٣

ج ١، ٢٩٣، ٢٩٤

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا...)

٩٣

ج ١، ٢١٣

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا...)

٩٤

ج ١، ٢٥١

(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ...)

ج ٢، ٢٤٠

(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا)

١٢٤

ج ١، ١١٥

(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...)

١٣١

ج ١، ١٢٥

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ...)

١٧١

ج ١، ٢٣٢

سوره المائده

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...)

١

ج ١، ٢٢١، ج ٢، ٤٧، ٤٨

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا...)

٢

ج ١، ١٨٥

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ...)

ج ١، ٢٣٧، ج ٢، ١٨

(وَآتُلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا...)

٢٧

ج ١، ١٣١، ١٣٣، ٢٨٦

(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)

٤٤

ج ٢، ٧٨، ٢٠٦

(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

٤٥

ج ٢، ٧٨

ص: ٣٢٠

(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

٤٧

ج ١، ٢٣٨، ج ٢، ٧٨

(لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُّونَ)

٤٣

ج ٢، ١٠٦

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ...)

٧٢

ج ١، ٢٤، ج ٢، ٣٦٩

(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)

٧٨

ج ٢، ١٠٦

(ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ...)

١٠٨

ج ١، ٢٤٢

سوره الأنعام

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)

٢١

ج ١، ٣٦٦، ج ٢، ٢٩٠

(وَمَا الْحَيَاءُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

٣٢

ج ١، ٢٥١

(مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)

٣٨

ج ١، ٣٠٧

(فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ...)

٤٣

ج ٢، ١١٥

(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ...)

٥٩

ج ٢، ١٩٦

(تَوَفَّقَهُ رُسُلُنَا)

٦١

ج ٢، ١١

(وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)

٨٦

ج ١، ١٩٤

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)

ج، ١٠٣

(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً...)

١٠١

ج، ٢٣

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)

١٠٣

ج، ١٦، ٢٥، ٥٨، ٦٧، ٧٠

(وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ...)

١٢٠

ج، ٨٨

ص: ٣٢١

(وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ...)

١٢١

ج ١، ٢٣٧

(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً...)

١٤٥

ج ١، ٢٣٨

(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)

١٤٩

ج ١، ٩٠

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...)

١٥٣

ج ١، ١٤٠

سوره الأعراف

(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ)

١١-٢٢

ج ١، ٢٢٥، ٢، ١٦، ١١٤، ١١٦، ٢٣٠

(يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ...)

٢٧

ج ١، ٣٣١

(الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)

٥١

ج ٢، ٤٧

(أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

٤٢

ج ١، ١٤٤

(أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ...)

٤٣

ج ١، ١٣٠

(أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)

٤٨

ج ١، ١٤٤

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ...)

٩٤

ج ١، ١٢٧

(قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا...)

١٢٨

ج ١، ١٣٦

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ...)

ج ١، ٢٥، ٥٨

(قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اضْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلامِي...)

ج ٢، ٢٢٧

(وَإِذَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

ج ١، ٢٣٤، ٢٣٨

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا...)

ج ١، ١٢٨

ص: ٣٢٢

سوره الأنفال

(وَمَا لَهُمْ آلًا يُعَدِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...)

٣٤

ج ١، ١٣٥

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ...)

٣٩

ج ٢، ٥٥، ٥٩

(لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ...)

٤٨

ج ١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٢٧، ٣٣٥، ج ٢، ١١٥

(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)

٥١

ج ١، ٨٨

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ...)

٦٥

ج ٢، ٥٥

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...)

٧٢

ج ٢، ٦٧، ٢٤٠

سوره التوبه

(كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً...)

٨

ج ١، ٢٣٨

(وَإِنْ نَكُنَّا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ...)

١٢

ج ٢، ٨٨

(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ...)

٢٩

ج ٢، ٤٠، ١٤٢

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ...)

٣٠

ج ١، ٢٣

(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ...)

٣٦

ج ٢، ٥٩

(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ)

٥٣

ج ١، ٢٤٢

(يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُبَيِّنُ لَهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ...)

٦٤-٦٨

ج ١، ٢٣٨، ج ٢، ٢٤١

(وَاعْظُ عَلَيْهِمْ)

٧٣

ج ٢، ١٠٢

(وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ...)

٧٥-٧٦

ج ٢، ٢٤٠

ص: ٣٢٣

(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)

٧٨

ج ٢، ٢٨٥

(وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ...)

٨٤

ج ١، ٢٣٩

(يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ...)

٩٤

ج ١، ٢٤٢

(وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

١٠٤

ج ١، ١٦٦

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ...)

١١١

ج ٢، ٥٤

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ...)

١٢٨

ج ١، ٣٥٠

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ...)

سوره يونس

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ)

٤٤

ج ١، ٦١

(وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)

٦٠

ج ٢، ٢٢٩

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا...)

٧٥-٩٢

ج ٢، ٢٠٣، ٢٠٩

سوره هود

(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِنَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)

٧

ج ١، ٢٠

(وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ...)

٣٦-٤٩

ج ١، ١٣٥، ٣٦٦، ج ٢، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٨

(وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...)

٥٠-٦٠

ج ٢، ٢١٠

(وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...)

٦١-٦٨

ج ٢، ٢١١

ص: ٣٢٤

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ)

٧٥

ج ١، ٢١٩

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ)

١١٧

ج ٢، ٢٧٦

سوره يوسف

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ...)

٣

ج ٢، ٢٠٤

(إِذْ أَخْرَجْنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ)

١٠٠

ج ١، ٤٣

سوره الرعد

(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)

١٦

ج ١، ٤٩، ٨٠

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)

٣١

ج ١، ٢٢٣

(أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)

٣٣

ج ١، ٨١

سوره إبراهيم

(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...)

٧

ج ٢، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٢٩

(أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

١٠

ج ١، ٣٢

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ...)

٢٢

ج ١، ٣٣٦، ٢، ١١٧

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ...)

٢٤-٢٦

ج ٢، ١٢٦، ١٣٤

(يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)

٢٧

ج ١، ١٧٢، ج ٢، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣

(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ)

٥١

ج ٢، ٢١٣

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ)

٥٢

ج ٢، ٢١٣

(قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ)

٥٣

ج ٢، ٢١٤

ص: ٣٢٥

سوره الحجر

(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ...)

٣٩-٤٠

ج ٢، ١١٧

(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)

٤٢

ج ١، ٣٣٩، ٣٤٠، ج ٢، ١١٨، ١١٩

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)

٤٥

ج ١، ١٢٦

سوره النحل

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ...)

٢٨

ج ٢، ٩، ١١

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ...)

٣٢

ج ٢، ١٠، ١١

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ...)

ج ٢، ٢٠٣

(وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)

٥١

ج ١، ٧٥

(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا...)

٧٨

ج ١، ١١٣

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا)

٩٢

ج ١، ٢٩٠

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ...)

٩٧-٩٩

ج ١، ٢٥١، ٢٧٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ج ٢، ١١٩

(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)

٩٩

ج ٢، ١١٩

(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ...)

١٠٥

ج ١، ٣١، ج ٢، ٢٨٥

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا)

١٤

ج ١، ٢٤٠

(انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا)

٢١

ج ١، ١٩٤

ص: ٣٢٦

(وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ...)

٣٤

ج ١، ٢٢١

(قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا)

٤٢

ج ١، ٧٥

(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ...)

٥٣

ج ١، ٣٢٨

(وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ...)

٥٥

ج ١، ٣٤١

(وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ)

٦٠

ج ٢، ١٢٥

(قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا)

٨٤

ج ١، ٦٢

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا)

٤٥

ج ١، ٩٧

(وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا...)

٤٩

ج ١، ٢٨٥

(قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ...)

٤٣

ج ٢، ١٢١

(وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا)

٨٢

ج ١، ٢٧٩

(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا)

٨٤

ج ١، ٢٧٣

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ...)

١١٠

ج ١، ٣٥٠

(إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا)

٣

ج ١، ٣٧

(تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا)

٦٣

ج ٢، ٩٠

(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا)

٨٥

ج ١، ١٣٧

ص: ٣٢٧

سوره طه

(إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)

١٢

ج ١، ٣٣٥

(وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى)

٧٥

ج ١، ٢٧٨

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي...)

٨١

ج ١، ٢١٤، ٢١٥، ٢، ١٠٣

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)

١١٠

ج ١، ٦٨، ٦٩، ١٠٣

(وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا)

١١١

ج ١، ٨١

(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى)

١٢٠

ج ٢، ١١٦

سوره الأنبياء

قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

٤

ج ١، ٣٨

(وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَوْمِهِ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ...)

١١-١٥

ج ٢، ٢٠٧، ٢١٢

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)

٢٢

ج ١، ٧٥، ٧٦

(الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ)

٤٩

ج ٢، ٢٠٥

(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ...)

٥١-٦٩

ج ٢، ٢٠٧، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥

(وَإِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ...)

١٠٩-١١١

ج ٢، ٢٥٩

سوره الحج

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ...)

٣-٤

ج ١، ٣٣٢، ج ٢، ٦٤

ص: ٣٢٨

(وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ)

٧

ج ٢، ٢٠٥

(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ...)

٥٣

ج ١، ٣٦٦

(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ...)

٧٨

ج ٢، ٥٤

سوره المؤمنون

(وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ)

١٨

ج ١، ٩٦

(وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ...)

٩٧-٩٨

ج ١، ٣٣٨

سوره النور

(وَالْخَامِسَهُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ)

٩

ج ٢، ١٠٣

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ...)

٢١

ج ١، ٣٣٢، ج ٢، ٦٤

سوره الفرقان

(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ...)

٣

ج ٢، ٢٠٥

(أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا)

٢٤

ج ١، ١٧٢

(وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)

٢٧

ج ٢، ٣٧٠

(أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ...)

٤٤

ج ١، ١٣٢، ج ٢، ٢٢١

(وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)

٧٤

ج ٢، ٨١

ص: ٣٢٩

سوره الشعراء

(وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ)

٩٠

ج ١، ١٣٦

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ)

٢١٣

ج ١، ٧٦

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

٢٢٠

ج ١، ٣٨

(هَلْ أَتَبُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينَ)

٢٢١

ج ٢، ١١٣

سوره النمل

(وَجَدْتُمَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ...)

٢٤

ج ٢، ٦٣

(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...)

ج ٢، ٢٢٧

(أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...)

٤٣

ج ٢، ١١٦

(قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)

ج ٢، ١٩٦

سوره القصص

(اسْأَلْكَ يَدَاكَ فِي جَنِيكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَاضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ...)

٣٢

ج ١، ٢٤٢

(تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا...)

٨٣

ج ٢، ٧٦

سوره العنكبوت

(وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...)

٤١

ج ١، ٣٣

ص: ٣٣٠

سوره الروم

(الم (١) غَلَبَتِ الرُّومُ...)

١-٦

ج ٢، ١٩٧، ٢٠٠

(مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

٣١

ج ١، ٣٢

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ...)

٤١

ج ١، ٨٩

(مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُنْفِئُهُمْ يَهْدُونِ)

٤٤

ج ١، ٢٨٠

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ...)

٤٧

ج ٢، ١٤٣

سوره لقمان

(وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ...)

ج ٢، ٢٢٨

(إِنَّ الشُّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)

ج ١، ٣٣٠

(وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)

ج ١، ٧٨

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَنِّ وَلَدِهِ...)

ج ٢، ٩٨

(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ)

ج ٢، ٢٠١

سوره السجده

(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)

ج ٢، ٩، ١١

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ)

ج ٢، ٢٤٠

(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا...)

٢٠

ج ١، ٢٤١

ص: ٣٣١

سوره الأحزاب

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

٢١

ج ٢، ٤٥٠

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)

٢٧

ج ١، ٩٧

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)

٣٣

ج ١، ٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٦، ٣٠٦، ج ٢، ٩٢، ٢٣٣

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)

٤٥

ج ١، ٣٥٠

(وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)

٤٦

ج ١، ٣٥١

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)

٧٠-٧١

ج ١، ٢٨٨، ج ٢، ٢٠٦

سوره سبأ

(وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)

١٣

ج ٢، ٢٣١

(وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ...)

٢١

ج ١، ٣٣٧

(إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ)

٥٠

ج ١، ٣٨

سوره فاطر

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...)

٥

ج ٢، ٩٩

(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

٦

ج ١، ٣٢٨، ٣٢٩

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ...)

ج ٢، ١٩٠، ١٩١

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)

ج ١، ٢٥، ٤٩، ٨٠

(وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ)

ج ١، ٦١

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ...)

ج ١، ٩٨

ص: ٣٣٢

سوره يس

(أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ...)

٨١

ج ١، ٩٥

سوره الصافات

(طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ)

٦٥

ج ٢، ١١١

(وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ...)

١٥٨-١٥٩

ج ١، ٢٤

سوره ص

(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...)

٢٦

ج ٢، ٧٩

(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ...)

٢٨

ج ٢، ٨٩

(وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ)

٣٨

ج ١، ٨٠

(وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ)

٤١

ج ٢، ١٢١

(هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ)

٤٩

ج ١، ١٣٥

(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)

٨٢-٨٣

ج ٢، ١١٧

سوره الزمر

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)

٩

ج ٢، ٢٠٣

(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)

٣٠

ج ٢، ١٥

(وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)

٣٣

ج ١، ١٣٧

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ)

٣٧

ج ٢، ١٠٦

ص: ٣٣٣

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا...)

٤٢

ج ٢، ١٠، ١١

(أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)

٥٧

ج ١، ١٣٦

سوره غافر

(فَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)

٤٤

ج ١، ٣٩

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا...)

٤١

ج ٢، ٢٢٩

سوره فصلت

(وَأَمَّا تَمْؤُدُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَجَبُوا أَعْمَى عَلَى الْهُدَى...)

١٧

ج ١، ٨٨

(اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)

٤٠

ج ١، ٢٦٠

(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)

٤٦

ج ١، ٦١

سوره الشورى

(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...)

١١

ج ١، ١٦، ٣٤، ٤٨، ٥٩، ٦٨، ١١٦

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَعْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ...)

٢٣

ج ١، ٣٠٣، ٢، ٩٢، ٢٣٤

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)

٣٠

ج ١، ٨٩

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)

٣٩

ج ٢، ١٤٣

ص: ٣٣٤

سوره الزخرف

(سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)

١٣

ج ٢، ٢٢٧

(وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)

٣٤

ج ٢، ١١٢

(أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ)

٨٠

ج ١، ٣٨

سوره الدخان

(وَأَنْ لَا تَغْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)

١٩

ج ١، ١٣٥

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ)

٥١

ج ١، ١٣٦

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طِبْيَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا...)

٢٠

ج ١، ٢٤١

(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا...

٢٥

ج ١، ٢٣٥، ٢، ٦٣، ١١٦

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)

٣٣

ج ١، ٢٨٥

(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعُونَ لِنُفُوقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ...)

٣٨

ج ١، ٨٠

ص: ٣٣٥

سوره الفتح

(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ...)

٢٧

ج ٢، ١٩٧

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...)

٢٩

ج ١، ٣٤٩، ج ٢، ١٠٢

سوره الحجرات

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِئَابٍ فَتَبَيَّنُوا...)

٦

ج ١، ٢٤١

(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ)

٧

ج ٢، ١٠٧

(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا...)

١٤

ج ٢، ١٠٧

سوره الذاریات

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)

۱۵

ج ۱، ۱۲۶

(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)

۴۹

ج ۱، ۳۰

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

۵۶

ج ۱، ۸۲، ۱۹۹، ۲۵۷، ج ۲، ۷۹، ۲۰۶

سوره الطور

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ)

۱۷

ج ۱، ۱۳۶

ص: ٣٣٦

سوره النجم

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)

٣-٤

ج ٢، ٩١، ٢٣٥، ٢٣٦

(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ)

١١

ج ١، ٦٩

(وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَىٰ)

١٣

ج ١، ٦٩

(لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ)

١٨

ج ١، ٦٩

(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ)

٣١

ج ٢، ١٠٥

(وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُتَّبَعَىٰ)

٤٢

ج ١، ١١٠

سوره القمر

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ

٥٤-٥٥

ج ١، ١٣١

سوره الرحمن

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)

٣-٤

ج ١، ١٩

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)

٢٦-٢٧

ج ١، ٢٥، ٥٠، ٨٢

سوره الواقعة

(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ...)

٨٨-٨٩

ج ١، ١٥٦

(وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ)

٩٢-٩٣

ج ١، ١٥٦

(وَتَصَلِّهِ جَجِيم)

٩٤

ج ١، ١٥٦

ص: ٣٣٧

سوره الحديد

(لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)

٢٣

ج ١، ٢٥٦

سوره المجادله

(يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

١١

ج ٢، ٢٠٣

(اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ...)

١٩

ج ١، ٣٣٤، ج ٢، ٦٣

سوره الحشر

(مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا...)

٥

ج ١، ٢٤٢

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ...)

١٦

سوره الممتحنه

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...)

٦

ج ٢، ٧٩

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا...)

١٢

ج ١، ١٨٢

سوره الصف

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذَوْنَ بِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ...)

٥

ج ١، ٢٤٣

ص: ٣٣٨

سوره المنافقون

(يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ...)

٨

ج ٢، ١٨٩، ١٩٠، ٢٩٤

سوره التغابن

(إِنْ تُقِرُّوْا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ)

١٧

ج ١، ٢١٢

سوره الطلاق

(وَيُزْفِقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...)

٣

ج ١، ١٢٩

سوره الملك

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغُفُورُ)

٢

ج ١، ٩٠

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)

١٥

ج ١، ٢٧٣

(إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)

١٩

ج ١، ٣٩

سوره القلم

(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

٤

ج ١، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٩٦، ٣٤٩

(أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ)

٣٥

ج ٢، ٩٠

(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)

٤٢

ج ١، ٦٣

ص: ٣٣٩

سوره المعارج

(فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ)

٤٠

ج ١، ٩٦

سوره الجن

(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا...)

٢٦-٢٧

ج ٢، ١٩٧، ١٩٩

سوره المدثر

(يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)

٣١

ج ١، ٣١٤

سوره الإنسان

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا...)

٩-١

ج ١، ٣٠٠، ٣٠٢، ج ٢، ٩٣

سوره المرسلات

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

١٥

ج ٢، ٢٩١

سوره النازعات

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)

٤٠-٤١

ج ٢، ٥٦

ص: ٣٤٠

سوره الفجر

(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)

٢٢

ج ١، ٤٣، ٤٩

سوره الليل

(وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى)

٩

ج ٢، ٢٩١

سوره الضحى

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)

٥

ج ١، ٢٦٧

سوره العصر

(وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

٣-١

ج ٢، ١٠٨

سوره التوحيد

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)

١

ج ١، ٧٦

(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)

٣

ج ١، ٢٣، ١١١

سوره الناس

(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ)

٤-٥

ج ٢، ١١٦

لم نورد فهرست الأحاديث الشريفه حرصاً على اختصار

النفقات واكتفينا بوجودها في الهامش.

المحتويات

الخطبه الثامنه: خطبها في مكّه لَمَّا عزم على الخروج إلى العراق

نص الخطبه

المعنى العام

بحث عقائدى أخلاقى

حتميه الموت ووصفه

بحث عقائدى

الإمام عليه السلام مخير في قتله

بحث عقائدى

علم الإمام عليه السلام

سؤال مهم

صفات الأنصار

١ العباس عليه السلام

٢ سعيد بن عبد الله الحنفى رضى الله عنه

٣ زهير بن القين رضى الله عنه

٤ برير رضى الله عنه

الخطبه التاسعه: خطبها عند مسيره إلى كربلاء وفيها يذمّ الدنيا ويحذر منها

نص الخطبه

المعنى العام

سبب خروج الإمام عليه السلام

وصف أهل الدنيا

سعاده فى الموت

الروايات التى تفسر الموت

الروايات التى تصف موت المؤمن

المتظاهرون بالدين

الخطبه العاشره

نص الخطبه

المعنى العام

الجهاد فى سبيل الله تعالى

الأول: جهاد النفس

الثانى: جهاد وقتال الكفار المشركين

الثالث: جهاد وقتال أهل الكتاب

الرابع: الجهاد دفاعاً عن الإسلام والمسلمين

الخامس: جهاد وقتال أهل البغى

الفئات الباغية التى يجب جهادها

الفئه الأولى

الفئه الثانيه

الفئه الثالثه

صفات أتباع الشيطان

لماذا يعرّف الإمام عليه السلام نفسه؟

نقض العهد

الخطبه الحاديه عشره: وفيها يصف فضائل أهل البيت، ويذكر حقهم، ويذمّ بني أميه

نص الخطبه

المعنى العام

ولايه أهل البيت عليهم السلام

صفات الحاكم النموذجي

الدين والحكومه

المعصوم هو الحاكم النموذجي

صفات الحاكم الإسلامى

١ الورع والتقوى

٢ الكفاءه فى القيادة والولايه

٣ سعه أفقه السياسى

٤ أن يكون عادلا

وجوب الخروج للإصلاح

دفع شبهه

١ آيه التطهير

٢ آيه الموده

الخطبه الثانيه عشره: وفيها يذمّ الدنيا ويحدّر منها

نص الخطبه

المعنى العام

تغير الدنيا وتقلبها

الغضب المذموم والممدوح

ص: ٣٤٥

غضب الله تعالى ونقمته

غضب الله تعالى

انتقام الله تعالى

الانقلاب بعد الإيمان

استحواذ الشيطان

أسئله مهمه

الخطبه الثالثه عشره: وفيها يذمّ بنى أميه، ثم يتبه على حقه

نص الخطبه

المعنى العام

الشجره الملعونه

هل القصد من الآخره فى الآيه هو القبر؟

دور الثبات والاستقامه

الشجره الطيبه والخبيثه فى الروايات الإسلاميه

إمامه المعصوم وطاعته نجاه

الخطبه الرابعه عشره: وفيها يُذكَر الناس بما كتبوا إليه

نص الخطبه

المعنى العام

إلقاء الحجه

هل يجوز للإمام الرجوع؟

ص: ٣٤٦

الخطبه الخامسه عشره: وفيها يُقرَع أهل الكوفه

نص الخطبه

المعنى العام

الغدر

آثار الغدر

نصائح لابد منها

نسب الدعوى (عبيد الله بن زياد)

صوره عن أبيه زياد

نهج البلاغه خطب الإمام على عليه السلام ج ٣ ص ١٩ إلى ٢٠

مصباح البلاغه (مستدرک نهج البلاغه) الميرجهانى ج ٤ ص ١١١ إلى ١١٢

الغارات إبراهيم بن محمد الثقفى ج ٢ ص ٩٢٥ إلى ٩٣٣

الأمالى الشيخ الطوسى ص ٦٢٠ إلى ٦٢١

مناقب آل أبى طالب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٧٤

كتاب المحبر محمد بن حبيب البغدادى ص ٤٧٩

السرائر ابن إدريس الحللى ج ٣ ص ٤٣٥

الإيضاح الفضل بن شاذان الأزدي ص ٥٤٩ إلى ٥٥٢

شرح نهج البلاغه ابن أبى الحديد ج ١٦ ص ١٨٩ إلى ١٩٣

الغارات إبراهيم بن محمد الثقفى ج ٢ ص ٨٠٩ إلى ٨١٠

مستدركات علم رجال الحديث الشيخ على النمازى الشاهرودى ج ٣ ص ٤٤٧ إلى ٤٤٨

الكنى والألقاب الشيخ عباس القمي ج ١ ص ٣٠٤

الكنى والألقاب الشيخ عباس القمي ج ١ ص ٤١٩

إلزام النواصب مفلح بن راشد ص ١٧٠ إلى ١٧١

عيد الله

التقيه الشيخ الأنصاري ص ٦٩

العقد المنير السيد موسى الحسيني المازندراني ص ٦٦

واقع التقيه عند المذاهب والفرق الإسلاميه من غير الشيعة الإماميه ثامر هاشم حبيب العميدى ص ١٢٧

سبل السلام محمد بن إسماعيل الكحلاني ج ٤ ص ١٩٠

نيل الأوطار الشوكاني ج ٨ ص ٤٧

مستدرکات علم رجال الحديث الشيخ على النمازی الشاهرودی ج ٨ ص ٥٨١

تاریخ ابن معین، الدورى یحیی بن معین ج ٢ ص ٣٦٩

سیر أعلام النبلاء الذهبی ج ٣ ص ٥٤٣ إلى ٥٤٩

شیخ المضیره أبو هریره محمود أبو ریه ص ١٧٩

المعارف ابن قتیبه ص ٣٤٧ إلى ٣٤٨

معجم البلدان الحمودی ج ١ ص ٥٣٠

بلاغات النساء ابن طیفور ص ١٤٠

تاریخ الکوفه السید البراقی ص ٧٣ إلى ٧٤

مستدرکات أعیان الشیعه حسن الأمين ج ١ ص ٢٨٦

أعیان الشیعه السید محسن الأمين ج ١ ص ٥٨٥

الکنی والألقاب الشیخ عباس القمی ج ١ ص ٣٠١ إلى ٣٠٣

الغارات إبراهيم بن محمد الثقفی ج ٢ ص ٥٥٨ إلى ٥٦١

العزّه للمؤمنین

نصائح لمن أراد العز

الإمام وعلم الغیب

سؤال مهم

علم الغیب وفوائده

فوائد الإیمان بالغیب

فوائد

فوائد

الخطبه السادسه عشره

نص الخطبه

المعنى العام

شكر المنعم

أسئله حول الشكر

نصيحه

شهاده لا تُرد

أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

معنى الصحابه

نظريه عداله جميع الصحابه

١ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السلام

٢ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمه عليها السلام

٣ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحسن عليه السلام

٤ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحسين عليه السلام

٥ إساءه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعضهم

٦ إساءه بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام إليه

٧ إساءه بعض أصحاب الإمام الحسن عليه السلام إليه

أفضليه أصحاب الحسين عليه السلام

المعصوم يشهد

مواقف الأصحاب

الخطبه السابعه عشره: ومن خطبه له عليه السلام

الخطبه السابعه عشره: ومن خطبه له عليه السلام

نص الخطبه

المعنى العام

فى الإنصاف سعاده

نصائح فى الإنصاف

بحث عقائدى

هل يكذب الإمام سهواً أو نسياناً؟

الكذب وآثاره

آثار الكذب

نصائح

النصيحة الأولى

النصيحة الثانية

النصيحة الثالثة

ص: ٣٤٩

النصيحه الرابعه

النصيحه الخامسه

النصيحه السادسه

إباء الإمام الحسين عليه السلام

العزّه

الشجاعه

الغيره والحميه

الكاملات الأخرى

فهرس المصادر

فهرس الآيات

المحتويات

ص: ٣٥٠

اصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبه الحسينيه المقدسه

تأليف

اسم الكتاب

ت

السيد محمد مهدي الخرسان

السجود على التربه الحسينيه

١

زياره الإمام الحسين عليه السلام باللغه الانكليزيه

٢

زياره الإمام الحسين عليه السلام باللغه الأردو

٣

الشيخ على الفتلاوى

النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام الطبعه الأولى

٤

الشيخ على الفتلاوى

هذه عقيدتى الطبعه الأولى

٥

الشيخ على الفتلاوى

الشيخ وسام البلداوى

منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان

السيد نبيل الحسنى

الجمال فى عاشوراء

الشيخ وسام البلداوى

إبكِ فإنك على حق

الشيخ وسام البلداوى

المجابه بردّ السلام

السيد نبيل الحسنى

ثقافه العيديه

السيد عبدالله شبر

الأخلاق (تحقيق: شعبه التحقيق) جزآن

الشيخ جميل الربيعي

الزياره تعهد والتزام ودعاء فى مشاهد المطهرين

١٣

ليب السعدى

من هو؟

١٤

السيد نبيل الحسنى

اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟

١٥

الشيخ على الفتلاوى

المرأه فى حياه الإمام الحسين عليه السلام

١٤

السيد نبيل الحسنى

أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم

١٧

السيد محمد حسين الطباطبائى

حياه ما بعد الموت (مراجعته وتعليق شعبه التحقيق)

١٨

السيد ياسين الموسوى

الحيره فى عصر الغيبه الصغرى

١٩

السيد ياسين الموسوى

الحيره فى عصر الغيبه الكبرى

٢٠

الشيخ باقر شريف القرشى

حياه الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) ج ١

٢١

الشيخ باقر شريف القرشى

حياه الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ج ٢

٢٢

الشيخ باقر شريف القرشي

حياه الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ج ٣

٢٣

الشيخ وسام البلداوي

القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام

٢٤

السيد محمد علي الحلو

الولايتان التكوينييه والتشريعيه عند الشيعة وأهل السنه

٢٥

الشيخ حسن الشمري

قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام

٢٦

السيد نبيل الحسنى

حقيقه الأثر الغيبى فى التربيه الحسينيه

٢٧

السيد نبيل الحسنى

موجز علم السيره النبويه

٢٨

الشيخ على الفتلاوى

رساله فى فن الإلقاء والحوار والمناظره

٢٩

علاء محمد جواد الأعسم

التعريف بمهنه الفهرسه والتصنيف وفق النظام العالمى (LC)

٣٠

السيد نبيل الحسنى

الأنثروبولوجيا الاجتماعيه الثقافيه لمجتمع الكوفه عند الإمام الحسين عليه السلام

٣١

السيد نبيل الحسنى

الشيعة والسيره النبويه بين التدوين والاضطهاد (دراسه)

٣٢

الدكتور عبدالكاظم الياصرى

الخطاب الحسينى فى معركة الطف دراسه لغويه وتحليل

٣٣

الشيخ وسام البلداوى

رسالتان فى الإمام المهدي

٣٤

الشيخ وسام البلداوى

السفاره فى الغيبه الكبرى

السيد نبيل الحسنی

حركه التاريخ وسننه عند على وفاطمه عليهما السلام (دراسه)

السيد نبيل الحسنی

دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء بين النظرية العلميه والأثر الغيبى (دراسه) من جزءين

الشيخ على الفتلاوى

النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام الطبعه الثانيه

شعبه التحقيق

زهير بن القين

السيد محمد على الحلو

تفسير الإمام الحسين عليه السلام

ص: ٣٥٢

الأستاذ عباس الشيباني

منهل الظمان في أحكام تلاوه القرآن

٤١

السيد عبد الرضا الشهرستاني

السجود على التربة الحسينيه

٤٢

السيد على القصير

حياه حبيب بن مظاهر الأسدي

٤٣

الشيخ على الكوراني العاملي

الإمام الكاظم سيد بغداد وحميها وشفيعها

٤٤

جمع وتحقيق: باسم الساعدي

السقيفه وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري

٤٥

نظم وشرح: حسين النصار

موسوعه الألوفا في نظم تاريخ الطفوف ثلاثة أجزاء

٤٦

السيد محمد علي الحلو

السيد عبدالكريم القزويني

الوثائق الرسميه لثوره الإمام الحسين عليه السلام

السيد محمد علي الحلو

الأصول التمهيديه في المعارف المهدويه

الباحثه الاجتماعيه كفاح الحداد

نساء الطفوف

الشيخ محمد السند

الشعائر الحسينيه بين الأصاله والتجديد

السيد نبيل الحسنی

خديجه بنت خويلد أمه جُمعت في امرأه - ٤ مجلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩